

الورث

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: الوريث

القسطع: 14*20

تأليف: مايكل يوسف

سنة النشر: 2024

تدقيق وتصحيح: الأستاذة مريم توركان

تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح

الناشر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 28449 / 2024

الترقيم الدولي (ISBN): 8 - 571 - 844 - 977 - 978



دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانوناً بسجل تجاري رقم / ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-571-8



9

789778

445718

الورث

سلسلة بوليسية

مايكل يوسف

تقديم

استحق هذا البطل أن يكون الوريث، فاستحقت السلسلة أن تنجح وتحارب من قبل ظهورها.

عندما يعيش الكاتب في صلب الحدث يكون الناتج الإبداعي والسردى وتناول الأماكن والشخصيات بصورة مذهلة مبدعة هنا تكمن شخصية البطل

الذى عانى كل الصراعات من قبل الإفصاح عن هويته وبقى له من ساعده وساعده للوصول ظاهرين أمام كل جمهوره، المحبين والذين تشوقوا وبشدة عند نزول كل عدد من أعداد الوريث فكان لزاماً علينا نحن إدارة دار الزيات للنشر والتوزيع أن نساهم في تلك الملحمة التي ستخلد عبر صدورها كل عام بأمر الله مهما كانت الصعوبات والتحديات التي ستواجهنا فنحن بفضل الله شهدنا على ميلاد نجم جديد سيحقق معنا نبوءة جديدة وهي حلم الوريث الذي ورث ما ظنه الناس مستحيلاً.

ويبقى هو البطل الذي هزم المستحيل بصورة وريث شرعي يغير مجرى حياة الكثيرين. عبر سلسلة متكاملة من الأحداث التي تغشاها الإثارة

والتشويق والغموض في كل عدد من هذه الأعداد.. ولكم في الحلم حياة يا أولي الأبواب.

أترككم لمزيد من الإبداع والابتكار والتجديد ونشاهد كيف فعل بهم هذا الوريث.

د. شاهندا الزيات

مدير دار الزيات للنشر والوزيع

التيه



الفصل الأول

- الزمن: الساعة الثانية بعدَ مُنتصفِ الليل بتوقيتِ أورشليم.
المكان: تل أبيب -مقاطعة رامات هشارون- مبنى الموساد.
صوت طرقات خفيفة.. آفاقٌ عليها (ليان).
- ادخل
- فتح الباب ودلفَ فتىً قويّ البنية ذو ملامحٍ شرق أوسطيّة:
- مازلتَ هنا يا ليان حتّى هذهِ الساعة؟
نظرَ له ليان وقال:
- نعم عزيزي (باروخ).
نظرَ (باروخ) في ساعةِ يده:
- ولكنها قد تعدّت الثانية بعدَ مُنتصفِ الليل، ألا تحتاج إلى بعض الراحة؟
فركَ (ليان) عَيْنَيْهِ ونظرَ لساعةِ الحاسوب أمامه:
- نعم معكَ حقّ، لم أشعر بالوقت، كُنْتُ أعمل على هذا الملف الذي أرسلهُ إليّ السيد (يوسي)، الخاصّ بذلك الموقع العربي الذي تدور حوله الشُبّهات.
نقرَ (باروخ) بأصابعه على المكتب:
- نعم، نعم، لقد كانَ محور الاجتماعات طوال الثلاثة أيّام الماضية، هل من جديد؟
مَطَّ (ليان) شفّتيه:
- للأسف حتّى الآن لم نستطيع اختراق السيرفر الخاصّ به.
- لا تقلق، مسألة وقت، ولكن قل لي يا (باروخ)،
ما سبب الشك لهذه الدرجة في ذلك الموقع؟
فكَّ (باروخ) أزرار حُلَّتُهُ ليجلسَ مُرتخياً فح كُرسيّه.
- لا أعلم بالضبط، لكنّ المعلومات التي وصلتُ إلى السيد (يوسي كوهين)، تقول أنّ هذا الموقع يُدير شبكة تجسّس كاملة بالشرق الأوسط، وقد يكون لها أطراف هنا.
(ليان) يأندهاش:
- هنا؟
في إسرائيل؟

ابتسمَ (باروخ)، ومالَ إليه:
- هُنا في الموساد.
تراجَعَ (ليان) مُندهشًا:
- بحقِّ التوراة، هُنا!!!
هزَّ (باروخ) رأسه:
- نعم يا صديقي.
هزَّ (ليان) رأسه في تعجُّب:
- كيف؟
هل وصلَ العرب فعلًا لمثلِ هذه الأمور؟!
هل بلغت براعتهم هذه الدرجة؟
قامَ (باروخ) من مجلسه وقال وهو يَهيم بالذهاب:
- وأكثر يا صديقي، وأكثر.
قالها وألقى التحيّة، وانصرف، تاركًا خلفه (ليان) مصدومًا بما سمع.
- هُنا؟!
- في الموساد؟
- هل وصلوا إلى هُنا؟
- كيف هذا؟
لم يأخذ وقتًا طويلًا في التفكير بتلك المسألة، قامَ وأخذَ مُتعلّقاته، أطفأَ الحاسوبَ وهَمَّ
بالانصراف، ولكنَّ قبلَ أن يخرج من مكتبه فتحَ الدرج الأوسط، وأخرجَ صورةً قد وُضعت في
برواز صغير.
أخذَ ينظر لها بثبات ثُمَّ تمتم:
- أشتاقُ إليك!
- لماذا تركتيني هُنا؟
- لماذا؟
قالها ووضَعَ الصورة بدرج المكتب، صورةً لمرأة، جميلة، مُبهرة بكُلِّ ما تحمل الكلمة من
معاني ساحرة.
أطفأَ النور وتركَ المكتبَ وأغلقَ الباب خلفه.

الفصل الثاني

- أدارَ المفتاح في ثقبِ البابِ مُنتهى الهدوء، حاولَ ألا يصدر أي ضجيج.
- أأتيتَ يا ليان؟
- تعالى صوت امرأة بالهتاف، وقفَ ليان وقد سقطَ بينَ يديه.
- نعم أيتها العمّة (تمارا).
- أغلقَ الباب، جاءتْ من غرفتها تتكئ على عصاها:
- ما الذي أحرّكَ إلى هذه الساعة ليان؟
- العمل يا عمّة، العمل.
- أيّ عملٍ هذا الذي يجعلك تخرج من السادسة صباحًا وتعود قُرب بزوغ الفجر؟
- العمل يا عمّة، الموساد.. هل نسيّتَ أينَ أعمل؟
- بدأ الإنفعال في صوته:
- الموساد يا عمّة، الذي أصرّيتَ على أن أعملَ به بُناءً على وصية أُمّي.
- أنسيّتَ إصرارك؟
- وكم كُنْتُ رافضًا لهذا العمل!!
- مالي أنا ومال تلك الأعمال؟
- ولماذا كانَ إصراركِ الغريب على هذا العمل؟
- والأعجب قبولهم لطلب الإلتحاق سريعًا، بدون أيّ اختبارات أو فحص أمني تقريبًا!
- لقد طاوعتكِ وقَدِّمتُ طلب الإلتحاق بالموساد، فقط لأرضيكِ، والعجيب أن الطلب قد تمَّ قبوله!
- أنا مُهندس كمبيوتر، ما علاقتي بالموساد؟
- أطرقَتْ رأسها أرضًا وقالت:
- هذه كانتْ وصية المرحومة أُمّك، ولقد وعدتها بالتنفيذِ مهما كُلفني الأمر.
- لو تعلم من هي أُمّك بالنسبة للموساد وبالنسبة لإسرائيل كلّها.
- نظرَ لها بتحدٍّ:
- نعم، أريدُ أن أعلم، أخبريني.

أريدُ أن أعلمَ مَنْ هي أُمِّي؟
وما هي بطولاتها التي يتحدّث ويتغنّى بها الجميع؟
نظرتُ لهُ بأسفٍ:
- للأسفِ الشديد لا أستطيع.
قالها واستدارت منصرفة لغرفتها.
- اللعنة.
قالها مُنفعلًا.
- لقد سئمت من كُلِّ هذا، سئمت من كُلِّ شيءٍ في حياتي.
قالها وانصرف لغرفته.
ألقي بنفسه على الفراش، لم يَقم حتّى بتبديلِ
ملابسه، ظلَّ مُحدّقًا في سقفِ الغرفة، اللعنة على أُمِّي، اللعنة على العمّة، اللعنة على الموساد
وإسرائيل كُلّها.
تساقطت الدموع من عَينيه تأثرًا بما مرَّ به وتذكره في حياته مُنذُ أن وُلد، لا يتذكّر أُمّه إلّا
بذكرياتٍ بسيطة جدًّا، حتّى جاءه خبر وفاتها وهو لا يزال طفلًا، لم يبلغ حتّى مرحلة المراهقة
بعد.
ولا يذكر لهُ أبًا!
يذكّر فقط ما قالته لهُ أُمّه وهو صغير.. أن أباه بطلًا حقًّا، كانت تتساقط أمامه دولًا بالكاملِ
وتهابهُ جيوش، وكذا تهابهُ أجهزةُ المُخابرات فقط لذكرِ اسمه.
تذكّر عندما طلبَ منها رؤيته، تذكّر ملامحها الجميلة وهي تتحوّل إلى حُزنٍ شديد.
- لا نستطيع، صعب يا لِيان.
تذكّر الدمعة التي سقطت من عَينها عند هذه النقطة، أخذتهُ بين أحضانها، إنّه غريبٌ عنّا
يا لِيان، إنّه ليسَ مِنّا.
أخذ يتذكر ذلك الموقف، مسحَ دمعهُ ودفنَ رأسهُ في الوسادة، ثمّ راحَ في ثباتٍ عميق.

الفصل الثالث

تعالى صوت المنبّه، فتحَ (ليان) عَينيه، مدَّ يدهُ أغلقَ صوت المنبّه، قامَ من مخدعه وذهبَ ليغتسل، كي يستفيق.

بدّلَ ملابسَه التي كانَ قد نامَ بها أمس، انتهى من ملابسِه على عجلٍ، وخرجَ دونَ أنْ يُفكرَ في الاطمئنان على (تمارا).

خرجَ من المنزلِ قاصداً سيارته، فتحَ بابَ السيّارة وقبلَ أنْ يستقلّها أوقفه مشهدٌ غريب! شابٌ في مُقَبَل العُمر يرتدي (الكيباه)، يُمسكُ بفتاةٍ الظاهر من ملابسها أنّها مُسلمة؛ إذ ترتدي الحجاب، ويُحاولُ سحْلِها أرضاً من ملابسها.

وقفَ ليان مبهوئاً لا يدري ماذا يفعل؟

لم يشعر بنفسه إلا وهو يجري تجاه الشابِّ وُيمسكُ بِمعصمِه ويُجره على تركِ الفتاة.
- أنزل يدك عنها.

قالها وهو ينظرُ للشابِّ بتحدّي، صرّخَ به الشابُّ:

- وما شأنك أنت؟

أأنتَ مُسلمٌ مثلها؟

إنّها من الكلابِ التي تأكلُ من خيرنا نهاراً وتقتُلنا مساءً.

لم يشعر ليان بنفسه إلا وهو يلوي ذراعَ الشابِّ للخلفِ ويُسقطه أرضاً بإحدى حركات الكاراتيه السريعة، ويستند بركبته على ظهره:

- إِيّاكَ أنْ تتعرّضَ لها مرّةً أخرى.

تركه مُستلقياً أرضاً وقامَ ونظرَ للفتاة:

- أأنتَ بخير؟

نظرتُ إليه الفتاة بتعجُّبٍ ولم تفتحَ فاهها.

- سيّدي هل أنتَ بخير؟

- نعم، نعم، شُكراً لك.

- لا داعي للشُكر، الواجب على الإعتذار لكِ عمّا بدرَ من هذا الشابِّ.

نظرتُ إليه بلامحه الشرقيّة عدا زُرقة عَينيه التي تَشي بِجنسه:

- هل أنتَ مُسلم؟

هل أنتَ عربي؟

نظرَ إليها باندھاش:

- لا يا سيّدي، أنا إسرائيلي يهودي.

فتحتُ فاهَا باستغراب، ونظرتُ للشاب الساقط أرضًا:

- ولكنّ ...

قاطعها:

- أعلمُ بماذا تُفكرين، ليسَ كُلّ الإسرائيليين مثل هذا الشاب، أو على الأقل أنا لست مثله.

هيّا، إنصرفي إلى حال سبيلكِ ولا تخافي منه.

قالها ونظرَ للشاب نظرة نارية، جعلته يُهرول مُبتعدًا.

استقلَّ السيّارة وانصرف.

تاركا خلفه الفتاة وهي في ذھولٍ ممّا حدث.

قادت السيّارة وهو يُفكر بما حدث.

- ما هذا المُجتمع؟

وأني عنصريّة يحيى بها هذا الشعب؟

وقادته تفكيره إلى سؤالٍ غريب.. هل هو مثلهم؟؟

هل هو من هذا الشعب؟

ولأول مرّة يجول بعقله مثل هذا الخاطر،

هل هو حقًا واحدًا منهم؟؟!

الفصل الرابع

ألقي ليان جسده على المقعد الخاص به في مكتبه مبنى الموساد.
ظل شارد الذهن لا يفارق ذهنه مشهد الفتاة الفلسطينية والشاب الإسرائيلي، أخذ يفكر في
عَبِيَّة المشهد والموقف.

يهودي إسرائيلي يعتدي على يهودي إسرائيلي آخر دفاعًا عن فتاة مُسلمة فلسطينية!!
أيَّ عِبْثٍ وأيَّ أقدارٍ ساقَتْ هذا الموقف، لماذا يفعل هذا؟
لماذا يتعاطف مع كُلِّ ما هو فلسطيني أو عربي أو حتى مُسلم؟
شعورٌ داخلي غريب يجتاحه، لماذا؟

لماذا يشعر بعدم التأقلم بالقضية الإسرائيلية؟
لكنَّه وُلِدَ ونشأ على هذه الأرض، درسَ تعاليم الدِّين اليهودي، تربَّى بينَ مدارس إسرائيل،
عاشَ على القومية الإسرائيلية وحلم أرض الميعاد، لماذا إذن يشعر بهذه الأحاسيس تجاه كُلِّ
ما هو عربي؟

تذكَّر أمَّه، تذكَّر كلامها معه، وأنَّ العدوَّ الأوَّلَ لهم هم العرب والمسلمين بالأخص، وبعدهم
المسيحيين.

كُلِّ ما هو غير يهودي هو عدوِّي، تذكَّر ما كانتُ تفعله معه وهو طفلٌ صغير لم يتجاوز
السادسة من عُمره بعد.

تذكَّر إصرارها على تدريبه وهو في ذلك العُمر، تدريبه جسديًا ونفسيًا وعقليًا.

تذكَّر ما كانتُ تزرعه فيه من كُرهٍ وحقْدٍ تجاه العرب والمسلمين.
تذكَّر شراستها معه حينَ كان يلهو مثل أيِّ طفلٍ في مِثْلِ عُمره، تاركًا ما كانتُ تُعلِّمه إيَّاه،
كانَ يندهش جدًّا من التغيُّر المفاجئ والغريب في ملامحها، تلك الملامح الجميلة المبهرة التي
تتحوَّل إلى ملامح شيطانية في لحظات الغضب، حقًّا لقد كانَ يرهبها.
مع أنَّها أمَّه، لكنَّها كانتُ سببًا في غصَّة صدره وقلبه؛ إذ لم يشعر معها أبدًا مثلما كانَ يسمع
أو يرى الأبناء مع أمَّهاتهم أو العكس.

هناك شيءٌ خاطئ لا يدري كنهه، هل الخطأ به هو شخصيًّا؟
هل في أمِّه وأسلوبها معه؟
هل في إسرائيل نفسها؟

أُسئِلُ كثيرة تَشْغَلُ تفكيره وعقله، ولم يجد لها أبداً إجابة تُرضيه، أو على الأقل تُريحه، فجأة
تذكّر الفتاة الفلسطينية وتذكّر ما قالت: " هل أنت مُسلم؟

هل أنت عربي؟"

هنا تذكّر ملامح أمّه عندما سألتها عن أبيه وأخبرته أنّه ليس منهم!

تذكّر دمعها، هل يُمكن.. ؟

- مُستحيل!!!

نطقها وهو زائغ البصر، نطقها بصوتٍ مسموع، أفاق على هذه الكلمة، تلفّت حوله استعداد
شعوره بموقعه وأين هو.

أشعل حاسوبه، نفّض عن عقله ما يدور به،

حاول الاندماج في العمل، ولكن ظلّت الكلمة تدور في عقله.. مُستحيل!

الفصل الخامس

فتحَ عَيْنِيهِ بغتة، اعتدلَ على فراشه، أخذَ يتصبَّب عرقًا، حاولَ أنْ يتذكَّر الحلم الذي كانَ يُراوده، ولكنَّ هيهات!

قامَ من الفراش، اغتسلَ سريعًا، ارتدى ملابسَه الرياضية، اليوم هو السبت عُطلةٌ عامَّة، وهو اليوم الوحيد الذي يُمارس فيه الأنشطة الرياضية، مُنذُ التحاقِه بالعملِ في الموساد.

أخذَ حقيبتَه الرياضية وتوجَّهَ إلى النادي الخاصَّ به، شرعَ في الإحماء. تذكرُ أمُّه وما كانت تفعله به، تذكرُ تدريبات الكاراتيه والتايكوندو المكثَّفة، ابتسمَ عندما تذكرُ أوَّل بطولة حصل عليها وهو لم يتجاوز العشرة أعوام.

انهمك في تمرينهِ الشاق، مُحاولًا عبثًا أنْ لا يُفكرَ في الفتاة الفلسطينية. أنهى تمرينَه وارتدى ملابسَه ثُمَّ خرجَ من النادي وسارَ على غيرِ هُدى. حاولَ أنْ يُخرِجَ نفسه من حالة الوجود والتفكير في الفتاة الفلسطينية، لم يشعر أين هو، فجأة تنبَّهَ إلى أنَّه بالحي العربي بتلَّ أبيب!

ما الذي أتى به إلى هنا؟؟؟!

استدارَ ليُخادِرَ المكان، لكنَّ القدرَ لم يُمهله؛ إذ وجدَ نفسه مُحاطًا بأربعة شباب عرب، حاولَ أنْ يتجاوزَ همَّ لكنَّهم لم يسمحوا له وقطعوا عليه الطريق، توقفَ وحدَّثهم:

- مهلاً يا شباب، لستُ هنا لأَيِّ غرض، فقط جئتُ بالخطأ.
اقتربَ منه أحدهم:

- ما الذي جاءَ بك إلى هنا؟

أنتَ تعلمُ أنَّ هذه المنطقة مُحَرَّمة على اليهود، مثلما تفعلونَ معنا في المناطقِ المُحرَّمة على المسلمين.

نظرَ الشاب في عَيْنِيهِ.

- أخبرتكُ أنني لا أضمرُ شيئاً لأحد، لقد جئتُ بالخطأ، إذ كُنْتُ شارداً ذهنياً قليلاً أثناء السير.
فجأة أخرجَ الشاب سلاحاً أبيضاً وصرخَ:

- جئتُ لحفرك.

وقفَ ليان بثباتٍ ودرسَ الموقفَ جيِّداً، يقفُ أمامه الشاب ويحمل السلاح، وعلى يمينهِ آخر وكذا على يساره ثالث وخلفه رابع، يقترب منه ليكبِّلَ حركته، فتحرَّكَ سريعاً، ضربَ برأسه بمُنتهى القوَّة جبهة الذي أمامه، واصتدمَ بأنفِ مهاجمهِ حامل السلاح، وارتفعت قدمه

اليمنى في ذات التوقيت وغاصت في معدة الرابع من الخلف، وقفز للأمام خطوتانٍ مارًا على جسد حامل السلاح، واستدارَ ليواجة الاثنين الباقيين مُتخذًا وضعية الكونغ فو الشهيرة.

- توقفوا.

فجأة تعالى صوت نسائي، هاتفًا بهذا الأمر، نظرَ تجاه الصوت فوجدها هي.. الفتاة الفلسطينية.

وقفَ مذهولًا، أتت الفتاة مُسرعةً ووقفت أمامه واستدارتْ تواجه الشباب العرب:

- توقفوا، إنَّه هو الذي أنقذني البارحة من ذلك اليهودي.

قامَ الاثنانِ من الأرض لينضما إلى صديقيهما، وتحدَّث أولهم وهو يمسخ الدماء من أنفه:

- ماذا تقولين يا زينة؟

هذا؟

إنَّه يهودي!!

- إنَّه هو أقسم لكم.

نظروا إليه بدهشةٍ غير مُصدقين، وصرخَ أولهم:

- حتّى ولو كان، لن أتركه جزاء ما فعلَ بأنفي.

قالها وهو يُمسك سلاحه ويهمّ بالهجوم عليه، بينما اتخذَ ليان وضعية الإستعداد.

- توقف يا مسعود.

تعالى الهمّات من خلفهم، صوتٌ وقور.

فجأة توقف الشاب ونظرَ أرضًا، ظهرَ صاحب الصوت، شيخٌ وقور في العقدِ السادس من

عمره، يرتدى الزي الفلسطيني الشهير وعقال الرأس.

اقترب منهم:

- خُذ أصدقاءك واذهب يا مسعود.

- ولكن يا شيخ دياب لقد اعتدى علينا، وكسرَ أنفي.

قاطعهُ الشيخ بصرامة:

- لم يفعل هذا إلّا بعدما حاولتم أنتم الاعتداء عليه.

نظروا أرضًا ونكسوا رؤوسهم.

- هيّا اذهبوا، هذا ضيفي، مَنْ يُنقذ ابنتي فهو ضيفي وتحت حمايتي.

تحركَ الشباب مُبتعدين.

اقتربَ الشيخ دياب من ليان حتّى وقفَ أمامه:

- آسف يا بُني عمّا بدرَ من هؤلاء الشباب.

- قالها بالعبريّة، أجابه ليان بعربيّة صحيحة تمامًا وكأنّه عربيّ أبًا عن جدّ:
- لا تشغل بالك ولا تتأسف.
 - نظرَ إليه الشيخ دياب بذهول:
 - هل أنتَ عربيّ؟
 - ابتسمَ ليان:
 - لا، أنا إسرائيليّ ويهودي أيضًا يا شيخنا.
 - ولكنّ كيف؟
 - نطقها الشيخ دياب، ضحك ليان:
 - هذه قصّة كبيرة، والآن اسمح لي بالانصراف، وشكرًا لك عمّا فعلتَ معي أنتَ وابنتك.
 - ثمّ نظرَ تجاه زينة، فوجدها تنظر إليه، نظرة غريبة، نظرة إعجاب، تلعثمَ وهمّ بالانصراف.
 - أطبّق الشيخ على ساعده:
 - لا لن تذهب، أنتَ ضيفي.
 - نظرَ إليه ليان:
 - اعذّرني يا شيخنا لا أستطيع.
 - مستحيلٌ أنْ أتركك، يجب أنْ تأتي وتتناول العشاء معي.
 - ابتسمَ ليان وحاولَ أنْ يخلص ساعده من قبضة الشيخ دياب، لكنّ قبضة الشيخ العجوز كانت كالكلابة حولَ ساعده، لم يستطع إفلاتها.
 - أخبرتكُ مُستحيل أنْ أتركك.
 - فنظرَ له باستسلامٍ ونظرَ إلى زينة واستسلمَ له:
 - حسنًا يا شيخنا.. لك ما أردت.

الفصل السادس

سارَ ليان خلفَ الشيخ دياب وابنته زينة في الطريقِ إلى منزل الشيخ، كانت زينة تختلس النظر كُلَّ فترةٍ للخلف، تحرَّجَ ليان من نظراتها فنظرَ للأرض، حتَّى توقف الشيخ دياب فجأةً عن المسير والتفتَ إليه وأمسك بِمِعصمِهِ:

- تقدِّم يا بُنَيَّ، تقدِّم بجواري هُنا.

تأبَّطَ ذراعُهُ وذراعُهُ الأخرى بابنته زينة، وسارَ الثلاثة مُتجاوِرينَ بينَ نظرات سكان الحي لذلك المشهد، مَن هذا الغريب الذي مع الشيخ دياب وابنته؟

ظَلَّتْ النظرات تلاحقهم طوال الطريق حتَّى وصلوا إلى المنزل، فتقدَّم الشيخ دياب وفتحَ الباب، وصَفَّقَ بكفيه وهتَفَ مُناديًا:

- أفسِّحوا الطريق، معي صَيِّف.

قالها وأفسَّحَ المجال لزينة تسبقهُ للداخل، وسارَ أمامهُ وأشارَ له.

- تفضَّل يا بُنَيَّ.

دلَفَ ليان إلى المنزل ومن خلفه أغلَقَ الشيخ دياب الباب، وتقدَّمهُ إلى الداخل، وهو يُلقِي على مَسامعِهِ كلمات الترحيب.

دخلَ ليان إلى غرفةٍ رحبةٍ واسعة، مُؤَسَّسة على الطرازِ العربي البدوي، المُميَّز للمنازلِ الفلسطينية، جلسَ ليان على إحدى المخادع القريبة للأرض، شعرَ بالراحة مثلما لم يشعر من قبل.

أَتَتْ زينة تحمل بيدها منشفة نظيفة، وأشارتَ لَهُ بالدخول ليغسَلَ يديه.

تَبَّعَهَا للغرفةِ المُلحقة بالاستراحةِ وغسَلَ يديه، ثُمَّ نظرَ في المرأةِ المواجهة فوجدها تُحدِّقُ بِهِ من الخلف.

تتحنَّحَ وانتهى وأخذَ المنشفة وخرجَ مُسرَّعًا، ثُمَّ جلسَ مُواجهًا لمكانِ الشيخ دياب، أخذَ الشيخ دياب يتجادب معه أطراف الحديث، كانَ الوضعُ كُلُّهُ غريبًا بالنسبةِ لlian، وأيضًا بالنسبةِ للشيخ دياب.

- ما اسمكَ يا بُنَيَّ؟

- اسمي (ليان)، (ليان أديم).

هل أنتَ من القدس يا بُنَيَّ؟

- نعم يا شيخنا، لقد ولدتُ وترعرعتُ هُنا.

- وماذا تعمل؟
توقّف ليان بُرهة عن الكلام وأجاب:
- في مرفقِ المياه العام.
هنا تدخلت (زينة) في الحديث، كانت قد عادت وهي تحمل الطعام على صينية كبيرة:
- وهل مَنْ يعملُ في مرفق المياه، يُجيد ألعاب القتال بمثلِ هذه المهارة؟
ضحك (ليان) لسؤالها:
- ما علاقة العمل الذي أعمله بقدراتي الجسدية والرياضية؟
أنا رياضي مُنذُ صغري، وأظنُّ أنَّ أكبر دليل على هذا أنني أرتمي زِي رياضي، وأحملُ حقيبة الملابس الرياضية الخاصة بي، إذ كُنْتُ عائدًا من المُجمّع الرياضي العام، وكى تطمئني يا (زينة)، هذه هويّة العمل الخاصّة بي.
وأخرجَ من حافظة نقوده بطاقة هويّة تحمل صورته واسمه، وناولها للشيخ دياب.
نظرَ الشيخ دياب وتفحصَ البطاقة ثُمَّ أعادها إليه:
- ولماذا يا ولدي؟
نظرَ إليه ليان بإندهاش:
- لماذا ماذا يا شيخنا؟؟
- لماذا دافعتَ عن ابنتي ضد ابن جلدتك؟؟
صمتَ ليان، إذ لم يجد جوابًا، حقًا أخذ يُفكّر لماذا؟
لكنَّهُ لم يجد إجابة!
نظرَ للشيخ دياب وأجاب:
- لا أعلم يا شيخنا، صدقني لا أعلم، ولكن شعرتُ أنَّ هذا ما يجب عليّ فعله، وأنَّ ما فعلهُ ذلك الإنسان حينها هو ما يجب أن لا يحدث.
نظرَ له الشيخ دياب طويلًا ثُمَّ سأله:
- هل أنتَ يهودي أبًا عن جدّ؟
بُهِتَ ليان للسؤال:
- طبعًا يا شيخنا، وهل اليهوديّة ديانة يعتنقها أحدٌ جديد؟
يجب أن يُولَد الإنسان يهوديًا.
- معذرةً يا ولدي، لكن ما فعلته مع ابنتي غريبٌ علينا، لم نعهد مثله من قِبَل أيّ يهودي أو إسرائيلي، مُنذُ أن احتل.....

- صمت ولم يكمل الكلمة، نظر إليه ليان بأسى:
- أكملها يا شيخنا، أكملها، منذ أن احتللتنا أرضكم، صدقني يا شيخ دياب أنا وكثيرين غيري لا نريد هذا، نحن نريد التعايش معاً، لو تمّ تخييري سابقاً بالطبع لن أرضى عن هذا الإحتلال. رآن صمت طويلاً بعد ما قال ليان، قطعه صوت زينة:
- هيا الطعام لن ينتظر مثل تلك الأحاديث.
- اعتذر ليان عن الطعام، لكنه تراجع عن قراره أمام تصميم الشيخ دياب وإصراره، فجلس وتناول الطعام مع الشيخ، ولمح زينه تقف بعيداً خلف باب الغرفة، تنظر له بإعجاب تفضحه عيناها.
- تناول الطعام على عجل وهم بالانصراف، قام مُحبيّاً الشيخ دياب وشكره على الطعام الرائع. لم يدعه الشيخ دياب يذهب؛ إذ أمسك بذراعه فجأة:
- شكراً لك يا ولدي، شكراً لك على ما فعلته مع ابنتي. لن أنسى لك ما فعلت طالما حييت.
- لا تشكرني يا شيخنا على ما وجب عليّ فعله.
- انتظر يا ولدي، سوف أوصلك حتى أطراف الحي، كي لا يتعرض لك أي شاب من هنا.
- رفض ليان كثيراً لكن الشيخ عنيد صعب المراس، وبالفعل ذهب معه وأوصله حتى أطراف الحي، ثم تركه ليان وأخذ طريق المنزل وهو يفكر فيما حدث، وما مرّ به.
- وصل إلى بيته وصعد إلى شقته، فتح الباب، كانت عمته نائمة، لم يرد إزعاجها، اغتسل سريعاً ثم ذهب للفراش وعقله مشغول بسؤال واحد فقط:
- لماذا فعل ما فعل مع زينة؟
- لماذا؟؟؟

الفصل السابع

قضى ليان ليلته بالكامل لا يفارق عقله وجه الشيخ دياب ولا وجه زينة، وهذا الدفء العائلي في ذلك المنزل، الذي لم يشعر به من قبل، لم يستطع النوم من كثرة تفكيره فيما مضى من أحداث سابقة، وما شعر به من دفء أُسريٍّ في منزل الشيخ دياب، إحساس لم يألّفه من قبل، حتّى في منازل أقرانه، لم يرى مثل هذا الدفء ولا المودة والحبّ، كان يشعر أنّه مُختلف.

لماذا؟

لا يعلم، فقط يعلم أنّه مُختلف، مُختلف عن هذا المجتمع، مُختلف اختلافاً كلياً. نفّض عن نفسه هذه الأفكار، نظّر في الساعة المُجاورة للفراش، وجدها تُشير إلى السادسة والنصف صباحاً، قرّر النهوض، ارتدى ملابسه على عجل، ثمّ خرج من المنزل دون أن يُثير أيّ ضوضاء؛ كي لا تستيقظ عمته تمار، ويدخل في نقاش عن عودته متأخراً ونزوله في الصباح الباكر، قرّر أن يعفي نفسه من كلّ هذه الأحداث بالنزول دون أن تستيقظ. وبالفعل خرج من المنزل، توجه إلى سيارته وهمّ بالركوب حتّى سمع صوتاً من خلفه، تلفّت خلفه فوجدها (زينة)

توقّف مبهوتاً، لا يدري ماذا يفعل؟

نظر لها بإندهاش يملأ ملامحه:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- أردتُ أن أشكرك بنفسي بعيداً عن والدي والحي بالكامل.

- هل أنت مجنونة؟

ألم أخبركِ ألا تأتي إلى هنا مرّةً أخرى، هذا خطرٌ عليكِ.

- لا يهمّ، المهمّ أن أراك.

قالتها ونظرت في عينيّه، ارتبك؛ إذ لم يمرّ بهذا الموقف من قبل، شعرت بارتباكها وارتبكت

هي الأخرى، لا تعلم ماذا تفعل؟

أو ماذا قالت؟

لا تدري لماذا فعلت هذا، كانت تُريد رؤيته فقط بأيّ شكلٍ ومهما كلفها الأمر، نظر لها

فتسارعت دقات قلبه، ماذا هو فاعل؟

تدارك نفسه سريعًا، فتح باب سيارته وأشار لها بالجلوس بجواره، انطلق بالسيارة مُسرِّعًا قبل أن يشعر به أو يراه أحد من سكان المنطقة وهو معها.
قاد السيارة دون أن يتحدث معها إطلاقًا حتى وصل على مشارف الحي العربي، توقف بالسيارة وهبط وفتح لها الباب، مُشيرًا إليها بالذهاب قائلاً:
- إياك أن تفعلها ثانيةً.

أطرق رأسًا:

- لكنني أردتُ رؤيتك.

تعالث دقات قلبه مرةً أخرى، هز رأسه يُحاول أن يخرج من تفكيره:

- أنصتي إليّ، ما تفكرين به مُستحيل الحدوث بأي شكلٍ من الأشكال، وتحت أي وضع، أنتِ فتاة مُسلمة فلسطينية، وأنا شاب يهودي إسرائيلي.

فتحت فاهما بصوتٍ مُنخفض:

- ولكنني أُحبُّك.

تسارعت دقات قلبه حتى كاد أن يقفز من صدره، سرح في ملامحها ووجها المضيء، غرق في صفاء عينيها العسلية حتى شعر أنه يغوص في بحرٍ من العسل، أول مرة يشعر بهذه الأحاسيس، أراد أن يقول لها: وأنا أيضًا لكُنه تمالك نفسه ونظر لها:

- مُستحيل، هذا مُستحيل.

أذهبي ولا تعودي لهذه الأفعال مرةً أخرى أرجوكِ.

نظرت في عينيهِ نظرة استجداء، تكونت دمة حبيسة بين مقلتيها.

نظر بعيدًا.

تركته وانصرف مُسرِّعًا.

أخذ يتابعها ببصره حتى اختفت داخل الحي، ركب سيارته وانطلق، لا يرى وغير مُدرك للطريق، كل تفكيره فيها، كل تركيزه في عينيها. وصل إلى مقر عمله، صعد إلى مكتبه، ألقى بجسده المُنهك على المقعد الخاص به، كان عقله يكاد يحترق من كثرة التفكير، ظل على هذا الوضع فترة زمنية كبيرة غير مُدرك للوقت ولا المكان، حتى انتزعت طرقات على باب غرفته من شروده.

- تفضل.

قالها وهو يعتدل في مجلسه، فُتح الباب كاشفًا عن وجه حارس الأمن الخاص بالقطاع الذي يعمل به.

- عُذرًا سيّد ليان، لكنّ السيّد يوسي يُريدك الآن وينتظرك في مكتبه.

- ولماذا أرسلك ولم يتصل بي هاتفياً، لقد حاول مراراً سيدي ولكن يبدو أن هاتفك لا يعمل أو أنك لم تنصت إليه.
- نظر ليان للهاتف، هل حقاً لم يشعر برنين الهاتف؟
- أشار لحارس الأمن:
- حسناً، حسناً، شكرًا لك، أنا ذاهب حالاً للسيّد يوسي.
- قالها وقام من مقعده وحاول أن يعدّل من هندامه بقدر المستطاع، وانطلق إلى مكتب مدير الجهاز، وقف على باب غرفته وطرّق الباب، ووقف مُنتظرًا الإذن بالدخول حتى أتاها الإذن، فتح الباب ودخل مباشرةً إلى المكتب وأغلق الباب خلفه.
- كان السيّد (يوسي) يجلس خلف مكتبه، ويطلع بعض الأوراق والملفات، حتى وقف أمامه ليان، فترك الملفات التي أمامه ونظر له:
- تفضّل (ليان)، اجلس، وأشار إلى المقعد المواجه لمكتبه، وبالفعل جلس (ليان) وهو ينظر إلى السيّد (يوسي).
- كيف حالك (ليان)؟
- نطقها السيّد (يوسي) وهو ينظر لليان.
- بخير حال سيدي، بخير حال.
- وكيف حال العمّة (همارا)؟
- دُهِش (ليان) من السؤال ولكنه أجاب:
- في خير حال.
- حسناً، حسناً.
- قالها وهو يقف مكانه خلف مكتبه، واستدرك الحديث:
- أنت تعلم يا (ليان) أن لدينا معلومات شبه مؤكدة بوجود جاسوس لدينا هنا في الموساد! أجابه (ليان):
- أجل سيدي، لقد علّمت من باروخ هذه المعلومة.
- لم يعقب السيّد (يوسي) على كلام ليان وأكمل مستطردًا حديثه:
- وتعلم أيضًا أن الموقع الذي تعمل عليه وتُحاول تتبّع سيرفراته والمسؤولين عنه، هو المشتبه الأساسي لدينا، وأنه خلف تلك الشبكة التي تفرد أذرعها في الشرق الأوسط بالكامل.
- أجابه (ليان):
- لم أكن أعلم بتلك المعلومة سيّد (يوسي)، لقد كنتُ أعتقد أنه غير تابع لتلك الشبكة، وأنه من قبيل المصادفة فقط.

قاطعهُ السيّد (يوسي):

- لا توجد مُصادفات في عملنا يا سيّد (ليان)، لا نترك في عملنا أي شيءٍ للصُدفة أو الحظّ.
- امتقّع وجه (ليان) لكلامه، أكمل السيّد (يوسي) حديثه:
- الآن وقد عِلِمَت طبيعة العلاقة بينَ ما تعمل عليه وبينَ تلك الشبكة، أعتقد أنّه من الواجب عليك أن تُنهي عملك سريعًا وعلى الوجه الأكمل.
- ازداد امتقاع وجه (ليان)، وأكمل السيّد (يوسي):
- وأنت خارج الآن برجاء التوجه لوحدة المعلومات، أعتقد أنّ السيّد (موشى) يملك بعض المعلومات عن أشخاص هنا في إسرائيل، قد يكون لهم صلة بذلك الموقع وتلك الشبكة.
- فهِم (ليان) أنّ السيّد (يوسي) يُنهي اللقاء، قام سريعًا وألقى التحية للسيّد (يوسي)، وخرج مُنصرفًا من المكتب.
- خرج من بابِ المكتب وتنفّس الصعداء على انتهاء تلك المُقابلة، وكان حملاً ثقيلاً قد انجلى من على صدره بعد مُقابلة السيّد (يوسي)؛ فهذا الرّجل تهابه أجهزةٌ ودوّلٌ بالكامل.
- توجه إلى وحدة المعلومات الخاصّة بمكتب الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد)، وذهب إلى مكتب السيّد (موشى) ثمّ وقف على بابِ المكتب مُنتظرًا الإذن بالدخول، حتّى أتاهُ صوت السيّد (موشى) مُشيرًا له بالدخول.
- أشار له السيّد (موشى) بالجلوس، وأخبره أنّه يعلم من السيّد (يوسي) بقدمه، لذا فقد جهّز له ملف كامل به كلّ المعلومات عن الشخصيات المتوقعة أنّهم على اعتقادٍ بشبكة التجسس والموقع الإلكتروني الذي خلفها، ثمّ أعطاه الملف وأشار له بالانصراف، همّ (ليان) بالانصراف بعد أن تناوَل الملف من السيّد (موشى)، وفجأة توقف،
- تصلّب في مكانه عندما وقعت عيناه على بروازٍ صغيرٍ فوق مكتب السيّد (موشى)، برواز يحوي صورة لشخصين رجُل وامرأة، أمّا الرّجل فهو السيّد (موشى) عندما كان شابًا، وأمّا المرأة فهي فاتنة، غاية في الجمال، أسطورة من أساطير الجمال، ملامح من الصعب تكرارها ومن الصعب نسيانها أيضًا.. إذ هي ملامح أمّه!

الفصل الثامن

تَجَمَّدَ لِيَانُ فِتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الصُّورَةَ، حَتَّى سَأَلَهُ السَّيِّدُ مُوشَى بِصَوْتِهِ الْأَجَشِّ:

- مَاذَا هُنَاكَ سَيِّدَ (لِيَانُ).

- لَا شَيْءَ سَيِّدِي، لَا شَيْءَ.

آسَفُ، فَلَقَدْ اسْتَرَعَتْ هَذِهِ الصُّورَةَ انْتِبَاهِي وَأَشَارَ إِلَى الْبُرَازِ الصَّغِيرِ.

نَظَرَ مُوشَى إِلَى الْبُرَازِ وَابْتَسَمَ إِبْتِسَامَةً حَنِينٍ لِلْمَاضِي:

- أَتَقْصِدُ هَذِهِ الصُّورَةَ؟

قَالَهَا وَهُوَ يَحْمِلُ الْبُرَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

- نَعَمْ سَيِّدِي.

نَطَقَهَا لِيَانُ.

- لَقَدْ كُنْتُ شَابًّا يَافِعًا سَيِّدَ (مُوشَى) وَبِالطَّبَعِ تِلْكَ السَّيِّدَةُ (مُوشَى)؟

قَالَهَا بِتَوَجُّسٍ مُحَاوِلًا اسْتِدْرَاجَ السَّيِّدِ (مُوشَى) لِلْحَدِيثِ.

- لَا، (لِيَانُ)، أَنَا لَمْ أَتَزَوَّجْ؛ فَمَنْ يَعْمَلُ فِي مَجَالِنَا هَذَا مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً طَبِيعِيَّةً، وَعَادَةً وَنَظَرَ لِلْبُرَازِ الصَّغِيرِ مَرَّةً أُخْرَى.

لَا وَلَكِنْ مَنْ مَنَّا لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِالزَّوْاجِ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ؟

لَقَدْ كَانَتْ فَتَاةٌ أَحْلَامُ الْجِهَازِ بِالْكَامِلِ، بَلْ قُلْ إِسْرَائِيلُ كُلُّهَا، إِنَّ لَمْ يَكُنْ الْعَالَمُ أَجْمَعُ.. آه،

لِيَانُ لَقَدْ جَعَلْتَنِي أَسْتَرْجِعُ ذِكْرِيَّاتٍ جَمِيلَةٍ وَحَزِينَةٍ!

- آسَفُ سَيِّدَ (مُوشَى) آسَفُ لَمْ أَقْصِدُ.

أَشَارَ لَهُ مُوشَى بِيَدِهِ إِشَارَةً أَنْ لَا عَلَيْكَ، لَكِنْ هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَكُنْ مَا يُرِيدُهُ لِيَانُ؛ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ.

- يَبْدُو أَنَّكَ كُنْتَ تَحِبُّهَا جَدًّا سَيِّدَ (مُوشَى).

عَادَ وَنَظَرَ (مُوشَى) لِلصُّورَةِ مَرَّةً أُخْرَى:

- بِالطَّبَعِ، بَلْ قُلْ كُنْتُ أَعْشَقُهَا حَتَّى النُّخَاعِ، لَكِنْ مَاذَا نَفْعُ لِلْأَقْدَارِ، عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ذَلِكَ الْمِصْرِي.

كَادَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَنْ تَنْقَبِ أَذَانُ لِيَانُ (مِصْرِي)، مَا عِلَاقَةُ الْمِصْرِيِّ بِهَا؟

مئات من الأسئلة كانت قد تجمعت برأسه، وفجأة وجد نفسه يسأل:

- هل قتلها ذلك المصري؟

أجابهُ موشى:

- لا بل تزو...

وفجأة نظرَ لـليان وقد تغيّرت ملامحه:

ما الذي تفعله هنا حتى الآن سيّد (ليان)؟

ولماذا تتدخل في أمورٍ ليست من شأنك؟

امتقع وجه (ليان):

- آسف سيّد (موشى)، آسف، لم أقصد أن أتدخل في أمورٍ شخصيّة.

رمقه السيّد (موشى) بنظرةٍ نارية، وأشارَ له

بالانصراف.

خرجَ (ليان) مُسرّعاً وقلبه يكاد يتوقف عن عمله من فرط الانفعال.

عقله يكاد يشتعل من كثرة التفكير، لقد كان السيّد (موشى) يعرف أمه، بل يبدو من الصورة

أنّه قريبٌ منها.

وما قصة ذلك المصري؟

وما الذي كان سيقوله السيّد (موشى) وتوقف فجأة؟؟؟

أسئلة كثيرة تكاد تعصف بعقله، صداع وألم رهيب بدأ يتسلل إلى رأسه، توجه إلى مكتبه،

طلبَ فنجاناً من القهوة السوداء المركزة، وطلبَ قرصاً مسكناً للألم الذي كاد أن يفتك برأسه.

بدأ يهدأ قليلاً بعد أن تناول القرص المسكن وفنجان القهوة، استلقى على مقعده واضعاً

رأسه للخلف، محاولاً أن يتوقف عن التفكير.

هدأ قليلاً، تناول الملف الذي أخذه من السيّد (موشى)، محاولاً أن يوقف عقله من التفكير

في موضوع أمه، بدأ يتصفح الملف، كانت معلومات عن بعض الأشخاص العرب المقيمين

بإسرائيل، ويقال عنهم عرب ٤٨؛ لأنهم توطنوا بها فأصبحوا كـالإسرائيليين تقريباً أو هكذا

يُشاع؛ لأنّه كان يُدرك أنّ المجتمع الإسرائيلي لا يقبل الغريب حتى لو كان يهودياً، فاليهود

أنفسهم مُقسمين بين (أشكيناز) وهم اليهود من أصولٍ أوروبية وأمريكية، وهؤلاء هم عليّة

القوم ومن يتقلّدون المناصب العليا، و(سفرديم) وهم اليهود من أصولٍ عربية وهؤلاء

مواطنون درجة ثانية، وأخيراً (فلاشا) وهم اليهود من أصولٍ أفريقية أو زنوج، وهؤلاء ليس

لهم أيّة حقوق تقريباً، فما

بالك بالعرب المسلمين أو المسيحيين في هذا المجتمع!

أخذَ يتصفح أوراق الملف بالصورِ المُرفقة، ويقف عندَ كُلِّ صورةٍ ويقرأ المعلوماتَ المتوفرة، حتَّى توقَّفَ عن تَقليب الصفحات فجأة، فقد هالهُ ما رأى!
لأنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ صاحبَ هذهِ الصورة، لقد تناولَ طعامَ العشاء معه بالأمس في منزله.. صورة الشيخ دياب.

أخذَ يقرأ المعلومات عنه:

- الاسم: دياب عساف الحسكي.

- السن: ٦٠ عام.

- مواليد: رام الله.

- عدد الأبناء: واحده فقط.

توقَّفَ (ليان):

- ربّاه!

فإنَّهُ لا يملك من الأبناء إلّا زينة فقط، ومعنى أنَّ الموساد قد جمَعَ بياناته وقامَ بوضعه تحت المجهر، أَنَّهُ سيتمَّ القبض عليه في أقرب وقت.

ربّاه.. ماذا أفعل؟!

وزينة ماذا سيحدثُ لها؟؟

ألف سؤال وسؤال مرّةً أخرى، إنَّهُ يومٌ غريب وعجيب بالنسبة له، عادَ للملفِ مرّةً أخرى، وظلَّ يبحث في المعلومات المتوفرة، يبدو أنَّ الشيخ دياب فعلاً قاب قوسين أو أدنى من القبض عليه.

فهو مَنْ يُساعد بعض الأشخاص الغير مُرحب بتواجدهم في الضفة الغربيّة بالدخول والخروج، وأيضًا التسلّل للمجتمع الإسرائيلي، أي أَنَّهُ همزة الوصل والمُرشد بينَ إسرائيل وخارجها، وبالتالي هو هدف أساسي للمواد؛ إذ يُعدُّ كنزًا للمعلومات، هالته الفكرة بمجرّد ذكرها، فهو يعلم طرق وأساليب الموساد في استخراج المعلومات، والشيخ دياب طاعنًا بالسن، ولكن ما عرفهُ من قوّة يدهِ أَنَّهُ قويّ الشخصية ولن يُخرج المعلومات بسهولة، أو لن يُخرجها البتّة.

اتسعتْ عيناه عندَ هذهِ النقطة (زينة)، سوف يأخذها الموساد، ستكون هي أداة الضغط على الشيخ دياب للإدلاء بكُلِّ ما يعرف، لا، لا بدُّ من إنقاذها، فهو يعلم أساليبهم القذرة (وزينة) فتاةً رقيقة، لا يُمكن أن يسمَحَ بأن يحدث لها مكروه، لا يُمكن.

أنت تُحبّها، تردّد الصوت بعقله، أنت تفعل هذا بدافع الحبّ، تجمّد فجأة..

- هل؟

هل يُحبُّها فعلاً؟

ولكنَّ كيفَ حَدَّثَ هذا؟؟؟!

كيفَ سمَحَ لنفسه ولقلبه أن يميلَ إليها؟؟

إنَّها فلسطينيَّة ومُسلمة، وهو إسرائيلي ويهودي، والأدهى أنَّه يعمل في أرفع جهاز أمني إسرائيلي (الموساد)، مُستحيل، يجب أن ينفِصَ عن عقله هذه المسألة، لا بُدَّ وأن يفعل، لكنَّه

لا يستطيع أن يتركها لهذا المصير، لن يُسامح نفسه أبداً لو أصابها مكروه، ولكنَّ كيف؟؟؟

كيفَ يُنقِذها من هذا المصير؟؟

كيف؟؟

الفصل التاسع

ارتطمَ حجر صغير بالشابِّ (مسعود) وهو جالسٌ على ناصية الطريق، تلفتَ حوله لم يستطع أن يدرك المكان الذي قُذِفَ منه الحجر، ارتطمَ به حجرٌ آخر في ظهره، تلفتَ مُسرِعاً مدخل العقار المُظلم.

دخَلَ العقار وهو يُخرج سلاحه الأبيض من جيبه، فجأةً أمسكت يدٌ بساعده، والتفت خلف جسده واسقط المِدْيَةَ من يده، وشَلَّ حركته بالكامل، وألصق وجهه بالحائط المُواجه.

- مهلاً يا صديقي، لستُ هنا من أجلك.
تلفتَ (مسعود) خلفه وهو يُحاول أن يكتُم تأوّههُ من الألم الناتج عن ذراعه المُلتوي خلفه، ونظرَ مُحدّثه:

- أنت مرةً أخرى، أيُّها الإسرائيلي، أيُّها الخا...
زادَ (ليان) من الضغط على ذراعه ليمنعه من تكلمة سُبابه، فتأوّه (مسعود) من الألم.
- أخبرتك يا صديقي أنني لم آتي لأجلك، فلا داعي للسُّباب والصياح، سوف أتركك ولكن أريدُ منك خدمة.

تدلى فَك (مسعود) من الدهشة:

- خدمة.. مني أنا؟!

كيف؟

- نعم منك أنت؛ أريدك أن تذهب وتُحضِر لي الشيخ دياب حالاً، ولا تُخبره بأي شيء، وأيضاً لا تُخبر أحداً إلى أينَ أنت ذاهب، وحاول أن تُحضِرهُ معك، وأن لا تلتفت كثيراً في حوارٍ وأزقة كثيرة ولا تأتيا مباشرةً، هل تمَّ استيعاب ما أريد؟

قالها وأفلت يد (مسعود) وتركه يُحاول إعادة يده إلى طبيعتها ومكانها الصحيح.

- ماذا تُريد من الشيخ دياب؟

قالها (مسعود) وهو يُمسك ذراعه.

- ليس من شأنك، لو كان الأمر بيدي لذهبتُ إليه مباشرةً ولكن لا أستطيع؛ كي لا ألفت الأنظار، هيّا تحرك، الوقت ينفذ متاً.

رمقه (مسعود) بنظرات الشك طويلاً، ثُمَّ اتخذ قراره وذهب ليُحضِر الشيخ دياب.

وقَفَ ليان في مدخل العقار، وظلَّ مُنتظراً حضور مسعود والشيخ دياب، مرّت حوالي عشرون

دقيقة كاملة، وأخيراً ظهرَ مسعود وخلفه الشيخ دياب.

دخلَ الشيخ دياب إلى مدخل العقار وأشار لمسعود بالانتظار خارجًا.

- ليان؟

ماذا هناك؟

ولماذا لم تأتي لمنزلي مباشرة؟

أنتَ مُرحَّبٌ بِكَ في أيِّ وقتٍ، لقد أخبرْتُ كُلَّ شباب المنطقة بهذا، لذا فلن يجروا أحد على التعرُّض لك بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

- أعلم، أعلم يا شيخ دياب، ولكن أنصت إليَّ جيّدًا، يجب أن تُغادر الحي والمنطقة كُلَّها، ويُستحسن إسرائيل بالكامل غدًا على الأكثر.

تعالث الدهشة على وجه الشيخ دياب:

- ماذا تقول يا ولدي؟

أُترِّدني أن أترك بيتي وأهلي وأهربي؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة:

- لقد جئت إلى العنوانِ الخاطئ يا بُني، الشيخ دياب لا يهرب أبدًا، ثم من ماذا أهرب؟؟
ظَلَّ لِيان صامتًا وأخيرًا تحدّث:

- اسمعني جيّدًا يا شيخ دياب، وأرجو أن تفعل ما أخبرك به.

أنا أعمل في الموساد.

ارتسمت أعتى علامات الدهشة على وجه الشيخ دياب عند سماعه لهذا الخبر، أكملَ لِيان حديثه:

- نعم يا شيخ دياب، هذه هي الحقيقة ولديّ معلومات مؤكدة أنّهم بصدِّ إلقاء القبض عليك.

رأى الصمت فترةً حتّى قطعهُ الشيخ دياب:

- وهل تُريدني أن أصدّق ما تدّعيه؟

نظرَ (ليان) في عَيْنَيْهِ مباشرةً:

- ولماذا أكذب عليك؟

صمتَ الشيخ دياب ثمّ تابع:

- ولو، الشيخ (دياب) لا يهرب أبدًا، لو كُنْتُ أريدُ الهرب لهربتُ من زمنٍ ماضٍ يا بُني.

جدُّ (ليان) على شفتيه؛ إذ كان يتوقع هذا:

- اسمعني فقط يا شيخ (دياب) أرجوك، أنا أعلم طبيعة شخصيتك كما أعلم أنّك لم ولن تُفكر في الهرب بأيِّ شكلٍ من الأشكال، ولكن أرجوك افعل هذا من أجل زينة.

- قالها وهو ينظرُ في عيني الشيخ (دياب) مباشرةً.
- وما علاقة زينة بما تقول؟
- نظرَ (ليان) في ساعته:
- أرجوك ليس لدينا وقت، لو تمَّ القبضُ عليك لن يتهاونوا في استخراج المعلومات منك بأيِّ صورةٍ من الصور.
- ابتسمَ الشيخ (دياب):
- اجعلهم يحاولون.
- أعلم، أعلم يا شيخ (دياب) أنَّا لن نتحدَّث، لكنني أعلمُ أنَّهم لن يتوانوا عن فعلِ أيِّ شيءٍ تتخيَّله أو لا تتخيَّله للحصولِ على المعلومات.
- ابتسمَ الشيخ (دياب) أكثر:
- ليفعلوا ما يحلو لهم.. فأنا لها.
- وزينة؟
- هل فكرتَ ولو لوهلةٍ ما الذي قد يفعلونه بها كي يُجبرونكَ على التحدُّث.
- امتقعَ وجه الشيخ (دياب) :
- لا، مُستحيل، أينَ الرجولة؟ بل أينَ النخوة؟
- قالها وهو ينظر لليان.
- أنتَ قُلْتَها يا شيخنا.. أينَ الرجولة؟؟
- أينَ النخوة؟
- لا يوجد هنا في إسرائيل أخلاق الفرسان يا شيخ (دياب).
- إزدادَ امتقاع وجه الشيخ (دياب) حتَّى قارب على السواد، أمسَكَ (ليان) بكتفيه:
- أنصت إليَّ شيخنا أرجوك، خُذ زينة واخرُج من الحي والصفَّة كُلُّها اليوم وحالًا.
- لماذا تفعل هذا؟
- قالها الشيخ (دياب) وهو ينظرُ في عيني (ليان)، دُهِلَ ليان من السؤال، حقًّا لماذا يفعل هذا؟!
- لا أعلم، صدَّقني لا أعلمُ شيخنا، أنا أقوم بخيانةِ بلدي وعشيرتي، ووطني وعملي ولا أدري لماذا؟!
- ظلاً ينظران لبعضهما فترة.
- أنا أصدِّقكَ يا ولدي، وأنا أيضًا لا أعلمُ لماذا أصدِّقك، ولكنَّ لديَّ شعورٌ دفين نابعٌ من داخلي أنَّكَ لستَ مثلهم وأنَّكَ لستَ منهم.

نظرَ له (ليان) بتساؤل:

- ماذا تقصد بـ لستَ منهم يا شيخ دياب؟؟
- لا أعلم، صدَّقني لا أعلمُ يا ولدي، أريدُ أن أطلبَ منك طلبًا أخيرًا .
- قُلْ ما تُريد شيخنا.

- اتركني فأنا لن أهرب، ولكن أخرج زينة من إسرائيل كُلِّها.

اندهشَ ليان من طلبه:

- أنا؟ زينة؟ كيف؟!

هل تأمنني عليها؟

- نعم يا ولدي، نعم، فقد أخبرتك سلفًا أنَّكَ لستَ منهم، ملامحك يا ولدي تُشبهُ شخصًا قابلته قديمًا، شخصًا قلَّمَا يوجد الزمانُ مثله، بطل حقيقي، صعب أن تُقابلَ مثله يومًا، لا أدري لماذا تذكُّرته معك؟

- مَنْ هذا الشخص يا شيخ دياب؟

- لا عليك، هذا هذيان الشيوخ.

- أخبرني يا شيخ دياب أرجوك.

- مُستحيل يا ولدي، مُستحيل، شتانَ بينهُ وبينك؛ فأنَّتْ إسرائيلي يهودي، وهو مصري مُسلم.
- تراجعَ (ليان) عندَ سماعِ مصري مرَّةً أُخرى في ذاتِ اليوم، أخرجهُ الشيخ (دياب) من شروده:
- أتعُبل بهذه المهمة؟

التفتَ إليه (ليان):

- أيُّ مهمة؟

- ابنتي، أريدك أن تُخرجها من إسرائيل كُلِّها، أخرجها إلى مصر؛ فأخوالها هناك، وأنا سوف أخبرهم، أرجوك يا بُني، هم يريدونني أنا، وأنا لن أهربَ كي لا أَسبَبَ في إيذاءِ أحد، لأنني إن هربت سوف يهدمونَ الحيَ بالكامل على رؤوسِ قاطنيه بحثًا عني.

قالها والتمعتْ عينهُ بدمعةٍ تأبى السقوط، نظرَ له (ليان) وقال:

- أقبل يا شيخ دياب، أقبل وأعدك أن أخرجها سالمة حتى لو كلفني الأمر حياتي.

نظرَ له الشيخ (دياب) وأخذَ يتأمل ملامحه:

- ألم أخبرك أنَّكَ تذكُّرني به، أراهُ فيكَ الآن!

شكرًا لك، قالها وأخذهُ بينَ ذراعيهِ مُعانقًا.

الفصل العاشر

تأبط شاب ذو شعرٍ أصفرٍ وعينين خضراوين ذراع الفتاة الشقراء التي ترتدي نظارة شمسية كبيرة الحجم، تُخفي نصف ملامحها. هبطا معًا من الحافلة السياحية التي ثقلهما إلى وجهتهما السياحية مع الفوج السياحي الإسرائيلي، وأشار المرشد السياحي إلى الفوج بالتجمع أمامهما؛ كي يشرح لهم طبيعة المكان، وبالفعل تجمع الفوج السياحي بالكامل والتفوا حوله ليحدثهم بالعبرية:

- نحن هنا في (جرانت كانيون) أو (جرانت كانيون الأحمر) أو (الوادي الأحمر العملاق)، وهو وادي أخدودي طبيعي بين الجبال، يمتاز بروعة المناظر الخلابة واللون الأحمر المميز للجبال هنا، ونحن هنا نعد في أقرب منطقة حدودية موازية وهي الحدود الإسرائيلية المصرية، يُسمح للمدنيين بالتواجد فيها، نظرًا لقرب الحدود المصرية والتي تبعد عنا مسافة خمسة كيلومترات تقريبًا.

مالث الفتاة على أذن الشاب وتحدثت بالعربية:

- ليان أنا خائفة جدًا؛ إذ أنني لا أفهم العبرية جيدًا.

ضغط ليان على يديها:

- لا تخافي زينة، لا تخافي فأنا معك ولن أتركك، لقد وعدت أباك الشيخ (دياب) بأن أخرجك من هنا بأي شكل من الأشكال ولو كلفني هذا الأمر حياتي.

تذكرت أباها ففر الدمع من عينيها، جذبها ليان للخلف والتفت حول الحافلة؛ كي لا يراها أحد وهي تبكي.

- أرجوك توقف عن البكاء.

- لا أستطيع ليان، لا أستطيع، أبي.. قد بلغ شوقي له أقصاه، لم أتركه من قبل لأي سبب، فهل أتخلى عنه الآن وهو في هذه الظروف، أريد العودة وحسب، أرجوك ليان أعديني إلى أبي.

مد ليان يده وأخذ يمسح دمعها، وودّ لو أخذها بين ذراعيه كي يطمئنها، لكن شيئًا ما بداخله مَنعه، لا يدري كنهه ولكنه يشعر بأن هذا الفعل غير جائز، لقد وعد أباها بالحفاظ عليها.

- لتطمئني، أعدك أن أبذل قصارى جهدي لإخراجه مما هو فيه.

نظرت إليه وبريق الأمل يلمع في عينيها:

- أحقًا ما تقول ليان؟

نظرَ في عَيْنَيْهَا وتابع:

- أجل، أعدك بهذا.

هدأَتْ قليلاً فأشارَ إليها بالتحركِ خلفه بهدوء، وسارا مُبتعدينِ عن الفوجِ السياحي، سائرينِ غرباً، نظرَ في ساعته وقالَ لها:

- أمامنا ساعة من الآنِ حتّى يكتشفوا غيابنا، بعدَ الغداءِ ونصفِ ساعةٍ أخرى حتّى تبدأَ الدورياتُ الحدوديةُ بالبحثِ عنا بعدَ إبلاغها، وأمامنا خمسةُ كيلومتراتٍ للشريطِ الحدودي، أرجو أن يكونَ خالكِ الشيخ (ربيع) قد علِمَ بالمكانِ جيّداً من أبيبكِ.

هيّا لنتحركَ بسرعةٍ أكبرَ لنُدخِرَ بعضاً من الوقت.

سارتُ مُهرولة خلفه، فهو قويّ البنيان وهي مهمما كانتُ رشيقة فهي أنثى لا تستطيعُ مُجاراته في هرولته.

مرّت ساعة قضياها في السيرِ حتّى لاحَتْ في الأفقِ الحدودُ المصريةُ الإسرائيلية وكذا الأسلاكِ الشائكة.

نظرَ ليان إلى ساعةِ يده إذ كانتُ تُشيرُ إلى الخامسةِ مساءً:

- أمامنا نصف ساعة فقط على الميعاد مع خالكِ من الجهةِ المصرية، وأشارَ لها أن تنبطحَ أرضاً؛ لكونهما في منطقةٍ مستويةٍ نسبياً وانبطحَ هو الآخر، ثُمَّ أخرجَ من حقيبة ظهره نظارةً مُعظّمة، وأخذَ ينظر بها تجاه نقطة اللقاء.

- حسناً، هيّا بنا لنزحفَ بهدوء.

قالها وبدأَ الزحفَ باتجاهِ نقطة اللقاء، وفجأةً تناهى إلى مسامعه صوت هديرٍ موتور سَيّارةٍ من ذواتِ الدفعِ الرباعي، توقّفَ وأشارَ لها بالتوقف، ونظرَ تجاه الصوت حتّى رآها؛ سَيّارة دفعِ رباعي خاصةٍ بإحدى دوريات التفتيشِ الحدودي الإسرائيلية.

- اللعنة، هذا ما كانَ ينقصنا.

أخرجَ النظارة وأخذَ يفحص السَيّارة برُكابها، كانا اثنيْن فقط، قائد السَيّارة وضابط بجواره، مالَ إليها وقال:

- انبطحي أرضاً ولا تتحرّكي وانتظري هنا حتّى أعود.

قامَ من مكانه وأسرعَ بالجري نحوَ سَيّارة الدورية، وأخذَ يُلوح لها بيديه كي تقف، أشارَ الضابط للسائقِ بالتوقّف والاقترابِ منه بحذر، وبالفعلِ توقف السائق وهبطَ الضابط من السَيّارة باتجاه (ليان)، وهو يُشهر سلاحه في وجهه:

- توقف يا صاح، لا تقترب أكثر، ارفع يديك على رأسك واهبط أرضاً على رُكبتيك.

انصاعَ ليان لكلامه وهو يقول:

- حسنًا سيدي، حسنًا، لكن أرجوك أنقذ زوجي؛ فهي في غيبوبة بسبب مرض السكرى اللعين، ولا أستطيع إنقاذها.

نظر الضابط إلى مكان الجسد المُسجى أرضًا، وعادَ ونظرَ لليان:
- وما الذي أتى بكم إلى هذه المنطقة؟

- قد أتينا مع فوجٍ سياحيٍّ إلى منطقة التلال الحمراء، ثُمَّ فقدنا الطريقَ إلى الفوجِ التابعينَ له، فضللنا طريقنا في هذه الغياfi.

أخذَ الضابطُ ينظرُ ويفحصُ ليانَ وملابسه، وكذا الجسدَ المُسجى أرضًا:
- حسنًا، انهض وتعالَى معي نُساعد زوجك.

قالها واقتربَ منه يُساعدُه على النهوض، وقد تركَ سلاحه جانبًا، وهذا ما أرادَهُ ليان بالضبط،
ما أن اقتربَ منه حتَّى نهضَ ليان فجأةً فأمسكَ برقبتهِ والتفَّ خلفه ضاغطًا عليها، كما أخذَ
السلاحَ من يده لِشهره في وجه قائد السيَّارة، وصرخَ به:

- اهبط من السيَّارة حالًا، هيتا، وإيَّاكَ أن تُفكِّر حتَّى في استخدام السلاح، اترك سلاحك
بالسيَّارة.

فعلَّ السائقُ ما أمره به ليان، عاجلَ ليان الضابطَ بضربةٍ من كعبِ السلاح الآلي أسفلَ رأسه
أفقدته الوعي، وأشارَ للسائقِ أن يأتي وأخرجَ من حقيبة ظهره قيدًا وألقاهُ له أمرًا إيَّاهُ بتقييدِ
الضابط، وبالفعلِ قيَّدَ السائقَ الضابط.

وأكملَ ليان قيدَ السائقِ نفسه، وشدَّ عليه جيِّدًا، وتركهما أرضًا مُتجهًا نحوَ زينة، فأمسكَ
يدها:

- هيتا بنا بسرعة، لقد أُرِفَ الوقت، هيتا.

ركضا حتَّى وصلا للسيَّاح فأخرجَ من حقيبة ظهره مقصًا حديدًا خاصَّ بقطع الأسلاك
الشائكة، وأخذَ يعالجُ السلكَ الشائكَ ببراعةٍ حتَّى فتحَ به فتحةً تكفي لعبورَ زينة، ثُمَّ
ساعدَها للعبورِ منها، ولمحَ ضوءَ كشافيٍ آتٍ من الناحية المُقابلة عندَ الحدودِ المصريَّة.

كانَ خالها الشيخ (ربيع) قد اقتربَ وأمسكَ بيدها وأخذَ يسحبها نحوَ الأراضي المصريَّة، فجأةً
تشبَّثَ بيدِ ليان، ونظرثَ لهُ والدمعُ يتساقطُ من عينيها:

- تعالَى معي.

نظرَ لها ولعينيها:

- لا أستطيع.

- أرجوك.

قالتها بتوسل.

- صدّقيني لا أستطيع.
- أنا أجبك ليان!
- قالتها والدمعُ يقطرُ من عينيها:
- أريدُكَ معي.
- حاولَ التماسُكَ أمامَ عينيها:
- وأنا أيضًا زينة، وأنا أيضًا، لكنَّ الفراقَ قد قُدِّرَ لنا هنا.
- أرجوكِ عِدني برؤيتكِ ثانيةً.
- مَنْ يَعلمُ زينة، مَنْ يَعلم.
- قالها وأفلتَ يدها وانطلقَ نحوَ سَيَّارةِ الدوريةِ الحدوديةِ، ركبها وانطلقَ تجاهَ إسرائيل، وسقطتْ دمعَة حبيسة من عَينه، ثُمَّ نظرَ في مرآةِ السَيَّارةِ تجاهَ المكان الذي تركَ بهِ زينة وقال:
- مَنْ يَعلم؟!

الصراع



الفصل الأول

بزغت أشعة الشمس على استحياءٍ من خلف إحدى المباني الشاهقة التي تتوسط مدينة (تل أبيب)، وبالأخصّ مقاطعة (رامات هارون)، وألقت بأشعتها على واجهة ذلك المبنى المتوسط الطول نسبيًا بالنسبة للمباني المجاورة.. مبنى الموساد الإسرائيلي.

فتح (ليان) عينيه وهو مُستلقٍ خلف كرسيه بعد أن داعبت خيوط الشمس الأولى جفونه. اعتدل على كرسيه، أخذ يفرك عينيه محاولاً أن يجعلها تعتاد الضوء، ظلّ ممسكاً رأسه بيديه محاولاً أن يحمي عينيه من ضوء الشمس المباشر، ظلّ هكذا لفترةٍ كان يسبح خلالها في بحرٍ من الذكريات القريبة، تذكّر الشيخ (دياب) تذكّر كلّ ما مرّ به من أحداثٍ خلال الثمانية وأربعين ساعة الماضية، وأخيراً تذكّرها (زينة)، توقّف عند هذه النقطة، تعالت دقات قلبه، تذكّر وجهها؛ فغاص في الذكريات.. في عينها، يدها وهي ممدودة خلف السياج الحدودية تطلب منه ألا يتركها،

شعر بغصة في صدره، ما حقيقة تلك المشاعر؟ ولماذا لا تُفارق مخيلته؟
هل هو الحب؟
ولكن كيف؟

وهو وهي لا يجمعهما أيّ شيءٍ مشترك، فهو يهودي وهي مسلمة، وهو إسرائيلي وهي فلسطينية، بل الوصف الأقرب لحالتهما أنّهما أعداء، قطع شروده طرقات على باب المكتب، أدّن لصاحبها بالدخول، كان أحد أفراد الأمن يُخبره أنّ السيّد (يوسي) في انتظاره، قام من خلف مكتبه متجهًا لمكتب السيّد (يوسي).

طرق الباب في انتظار الإشارة بالدخول، سمع صوت السيّد (يوسي) يدعوهُ بالدخول، وأشار له بالجلوس، تقدّم وجلس على المقعد المقابل لمكتبه، صامتًا مُنتظرًا انتهاء السيّد (يوسي) من الأوراق التي بيده.

مرّت الدقائق في صمتٍ وبطء، كان السيّد (يوسي) ينظر تجاه (ليان) من أسفل عُويناته ممّا أشعره بالتوتر، لكنّه حافظ على رباطة جأشه وظلّ صامتًا هادئًا مُنتظرًا إيّاه.

وبعدَ دقيقتين أغلق السيّد (يوسي) الملف الذي بيده ووضعه جانبًا، وخلع عُويناته وتركها على سطح مكتبه ثمّ نظر لليان وسأله:
- كيف حالك ليان؟

أجابه (ليان):

- نشكرُ اللهَ في خيرِ حال.

أقصد العمل ليان؟؟

- آسف سيدي، مازلتُ أعمل على ذلك الموقع، وقد أوشكتُ على معرفة مكان السيرفر الرئيسي، كما أتوقع خلال ساعات قليلة الوصول إلى مكانه.

- أينَ كُنْتَ طيلة الأيام الثلاثة الماضية ليان؟

تفاجأ ليان بهذا السؤال؛ إذ لم يكن يتوقعه، ازدردَ لُعبه وأجاب:

- في إجازة يا سيدي، إجازة طارئة.

- أعلمُ أنَّها إجازة ولكن ما السبب؟

- العمّة (تمارا) كانت تمرّ بوعكةٍ صحيّة، وأنت تعلم يا سيدي أنني كلّ ما لها في الدنيا.

حدّق (يوسي) بليان لوضع دقائق ثمّ أجاب:

- أجل أعلم، أعلم ولكنك تعلم أيضًا حساسية الملف الذي تعمل عليه وكذا ضرورة عملك، ومهما كانت الظروف الشخصية أعتقد أننا لا نسمح لها

بالتأثير على عملنا، كان بإمكانك

طلب إحضار مرافق للعمّة (تمارا) من الشؤون الصحيّة بالموساد، وكذا تولى حالتها الصحيّة

بالكامل، كما كُنْتَ تستطيع زيارتها بعد انتهاء عملك.

أطرقَ ليان النظر أرضًا ولم يستطع الردّ، رانَ صمّت ثقيل على الاثنين.

- حسنًا (ليان) سوف أعتبر هذا تحذيري الأخير لك وأرجوا أن تذهبَ إلى مكتبك، ولا تُغادرهُ مطلقًا حتّى تأتيني بكُلّ المعلومات المتّاحة عن ذلك الخادم.

قالها وأشارَ لليان بالذهاب، همّ ليان بالذهاب ولكن فجأة سمع السيّد (يوسي):

- وكيف حال العمّة (تمارا) الآن يا ليان؟

توقّف (ليان) للحظة وأجاب:

- في أحسن حال سيدي، في أحسن حال، لقد مرّت الوعكة بسلام.

- حسنًا ليان، حسنًا، سلامي للعمّة.

- شكرًا لك سيدي.

قالها (ليان) وغادَرَ مكتب السيّد (يوسي) مُسرّعًا وتنفّسَ الصعداء، توجهَ إلى مكتبه الخاص،

وأغلقَ بابه خلفه، ثمّ طلبَ فنجانًا من القهوة.

أخذَ يرتشف منه وهو يُطالع شاشة حاسوبه، ويُفكر في كلام وطريقة السيّد (يوسي).. هل

يشك به؟

هل عِلِمَ شيئاً؟

بالطبع لا، لو كَانَ يَعْلَمُ أي شيءٍ ما تركه أبداً، ظلَّ على هذا الوضع بضع دقائق وأخيراً قرَّر أن يترك كُلَّ هذا خلف ظهره، ويهتم بما طُلِبَ منه، وبالفعل انهمك في عمله على الموقع. أخذ يتصفح الموقع ويبحث عن أي شيءٍ غريب أو في غير موضعه، ظلَّ يقرأ الأخبار والرسائل على الموقع، كان موقع إخباري عادي جداً في مظهره، لا يبعث على الشك أبداً، سواء في شكله أو محتواه، فحقاً يحمل أخبار عِدَّة، وأغلبها عن فلسطين والسلطة، وقوَّات الاحتلال المقصود بها قوَّات الدفاع الإسرائيلية، لكنَّ الذي جذب انتباه (ليان) هو تكرار اسم واحد في أكثر من خبر، هو اسم مُحَرَّر أخبار، يبدو الأمر طبيعياً لكنَّ ما ليس طبيعياً هو تكرار الاسم في السياسة والحوادث، والفن والرياضة، كانت نقطة شك استرعت انتباه (ليان)، فمن الصعب أن يكون مُحَرَّرًا واحدًا مُلَمًّا بكُلِّ الأخبار، ويكتب فيها وخاصَّةً الفن والرياضة، لا بُدَّ وأن يكونَ عالم بتلك المجالات، توقَّف (ليان) فترة أمام الاسم، فالاسم نفسه غريب (شاهين بو أسامة)، اسم غير مُستساغ للسمع، ويُعدُّ يعتبر غريباً على المجتمع الفلسطيني، ولماذا شاهين وأسامه؟

الأول هو اسمٌ لنوعٍ من أنواع الصقور، والثاني هو اسمٌ من أسماء الأسد.. هل هي أسماء رمزية؟

هل لها دلالات؟

توقَّف كثيراً أمام الاسم وأخذ يتصفح كُلَّ المقالات التي ينشرها المُحرَّر، وظلَّ يقرأها بتمعُّن تامٍّ، لكنَّهُ لم يجد ما يسترعي انتباهه أو ما يُثير قلقه. فتح مُتصفح (جوجل) وبحث عن الاسم ذاته، لم يعثر عن أي معلومات عنه وكأنَّهُ غير موجود إلَّا على صفحات ذلك الموقع فقط، أو أنَّه اسم كودي أو رمزي، وهذا غير اسمه الحقيقي، توقَّف عند هذا الاحتمال وقال:

- بالطبع، لا بُدَّ وأنَّهُ اسم رمزي حتَّى لا تنكشف هويته.

عاد للموقع مرَّةً أخرى وأخذ يُقلب في المقالات ويقرأها على أمل العثور على أي خيطٍ يستطيع من خلاله النفاذ إلى مَنْ هو خلف هذا الموقع.

الفصل الثاني

طرقات خفيفة على باب إحدى الغرف بذلك المبنى بالحي السادس بمدينة نصر، تعالى صوت يُشير بالدخول، دلف شابٌ وسيم الملامح يرتدى حُلَّة سوداء وأسفلها قميص أبيض، أدَّى التحية العسكرية للجالس خلف المكتب ووقف وقفَة عسكريّة:

- سيّدي.

ضحك الشيخ الوقور الجالس خلف المكتب وأشار له بالاسترخاء.

- توقّف عن إلقاء التحية يا (مراد) بهذا الشكل، أنت لم تُعد ضابطاً بالقوات المسلّحة بعد، تكلم الشاب:

- المعذرة سيّدي، لكنّك تعلم الاعتياد كما أنّ سيادتكَ تفوقني رُتبة بمراحل، فلا يجوز لي أن أقف امام سيادتكَ بدون إلقاء التحية.

ضحك السيّد رئيس المُخابرات المصريّة، ونظرَ للشابّ وأشار له بالجلوس أمامه:

- الرُتب هنا يا (مراد) ليست كُل شيء، نحنُ هنا جميعنا فداءً للوطن، ولن ييخل أيّ منا صغيرٌ كان أم كبيرٌ بكُل قطرة من دمه من أجل بلدنا.

نظرَ له (مراد) وأجاب:

- معك حقٌّ يا سيّدي، معك كُل الحق.

- حسناً يا (مراد) هات ما عندك.

تناول الشاب ملقاً كان يحملُه في يده ووضعهُ أمام السيّد رئيس المُخابرات.

- ملف تحقيقات قضية الشيخ (دياب) يا سيّدي.

أخذ السيّد المدير الملف وقامَ بفتحه والاطلاع عليه.

- وأين هي الآن يا مراد؟

- إنّها في إحدى الأماكن الآمنة التابعة للمُخابرات العامّة بسيناء يا سيّدي.

- حسناً، هل وفرتم لها كُل احتياجاتها؟

- نعم، بالطبع سيّدي، فوالدها الشيخ (دياب) رجُل معروف لدينا.

- ليس هذا فقط يا مراد، فوالدها رجل عظيم وذو شأن للقضية الفلسطينية ولمصر أيضاً.

- هل تمّ تسجيل إفادتها بالكامل وكيفية خروجها من إسرائيل وحتى مجيئها إلينا؟

- نعم سيّدي، ولكنّ... !!

- ولكنّ ماذا يا مراد؟

- معذرة سيدي أشعر أنها تُخفي شيئاً لم تودَّ أن تُخبرنا به.
- اعتدل السيد المدير في مجلسه ونظر باهتمام إلى مراد:
- وما الذي جعلك تعتقد هذا يا مراد؟
- بعض النقاط يا سيدي تُعدُّ غامضة بالنسبة لي، كيف وصلت إلى أقرب نقطةٍ حدودية بدون مساعدة؟
- بل كيف استطاعتُ أن تُغيِّر ملامحها بهذا الشكل بمفردها؟
- وأيضاً كيف استطاعتُ الإفلات من قوات حرس الحدود حتَّى وصلت للسياح الحدودي وعبرته؟
- هل فعلت كل هذا بمفردها؟؟؟
- وكذا حالة التأهب التي حدثت في الجانب الآخر الإسرائيلي بعد عبورها مباشرة وصفقات الإنذار التي دوتْ تدل على حدوث قتال أو ما شابه!
- ران الصمت لعدَّة دقائق، وأخيراً تحدَّث السيد مدير المُخابرات:
- حسناً يا مراد، يبدو أنَّك نجحت في إثارة قلقي أنا الآخر، أحضر زينة إلى هنا.
- ابتسم مراد وأجاب:
- سمعاً وطاعة يا سيدي، ولكن هل لي بطلبٍ شيء؟
- ماذا تُريد يا مراد؟
- هل تسمح لي أن أتولى أنا أخذ أقوالها بخصوص إفادتها؟
- نظر له السيد المدير وأجاب:
- لا يا مراد.
- ظهرت خيبة الأمل على وجه (مراد) لكنَّ المدير تابع حديثه:
- لن تكونَ وحدك، سأكون معك.
- ظهرت الحماسة على وجهه وخرجَ مُسرَّعاً لتنفيذ الأوامر الخاصة بإحضار (زينة) إلى المقرِّ، وهو لا يدري ما هو مُقدَّم عليه وتكشفهُ الأيام المُقبلة!!
- فركَ (ليان) عَيْنَيْهِ من شدَّة الإرهاق، ومن طول فترة النظر إلى شاشة الحاسوب، وفردَ ذراعيه بعد أن كادتْ أن تيبس من استخدام لوحة المفاتيح والفأرة، كانَّ قد انتهى من مُراجعة كلِّ المقالات الخاصة بالمُحرَّر (شاهين بو أسامة) ويُدون في دفتر ملاحظات بجواره عدَّة نقاط.
- أولها: وهو عدم وجود أي تفاصيل خاصَّة بالمُحرَّر سواء على الموقع أو حتَّى على مُحركات البحث والإنترنت عامَّة.

ثانيها: أنَّه يرد على التعليقات الخاصة بزوار الموقع على المقالات الخاصة به، حاول أن يربط بين الشخصيات التي تضع التعليقات ونوعية التعليقات فلم يجد أية روابط، لكنه لاحظ أنَّ ذلك المحرَّر هو الوحيد الذي يرد على تعليقات مُتابعيه، بل ويتجاوب معهم ويدخل في نقاشاتٍ مطوَّلة، فجأةً أتاه إشعار بوجود مقال جديد على الموقع الآن، والمقال بتحرير من (شاهين بو أسامة)، قام بالنقر على المقال ليقرأه وبالفعل فتح المقال وبدأ بالقراءة.

كان مقالاً سياسياً يتحدث عن قوات الإحتلال المقصود بها جيش الدفاع الإسرائيلي، وإلقائها القبض على عدَّة شخصيات فلسطينية ومنها الشيخ (دياب) تابع (ليان) القراءة بتمعُّن وحديث المحرَّر عن الشيخ (دياب) ومُساهماته في المُجتمع الفلسطيني، وأنَّه من كبار القادة وزُعماء القبائل، وأنَّه قدوةٌ لكثير من الشباب الفلسطيني، واستوقف (ليان) عبارة كتبها المحرَّر وهو يطلب معلومات من القراء عن أماكن أو جهات قد تكون أماكن مُحتملة لإحتجاز الشيخ دياب.

مرت عدَّة دقائق وفجأة بدأت التعليقات تتوالى على الخبر، أخذ (ليان) يتابع التعليقات حتَّى وقعت عيناه على تعليقٍ غريب، وهو من فتاةٍ تُدعى أو تطلق على نفسها (مُحاربة الصحراء) كانت قد كتبت "الذئاب كثيرة، ولا مكانٌ لِلِحِمالانٍ بينهم، الحلُّ الأمثل وضع الحِمالان بين الكُتبان الرملية".

توقَّف (ليان) أمام هذا التعليق، بالطبع ليس كلاماً عامًّا، إنَّه رسالةٌ مُشفرة، وما هي إلَّا دقيقة حتَّى أتى الردُّ من المحرَّر (شاهين بو أسامة) على هذا التعليق ويقول: "الحقُّ معك، ولكنَّ أينَ هي الكُتبان الرملية التي يستطيع أن يختبئ بها الحِمالان، فالصحراء شاسعة"، أتى الردُّ سريعاً.. "انعكاس الشَّمس على الرمال في الثالثة والرُّبع عصرًا".

دوَّن (ليان) هذه التعليقات سريعاً وفجأة اختفت كُلُّ التعليقات بين المحرَّر والفتاة (مُحاربة الصحراء)، هنا فهِم (ليان) ما يحدث؛ فقد أدرك الآن الوضع والحقيقة، بالفعل يوجد تسريب أممي، هذا المحرَّر هو واجهة الموقع أو المُدير، يقوم بطرح موضوعٍ ويطلب معلومات، وتأتيه المعلومات من الجواسيس في هيئة تعليقات، وتُحدف مباشرةً بعد ذلك.

فتح (ليان) خريطة لمنطقة (تل أبيب) والمناطق المحيطة بها، قام بضبط البوصلة الخاصة بجوجل للخرائط على اتجاه الثالثة والرُّبع أو غرب غرب كما درس، وبالفعل كانت منطقة صحراوية على الحدود مع مطار (بن غوريون) في الغرب، رفع سماعة هاتف المكتب وطلب رقم مُختصر، انتظر حتَّى أتاه صوت الطرف الآخر:

- مساء الخير (باروخ).

- آسف ولكنني أعلم أنك في المكتبِ لوقتٍ متأخر، أخبرني باروخ هل يوجد لدى الموساد أيّ منازل أو مكاتب تابعة بجوار (مطار بن غوريون) في المنطقة الصحراوية؟
- أجابه باروخ:
- ولماذا تسأل ليان؟!
- أرجوك باروخ أجبني فقط.
- أجابه باروخ:
- أجل، لدينا مكتب تحقيقات في ذلك المكان.
- اتسعت عيني ليان:
- وهل يحتجزون الشيخ (دياب) في ذلك المكان؟؟
- رأى الصمت لفترة، ثم أجابه باروخ:
- من أين أتيت بهذه المعلومات ليان؟؟
- أجبني فقط يا باروخ.
- نعم ليان، ولكنّها معلومات سرّية.
- أجابه ليان:
- لم تعد كذلك يا صديقي، لم تعد!

الفصل الثالث

رَأَى الصمت لفترة بينَ ليان وباروخ، قطعهُ باروخ :

- أخبرني ليان، ماذا تقصد؟

أجابه ليان:

- بالفعل عزيزي باروخ يوجد تسريب أمني، هناك تسريب للمعلومات من إحدى الجهات الأمنية التابعة للموساد، والمسئول عن هذا التسريب يعلم مكان احتجاج الشيخ دياب للتحقيق معه، ونجحَ مُنذُ عشر دقائق في إيصال المعلومات إلى أفرادٍ تابعة للمقاومة الفلسطينية على ما أعتقد.

- وكيف حدثَ هذا ليان؟

- عن طريق ذلك الموقع باروخ.

أجابه باروخ:

- حسناً ليان، يجب أن أغلق الآن المُحادثة حتّى أخبر السيّد يوسي بهذه المعلومات؛ كي نُسرّع بالتحرك.

قالها وأغلقَ المكالمة، وضعَ ليان سماعة هاتف مكتبه واستدارَ ونظرَ لشاشة حاسوبه، وعادَ للعملِ مرّةً أُخرى.

ظَلَّ يتصفح المقال السابق وكُلّ التعليقات الأخرى، ولكنْ دون جدوى، وأخيراً قَرَرَ الشروع في اختراقِ الخادم الخاصّ بالموقع، بدأ العمل بإنشاء اتصال سرّي بينهُ وبينَ الخادم، باستغلال إحدى المنافذ المُعدّة لصيانة الخادم، ونجحَ بالفعل في الربطِ من خلال ذلك المنفذ، وأخذَ يعمل على تجاوز التشفير والحماية للخادم، ونجحَ أخيراً في الوصولِ لملفات الأرشيف التاريخية، التي تحمل بيانات التاريخ والوقت وكُلّ المعلومات لأيّ عملية حدثت على الخادم، وظلَّ يتصفح المعلومات حتّى عَثَرَ على مُبتغاه، التعليق الخاصّ بمُحاربة الصحراء، وبدأ يكتب المعلومات المتوفرة..

الوقت، التاريخ، المكان ورقم بروتوكول الإنترنت أو (IP) الخاصّ بها.

أخذَ البيانات وشرّع في العملِ عليها، قامَ بتتبع رقم الحاسوب الخاصّ بها، وجدَ عنوان زائف، يبدو أنّها تعلم ما تفعل جيّداً، فهي تستخدم إحدى وسائل التخفي وتغيير الأرقام الخاصّة بالبروتوكولات، ولكنْ هذا بالنسبة له يُعدُّ عمل هواه.

عثرَ على الملقم الخاص بالبرنامج المُستخدم للتخفي الذي كانت تستخدمه، واستطاعَ الولوج للخادم الخاص به بكل سهولة،
ووصلَ إلى البيانات المؤرشفة الخاصة به، ونجحَ في العثور عليها عن طريق مُطابقة الوقت والتاريخ، واستطاعَ الوصول لرقم البروتوكول الحقيقي للحاسوب الخاص بها،
أخذَه وشرعَ يُحدد مكانه وهنا كانت الصدمة؛ إذ أنها بتل أبيب، وبذاتِ المُقاطعة (رامات هارون)، حاولَ تحديد المكان بالتفصيل فلم يستطع، لأنَّه كانَ من ضمن النطاقات المحمية الحكومية، هنا لمعت فكرة في رأسه، فتحَ خرائط جوجل، وشرعَ في تحديد الجهات الحكومية الإسرائيلية الأمنية، التي تخضع لحماية النطاقات الخاصة بها في داخل مُقاطعة رامات هاشرون، ولحسنِ حظِّه لم تكن كثيرة.. بالطبع كانَ المبنى الذي فيه الخاص بالموساد، ومبنى على بُعدٍ مئتي مترٍ خاصٌ بوزارة الدفاع، ومبنى آخر خاصٌ بقوات الأمن الداخلي الإسرائيلي، أخذَ يبحث عن الخادم المسئول عن تشفير البروتوكولات الرقمية للعناوين، وجده بنفسِ مبنى الموساد، وهو الخادم المسئول عن حماية العناوين وتشفيرها للثلاث جهات الأمنية ففكرَ قليلاً، المهمة أصبحت أسهل وأصعب في ذاتِ الوقت؛ أسهل من حيثُ قُرب موقعه من موقع الخادم، وأصعب إذ أنَّ ما يحاول فعله يُعدُّ خرقَ أمني، قد يُحاسِب عليه، وحساب ليس بالهين، حساب قد يُكلِّفه مُستقبله كُلَّه، وقد يُكلِّفه حياته نفسها.

الفصل الرابع

- صباح الخير آنسة زينة.
- التفتت زينة إلى مصدر الصوت، كَانَ شَابٌ مليح الوجه، يرتدي حُلَّة سوداء، ألقى العبارة على مسامعها وهو يقترب من مجلسها في ذلك المنزل، الذي وفرتُه لها الجهات الأمنية المصرية، اقترب منها ومدَّ يده مُصافحًا،
- تبادلا السلام، وأشارَ إليها مُعَرِّفًا نفسه:
- مراد حامد، المُخابرات العامة المصرية.
- أهلاً بك.
- قالتها بابتسامة مُرحبة، أشارَ إلى المقعد الخاص بها:
- تفضلي بالجلوس.
- وجلسَ على المقعد المُقابل لها وبادرَ بالحديث:
- كيفَ حال إقامتكِ هنا؟
- الحمدُ لله.
- وهل ينقصكِ أي شيء؟
- لا بتاتاً، الكُلُّ هنا يعمل على راحتي وتلبية كُلِّ ما أطلبه، شُكراً لكم.
- قالتها بالكثير من الإمتنان والحُزن أيضاً.
- لاحظَ الحُزن على وجهها، مالَ إليها وقال:
- لا تيأسي ثقي بالله، عن قريبٍ بإذن اللهِ تلتقي به.
- اغرورقتَ عيناها بالدموع ونظرتُ إليه بلهفةٍ وقالت:
- حقاً؟
- ثقي باللهِ يا آنسة زينة، ثقي بالله، إِنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً، والشيخ دياب
- مثال حيٌّ للدفاع عن القضية الفلسطينية، وكم من أسِرٍ وعائلاتٍ ساعدها، فهل تعتقدي أَنَّ
- اللهَ سيتخلَّى عنه؟!!
- ونعمَ باللهِ.
- قالتها وهي تمسح دمعها، ظلَّ صامتاً لبعض الوقت احتراماً لمشاعرها ثُمَّ تحدَّثَ أخيراً:
- هيا جهزي أغراضكِ سوفَ نذهب إلى القاهرة.

نظرتُ إليه باستغراب:

- القاهرة؟

ولم؟

ابتسمَ لها وقال:

- أولًا: تمّ توفير مكان أفضل لكِ هناك.

ثانيًا: السيد مدير جهاز المخابرات العامة المصرية يُريدُ أن يراكِ بنفسه.

وأكمل حديثه:

- يُريدُ أن يرى ابنة صديقه.

نظرتُ إليه وعادَ الدمع مُقلتيها مرةً أخرى مع ذكر والدها، و شخصت ببصرها بعيدًا تتذكره،

وتتذكر كل ما مرّت به والأحداث الماضية، وتتذكر ليان.

أمسك ليان كارت الذاكرة الصغير بيده وأخذ يلفه بين أصابعه، لا يدري ماذا يفعل؟

هل ما هو مُقدّم عليه صائب؟

اختراق إحدى خوادم التشفير الخاصة بالموساد ليس أمرًا صائبًا بكل تأكيد، ولا يستطيع أن

يُخبر أحدًا بما ينوي، ولا حتى السيد يوسي؛ أولًا: سوف يُثير الشكوك،

وثانيًا: سوف يُقابل طلبه بالرفض، وثالثًا: قد يجعل المُتخفي يأخذ حذره، ويتوقف ولا

يستطيعون القبض عليه.

ظلّ يُفكر لفترة طويلة وحسم أمره، كان قد وضع برنامج تنفيذي صغير الحجم يُشبه إحدى

فبروسات الحاسب، كان قد برمجهُ بنفسه ووضعه على كارت الذاكرة الصغير الذي بيده،

وكان يجب عليه توصيله مباشرةً بإحدى أجهزة الحاسب الآلي الطرفية المُرتبطة بالخادم

الرئيسي الموجود أسفل المبنى في المكان المؤمن الذي لا يدخله أحد تحت الأرض.

قام من مكتبه وتوجه إلى المصعد وضرب رقم الطابق السفلي الثاني، ظلّ يهبط به المصعد

لفترة، تعالت فيها دقات قلبه حتى توقف المصعد وفتح باب، وجد نفسه أمام مكتب الأمن

مباشرةً، تقدّم منه حارس الأمن؛ أخرج ليان هويته الخاصة بالموساد، تفحصها حارس الأمن

وقام بتمريرها على الفاحص الخاص ببطاقات الهوية، وظهرت جميع البيانات على الشاشة

الخاصة بالفاحص.

- معذرة سيد ليان، ولكن ماذا تفعل هنا؟

- مُجرد تحديث لبعض البرامج الخاصة بالتشفير والحماية.

قالها ليان موجّهًا حديثه لحارس الأمن.

- ولكن ليس لديّ تعليمات بهذا.

- أعلم، أعلم أنَّه امر طارئ، نظرًا لاستخدامي بعض الأدوات الخاصّة بالتتبع والاختراق، فقد تمّ عزل جهاز الحاسوب الخاصّ بي، ولا يُمكن عودته مرّةً أخرى إلى الشبكة إلّا من خلال إحدى الأجهزة الطرفيّة المتصلة بالخادم الرئيسي، حتّى أُعيد كلّ الصلاحيّات للحاسب الخاصّ بي مرّةً أخرى، وأحدّث الجدار الناري بالبيانات التي أعمل عليها كي لا يحدث هذا مرّةً أخرى. نظرَ له حارس الأمن مُحاولًا أن يفهمَ ما يقول وأخيرًا لم يجد مفرّ، خوفًا من أن يتعرّض للمساءلة، أخرجَ جهاز الاتصال اللاسلكي الذي يحمله وشرحَ الوضع باختصار لرئيسه المُباشِر، وما هي إلّا دقائق وأتته الموافقة على دخول ليان لإحدى الغرف التي تحوي إحدى الأجهزة الطرفيّة، وأوصله بنفسه وعادَ إلى مكتبه. جلسَ ليان أمام الحاسوب ودوّنَ أن ينظر كأنّ يعلم أنَّه مُراقب بكاميرات المراقبة، تظاهر بالعمل على الحاسب وبالفعل قامَ بتحديث الجدار الناري، وقامَ بإعطاء جهازه بعض صلاحيّات الولوج التي لم يَكُن يملكها من قبل، وتظاهرَ بأنّه يخرج مندبله من جيب معطفه وسقطَ منه أرضًا، فانحنى للإلتقاطه وبخفة وسرعة قامَ بتوصيل كارت الذاكرة بإحدى المنافذ بجهاز الحاسب، واعتدلَ وأكملَ عمله. وتراقص شبح ابتسامة على وجهه، لقد نجحَ فيما يُريد وها هو قد زرعَ برنامجهِ الصغير في الخادم الرئيسي، وانحنى مرّةً أخرى وكأنّه يُعدّل من هِنَدامِهِ وأخرجَ كارت الذاكرة، ثُمَّ قامَ وفتحَ بابَ الغرفة وألقى التحيّة على الحارس، وتوجّهَ إلى المصعد وضغطَ زر استدعائه، ووصلَ المصعد وفتحَ بابهُ وهَمَّ بالدخولِ إليه حتّى تعالَى صوت حارس الأمن فجأةً.

- انتظر عندك!

وسقطَ قلب ليان بينَ قدميه!!!

الفصل الخامس

- مرحبًا بك يا ابنتي.
- تعالى الصوت من خلف (زينة) وهي جالسة في ذلك المبنى التابع للمخابرات العامة المصرية، فاستدارت لرؤية محدثها، كان رجلاً وقوراً في العقد السادس من عمره يرتدي حلة أنيقة، يبدُ مظهره على علو مكانته، ما أن دخل إلى الغرفة قام له السيد مراد وكاد أن يؤدي التحية العسكرية، لولا أن نظر له فتأسف ووقف جانبًا.
- تقدّم السيد مدير المخابرات من زينة، التي قد قامت من مقعدها أيضًا احترامًا له، ومدّ يده مُصافحًا:
- كيف حالك يا ابنتي؟
- مدّت زينة يدها مُصافحةً، ابتسم لها ابتسامة مطمئنة وأشار لها بالجلوس، وكذا أشار للسيد مراد، واتخذ مقعدًا بجوار (زينة) وجلس بجوارها.
- طمئني عليك يا ابنتي.
- أنا بخير حال يا سيدي، شكرًا لكم لكل ما فعلتموه من أجلي.
- لا تشكريني على واجبي يا ابنتي، الشيخ (دياب) صديق وأخ عزيز ورجل وطني، ويستحق ما هو أكثر من هذا.
- عادت نظرة الحزن إليها مرة أخرى مع ذكر والدها، مدّ السيد مدير المخابرات يده وربّت على يدها مطمئنًا لها:
- ثقي بالله يا ابنتي، نحن نعمل قدر ما نستطيع لحل هذا الموقف، ولكن ثقي بالله.. لن يخذلنا أبدًا.
- ونعم بالله.
- نطقتها وهي تدعو الله بالاستجابة لها. استكمل حديثه إليها:
- والآن أخبريني عن رحلتك، وكيف استطعت الخروج من إسرائيل إلى الحدود؟
- نظرت إليه وازدردت لعابها:
- لقد ساعدني بعض الأشخاص في إسرائيل حتى وصلت إلى أقرب نقطة حدودية ومن بعدها أكملت أنا.
- هل هم أناس من إحدى الحركات التابعة للسلطة الفلسطينية؟

نظرتُ لهُ وغمغمتُ:

- نعم بالطبع.
- حسنًا، هل يُمكنك أن تُعطينا بياناتهم وأسمائهم، فقط من أجل عامل الأمان ليس أكثر. صمتتُ لفترة:
- بالطبع، لكنني لا أتذكرُ كلَّ التفاصيل.
- ظلُّ ناظرًا إليها وابتسمَ واقتربَ منها:
- ابنتي (زينة) نحنُ معكِ ولسنا أعدائك، أخبريني بالحقيقة ولا تخافي أبدًا، إنَّ والدكِ صديقًا لي وأنا هنا في مقامه بالنسبة لكِ.
- نظرتُ إليه (زينة) ولنظراته الحنونة وفجأة تساقطتُ عَبراتها.
- حسنًا يا سيدي، سوفُ أخبرُكِ بكلِّ ما حدث، وشرعتُ تحكي لهُ كلُّ ما حدثتُ بالتفصيل.
- تجمدَ (ليان) في مكانه واستدارَ إلى حارس الأمن وبعقله يدور ألف احتمال واحتمال، وألف تصور ومشهد لِمَا هو قادم، وهل يبدأ بخطئة للفرار؟ هل كُشفَ أمره بتلك السرعة؟
- لقد نسيَتُ بطاقة التحقيق الخاصة بك يا سيّد (ليان).
- نظرَ ليان ليد حارس الأمن الممدودة وتحمل بطاقة هويته، وابتسمَ شاكرًا لهُ وأخذها وأكملَ طريقه إلى المصعد وهو يتنفس، ويُحاول أن يُهدئ من انفعاله، توقّف المصعد في الطابق الذي به مكتبة، سار إلى المكتب مُسرّعًا وما أن دلفَ حتّى أغلقَ البابَ وارهى على مقعده مُحاولًا السيطرة على مشاعره، وظلَّ على هذه الحالة حتّى استعادَ رباطة جأشه، واعتدلَ وشرعَ في استخدام حاسوبه.
- قامَ بفتح نقطة اتصال بينه وبين الخادم الرئيسي مُستغلًا البرنامج الذي قامَ بزراعته بالجهاز الطرفي لهُ، لمعتُ عيناه حينما أظهرتُ لهُ شاشة حاسوبه أن الاتصال قد تمَّ بنجاح، الآن نجحَ بالاتصال التام والكامل بأقوى جهاز خادم بالدولة كُلِّها، والذي يحمل كلُّ أسرار الجهاز والدولة كُلِّها.
- شرعَ على الفور في استكمال ما بدأ وانهمك في العمل، وهو لا يدري ما هو مُقدّم عليه، وما سوفَ يكتشفه في الأيام المُقبلة، الذي سوفَ يقلب حياته رأسًا على عقب.. حرفيًا سيقبلها!

الفصل السادس

انتهت (زينة) من قصّ كلّ ما حدث على مسامع السيّد مدير المُخابرات المصريّة وأجهشت بالبُكاء، أخذَ يربّث على كتفها ويحسّها على التوقف، وما أن توقفت عن البُكاء حتّى نظرَ إليها:

- هل تستطيعين أن تصفي لنا (ليان) وصفًا دقيقًا؟
هزّت رأسها وقالت بصوتٍ خافت:

- نعم .

أشارَ إلى مراد إشارة ذات معنى، فتحرك مراد لتنفيذ الأمر، وعادَ موجّها حديثه إليها مرّةً أُخرى:

- هل تعلّقتِ به؟

صمتت وأطراقت برأسها أرضًا، فهِمَ ما تُريدُ أن تقول:

- حسنًا يا ابنتي، انظري إليّ وأنصتي جيّدًا لِمَا أَقُولُ لكِ:

مهما فعلَ (ليان) هذا فهو ليسَ مِنّا وليسَ مثلنا، إنّه في النهاية إسرائيلي. قاطعتُه:

- لا يا سيّدي إنّه مُختلف تمامًا صدّقني.

- حتّى ولو زينة، حتّى ولو كان، فالنهاية هو ليسَ مِنّا، اطردي هذه الأفكار من عقلك يا ابنتي، فما تحلمينَ به يُعدُّ من المُستحيلات.

قالها وهَمَّ بالانصرافِ تاركًا زينة خلفه تجهش بالبُكاء، والألم يعتصر قلبها على ليان، وما أن خرج حتّى استوقفَ مراد من الدخول إلى المكتب الذي به زينة، ومعه مُصمّم الجرافيك بالحاسوب الخاصّ به لرسم أقرب صورة لlian.

- اتركها لنفسها فترة، انتظر لمدة ساعة أو أكثر حتّى تهدأ تمامًا.

- أمرك سيّدي، ولكنّ منَ تظنّ ليان ذلك، وما هي دوافعه ليفعلَ ما فعل؟

ولماذا فعلَ ذلكَ ضد بلده مُساعدته لفتاة فلسطينيّة؟؟

- لا أعلم عزيزي مراد، إنّه أمرٌ غريب، والأغرب هو شابٌ في مثلِ عُمره يمتلكُ كُلّ المواهب؛ وذكي، مُقاتل، مقدام، لولا أنّه إسرائيلي، لقلّثُ أنّه يُدكرني بشخصٍ كانَ مثله في مثلِ عُمره، شخصًا قلّمَا يوجد الزمانُ بمثله، أسطورة من أساطير عالم المُخابرات، رجُل تهابه الدول، وقد

أسقطَ حكومات، رَجُل من المُستحيل أن تعتقد بوجوده، ولكنَّهُ فعلاً كانَ موجوداً إذ كانَ هو المُستحيل بَعينه.. فهو رَجُل المُستحيل.

انهمك (ليان) في ضربِ أزرار لوحة المفاتيح، ظلُّ مُتصلاً بالخدام الرئيسي، يعمل على تتبُّع العنوان الرقمي للفتاة صاحبة اسم (مُقاتلة الصحراء).

ظلُّ هكذا لأكثر من ثلاثِ ساعات، يعمل بكُلِّ جدِّ ونشاط، وأخيراً صرَّحَ صرخَةً عالية؛ لقد نجح، استطاعَ أخيراً تحديد مكان العنوان الرقمي الحقيقي، إنَّها بالفعل بداخلِ نفس المبنى (مبنى الموساد) واستطاعَ تحديد الطابق وأيضاً القسم الخاصَّ بها، إنَّها في الطابق الثالث الخاصِّ بأعمال تتبُّع نشاطات وأخبار الإنترنت، أو كُلِّ ما يخصُّ مُراقبة مواقع التواصل الاجتماعي، لكنَّ هذا القسم يعمل به عدد كبير من الموظفين، وسوف يكون من الصعب العثور عليها بينَ كُلِّ هذا العدد من الموظفين الآن، ولكنَّ سوفَ ينجح في ذلك لو قامَتْ بالولوجِ مرَّةً أخرى إلى الموقع المنشود، وسوفَ يستطيع أن يُحدِّد مكانها بدقَّة بل ويستطيع اختراق جهاز الحاسوب الخاصَّ بها أيضاً.

ظلُّ مُنتظراً وعلى أهبة الاستعداد للظهور القادم لها وأثناء فترة انتظاره جالَّ بعقله خاطر، لماذا لا يبحث عن تاريخ السيّد موسى، لعلَّه يَعْثرُ على صِلَتِهِ بأُمِّه والصورة التي تجمعهما، توقف قليلاً، ماذا لو كُشِفَ أمره، هل يُعَدُّ هذا تحت بند اختراق معلومات سرِّية أم تَجَسُّس؟

وهذا البلد لا يرحم مَن يقترب من هذا الفعل، ولكنَّهُ كانَ قد عزمَ على البحثِ وقد كانَ عَثَرَ على الملف الخاصَّ بالسيّد (موشى).

وكانَ من الفئة (أ) ويحمل رقم ٢٥١٦، وتكويد سرِّي للغاية. الفئة (أ) أيُّ أنَّه من القادة أو أعلى الشخصيات التي مرَّتْ بجهاز الموساد، قامَ بأخذ نُسخة من الملفِّ بالكامل إلى جهاز الحاسوب الخاصَّ به حتَّى لا يثيرَ أيَّة شكوك، بفتحه مَنفذ فترة طويلة بالخدام الرئيسي، وقد كان.. أخذَ في تصفح الملف مُنذُ تاريخِ التحاقه بقوات (الهاجاناه) والتحاقه بجيش الدفاع في أوَّلِ نشأته، ونشأة جهاز الموساد والتحاقه به، وأهم الشخصيات التي عملَ تحتَ قيادتها، وأهم العمليات التي اشتركَ بها ونسبة نجاح العمليات، وأهم الشخصيات التي كانَ معها في مَهام مُشتركة، توقَّف قليلاً أمامَ هذا الفهرس الفرعي، شعرَ بأنَّه سيجد ما يبحث عنه هنا في هذا الفهرس، تفحص الأسماء وتوقَّف أمامَ أسماء السيّدات، كانت قائمة قصيرة تحتوي على خمسة أسماء فقط، فهو كانَ يعمل مع الرِّجال في أكثر مَهامه.

قامَ باستخراج الأسماء الخمسة، وذهبَ إلى الخادم الرئيسي مرّةً أخرى، وقامَ بالبحثِ عن الأسماء التي عثَرَ عليها، وعند العثور على الملف الخاص باسم السيدة يقوم بنقله إلى حاسوبه، حتّى يتمّ نقل الخمسة ملفات كاملة، وقطع الاتصال بالخادم الرئيسي، وعادَ إلى الملفات الخمسة وقامَ بفحصها.

ظُلَّ يُراجع الأسماء والصور الخاصّة بكلِّ ملفٍ حتّى وصلَ إلى الملف الرابع بالتحديد، أثار فضوله الفئة والرقم الخاص به؛ كانَ من الفئة (أ) أيضًا، ويحمل رقم ٨ فقط ويحمل كود سرّي للغاية، فئات خاصّة (مغلق)، لم يفهم معنى فئات خاصّة، ولماذا رقم ٨ فقط ؟ ولماذا مغلق؟!

يبدو أنّها شخصية على درجةٍ عالية من الأهمية للموساد، بل ولإسرائيل كلّها، قامَ بفتح الملف واتسعت عيناه، إنّها هي أمّه بتلك العينان الساحرتان اللتان لن ينساها أبداً، وتلك الملامح التي تأخذ القلب.

ظُلَّ شاخصاً البصر ينظر إلى صورتها طويلاً، تعالت دقات قلبه، لم يتخيّل أن يصل لمثل تلك المعلومات أبداً، سالت دمعته من عينيّه، كانت قد شُقت طريقها إلى وجنته، نظرَ إلى الاسم الذي طالما تمّنّى أن يعرفه، (سييل)

.. سييل جروهار!

الفصل السابع

ترقرق الدمعُ بِعَيْنِي لِيَان وهو ينظر إلى صورة أمه، التي طالما حلم بلقائها مُنذُ أَنْ كَانَ صغيراً، أَخَذَ يتأمل الملامح الجميلة والعينانِ الزرقاوانِ اللتانِ تأسرانِ القلوب، أخيراً عَلِمَ مَنْ هي أمه، عَلِمَ اسمها وَعَلِمَ أَنَّهَا كانتُ تعمل بالموسادِ أيضاً، وهذا ما سَهَلَ عليه المهمة، لقد حصلَ على الملفِ الخاصِّ بها كاملاً، وبِهِ كُلُّ المعلومات عنها، ذهبَ مرَّةً أُخرى للمعلومات..

الاسم: سيبيل جروهار.

الجنسيَّة: إسرائيليَّة.

السن: ٣٥ عام (حينَ الوفاة).

الجيل: الصابرة (اشكيناز).

محلَّ الميلاد: المنطقة الوسطى رحوفوت (على بُعدِ ٣٥ ك من تل أبيب).

انتهاء الخدمة بالموساد: بعدَ الفشل بإحدى المهام الخاصةِ أُمَامَ المخابراتِ المصريَّة، بقيادةِ الذئبِ المصري (أ ص)!

توقَّفَ لِيَان أُمَامَ هذهِ الجُملة، الذئبِ المصري (أ ص) ما المقصود بهذا المصطلح؟

وَمَنْ هو الذئبِ المصري؟

عادَ مرَّةً أُخرى للملف..

بعدَ انتهاء العمل بالموساد: العمل بعدةِ شبكات جاسوسيةِ عالميَّة وقيادةِ إحداها.

الوفاة: انفجار جزيرةِ خاصَّة بها في المُحيط الأطلنطي.

وجدَ ملحوظة في أسفلِ الشاشة: (أنَّهُ من المُرجح عدم الوفاة ولكنَّ التخفي في إحدى دول أمريكا الجنوبية، تحتَ اسم وشخصية مُستعارة).

اتسعتْ عينا (ليان) عندما وصل لهذهِ الجزئية، حقًّا؟

هل من المُمكن أَنْ تكونَ على قيدِ الحياة؟ كيف؟

ولماذا لم تُحاول الاتصال بِهِ طيلة تلكِ الأعوام؟

شرد في بحرٍ من الذكريات، أفاقَ على صوتِ طرقاتٍ على بابِ مكتبه، اعتدلَ بسرعة وقامَ بإغلاقِ الملفات ونقطة الاتصال بالخادم الرئيسي، وأدَنَّ بالدخول، كانَ باروخ صديقه.

هل مازلتُ هُنا لِيَان؟

قالها باروخ وهو يجلس على المُقعد المُقابل لمكتبِ لِيَان، فرَكَ لِيَان عَيْنِيهِ حتَّى يقضي على أي أثر للدمع:

- أجل عزيزي باروخ، إنَّه العمل على ذلك الموقع والتطورات التي توصلت إليها. نظرَ باروخ إلى عيني ليان، وأثار الإحمرار الواضح:
- يبدو عليك الإرهاق يا صديقي وعلى عينيك من كثرة النظر والتطلُّع إلى شاشة الحاسوب.
- نعم، نعم باروخ، لقد قرَّرتُ أنْ أكتفي اليوم بما توصلتُ إليه، وأُكملُ غداً من الصباح الباكر، ولقد كُنْتُ على وشكِ المُنْغادرة الآن.
- قالها وهو يُخلق جهاز الحاسب الخاص به ويستعدُّ للمُنْغادرة، وبالفعل خرج الاثنان من المبنى، وتوجَّه كُلُّ شخصٍ منهما لسيَّارته بعد أنْ تبادلا التحيَّة، وانصرفا كلا في طريقه.
- وصلَ ليان إلى المنزلِ وانسلَّ على أطراف أصابعه، حتَّى لا تشعر به العمَّة (تمارا)، فهو ليس على استعدادٍ لأيِّ نقاش قد يدور معها، ارتقى على الفراش بثيابه، شاخص البصر لسقفِ الحجرة، يسترجع كُلَّ ما حدثَ ومَرَّ أمامه من معلومات اليوم، وتوقَّف على جُملة (الذئب المصري).. ظَلَّت هذه الجُملة عالقة في ذهنه لا تُفارِق مخيلته:
- مَنْ؟
- مَنْ هو؟
- وغرَّق في سُباتٍ عميق.
- صوت طرقات على باب السيِّد مُدير المُخابرات العامة، أَذِنَ للطارق بالدخول، دخلَ مراد ووقفَ باستقامةٍ أمامَ مكتبه، نظرَ له مُدير المُخابرات وأشارَ له بالجلوس.
- هات ما عندك يا مراد.
- جلسَ مراد وأخرجَ الملف الذي بيده وفتحه، وأخرجَ منه صورة ليان، وناولها للسيِّد مُدير المُخابرات.
- حسناً يا سيِّدي، هذا هو المقصود..
- الاسم: ليان اديم صاروف.
- السن: ٢٥ عام .
- الوظيفة: مُهندس كمبيوتر.
- المكان: الموَساد الإسرائيلي.
- التخصُّص: مُراقبة واختراق وتتبُّع.
- العنوان: مُقاطعة رامات هاشرون.
- الأقارب: عمَّة واحدة تُدعى (تمارا)، ترعاه بعد وفاة والدته، وغير معروف الأب أو أيُّ أقارب آخرين.

- نظر السيد مدير المخابرات لصورة ليان وأخذَ يتفحصها.
- ملامحه شرقية وأكاد أجزم أنها عربية، لكنَّ زُرْقَةَ عَيْنَيْهِ تقول غير هذا، يبدو أنه من أصولٍ عربية، ونظرٌ لمрад:
- هل هذه كُلُّ المعلومات المتاحة لنا عنه؟
- حتَّى الآن سيدي، هذا ما استطاعَ عملاؤنا هناك جمعه حتَّى الآن.
- حسنًا، أعطهم أوامر بالبحثِ عن تفاصيل أكثر وخاصةً أصله وأمه وأبيه، ومُراقبته ولكن الحذر يا مراد فهو أحد رجال الموساد الإسرائيلي، فبال تأكيد هم يراقبون رجالهم بطبعهم، لذا الحذر، فلا تُريدُ أنْ نكشفَ رجالنا هناك أو نُخاطر بحياتهم، وأطلعني بكُلِّ المعلومات فور ورودها.
- حسنًا سيدي.
- قالها مراد وهمَّ بالانصراف لكنَّهُ توقَّفَ قليلًا، نظرَ له السيد مدير المخابرات وقال:
- ما بك يا مراد؟
- معذرةً سيدي، ولكنَّ لديَّ تساؤلاتٍ عدَّة حولَ هذا الشخص، ولم أستطع الوصول إلى إجابة حتَّى الآن، لماذا؟
- لماذا شخص مثله وفي مكانته وعمله ويفعل مثلما فعل؟
- معك كُلُّ الحقِّ مراد.
- قالها مدير المخابرات.
- معك حقٌّ، هذا لغزٌ كبير وسوف تكشفهُ لنا الأيام.
- قالها وهو من داخله يتساءل.. لماذا؟؟؟

الفصل الثامن

أخذَ يلهث وينظر خلفه وهو يركض، يركض بكُلِّ ما استطاعَ من قوة، يهرب من ذلك الذئب الأبيض الضخم!

ظلَّ يركض والمسافة تتناقص من خلفه، حتَّى خارثُ قُوَاهُ فسقطَ أرضًا وأدركه الذئب وانقضَّ عليه، حاولَ الهرب لكنَّ الذئبَ كانَ يجثم على صدره بيديه فيمنعه من الحركة، حاولَ جاهدًا لكنَّ الذئبَ كانَ أقوى، استسلمَ لِيان لمصيره.

اقتربَ الذئب من وجهه أكثرَ وأكثرَ، توقعَ لِيان أن يفتكَ به ولكنَّهُ سمعَ صوتَ الذئب يقول: - انهض يا بُني، الذئاب لا تأكل أبناءها.

أفاقَ لِيان وهو يتصبَّب عرقًا، نظرَ لساعته وجدها شارفت على الثامنة صباحًا، قامَ مُسرَّعًا وأبدلَ ثيابه، واغتسلَ سريعًا، ثُمَّ خرجَ دُونَ أن يودَّعَ أو يطمئنَّ على عمته، استقلَّ سيارته مُسرَّعًا مُتجهًا إلى مبنى الموساد، وصعدَ إلى حُجرة مكتبه، كانَ يُسابقَ الزمنَ لاستكمال ما بدأ.

يشعر أنَّه قاربَ على معرفة هويته، ومَن تكون أمُّه؟

وأيضًا مَن يكون أبيه؟

أشعلَ شاشة حاسوبه، وعادَ مُسرَّعًا للملف الخاصِّ بأمِّه، ظلَّ يقرأ المعلومات المتاحة وكُلَّ العمليات التي اشتركت بها، وما أدهشه حقًّا أنَّ نسبة نجاح كُلِّ العمليات قد بلغت ١٠٠٪ عدا العمليات أَمَامَ المخابراتِ المصريَّة، وأيضًا تكرر اسم الذئب المصري (أ ص)، ظلَّ يبحث في كُلِّ الملف عن أيِّ معلومات يستطيع الاستفادة منها، حتَّى وصلَ سطر توقف عنده كثيرًا، وهو اختفاء أمِّه في مدينة المكسيك لفترة تناهز العام والنصف، وزواجها هناك! لم يُصدِّق عَينيه، زواجها؟؟

مِن مَن؟؟؟

أخذَ يبحث كثيرًا، لكنَّهُ لم يجد ما يُفيده؟

قرأ الملف كُلُّه أكثرَ من مرَّة، لم يجد جديد، استلقى في مقعده في يأس، فجأة التمتعت عيناه، لماذا لا يبحث عن الملف الخاص بالذئب المصري ذلك المدعو (أ ص)؟

أجل لماذا لا يبحث عنه؟

علَّه يجد ما يُفيده.

وترجمَ ما جالَ بخاطرهِ إلى فعل، وقامَ بالولوج مرَّةً أخرى للخدام الرئيسي وأخذَ يبحث عنه

عن (أ ص)، وفي داخل عقله ظهر الذئب الأبيض مرة أخرى، ذئب حبيس عقله، يتحين لحظة الخروج.

- معذرةً يا سيدي.

قالها مراد وهو يقف على باب مكتب السيد رئيس المخابرات العامة، أشار له السيد المدير بالدخول.

- تفضل يا مراد، هل من جديد؟

- نعم سيدي، وصل التقرير الآن من إسرائيل، ويحمل معلومات هامة.

- هات ما عندك.

فتح مراد الملف الذي يحمله:

- أولاً علمنا مكان احتجاز الشيخ دياب والتحقيق معه، ويجري الآن استطلاع المكان، وفي انتظار الإشارة من سيادتكم لقواتنا الموالية هناك، للتدخل وتحرير الشيخ دياب ورفاقه.

أوما السيد مدير المخابرات برأسه:

- التمهّل يا مراد، انتظر نتيجة الاستطلاع، وافني بكُلّ المعلومات المتاحة، كي يتسنى للخبراء تقييم الموقف، واتخاذ الخطوات المناسبة ووضع خطة لتحريره، لا نريد أن تُنزف أي نقطة دم أخرى، أو نفقد أحد رجالنا أو رجال المقاومة الفلسطينية هناك.

- حسناً يا سيدي.

قالها مراد واستطرد في الحديث:

- نأتي لثاني المعلومات الواردة، تقرير مُفصل عن آخر تحركات الهدف (ليان) في الآونة الأخيرة.

وتابع حديثه:

- هو مُنتظم على أداء تمارينه الرياضية، لا يُخالط أحداً تقريباً، مُنتظم في عمله، وإن كان يتأخر كثيراً هذه الأيام، لا يذهب إلى المعبد، لا يوجد له أصدقاء، لا يذهب إلى أي مكان بخلاف النادي الرياضي فقط، ليس له أي حسابات معروفة على مواقع التواصل الاجتماعي، ليس له أي نشاطات اجتماعية، وانتهى التقرير يا سيدي.

ظَلَّ السيد الرئيس صامتاً، قطع الصمت مراد:

- أعتقد أنّه شخصٌ غريب جداً.

نظر له السيد مدير المخابرات طويلاً، واعتدل في مقعده:

- نعم يا مراد، غريب بالفعل، أريدُ صوراً أكثر قُرب الهدف، وأريدُ أن يظلّ تحت أعين رجالنا طوال الوقت، ووافني بكُلّ مُستجد.

ثُمَّ أَشَارَ لَهُ بِالْأَنْصَرَفِ، وَغَمَمَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ:

- مَنْ أَنْتَ يَا لِيَان؟

- مَنْ أَنْتَ؟

الفصل التاسع

عادَ ليان مرّةً أخرى لشاشة حاسوبه، عاودَ الاتصال مرّةً أخرى بالخادم الرئيسي، وأخذَ يتصفح الملفات بحثًا عن غايته، وظلَّ يتصفح كُُلّ الملفات التي أمامه والخاصّة برجالِ المُخابرات المصرية، وأثناء انهماكه بالبحث، ظهرَ إشعار بوجود خبر تمَّ نشره على الموقع الذي يعمل عليه، أوقفَ بحثه وأغلقَ الاتصال بالخادم، وعادَ مُسرّعًا للموقع، فتحَ المُتصفح وتابعَ بِعينيه المقال المنشور.

كانتُ المقالة مُوقّعة بنفس الاسم (شاهين بو أسامة)، وكانتُ تتحدّث عن الحرّيّة ومُثمنها، كانتُ كمثالِ المقالات الحماسيّة التي تُبثّ روح القتال والتفاؤل بينِ النَّاس، وتحثُّ النَّاس للسعي في طريق الحرّيّة، لكنّ مع مُراعاة التمهّل وعدم التسرّع، وجمع المعلومات الضروريّة أولاً قبلَ العمل على استعادة الحرّيّة المسلوبة، تابعَ بِعينيه سريعًا سطور المقالة القصيرة، وظلَّ مُنتظرًا للردود والتعليقات، ولم يطل انتظاره كثيرًا؛ فقد بدأتِ التعليقات تتوالى.

ظلَّ يُتابع بحثًا عن التعليقات المنشودة أو حتّى ردًّا لكاتب المقال، ولكنّ لم يظهر ما يُثير الريبة والشكوك، عادَ مرّةً أخرى لسطور المقالة القصيرة، وأخذَ بالامعان في كلماتها، فهِمَّ أخيرًا أنّها مقالة تحثُّ العُملاء بالعملِ على جمع المعلومات حولَ مكان الاحتجاز، وامداد الكاتب بالمعلومات استعدادًا لتهديب الشيخ دياب ورفاقه من مكان احتجازهم، دَوّن المعلومات وما توصّل إليه في أجندة خاصّة به، وتوقّف قليلًا، ماذا يفعل؟

هل يبلغ بما توصّل إليه أم لا؟؟

تذكّر الشيخ دياب، تذكّر زينة ووعدده لها، تعالت دقات قلبه عندما تذكّرها، هل يؤدي واجبه، ويسلم المعلومات التي حصل عليها للإدارة، أم يخون وطنه وعمله وجنسه ودينه؟ ظلَّ في هذا الصراع لمدة طويلة حتّى قرّرَ أن يُتّحي كُُلّ هذا جانبًا مؤقتًا، وأنّ يعودَ مرّةً أخرى لِمَا كانَ يبحث عنه، ويترك التفكير حتّى يستطيع أن يُقرّرَ ما هو فاعل، وبالفعل عادَ مرّةً أخرى وأجرى اتصالًا بالخادم الرئيسي، وأخذَ بتصفح الملفات الخاصّة برجالِ المُخابرات المصرية، ملفات كثيرة وبيانات كثيرة، مرّت أكثر من ساعة كاملة وهو يتصفح الملفات، حتّى وقّع على مُبتغاه، ملف يحمل رقم (ع - ١) مغلق مؤقتًا .

نقلَ الملف بالكامل، وكان حجمه كبيرًا مُقارنةً بالملفات السابقة، وما أن انتهى من نقله لجهاز حاسوبه، أسرعَ بفتحه وأخذَ يقرأ بتمعّنٍ.. الاسم/ أشرف صبحي.

المهنة/ ضابط برتبة عقيد بالمخابرات العامّة المصريّة.

الرمز في المُخابرات المصريّة / (ف - ١) لأنّه فئة خاصّة جدًّا ونادرة ويحمل رقم واحد.
الحالة/ مغلق مؤقتًا لموت صاحبه ولكن مع عدم التأكد التام من موته.

الرمز في الموساد/ (ع - ١٠) عدوّ إسرائيل رقم واحد .

نسبة نجاحه في العمليات ١٠٠٪ لم يفشل في أيّ عملية من قبل، نجح في هزيمة كلّ أو أغلب أجهزة المُخابرات، وتقريبًا كلّ منظمات الجريمة والتجسس العالميّة من قبل، لم يُهزَم في أيّ عملية سواء داخل الأراضي المصريّة أو في أيّ أرضٍ أخرى حتّى على أرض إسرائيل! تسبّب في تكبد الحكومة الإسرائيليّة خسائر فادحة في أكثر من عملية، سواء ماديّة أو خسائر في العداة أو الجنود، ويحمل لقب أيضًا (الذئب الأبيض).

توقّف عند هذا المُصطلح، واتسعت عيناه وتذكّر ما كان يحلم به، تذكّر الذئب الأبيض العملاق الذي كان يطارده في منامه، تذكّر ما قاله له.. أنّ الذئاب لا تأكل أبناءها، وتذكّر كلام السيّد موشى عن ذلك الذئب المصري وحديثه عن أمه، خالجه شعورٌ غريب، شعور لم يشعر به من قبل، أخذ يقلّب الصفحات بالملف الإلكتروني حتّى عثر على صورته، صورة أشرف.

نظر في عينيّه، تفحص ملامحه، شعور غريب، يشعر بالألفة، إنّهُ يعرفهُ ولكنّه واثق أنّهُ أوّل مرّة يرى هذه الملامح، يشعر أنّها محفورة بداخله، لم يشعر بأيّ رهبة أو خوف منه، بل على العكس، لقد شعر بارتياح غريب، تلك النظرات يشعر أنّها موجهة له، تلك العيون تُريدُ مُحادثته، إنّهُ ينظر له هو، إنّهُ....

فجأة تعالت صفارات الإنذار بالمبنى ككّل، وتعالى هدير يصم الآذان، خرج من مكتبه مُسرّعًا هالهُ ما رأى؛ كانت كلّ شاشات الإرشادات تُشير إلى اختراق إلكتروني للخادم الرئيسي، وأنّ المبنى بالكامل تمّ إغلاقه، وممنوع الخروج منه أو الدخول إليه، حتّى حضور قوآت الأمن، وحصار وتفتيش كامل المبنى، دخل مُسرّعًا مرّة أخرى لمكتبه، وقفز مُسرّعًا لشاشة حاسوبه، واتسعت عيناه في دُعر؛ إنّهُ هو، لقد نسي في خضمّ انفعاله إغلاق الاتصال بالخادم الرئيسي، وترك المنفذ مفتوحًا كلّ هذه المُدّة حتّى انكشف أمره.

سمع صوت خطوات رجال الأمن، وهُم في الرواق الخارجي لمكتبه، امتقع وجهه واتسعت عيناه..

ماذا يفعل؟؟

تعالى وقع الأقدام، إذ يقرب أكثر وأكثر، وسقط قلبه بين قدميه وظلّ يُردد:

- ماذا أفعل؟؟

- ماذا أفعل؟؟؟

الشتات



الفصل الأول

تعالث الشمس بأشعتها الذهبية من خلف تلك البناية المواجهة للنافذة الزجاجية الكبيرة، وسقطت أشاعتها على وجهه وهو مُستلقي بجسده الضخم المكتظ على ذلك المقعد الوثير المواجه للنافذة. حاول أن يُبعد وجهه يمينًا ويسارًا تفاديًا لأشعة الشمس، التي غطت وجهه بالكامل، أفاق من غفلته ووضع يده أمام وجهه حائلًا بينه وبينها، استجمع أفكاره، قاوم الصداق الرهيب الذي يكاد أن يعصف برأسه.

ظل مُستلقيًا لمدة، يُحاول مقاومة شعور الكسل الذي يدب بأوصاله ومُعاودة النوم مرة أخرى، ولكن هيهات مع أشعة الشمس التي أضاءت الغرفة بنورها، استسلم في النهاية وحاول جاهدًا القيام من ذلك المقعد ونجح أخيرًا.

أخذ يتحرك بجسده الممتلئ وهو يتصبب عرقًا حتى وصل إلى المبرد، فتحه وأخرج زجاجة المياه، وتجرعها بالكامل دفعة واحدة، مُحاولًا أن يروي الظما الذي تسبب بجفاف حلقه وكأنه كان ينام بصحراء قاحلة، وما أن انتهى حتى توجه لدورة المياه؛ ليغسل عنه آثار تلك الليلة.

وقف أسفل الدُش تاركًا الماء البارد ينساب على رأسه، مُحاولًا إطفاء لهيب عقله قبل جسده، أخذ يسترجع الذكريات، تذكره وتذكرها، تذكر الحفل، تذكر فرحته بتلك الليلة التي حلم بها طويلًا، تذاكر حفل العرس الخاص بأعز أصدقائه، غاص في بحر الذكريات حتى وصل لمشهد التفجير والهرج والمرج، ومشهد صديق عمره وهو يحمل جثمان عروسه والدماء تُغرّق فستانها الأبيض وكذا تُغرّق نصف جسده، ويأخذها ويبعد بسيارته.

انسابت عبراته، واختلطت بالماء المنساب على رأسه، غمغم بصوت يكاد لا يخرج من حنجرتِه:

- أين أنت يا صديقي؟

أين أنت يا أشرف؟

ظل يبكي حتى أفرغ كل حزنه، انتهى من الاستحمام وخرج وارتنى ملابس صيفية خفيفة، وتوجه لغرفة المعيشة واستلقى أمام شاشة التلفاز، مُحاولًا إضاعة الوقت، مرّ وقت لا يدرى مدته، حتى سمع طرقات على باب شقته، نظر تجاه الباب وهو لا يجد في نفسه الطاقة أو القدرة على الاستجابة، كان يعيش مُنعزلًا منذ فترة طويلة، لا يستقبل أحد وأصبح مع الوقت لا يزوره أحد، ومع استمرار الطرقات على الباب وإصرار صاحبها لم يجد بداً من أن يفتح له.

- فتح الباب وجدَ شابًا وسيماً يبتسم في وجهه:
- السيد خيري؟
- قالها الشاب مُستفسراً، غمغمَ خيري بصوتٍ خفيض:
- نعم، كيفَ أستطيعُ مُساعدتك؟
- ابتسمَ الشاب:
- وهل نتحدَّث هنا؟
- تلعثمَ خيري وأجاب:
- آسف لم أعتاد على استقبال أحد، ولكن هل لك أن تُعلمني مَنْ أنتَ وماذا تُريدُ مِنِّي؟
- أعملُ لك رسالة يا سيّد خيري، وأعتقدُ أنَّ المكانَ هنا لا يسمحُ أن نتحدَّث بشأنها!!!
- رسالة؟
- نطقها خيري باستغراب:
- مِنْ مَنْ؟
- من مصر، من مصر يا سيّد خيري.
- قالها وتعالَّت دَقَات قلب خيري، تعالَّت حتَّى كادَ أن يسمعها سُكان العقار!
- تقرير عاجل يا سيّدي.
- قالها مراد، وهو يُحاول التقاط أنفاسه، اعتدلَ السيّد مُدير المُخابرات العامّة في مقعده.
- اهدأ يا مراد، وهات ما عندك.
- مُنذُ خمسةٍ وثلاثينَ دقيقةً بالضبط، تعالَّت صفارات الإنذار مِمبني الموساد بتلّ أبيب، وتمّ تفعيل إجراءات الإحتواء الخاصّة بالاقترحام أو التعرّض لهجوم، كما تمّ إغلاق مساحة اثنتين ميل حولَ مُحيط المبنى، مع إجراءات أمنيّة مُشدّدة، ويُحاول رجالنا الآن استقصاء الأوضاع وجمع المعلومات المتّاحة.
- ظلّ السيّد المُدير صامتاً لفترة، لم يُقاطعه فيها مراد، وأخيراً نظرَ لمراد:
- وهل هدفتنا بالداخل؟
- طبقاً لآخر معلومات لدينا يا سيّدي، نعم هو بالداخل.
- قالها مراد ردّاً على سؤال السيّد المُدير، الذي تابعَ حديثه:
- هل تعتقدُ أنَّ له دخلاً بانطلاق صفارات الإنذار؟
- من الصعبِ جدّاً يا سيادة المُدير الحُكم على الوضع الآن، ولكنّ عندي إحساس بنعم، ما يحدثُ بداخل مبنى الموساد لصديقنا يدُ فيه.

- حسنًا مراد، أرسل تعليمات لرجالنا هناك بمتابعة الموقف عن كثب، ولكن بحذر، وأبلغني بكل مُستجد مُباشرةً، لا تُريدُ أخطاءً يا مراد، حياة رجالنا أهم.

- بالطبع سيدي، بالطبع.

قالها مراد وهم الانصراف، أوقفهُ السيّد المدير:

- أريدُ تفاصيلًا كاملة عن ليان يا مراد، أريدُ كُل ما يستطيع رجالنا جمعه عنه، كُل معلومة، كُل خلجة، كُل معلومة حتى لو كانت صغيرة، مهما كانت، هل تفهمني يا مراد؟
مهما كانت.

- حسنًا يا سيدي، ولكن أعذرني سيدي، لماذا؟

اعتدل السيّد المدير في جلسته:

- عندي شعورٌ غريب تجاه ليان ذلك، شعور يزداد كُل يوم، وعندي فكرة في رأسي، لم تختمر بعد، ولو ما يجول برأسي حقيقي يا مراد، أعتقد أنه سيكون بمثابة قنبلة مدوية، قنبلة بكل ما تحمله الكلمة من معاني، قنبلة قد تقلب إسرائيل رأسًا على عقب، قنبلة قد تُغيّر اللعبة تمامًا.

قالها وهو لا يدرك صحة كلامه، ولا يدرك أنه قد بدأ التغيّر بالفعل.

الفصل الثاني

تعالث صفارات الإنذار المدويّة في كلّ مكان، توقّف ليان لبرهة يدرس الموقف، مهما استطاع أن يؤخر الأمر فسوف يُكشّف أمره؛ لأنّ الموساد به خبراء في مجال المعلومات والشبكات والتتبع، إذن لا يوجد سوى كسب بعض الوقت قبل أن يُكتشف أمره بالكامل. درس الموقف سريعاً وتحرك سريعاً، أوصل إحدى كروت الذاكرة المحمولة بإحدى فتحات التوسع الخاصّة بجهاز الحاسوب الشخصي له، ونقل جميع المعلومات والملفات التي كان قد حصل عليها من الخادم الرئيسي قبل انطلاق صفارات الإنذار، وتابع عملية النقل حتّى انتهت، أخرج كارت الذاكرة ووضعه في جيبه وأخذت أصابعه تعمل على لوحة المفاتيح سريعاً، قام بمحو الجهاز بالكامل، وفتح بعض البرامج الضارّة التي كان يعمل عليها، والتي لم يجدوا لها حلّاً حتّى الآن والخاصّة بتشفير البيانات على الأقراص الصلبة وطلب فدية مُقابل استعادة تلك البيانات، وقام بجعلها تعمل على تشفير جميع القطاعات الخاصّة بالقرص الصلب (الهارديسك)، بعد أن أوقف كلّ برامج الحماية على الجهاز وأيضاً أوقف عمل الجدار الناري، وما أن انتهى البرنامج الضار من تشفير قطاعات القرص الصلب بالكامل، حتّى نزع مقبس التيار الخاصّ بجهاز الحاسوب من مصدر الطاقة، وقام بفكّ الغطاء الخاصّ به وأخرج وحدة التخزين الرئيسيّة بالجهاز، وقام بصدمها مرتين مُتتاليتين بشدّة بسطح المكتب، وقام بإرجاعها مرّة أخرى لمكانها وهو يُغمغم.. الحرص واجب في هذه الأمور، ولا يجب ترك أي احتمال للظروف، فتح إحدى أدراج مكتبه وأخرج إحدى دبابيس الأوراق الخاصّة بالأعمال الكتابيّة، وقام بتعديلها وجعلها على شكل حرف U، وقام بتثبيتها في وحدة تثبيت التيار الكهربائي الخاصّة بجهاز الحاسب الآلي في المدخل الرئيسي الخاصّ بتغذية اللوحة الأمّ بالتيار، وقام بإيصال مقبس التيار الكهربائي بجهاز الحاسب، وحدث ما أراد، حدث شرر كهربائي من داخل الجهاز وما هي إلّا دقيقة أو أقلّ وتصاعدت الأدخنة، وتعالث ألسنة لهب، بدأت تشتعل بالتدرّج لتلتهم المكتب بما عليه، لم ينتظر طويلاً، أخذ كلّ ما يحتاجه من مُتعلقات شخصيّة من على مكتبه وأخرج صورة أمّه من مكتبه ونظر لها ودسّها في جيبه، وتحرك سريعاً، وما أن تحرك حتّى بدأ نظام الإطفاء الآلي في قطع التيار الكهربائي عن الرواق بالكامل الذي به النيران، وبدأت رشاشات الإطفاء بعملها وبدأت تنشر رذاذ سواثل الإطفاء في الرواق بالكامل، ممّا ساعد على تشويش الرؤية، وهو ما كان يحتاجه.

اختطف إحدى وحدات إطفاء الحرائق المحمولة وقناع خاص بالغازات من نفس مكان مُعدّات الإطفاء الخاصة بالرواق الذي يعمل به، وارتدى القناع وهو يحمل أسطوانة الإطفاء في يده، وتذكّر خريطة المكان وأخذ يُراجع تفاصيلها في ذهنه، لم يذهب إلى مخرج الطوارئ ولا إلى سلام الحرائق، بل توجه إلى أنبوب النفايات الخاص بالتخلص من نفايات كُل طابق وإيصالها إلى الطابق الأرضي إلى وحدة الفرز والتخلص من النفايات، وقد كان؛ وما أن وصل إلى الأنبوب حتّى عالج الباب الصغير الخاص به سريعاً، وما أن فتح الباب حتّى ألقي بنفسه داخل الأنبوب، وهو يحتضن أسطوانة الإطفاء وارتطم في نهاية الخرطوم بالأكياس المُتكدسة الخاصة بالنفايات، ولحسن حظّه كانت مازالت موجودة ولم يتمّ التخلص منها بعد، ممّا ساعد على التقليل من اصطدامه بالأرض، وما أن لامست قدماه الأرض حتّى قام مُسرّعاً واتجه إلى أقرب مخرج يؤدي إلى الباحة الرئيسيّة، ووقف خلف الباب ينظر أولاً ويفحص المكان بالخارج قبل الخروج، وهمّ بالخروج حتّى استوقفه صوت من خلفه.

- توقف مكانك!!!

تجمّد ليان في مكانه، لقد انكشف أمره، ولا يوجد أمامه مهرب.

تعالى رنين هاتف مكتب السيّد مدير المُخابرات المصريّة، التقط السّاعة، كان مراد يُخبره بوجود تطوراتٍ جديدة في الوضع في إسرائيل، أخبره السيّد المدير بالحضور لمكتبه على الفور، وما هي إلّا دقيقتان وكان مراد يطرق باب السيّد مدير المُخابرات، بل ويقف أمامه، أشار له السيّد المدير بالجلوس.

- هات ما عندك يا مراد.

جلس مراد مواجهاً لمكتب السيّد المدير، وأخرج ملف يحمله بيده وفتحه:

- حدثّ تطور سريع في الأحداث يا سيّدي، منذ قليل تعالّت صفارات إنذار الحريق بالمبنى نفسه، وتّجه الآن قوات الدفاع المدني، وتُحيط بالمبنى بالكامل، وأيضاً مجموعات من القوات الخاصّة ورجالنا هناك، يدرسون الأمر ويحاولون جمع أكبر قدر من المعلومات وإرسالها إلينا، لكنّ الوضع أضحى غريباً جدّاً يا سيّدي بل ومُريب أيضاً، إنّها المرّة الأولى في تاريخ الموساد تقريباً التي يحدث فيها مثل تلك الأمور، وانطلاق صفارات الإنذار بمُختلف أنواعها.

قاطعه المدير شارداً:

- ليست المرّة الأولى يا مراد، فهناك سابقة، فعلها أحد رجالنا هناك سابقاً وعادَ بذاكرته، يتذكر التفاصيل.. حينها كان مازال ضابطاً صغير السن، تذكّر كيف كان ينظر لذلك البطل

وما فعل، تذكّر كُّل التفاصيل، وكيف أصبحت تلك السابقة تُدرس للأجيال الجديدة لرجال المُخابرات، تذكّر تفاصيل السابقة ونظرَ لمراد وقال:

- سابقة كانت أقرب للفضائح يا مراد.

نظرَ مراد بإندهاش حقيقيٍّ للسيد مُدير المُخابرات:

- حقًا يا سيدي!!

- حقًا يا مراد، لقد استطاعَ رجلنا الدخول والخروج من مبنى الموساد، ولم تستطع القوات الإسرائيلية بكُل قوّاتها أن توقفه، وعادَ سالمًا لأرض الوطن ولكنّه ليسَ رجلًا عاديًا يا مراد، إنّه أعظم من أنجبَت مصر، رَجُل قَلَمًا يوجد الزمانُ بمثله، وما يحدث هُناك الآن يُذكرني به جدًا يا مراد، وأكاد أجزم أنّي أشتَم رائحته فيما يحدث، أشعرُ أنّ له صلة بما يحدث هُناك الآن.

قالها ولم يَكن يُدرك مدى صَحة كلامه!

الفصل الثالث

التفتَ لِيان لمصدر الصوت، كَانَ أحد رجال الأمن الداخلي للمبنى بزيهم المُمَيَّز، ويحمل سلاحه في يده ويوجهه تجاه لِيان، تدارك لِيان الموقف سريعاً، تظاهر بالاستسلام وحدثه قائلاً: - أنا زميل لك بالمبنى، وقد اتخذتُ طريقي للخروج بعد سماع صفارات الإنذار بالمبنى، ومدَّ يده يخرج له شارته من جيبه، فصرخَ به رجل الأمن بالتوقف وعدم التحرك، وأن يضع يديه بجواره، توقّف لِيان وأشار له بإخراج تحقيق شخصيته، تردّد رجل الأمن وأشار له: - حسناً، ولكن بيد واحدة فقط، وأسقطها أمامي هنا مُشيراً إلى الأرض. - حسناً.

قالها لِيان وهو يمدّ يده لجيب بنطاله ويخرج محفظته منها، وهمّ بالقائها في البقعة التي أشار إليها رجل الأمن، وفجأة ألقاها بكُل ما أوتي من قوة في وجه رجل الأمن، ولم ينتظر أن يُضَيّع أثر الصدمة، فتحرك سريعاً وما أن اصطدمت بوجه رجل الأمن، حتّى قفز المسافة الفاصلة بينهما بقفزة واحدة، وعالج رجل الأمن بركلة بقدمه في معدته، كاد أن تتسبّب في خروج أحشائه من فمه، كانت يده تنزع السلاح من يديه بإحدى حركات الكونغ فو الشهيرة، وعاجله بضربة بظهر السلاح على مؤخرة رقبته أظلمت الدنيا أمام عينيه، وما أن سقط الحارس أرضاً حتّى مدّ لِيان يده وأخذ محفظته من الأرض، وسحب جسد الحارس ووضعه في ركن بعيد عن الأنظار، وأخذ ملابسه وغطاء رأسه وشارته، وعلّقها على صدره ووضع السلاح بجانبه، وقام بالسير خارجاً، ولكن ليس باتجاه البوابات، اتخذ الطريق إلى عُرف المراقبة والأمن، فقد كان لا بُدّ وأن يفعل شيئاً ضرورياً.

وما أن وصل إلى غرفة المراقبة المسئولة عن عمل كاميرات المراقبة بالمبنى، حتّى استخدم الشارّة الإلكترونية الخاصة بحارس الأمن الذي أفقده وعيه لفتح الباب ودلف للغرفة. كانت الشاشات تملأ الحائط المواجه له، ولا يوجد سوى اثنين من أفراد الأمن فقط بالغرفة يتابعان الشاشات، وقف قليلاً يستطلع الأمر، ونظر ليرى موضع كاميرات المراقبة المسئولة عن المراقبة داخل الغرفة، وحدّد مكانها ووضع خطة سريعاً ثمّ تقدّم من أحد المُراقبين من الخلف.

- أين الكاميرات الخاصة بقطاع التتبع الإلكتروني؟

قالها ليان موجهاً حديثه للمُراقب، استدَارَ لَهُ المُراقب ونظَرَ لزيِّه الأُمْنِي ونظَرَ للشارِة على صدره:

- مَن أنت؟

- راف سامال (رتبة في جيش الدفاع توازي رقيب أوّل).

- لم أراك هُنا من قبل؟

- نعم سيّدي فأنا من قطاع الأمن الإلكتروني وليس المُراقبة.

نظَرَ لَهُ المُراقب ببعض الرّيبة:

- ولماذا تُريد تلك الكاميرات؟

- نبحثُ عن سببٍ بدء انطلاق صفارات الإنذار هُناك.

بدا كلامه منطقيّاً فأشارَ لَهُ المُراقب لشاشَةٍ تحتلّ الزاوية العلويّة بركنِ الغُرفة جهة اليسار،

فابتسمَ ليان وقال:

- شكراً لك.

قالها وهبطَ بطرف قبضته على رقبة المُراقب الذي أمامه بضربة مُحكمة، جعلته يصطدم

بسطح المكتب ويسقط فاقداً للوعي، فتحرّك المُراقب الآخر سريعاً وهو يصرخ:

- اللعنة جاسوس.

لم يُهله ليان فرصة، وعاجله بضربة من قدمه اليسرى، تبعها بلكمتين مُتتاليتين في وجهه،

مادّت به الدُّنيا بعدهم وسقط أرضاً.

تحرّك ليان سريعاً وتقدّم من الشاشة التي أشارَ إليها المُراقب، وأخذَ يتحكم بلوحة التحكم

الخاصة بها، قامَ بمسح كَلِّ المحتويات المُسجلة من قبل بدء صفارات الإنذار، وقامَ بتشفير

الأقراص الصلبة الخاصّة بتسجيلِ محتوى الكاميرات برمز جديد، مكُون من ستة عشر رقماً،

يصعب اختراقه، وأيضاً كَلِّ ما سجلَ لَهُ وهو يهرب في كَلِّ الأروقة، ووحدة التخلُّص من

النفايات، وحتى حينَ أتى إلى غُرفة المُراقبة.

وما أن انتهى من مهمته حتّى استعدَّ للخروج، أسدَلَ القُبعة الأمنيّة التي يرتديها على وجهه

أكثر؛ ليُخفي ملامحه، وخرجَ من الغُرفة مُسرّعاً مُتوجّهاً إلى مكان وقوف سيارت الإطفاء

وعَمال الإطفاء، وتسلَّل خلف إحدى السيارات، وأخرجَ معطفاً مضاداً للحرائق، والمُميز

لعمال الإطفاء، خوذة من ضمن المهام الخاصّة بهم وقامَ بارتدائهم وتوجّه لإحدى السيارات

التي انتهت من عملها وتُحاول الخروج من المكان، وتعلّق بالحاجز الخلفي لها المُعدّ لهذا،

وظلَّ مُمسكاً بالسيارة وهي تخرج من نطاق مبنى المוסاد، وهو يُحاول جاهدًا إخفاء

ملامحه عن كاميرات المُراقبة ورجال الأمن، وتنفّس الصعداء حينما عبرتَ سيارَةُ الإطفاء

المنطقة بالكامل، وانطلقت مُبتعدة وهي تُطلق السارينة المُميّزة الخاصّة بها، تبتعد وهو على متنها، وينظر إلى مبنى الموساد، وهو يبتعد، ويُفكر فيما هو مُقدّم عليه، وما يجب فعله، وأخذ عقله يعمل سريعًا.. ويعمل.

الفصل الرابع

سائراً وهو يُدندن لحن شهير للسيدة (أم كلثوم)، إلى أن وصل (مسعود) إلى باب منزله توقف ليُخرج مفتاح المنزل، وفجأة التصق في الباب، أثر ضغط مُرفق على رقبته من الخلف، وأطبقت يدٌ على ساعده من الخلف.

- مَنْ أَنْتَ وماذا تُريد؟

قالها (مسعود) متوتراً وهو مشلول الحركة بالكامل.

- أنا يا مسعود، أنا (ليان).

تأوه مسعود واطلق سبّه:

- أيُّها الإسرائيلي القذ...

ضغط ليان على ساعده أكثر فبترَ عبارته وتأوه من الألم.

- توقف عن هذا يا مسعود، لم آتي في شرٍّ، سوف أتركك الآن، افتح باب منزلك، وأعلم أنك تُقيمُ هنا بمفردك، لندخل ونتحدّث بالداخل.

أنهى كلامه وترك ساعد ورقبة (مسعود)، حرّك مسعود رقبته في كُل اتجاه من أثر الضغط عليها، ونظرَ تجاه ليان بإندهاش.

- هل سنقف هنا كثيراً؟

نطقها ليان، مدّ مسعود يده بالمفتاح وفتح الباب ودلف الاثنان للداخل، وأغلق مسعود الباب خلفهما، وأشار ليان إلى غرفةً جانبيةً خاصّة بالضيوف، جلسا متواجهين صامتين حتّى قطع مسعود الصمت بقوله:

- ماذا تُريدُ مني؟

وما الذي أتى بك إلى هنا؟

نظرَ له ليان طويلاً ثُمَّ تكلمَ أخيراً:

- أريدُ مُساعدتك.

قالها ورأى الصمت، نظرَ مسعود بإندهاشٍ لlian:

- مُساعدتي؟

- أنا؟

كيفَ هذا؟

ولماذا؟

قاطعهُ لِيان:

- انتظر يا مسعود، سوفَ أشرح لك كُلَّ شيءٍ، ولكنْ عِدي بأنَّ ما سأرويهِ لك الآن سيظلُّ بيني وبينك فقط.

صمَّتْ مسعود، لا يدري ماذا يقول، أوماً لِيان برأسه:

- أعلمُ بما تُفكر، لك كُلُّ الحقِّ، لكنْ صدَّقني لو كانَ الشيخ (دياب) بيننا الآن لصدَّقَ ما أقول.

وقفَ مسعود طويلاً لا يعلم ماذا يقو، هل يَأمن لإسرائيلي بل ويهودي أيضاً؟!

وقفَ طويلاً أمامَ هذا المشهد العبثي، لكنَّهُ كانَ قد شعرَ بشعورٍ غريبٍ يدفعهُ لتصديق لِيان، لا يعلم مصدر هذا الشعور ولكنَّهُ يشعر أنَّه على الأقلِّ عليه أن يستمعَ لِمَا يقول.

بعدَ فترةٍ ليستُ بالقليلة أشارَ مسعود لِيان:

- تكلمْ يا رَجُل، تكلمْ، هات ما عندك.

كانَ لِيان في انتظار هذه الجُملة، حكى كُلُّ ما حدثَ لمسعود، كُلُّ ما حدثَ مُنذُ البداية، واتسعتْ عيني مسعود من هولِ ما سمع.

- تفضَّل يا سيِّدَ خيرِي.

قالها السيِّدُ مُدير المُخابرات المصريَّة، وهو يُغادر مقعده مُرحَّباً بخيري، تهلَّلَتْ أسارير خيري وابتسمَ ابتسامة عريضة لأوَّل مرَّة مُنذُ فترة، وتقدَّم من السيِّد مُدير المُخابرات العامَّة واحتضنه، لم يمنعه السيِّدُ مُدير المُخابرات، بل على العكس قامَ باحتضانه، وظلَّ يرتب على كتفه وفجأة انهمرت العَبرات من عينِ خيري، ولم يستطع كتمان هذا الفيض من المشاعر التي تُخالجه، وقفَ السيِّدُ مُدير المُخابرات احتراماً لمشاعر خيري ولم يشأ أن يُقاطعهُ بل تركهُ يُخرج كُلَّ ما به حتَّى هداً تماماً.

- اجلس يا سيِّدَ خيرِي.

قالها السيِّدُ مُدير المُخابرات، وأشارَ لمقعد مجاور كبير نسبياً ومُريح، حتَّى يجلسَ باسترخاء، وبالفعل تحرَّك خيري وجلسَ حيثُ أشارَ لَهُ السيِّدُ مُدير المُخابرات.

- كيفَ حالكَ يا خيرِي؟

نظرَ لَهُ خيرِي نظرة امتنان:

- بخيرٍ حالٍ يا سيِّدي، بخيرٍ حال.

أدرك السيِّدُ مُدير المُخابرات أنَّه لا يقول الحقيقة، فتابعَ حديثه:

- أما آنَّ الأوان للعودة للعمل يا خيرِي.

- ابتسمَ خيري ابتسامة يائسة:
- أَيْ عملٍ يا سيّدي؟
 - عملك يا خيري، هُنا في إدارة المُخابرات العامة.
 - وهل هُناك مكانٌ لمثلي يا سيّدي؟
 - تعالَتْ دهشة السيّد مُدير المُخابرات:
 - بالطبع يا سيّد خيري.
 - هل نسيْتَ أنَّكَ كُنْتَ مُدير قسم المحاكاة والتقليد؟
 - توقّف خيري مبهورًا عن الحديث:
 - كُنْتُ يا سيّدي، كُنْتُ.
 - لكنّ بعد ما حدّثَ أعتقد أنّي لا أصلح لأَيّ عمل.
 - لماذا تتحدّث هكذا يا خيري؟
 - أنتَ أمهر يد عملت في هذا المجال في مصر كُلّها، ويمكن أن أقول في العالم.
 - شُكرًا لك يا سيّدي على هذا الإطراء، ولكنكّ تع...
 - قاطعه السيّد مُدير المُخابرات:
 - هذا ليس طلبًا يا سيّد خيري، هذا قرار.
 - لقد قررنا إنهاء إجازتك وعودتك لعملك.
 - ولكنّ يا سيّدي.
 - لا يوجد لكن يا خيري، العمل بحاجة إليك، مصر بحاجة إليك خيري.
 - التمعت عيناه عند هذه الجملة، وترقرق الدمع بهما.
 - وأنا كُلي فداء لمصر يا سيّدي.
 - ابتسمَ السيّد مُدير المُخابرات وربّت على كتفه:
 - وهذا ما نتوقعه منك خيري.

الفصل الخامس

نظر مسعود لليان وظل هكذا لفترة، غير قادرٍ على استيعاب ما يقول، لحظات طويلة من الصمت رانَتْ بينهما قطعها ليان:

- والآن يا مسعود أنا أحتاج لمساعدتك.

تردّد مسعود قليلاً:

- وهل من المفترض أن أصدق كل ما قلت؟

نظر ليان بثباتٍ لعيني مسعود وأجابه مباشرةً:

ولماذا أكذب عليك؟

وهل ما قلته لك يُمكن أن يكونَ كذبة؟

لقد أخبرتك عن عملي بالموساد، وعن هروب زينة خارج إسرائيل، وعن علمي بمكان احتجاز الشيخ دياب، والآن الموساد كله يُطاردي، فهل تعتقد أنني بحاجةٍ لإختلاقٍ مثل هذه الأحداث لأقصّها عليك؟

وهل هذه الأحداث سهلة الحدوث كل يوم مثلاً، حتى أختلقها للكذب عليك؟

نمّ ما الفائدة من من إختلاقي لهذه الأحداث؟

تمتّع مسعود:

- للإيقاع بي؟

ابتسم ليان وقال:

وهل الإيقاع بك يحتاج كل هذه الأمور وإختلاقي كل ما رويته لك؟

ظهر الغضب على ملامح مسعود فتأسف له ليان:

- معذرةً يا مسعود، لا أقصد التقليل من شأنك، لكن ما قصده هو لو أنني من السلطات الإسرائيلية لا أحتاج إلى مبررٍ للإيقاع بك أو القبض عليك؟

أليس صحيحاً؟

نظر له مسعود طويلاً، وظهر على وجهه الاقتناع بكلام (ليان):

- حسناً، وماذا تريدُ مني؟

اعتدل (ليان) في جلسته:

- هذا هو المهم الآن، أريدُ مساعدتك!

ردّ مسعود:

- كيف؟

- أريدُ منك أنْ تُحضِرَ خمسةَ أو ستةَ أفرادٍ تثقُ فيهم ثقةً مُطلقةً.

- لماذا هل تُريدُهم أنْ يُساعدوك في الخروج من إسرائيل؟

لماذا يفعلونَ هذا، وماذا يستفيدون ؟

شخصَ ليان بنظره للحظاتٍ:

- لا يا مسعود، ليس مُساعدتي أنا في الوقت الحالي ولكن لأمرٍ آخر.

نظرَ إليه مسعود وقال:

- وما هو؟

أجابه ليان:

- آخر شيءٍ يتوقعهُ أحدٌ.. سوفَ نُحرّرَ الشيخ دياب!

تراجعَ مسعود مذهولًا:

- ماذا؟

- أجل يا مسعود، كما سمعت، في خِصَمِ الأحداث الآن والموساد بالكامل يبحث عني، لن

يتوقع أحد أن نتحرّك في هذا الاتجاه، وهذا قد يُسهل علينا الأمر قليلًا.

تردّدَ مسعود قليلًا.

- لا تقلق يا مسعود، أنا مَنْ يتصدر المشهد، لن أُنسَبَ في أيّ ضرٍ قد يلحق بك أو بالشباب

الآخرين.. أعدك بهذا.

نظرَ له مسعود طويلًا.

- أعلمُ أنّك لا تثق بكلامي، ولكن تذكر الشيخ دياب وثِقته بي.

وعندَ هذهِ النقطة رَضَخَ مسعود، فهو يفعلها من أجل الشيخ دياب (مُعلّمه)، حتّى لو ألقى

بنفسه في التهلكة ومُخاطرةٍ غير محسوبة، ولكن كُُلَّ شيءٍ يهون في سبيل إنقاذ مُعلّمه.

مدّ يده مُصافِحًا ومدّ ليان يده، وتشابكت يداهما معًا في مشهدٍ يُعدُّ من الخيال، مشهد لو

حاولَ أقوى المخرجين والسينمائيين إخراجه لما صدّق أبدًا ولكنّه قد حدث، وشرعا في العمل

معًا.

هبطَ ليان ومسعود من السيّارة التي أقلّتهما لتلك المنطقة من الحيّ العربي، سارا مُتجاورين

حتّى وصلا إلى ساحةٍ صغيرة تتوسط عدّة منازل صغيرة، وكانَ بانتظارهما خمسة شباب، وما

أنْ وصلا حتّى أقبلوا عليهما وتحدّث أولهم:

- مرحبًا مسعود، ومرحبًا بصديقك.

- ما هو العمل المُهم الذي طُلِبَ مِنَّا أَنْ نأتي لأجله؟
- مرحبًا زياد.
نطقها مسعود.
- لن نتحدَّثْ هُنا، هَيَّا بنا إلى منزلِ الشَّيْخَةِ (أُمِّ رِيَّان).
قالها وانطلقوا جميعًا في اتجاه إحدى المنازل الصغيرة بالساحة، طرَقَ مسعود باب المنزل وانتظرَ حتَّى فُتِحَ الباب وظهَرَ خلفه امرأةٌ عجوز طاعنة في العمر.
- أهلاً خالة أُمِّ رِيَّان.
نظرتُ لَهُ قَلِيلًا بَتَمَعُنْ:
- أهلاً ولدي مسعود، أَيِّ رِيحٍ طَيِّبَةٍ أَتَتْ بِكَ إلى هُنا؟
- نحتاجُ أَنْ ندخل أنا والشباب يا خالة.
نظرتُ لَهُ وللشبابِ من خلفه:
- المنزل منزلكم يا ولدي.
قالتها وأفسحت المجال ليدخلوا، دَخَلَ الجَمْعُ بالكامل، وأغلقَتْ خلفهم باب المنزل، قَادَ مسعود الشباب إلى غُرْفَةٍ مُعَدَّة للضيوف، كَانَ يعلم التفاصيل وكأنَّهُ من أَهْلِ البيت، وما أَنْ استقرُّوا في مجلسهم حتَّى تحدَّثَ مسعود:
- لقد طلبت منكم الحضور، لأنَّنا نحتاجكم فنحنُ بصددِ عمليةٍ لتحريرِ الشَّيْخِ دِيَاب من قبضةِ العدوِّ الصهيوني.
تهللتُ أسارير الشباب، وهتفوا معًا:
- وَنَحْنُ معَكَ يا مسعود.
ازدرد مسعود لُعباًهُ وأكملَ الحديث:
- يجب قَبْلَ أَنْ نبدأ ما نَحْنُ مُقبِلون عليه أَنْ أعرِّفكم بليان.
فجأةً سادتُ حالة من التوتر، وقَامَ زياد من مكانه:
- هل تمزح يا رَجُل، أهو إسرائيلي؟
كَيْفَ هذا؟
هل جُنَّنت؟!
قَامَ مسعود من مكانه ونظرَ لزياد نظرة تحدي:
- احترس لما تقول يا زياد، أَنْتَ أَعْلَمُ شَخِصٍ يي، فقط لتهدأ، وسوف أشرح لكم كُلَّ شيء.

نظرَ زياد لمسعود طويلاً وعادَ إلى مكانه وجلس، تابَعَ مسعود حديثه:
- إعلموا أنني لم أَكُنْ أريدُ في مثَلِ هذا الموقف، لكنَّ الذي فرضهُ عليَّ هو الشيخ دياب نفسه.

أكَمَلَ حديثهُ وهو يُشير لـليان:

- الشيخ دياب صديق شخصي لـليان، وليان هذا هو الذي استطاعَ تهريبَ زينة من إسرائيل إلى مصر، وهو الآن الذي يعلم مكان الشيخ دياب وكُلَّ تفاصيل مكان احتجازه، وهو الوحيد القادر على أن يدخلَ هذا المكان ويُحرِّرَ الشيخ دياب، ولتعلموا أَنَّهُ ليسَ إسرائيلياً فقط بل ويهودي أيضاً ويعمل بالموساد.

تعالثُ صيحات الاستهجان، قاطَعَ لـيان الحديث قائلاً:

- كُنْتُ، كُنْتُ أعملُ بالموساد، فَهَمُ الآنَ يبحثون عني في كُلِّ مكان.
قامَ زياد مُحْتَدًا:

- وهل يُعقل ما تقولان، الموساد يبحث عنه وهو يذهب لتحرير الشيخ دياب، أيُّ منطقٍ هذا؟!!

قامَ لـيان من مكانه وتوجَّهَ لـزياد ونظرَ لعينه مباشرةً:

- اللامنطق يا صديقي، لو ما نفعلهُ منطقي لكانَ سهلاً على أن يكتشفهُ الموساد، يجب أن نفعلَ إلامنطق، فهو لا ولن يتوقعهُ أحد.

سادَ صمت فترة بعد حديثه هذا، أكَمَلَ حديثه:

- أعلَمُ أَنتَكم لا تستطيعونَ تقبُلَ الوضع، ولكنَّ لتعلموا أَنَّ الشيخ دياب لي بِمثابةِ الأبِّ، ولا أطلبُ منكم أن تُخاطروا بأرواحكم معي، سوفَ أُخاطرُ أنا فقط بالدخولِ لمكان احتجازه، لكنني أحتاجُ إلى مُساعدتكم بالخارج فقط، نظروا لبعضهم قليلاً وقامَ زياد مُتحدِّثًا:
- وكذا أرواحنا فدَاءٌ للشيخ دياب، نَحْنُ معكم، وتشابكتُ الأيادي معاً مُعلنة بدء التحرير.

الفصل السادس

توقفت سَيَّارة دورِيَّة الشرطة أمام السور المُحيط بِمطار بن غوريون، في تلك المنطقة النَّائِيَّة، وهبَطَ منها الشُّرطيانِ وأخذَا يتفحصانِ المنطقة بالكشافات التي بأيديهما، وتحدَّثَ أحدهم للآخر:

- يبدو أَنَّهُ بلاغ كاذب، لا يوجد أَيُّ مُخَرَّبِينَ أو حتَّى أَيِّ إنسان في هذه المنطقة النَّائِيَّة. فجأة سمعَ صوتًا من خلفه:

- لا بل يوجد.

التفتَ سريعًا ولكن لم يُمهلهُ لِيان أَيُّ فرصة، عاجلهُ بضربة براحَةٍ يدهِ خَلَفَ عنقه، فسقطَ على الفور فاقدًا للوعي، أمسكهُ لِيان بينَ يديه قَبْلَ أَنه يسقط، وبذاتِ الوقت كانَ مسعود وزياد قد تعاملَا مع الشُّرطي الآخر، ووضعوا الشُّرطيان داخل سَيَّارة الدورِيَّة، ونظرَ مسعود لِيان وسأله:

- والآن ماذا؟

أجابهُ لِيان:

- سوفَ أخذَ ثياب أحدهما وهويته، وأتوجه لمبنى التحقيق التابع للموساد، وأبدأ في تنفيذ مُخطَّطي.

قاطعهُ مسعود:

- وأنا معك، لن أتركَكَ تدخل إلى هُنَاكَ بِمُفردك، بالتأكيد اثنانِ أفضل من واحد، والشيخ دياب هو مِمثابةُ أبي، إِنَّهُ مَن رعاني بعدَ أَن قَتَلَ الإِسْرَائِيلِيَّينَ أبي، نظرَ لِيان لمسعود:

- آسف لسماعِ هذا ولكن تأكد أَنني أرفضُ كُلَّ هذا، ولا أَتقبَّلُ فكرةَ القتلِ بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

قاطعهُ مسعود:

- لا عليك، والآن للعمل.

قالها وقاما معًا بِغيرِ ثيابهما مع الشُّرطِيَّينَ اللذين قد فقدا وعيهما، وما أَنُ انتهيا حتَّى أخذَ لِيان المذياع الخاصَّ بِسَيَّارة الدورِيَّة، وتفحصَ شاشةَ الحاسب الخاصَّ بِالسَيَّارة، وأعادَ تشغيلَ ما تَمَّ حفظه من تسجيلاتٍ دارت بينَ الإدارة العامَّة للشرطة، وسَيَّارة الدورِيَّة. أخرجَ هويَّةَ الشُّرطي الذي يرتدي ثيابه، ونظرَ للاسم ورقمه التعريفي، وأمسكَ المذياع:

"من دورية رقم ٨١٧ إلى الإدارة العامة، بالفعل يوجد محاولة لإحداث تخريب بالسور المحيط بمطار بن غوريون في المنطقة، وقد هرب الجناة مُجَرَّد اقترابنا بالسيارة، ونريدُ الإذن بمطاردتهم في اتجاه جنوب شرقي".

انتهى من جملته وانتظر ردَّ الإدارة، أتاه الردُّ بالموافقة على تتبع المخربين، والإستعانة بكاميرات المراقبة في ذلك الاتجاه، ورجال الأمن المحيطين بإحدى المواقع العسكرية الإدارية القريبة، ابتسم ليان ونظر لمسعود وتحدَّث بالمذيع:

- "عُلم، ويتم تنفيذ الأوامر" وأغلق المذيع.

- هيا يا صديقي، فقد تهيأ لنا الطريق للمبنى.

قالها ونظر لزياد ورفاقه:

- والآن جاء دوركم يا شباب، أولًا اثنانٍ منكم يأخذان الشرطيان بعيدًا.

أشار زياد لاثنتين من رجاله فقاما بأخذ الشرطيان إلى السيارة الأخرى التي أتيا بها وأحكما وثاقهما، وانطلقا بالسيارة مُبتعدين، وتبقى فرد آخر بسيارة أخرى قريبًا من المنطقة، وتبقى زياد وفرد آخر معه، شرح لهم ليان سريعًا ما يجب فعله ودورهم، وانطلقا للتنفيذ، واستقلَّ ليان سيارة الدورية هو ومسعود، وانطلقا في اتجاه المبنى المنشود، وفي عقلهما لا يتردد إلا سؤال واحد فقط، هل ينجحا فيما هما مُقبلان عليه؟

هل يستطيعا تحرير الشيخ دياب؟

هل؟

وظلَّ السؤال يتردَّد كثيرًا.

- اجلس يا باروخ.

قالها السيّد يوسي مُشيرًا لباروخ بالجلوس أمامه، ازدرد باروخ لُعبه بصعوبة وجلس مُقابلًا لمكتب السيّد يوسي:

- أخبرني يا باروخ بما دارَ بينك وبين ليان آخر يومين؟

- لقد.. لقد أخبرت لجنة التحقيقات بكلَّ ما حدث سيدي.

- أعلمُ يا باروخ، أعلم، ولكن أريدُ أن أسمع منك مباشرةً.

- حسنًا يا سيدي كما تُريد، كُنّا نتبادل أنا وليان الحديث عن ذلك الموقع والسيرفر الخاص به، وعن الشبكة التي تُدار من خلفه، وكان الحديث طبيعيًا جدًّا يا سيدي، وكذا ليان نفسه كان طبيعيًا جدًّا ولم أشعر بأي شيء تجاهه، وقُمتُ بزيارته في مكتبه مرتين وكان مُهممًا في العمل على هذا الموقع.

- أَلَمْ يُشِيرْ إِلَيْكَ بِأَيَّةِ أَخْبَارٍ أَوْ نَتَائِجٍ كَانَتْ قَدْ تَوَصَّلَ إِلَيْهَا؟
سَأَلَهُ يَوْسَى.
- لَا يَا سَيِّدِي، مُجَرَّدُ أَحَادِيثٍ عَامَّةٍ، وَلَكِنْ بَدُونِ الْخَوْضِ فِي تَفَاصِيلٍ.
- تَذَكَّرْ يَا بَارُوخَ، أَيَّةُ تَفْصِيلَةٍ قَدْ تَكُونُ مُهِمَّةً.
- اعتَصَرَ بَارُوخُ ذَاكِرَتَهُ، وَأَجَابَ:
- لَا يَا سَيِّدِي، وَلَكِنْ.....
- وَلَكِنْ مَاذَا بَارُوخُ؟
- تَذَكَّرْتُ أَمْرًا لَا أَعْلَمُ إِنْ كَانَ سَيُفِيدُ فِي التَّحْقِيقِ أَمْ لَا؟
- تَكَلِّمْ يَا بَارُوخُ وَاتْرِكْ أَهْمِيَّةَ الْأَمْرِ لَنَا.
- لَقَدْ اتَّصَلْتُ بِإِيَانَ مَرَّةً، وَكَانَ يُسْأَلُ عَنْ هَلْ يَوْجَدُ بِالْمَنْطَقَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ أَيُّ مَكَاتِبٍ خَاصَّةً بِنَا.
- أَيَّةُ مَنْطَقَةٍ بِالضَّبْطِ يَا بَارُوخُ؟
- كَانَ يُتَحَدَّثُ عَنِ الْمَنْطَقَةِ الْقَابِغَةِ جَنُوبَ غَرْبِيِّ مَطَارِ بَنِ غُورِيُونَ يَا سَيِّدِي.
- أَخْرَجَ السَّيِّدُ يَوْسَى خَرِيطَةً مِنْ دَرَجٍ مَكْتَبِهِ، وَقَامَ بِالإِشَارَةِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِهِ بَارُوخُ، وَاسْتَطَرَدَ حَدِيثَهُ:
- أَكْمِلْ يَا بَارُوخَ.
- أَكْمَلَ بَارُوخُ حَدِيثَهُ:
- فَأَجَبْتُهُ بِنَعَمٍ، فَسَأَلَنِي مَرَّةً أُخْرَى وَهَلْ هَذَا الْمَكَانُ بِهِ مَكَانٌ لِلِاحْتِجَازِ وَالتَّحْقِيقِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ سَرِيَّةٌ كَيْفَ عَِلِمَ بِأَمْرِهَا، فَقَاطَعَنِي وَطَلَّبَ أَنْ أَجِيبَهُ بِسُرْعَةٍ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ نَعَمٍ، فَسَأَلَنِي مَرَّةً أُخْرَى وَهَلْ هُنَا يَتِمُّ احْتِجَازُ الشَّيْخِ دِيَابِ؟
- فَأَخْبَرْتُهُ بِسَرِيَّةِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ مَعْرِفَتِهَا؟
- لَمْ يُجِيبْ يَا سَيِّدِي وَأَصْرَعَهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، فَأَجَبْتُهُ بِالإِيجَابِ فَقَالَ لِي كَلِمَةً لَمْ أَتَذَكَّرْهَا سِوَى الْآنَ
- يَا سَيِّدِي، قَالَ لِي:
- لَمْ يَعُدْ سَرًّا يَا بَارُوخَ، لَمْ يَعُدْ سَرًّا.
- انْفَعَلَ السَّيِّدُ يَوْسَى:
- وَهَلْ هَذِهِ مَعْلُومَاتٌ لَا تَتَذَكَّرُهَا إِلَّا الْآنَ؟!

امتنعَ وجه باروخ، وانكمشَ في مقعده. اختطفَ السيدُ يوسي سماعة هاتف مكتبه وطلبَ رقمَ مُختصر، وما أنْ أثارهُ صوتُ مُحدّثِهِ حتّى صرَخَ به:
لتتحركَ القواتُ الخاصّةُ بسرعةٍ إلى مبنى التحقيقات المُجاور لمطار بن غوريون، وإعطاء تعليماتٍ بالآيْدِ أو يخرج أيّ أحدٍ مهما كان، حتّى أصل إلى هُناكَ.
وأغلقَ السماعةَ ونظرَ لباروخ نظرةً يتطاير منها الشرر:
- أتَعلَم ما قد يحدث لك لو فاتَ الأوان، ولم نلحقَ ليان، اتلو كُلّ ما تحفظ من التوراة، كي نستطيع إيقاف ما ينوي فِعله.
قالها وهو يقفز من مقعده ويتجه للمبنى المنشود، وهو يجدُّ على أسنانه ويُسابق الزمن ليصلَ إلى هُناكَ.

الفصل السابع

توقفت سيارّة الدورية أمام مبنى التحقيقات الخاصّ بالموساد، وهبطَ منها ليان ومسعود، وتوجّها إلى البوابة الأمنية، وقامَ ليان بإخراج الهوية الأمنية وأشارَ بها للأمن المُحيط بالمبنى. - سيرن (نقيب) نوعام من شرطة الدورية الراكبة.

وأشارَ إلى مسعود، سيغن (ملازم أول) ديفيد سيورفن، تفحصَ الضابط التعليمات المرسلة على شاشة حاسوبه.

- نعم يا سيّدي، لدينا تعليمات ببياناتكما، بالسماح لكما بالإطلاع على كاميرات المراقبة الخاصة بالباحة الخارجية والطريق الرئيسي.

وأشارَ لهما تفضلاً معي، سارا خلفه بعدما قاما بتسليم الأسلحة الشخصية عندَ بواباتِ الأمن والفحص، وقادهُما إلى ممَرٍ طويلٍ وبنيّته الغُرف الخاصة بالمراقبة، وتركهما هناك، واستقبلهما هناك أحد الضباط المسؤولين عن المراقبة، سارَ معهما إلى رُكنٍ بإحدى الغُرف، وأشارَ لهما إلى الشاشات الخاصة بالمراقبة.

هنا الكاميرات الخاصة بالباحة الخارجية وأيضاً الطريق الرئيسي المجاور لسور مطار بن غوريون، أليست هذه المنطقة هي ما تبحثون عنه؟ أجابه ليان:

- أجل سيّدي.

أشارَ لهما بالجلوس وسألهما عن التوقيت الذي يُريدانه، قامَ ليان بإعطائه التوقيت وشرعَ في مراجعة التسجيلات الخاصة بالكاميرات، لكنّ عيناهُ كانت قد تجوّلتا في الشاشات الأخرى، تبحث عن شيءٍ مُختلف، أخذَ بتكوين خريطة للمكان بعقله عن طريقِ كاميرات المراقبة ووضعيتها واتجاهاتها، كما بحثَ بعينه عن الكاميرات الخاصة بغُرف الاحتجاز، حتّى عثرَ عليها، أخذَ يتفحصها بنظره ولكنّ المسافةَ بينهُ وبينَ الشاشة الخاصة بها بعيدة، فلم يدرك التفاصيل جيّداً.

أشارَ لمسعود إشارة ذات معنى، قامَ مسعود بالإشارة لزاوية عكسية لإحدى كاميرات مراقبة الطريق وقال:

- هنا، توقف هنا وأعد ذلك المشهد.

استغلَّ ليان تركيز الضابط المسئول، واقتربَ من الشاشة الخاصة بمراقبة غُرف الحجز وتفحصها بسرعة، أدركَ وجود ثلاث غُرف فقط بهم نُزلاء، والباقي عبارة عن غُرف فارغة،

عادَ مُسرَّعًا مرَّةً أُخرى، ووقفَ مكانه، وفجأةً تعالى دوي صافرات إنذار بالمكان، توترَ مسعود لكنَّ لِيان قد تمالكَ نفسه، وتعالى الصوت عبر جهاز الإرسال الخاص بالضابط المسئول بِغُرْفَةِ المراقبة بعدم خروج واحتجاز الضابطين الغربيين حتَّى إشعار آخر، التفت الضابط المسئول ينظر إليهما، فعاجله لِيان بضربةٍ براحةٍ يدهِ على مؤخرة رأسه، جعلته يصطدم بسطح المكتب ويرتدَّ فاقدًا الوعي، أشارَ لِيان لمسعود:

- هيا بنا، يبدو أنَّ أمرنا قد انكشف.

زاد توتر مسعود:

- وماذا سنفعل الآن؟

أشارَ له لِيان:

- فقط اتبعني.

قالها وهو يأخذ جهاز الإرسال الخاص بالضابط فاقد الوعي ويضعه في جانبه، ويتوجه إلى جهاز التحكم بكاميرات المراقبة ويعبث بأزرته سريعًا.

كانَ يبحث عن بعض النقاط الغير مكتملة للخريطة التي رسمها برأسه، وما أنَّ انتهى حتَّى أشارَ لمسعود :

- هيا بنا.

خرجا الاثنان من الغرفة إلى ممَرٍ طويلٍ مُقابل، سار لِيان وهو يُشير لمسعود باتِّباعه بنهاية الممر، انعطَف يسارًا حتَّى وصلَ إلى ساحةٍ واسعة بها ممراتٍ كثيرة، أشارَ لِيان لمسعود إشارة باتِّباعه، قطعها الساحة سريعًا وعند ممَرٍ مُعَيَّن انعطَف لِيان وخلفه مسعود.

وصلا إلى غُرِفِ الاحتجاز، لكنَّهما قد وجدا رَجُلانِ للأمنِ هُناك، توقفَ لِيان ووضعَ يدهُ أمامَ مسعود للتوقف، وأخذَ يدرس الموقف جيّدًا.

تفحصَ المكان وكاميرات المراقبة، وموضع رَجال الأمن، ووضعَ خطةً سريعة، وقامَ بالتنفيذ، قامَ بالركضَ باتجاههما وهو يصرخ:

- افتحوا أبوابَ غُرِفِ الاحتجاز سريعًا، يجب أن نُخرجَ المحتجزين، هُناك محاولة لتهريبهم. ساعده في هذا صوت صفارات الإنذار الذي يدوي بالمكان، أسرعَ أحد رجال الأمن بفتح باب غُرِفِ الاحتجاز الالكترونية، لكنَّ الآخرَ قد نظرَ لليان فجأة وقال:

- ولكنَّ مَنْ أنت؟

اقتربَ منه لِيان وهو يقول:

- نَحْنُ من رَجالِ شرطة التأمين، أتينا بُناءً على تعليماتٍ بنقلِ المُحتجزين إلى مكانٍ آخرٍ آمن. تردَّدَ الشرطي:

- ولماذا لم تأتيني أنا تعليمات بما تقول؟
كانَ ليان قد اقتربَ منه للحدِّ المطلوب:
- أعلمُ هذا.

قالها وهو يُعاجلهُ بلكمةٍ في فكِّه بيدهِ اليمنى كادَتْ أَنْ تُفقدَهُ نصفَ أسنانه، وتَبِعَها بأخرى بيدهِ اليسرى، دارَتْ لها عيناهُ في محجريهما، وقَبْلَ أَنْ يسقطَ أرضًا، قفزَ ليان المسافةَ بينهُ وبينَ الشرطي الآخر في قفزةٍ واحدةٍ كادَتْ تُناهِزُ الثلاثةَ أمتار، تجمَدَ الضابط من المفاجأة، لكنَّ ليان لم يُمهلهُ فرصة، قامَ بركلهِ بقدمهِ اليمنى في أحشائه، انثنى لها ألمًا، وأتبعها ليان بلكمةٍ بيدهِ اليسرى في فكِّه جعلتهُ يعتدل مرَّةً أخرى، ويسقطُ كقطعةٍ من الحجر أرضًا، ونظرَ تجاه مسعود فوجدهُ فاغرا فاه في ذهول، فأشارَ له:

- هيا يا مسعود لا يوجد وقت الآن.
أفاقَ مسعود، وقالَ له:

- كيف فعلتها بهذه السرعة؟
حتى أنا لم أفق من أثرِ الدهشة، لقد أجهزتَ على الشرطيين في أقلِّ من دقيقة، وقطعت مسافةَ ثلاثة أمتار في قفزةٍ واحدة!
أمسك ليان معصمِهِ:

- لا وقت للدهشة الآن يا مسعود هيا.

قالها وهو يتفحص العُرفَ التي بها مُحْتَجِزين، وبالفعلِ كانتِ العُرفةُ الثانية بها الشيخ دياب، دخلا العُرفة، كان الشيخ دياب مُلقى على الفِراشِ مُنْهَكًا من أثرِ الاستجوابات والضغط والتعذيب.

اقتربا منه وقامَ ليان بإفاقته، فتحَ عينيه ببطءٍ ونظرَ لهما طويلًا غير قادر على استيعاب وجودهما أمامه، حدَّثهُ ليان:

- شيخ دياب، هل أنت بخير؟
أجابه الشيخ دياب:

(ليان)؟؟؟!!

كيف هذا؟

وما الذي أتى بكما إلى هنا؟

أكملَ ليان حديثه:

- لا وقتَ لدينا يا شيخنا، لا وقتَ لدينا، هيا بنا لقد جئنا لإخراجك.

قالها وهو يُساعدُهُ على الاعتدال في مكانه، وساعدهُ على النهوض، ونظرَ مسعود لليان:

- والان ماذا؟

نظر ليان لساعة يده وقال:

- أمامنا دقيقة واحدة، ويأتي دور الرَجُلَيْنِ خارجًا لبدء عملهما فلنُسرع إِذًا.
كَانَ قد خرجَ وأحضرَ معطًفًا من أَحَدِ الشَّرْطِيَّينِ اللّذينِ قد فقدانِ الوعي، وقُبَّعة رأسه،
وساعدَ الشيخَ ديابَ حتّى ارتداهما وخرجوا من غُرْفَةِ الاحتجاز، وساروا طبقًا للخريطة التي
رسمها بعقله، سأله مسعود:

- إلى أين؟

وما أَنُ نطقها حتّى دوى انفجار متوسط القوى، انقطعت الإضاءة على إثره.

أجابه ليان:

- لقد نجحنا في قطع خطِّ الكهرباء الرئيسي المُغذّي للمبنى.

هيّا أمامنا أقل من دقيقتين فقط، قَبْلَ أَنُ يعمل المُولّد الاحتياطي وتعود الإضاءة،
وأخرجَ كَشَاف الطوارئ الخاص بالضابط الذي يرتدى زيّه، أشعله وأخذَ يسير في الطرقات،
وكأنّه يحفظ المكان عن ظهِر قلب، وهو يُمسك الشيخَ ديابَ من جهة اليسار ومن الجهة
الأخرى مسعود، وتوقف أمام غرفة مغلقة، وأسرعَ إلى وَجِدَة إطفاء للطوارئ بالحائط، وكسرَ
الزجاج الخاص بها، وأخرجَ بلطة مُخصّصة لكسر الأبواب في حالة الحرائق، وقامَ بضرب باب
الغرفة مرتين بمنتهى القوة حتّى نجحَ في كسره، وما أَنُ فعلَ حتّى تعالَى هدير مُحرك المُولّد
الكهربائي من داخل الغرفة التي قامَ بتعطيم بابها، وعادت الإضاءة مُجددًا للمكان، ابتسمَ
بتهمكٍ وقالَ لنفسه:

- توفيت مُمتاز.

ودلّف الغرفة مُسرّعًا وبيده البلطة، وقامَ بإمساكها بالمقلوب، وقامَ بضرب يدها المعدنية
القوية بين ثنايا المروحة الخاصة بالمُولّد، وتوقف هدير المُحرك بمنتهى العُنف وتعالَى صوت
يشبه الزمجرة، وشرر كهربائي في كُلِّ مكان، أسرعَ خارجًا وأمسكَ مرّةً أخرى بالشيخَ ديابَ
وهتفَ هيّا بنا، قَبْلَ أَنُ ينفجر المُحرك الخاص بالمُولّد الكهربائي، كانتُ الإضاءة تتراقص في
المكان بالكامل، وهو يسير طبقًا للخريطة التي رسمها بعقله من قبل، وفجأة تعالَى صوت
انفجار وانقطعت الإضاءة مرّةً أخرى، أدركَ أنّه المُولّد كَانَ قد انفجر، حسّهم على الإسراع،
وفجأة تعالَى صوت أقدام كثيرة تتحرك في كُلِّ اتجاه، وتأتي من كُلِّ صوب، كَانَ الصوت لأقدام
يُدرِكُ كنهها جيّدًا، أقدام عسكريّة، توقّف للإنصات، وتعالَى وقع الأقدام، ومعه تعالَتْ دَقَات
قلوبهم.

الفصل الثامن

توقفت السيّارة الضخمة السوداء بحركة مفاجأة، أمام مبنى التحقيقات وفتحت أبوابها وهبط منها الحُرّاس الشخصيين، وتفحصوا المكان جيّداً، وقامَ أحدهم بفتح الباب الخلفي الأيمن، هبط السيّد يوسي من السيّارة، وتوقف يفحص المبنى والوضع ككلّ من الخارج، وأشار لأحد الحُرّاس.

- أحضر مُدير أمن المبنى حالاً، أريدُ أن أفهم ماذا يحدث هنا؟
الآن، سريعاً.

تحركَ الحارس سريعاً وبعدَ دقيقتين بالضبط كانَ مُدير أمن المبنى قد أتى مُهرولاً للسيّد يوسي، ويُلقِي عليه التحيّة العسكرية، صاحَ بهِ يوسي:

- ماذا يحدث هنا أيُّها الضابط؟

تلعثمَ مُدير الأمن، وأجاب:

- يبدو أنّها حالة طوارئ يا سيّدي، يوجد بالمبنى أناسٌ مجهولون، وآخرون يُساعدونهم خارجاً.

انفعل السيّد يوسي عليه وكاد أن يفتك به، لكنّه تمالك أعصابه:

- أيّ وضع هذا وأيّة معلومات تتحدّث عنها؟ أعطني معلومات دقيقة أيُّها الضابط.

- لقد حدثَ كلُّ شيءٍ سريعاً يا سيّدي، وحتى الآن لم نتبيّن حقيقة ما حدثَ بالفعل، ولكنّ تعرّضنا لتخريب خارجي، حيثُ تمّ قطع الكابل الكهربائي الرئيسي المُغذّي للمبنى بالكامل، وبعدها بدقائق تمّ نسف المُولّد الاحتياطي مُجبرّد أن بدأ العمل، وبالتالي توقفت كل اجهزة الرصد وكاميرات المراقبة بالكامل، ونعتمد الآن على تحرك قواتنا التي بدأت الانتشار في هذه اللحظة، وتحركوا في ستّة مجموعاتٍ تعمل في آنٍ واحد، أربعة من الأربع جهات الرئيسيّة، يُحيطون بالمبنى ومن الخارج إلى الداخل، وواحدة تُحاوط المبنى بالكامل من الخارج، لمنع وصول إمدادات أو مُساعدات من الخارج للمُخربين بالداخل، أو منع خروجهم على الأقل أحياء، والمجموعة السادسة تُمُشط المنطقة المُحيطة بالكامل الآن يا سيّدي تبحث عن الشركاء، أو وسائل المُساعدة الخارجيّة.

أنصت السيّد يوسي للكلام مُدير أمن المبنى، وجذّ على أسنانه قائلاً:

- إيّاك أن يُفلتوا منك ومن رجالك، فتكون نهايتك على يدي، وأخبر رجالك أريدُهم أحياء، كي أنتزع أحشائهم بيدي، وخاصّة الخائن ليان.. أريدُه لي أنا، لي لوحدي.

قالها وأعطى إشارة لأحد حُرَّاسِهِ الذي سارعَ وأخرجَ جهازَ لاسلكي من حزامه، وأعطى تعليماتٍ سريعة، وعادَ مرةً أخرى للسيدِ يوسي.

حسنًا يا سيدي، القوات الخاصة في طريقها إلى هنا، ومعها كُلُّ التعليمات والبيانات، كما تمَّ تطويق المنطقة بالكامل في دائرةٍ قُطرها اثني كيلو متر، وفرض سياج أمني كامل، ولا يسمح بدخوله أو الخروج منه لأَيِّ سببٍ كان، وقطع كُلُّ وسائل الاتصال عنها سواء سلكية أو لاسلكية عن طريق سيارات التشويش، وتمَّ نقل كُلِّ الترددات الخاصة بقواتنا على ترددات آمنة، لا تقطعها سيارات التشويش، وأيضًا تمَّ التشفير والتميز ببناءً على معادلاتٍ مُتغيرةٍ كُلِّ أربع دقائق، ممَّا لا يسمح بتتبعها أو كسر ترميزها.

- حسنًا، حسنًا.

نطقها السيد يوسي، وهو يزفر في ارتياح. أخيرًا قد أُطبقَ يدهُ على ليان ومَن معه، فمن المستحيل أن يُفْلِتَ أيُّ إنسان من مثل هذه الاحتياطات، مهما كانت قُدراته أو شجاعته. قالها في قرارة نفسه وهو يبتسم، واتسعت ابتسامته.

توقَّف ليان ينصت لصوت الأقدام والتحركات، فجأة سألهُ مسعود:

- ما هذا؟

أكل هذه قوات؟

أشارَ له ليان بالتوقف عن الحديث، كي يُنصتَ جيّدًا، وظلَّ هكذا لأكثر من ثلاث دقائق، وأخيرًا أشارَ لمسعود والشيخ دياب:

- يبدو أن الخطّة سوف تتبدّل، فقد استعانوا بقواتٍ خاصة على ما أعتقد، وتبيّنت من صوت الخطوات أنهم أربعة فرق على الأقل، تُحاوِلُ المبني من كُلِّ اتجاه، وتضييق الحصار حيثُ أنها تتحرّك من الخارج إلى الداخل، لتُحيطَ بنا من كُلِّ صوبٍ واتجاه. توترت عضلات وجه مسعود:

- وماذا نحنُ فاعلون؟

- لا تقلق لقد توقّعتُ هذا ووضعتُ خُطّةً بديلة.

قالها وأشارَ لهما بتغيّر الاتجاه واتباعه، ودخلَ أوّلُ عُرفة على يمينه ومن خلفه مسعود والشيخ دياب، وأغلقَ الباب خلفهم من الداخل جيّدًا، وأخذَ يتفحص العُرفة بالكامل حتّى عثرَ على مُبتغاه، تقدّمَ من مَقعدٍ مكتب كبيرٍ نسبيًا، وحمله وتحرّك به لركنٍ في العُرفة، ووقفَ أعلاه حتّى وصل إلى إحدى منافذ التهوية وتجديد الهواء بالمبنى، وأخذَ يُعالج ريتاجها حتّى نجحَ في فتحها، وبرشاقةٍ قُطَّ قفَزَ داخلها واعتدلَ ليواجه مسعود والشيخ دياب. مدَّ يدهُ لهما وقال:

هيا يا شيخ دياب، ساعِدهُ يا مسعود ليُمسِكَ بساعدي.

تقدّم مسعود وحمل الشيخ دياب، وتعلّق الأخير بساعد ليان القوي، فقامَ بسحبهِ حتّى استطاعَ أنْ يَدْخلَهُ إلى فُتْحَةِ التهوية، وساعدَ مسعود حتّى دخلَ هو الآخر.

كانتْ أنابيب التهوية واسعة، تكفى ليتحرّك فيها إنسان بالغ، متوسط الحجم بكُلّ سلاسة وأريحية، وبعدَ أنْ عبَرَ الشيخ دياب ومسعود، مدَّ ليان يدهُ وأغلقَ الباب الخاصَ بمنفذ التهوية من خلفهم، كي لا يثير الشكوك لو تركهُ مفتوحًا.

تركاهُ يعبر أمامهما، وتقدّمهما، وهو يعتصر ذهنه ليتذكّر خريطة المبنى التي رسمها بعقله، في غُرفة كاميرات المراقبة، ويُحاول أنْ يتوقع اتجاه وشكل شبكة أنفاق التهوية، وأخيرًا أشارَ لهما بالتحركِ بهدوءٍ واتباعه، وبالفعلِ سار الثلاثة مُتتاليين، وهو يتقدّمهم حتّى أشارَ لهما بالتوقف، ووضعَ أذنه على أرضية أبواب التهوية، وأخذَ يسمع ويرهف سمعه، وتقدّم منهم برأسه، وتحذّر بهدوءٍ:

- طِبَقًا لحساباتي إننا الآن أعلى غرفة الخدمات الرئيسيّة، وأعتقد أننا قد تخطينا الفرقة التي تتقدّم من جهة الغربِ من فوقِ رؤوسهم، انتظروا هنا قليلًا وسوفَ أحوّلُ أنْ أفتحَ فُتْحَةَ التهوية الخاصّة بالغُرفة التي نَحْنُ فوقها، وعندما أنجح في هذا سآتي لنُكمّل طريقنا.

هزًا رأسيهما بالموافقة، تركهما وتحركَ بخفّةٍ حتّى وصلَ إلى الشبّاك الخاصَ بفُتْحَةِ التهوية، وقامَ بمعالجة رتاجه، واستغرقَ الأمرُ منه حوالي عشر دقائق، وأخيرًا نجحَ في فتحهِ، فتحَ الشبّاك بحذرٍ وقامَ بمدَّ عُنقه ينظر ويتفحص الغُرفة جيّدًا، وما أنْ اطمئنَّ أنّها فارغة، حتّى عادَ مرّةً أخرى، وأشارَ للشيخ دياب ومسعود باتباعه، وبخفّةٍ فهدٍ هبطَ من فُتْحَةِ التهوية إلى الأرض دونَ أنْ يصدر منه أدنى صوت.

أشارَ لمسعود أنْ يُساعدَ الشيخ دياب، وهو سوفَ ينتظرهُ أسفل الفُتْحَةِ، وبالفعلِ أمسك مسعود به وتدلّى جسد الشيخ دياب، حتّى استطاعَ ليان إمساكه، وقامَ مسعود بالنزول هو الآخر، وما أنْ هبطَ الثلاثة على الأرض، أشارَ لهما ليان بالصمتِ والسكون، وتقدّمَ من باب الغُرفة وفتحهُ بحذر، وأخذَ يختلس النظر للخارج، وما أنْ اطمئنَّ أنّ الطريق آمنَ نسبيًا، حتّى أشارَ لهما وفتحَ الباب وتحركَ ثلاثتهم في الاتجاه الذي خطّطَ له ليان، وما أنْ عبَرَ إلى الممر الطويل الرابط بينَ غُرف الخدمات الخاصّة بالمبنى، حتّى سمع من خلفهم، صوت صيحة تُشير لهم بالتوقف في أماكنهم، التفّت ليان سريعًا كأنْ أحد رجال أمن المبنى يحمل سلاحه ويوجهُ لهم، ويحذّرهم من التحركِ في أيّ اتجاه!

تجمّد ثلاثتهم من هول الصدمة والمفاجأة، وسقطتْ قلوبهم بينَ أرجلهم.. لقد قَسَلُوا وسقطوا بالفعل!!!

الفصل التاسع

وقف ضابط أمن المبنى أمام السيد يوسي وأدى التحية العسكرية، نظر له السيد يوسي وقال:

- هات ما عندك.

تكلم ضابط أمن المبنى:

- لقد نجحت القوات في حصار المبنى من الخارج بالكامل، وأربعة فرق كاملة تعمل على تفتيش المبنى من الداخل الآن، كما تم استدعاء سيارة مؤلدة كهرباء للطوارئ، وهي في طريقها الآن، كي نستطيع تشغيل المجسات والحساسات والإنذار وكذا كاميرات المراقبة.

- هل هذا كل ما عندك؟

قالها السيد يوسي بنفاذ صبر، تلعثم مدير أمن المبنى:

- أجل سيدي، أجل حتى الآن.

- وهل عثرت على المساعدين للمخربين؟

نقوم بتمشيط المنطقة بالكامل يا سيدي، وأصبحت مسألة وقت فقط، ويسقطوا في أيدينا.

أشار له السيد يوسي:

- حسنًا انصرف الآن، ولا تعود لي إلا بخبر القبض على المخربين والمتسللين.

انصرف مدير أمن المبنى مُسرعًا من وجه السيد يوسي، واعتدل السيد يوسي في مجلسه بسيارة العمليات التي كانوا قد أحضروها له خصيصًا لمُتابعة العملية عن كثب، وتناول جهاز اللاسلكي، وبدأ بإعطاء تعليمات بتوفير مزيد من جنود العمليات الخاصة في الجهة المُقابلة للمبنى، بداخل مطار بن غوريون، وهذا على سبيل زيادة الأمان، خوفًا من أن يكون المخربين في أي نقطة هناك، وبالفعل بدأ تنفيذ أوامره، ما أن انتهى من إلقاء أوامره حتى ترك جهاز اللاسلكي.

سرح مُخيلته يدرس الوضع بالكامل.

- حسنًا يا ليان، لرى كيف ستفعل هذه المرة؟ قالها وابتسم حتى بدت نواجذه.

لو قاموا بسؤال مسعود والشيخ دياب عما حدث وقتها لما استطاعا الرد أبدًا، لقد حدث كل شيء في أقل من ثانية واحدة، لم يستطع أحد شرح ما حدث فعليًا.

كانوا يعبرون الممر بين الغرف التي هبطوا من فتحة التهوية الخاصة بها وبين غرف الخدمات الخاصة بالمبنى، حتى باغتهم رجل الأمن وهو يُشهر سلاحه في وجوههم، وفجأة حدث ما

حدث، ارتطمت منفضة خاصّة بالتبغ بوجه ضابط الأمن، وقبل أن تصل للأرض أو حتّى يتأوه رجل الأمن، أو يفيق من صدمة ارتطامها بوجهه، كان ليان يقفز المسافة الفاصلة بينه وبين رجل الأمن بقفزة أقل ما يُقال عنها أنّها مُستحيلة، قفز مسافة تربو من الثلاثة أمتار أو أكثر قليلاً في قفزة واحدة، وقبل أن تلامس قدماه الأرض عاجل رجل الأمن بلكمة في وجهه، أكملت ما بدأت المنفضة التي كان قد قذفها في وجهه مُسبقاً، فسقط دون حراك أو تأوه.

نظرا بإندهاش لما حدث بأفواه فاعرة من الدهشة!
أفاقا على نداء ليان لهما بالتحرك السريع، أسرع الثلاثة بالتحرك إلى إحدى الغرف، كان ليان قد اتخذ طريقه إليها، كان يسير وكأنه يحفظ المكان عن ظهر قلب، وما أن وصلا إلى الغرفة المنشودة حتّى تحرك ليان وأشار لمسعود أن يُساعده، فأجلس مسعود الشيخ دياب على الأرض في إحدى أركان الغرفة، وتوجه لمُساعدة ليان فيما ينوي.
قام الاثنان معاً برفع إحدى أغطية الأرض التي تؤدي إلى شبكة المجاريير الخاصة بالمبنى، وقاما برفع الغطاء الثقيل، نظر مسعود بإندهاش لليان وسأله:

- أتى لك بكل هذه التفاصيل؟

أجابه ليان بأنّه عندما علّم بموقع الشيخ دياب وأنه بهذا المبنى، حصل على تصميمات للمبنى من الخادم الرئيس للموساد، ضمن الملفات التي كان يبحث عنها، لا يعلم لماذا، لكن شعوراً بالأهمية هو من دفعه لِفعل ما فعل.

وقد صدق حدسه، واحتاجها بالفعل، سأله مسعود مرّة أخرى:

- وأين سنذهب بعد أن ندخل شبكة المجاريير؟

أجابه ليان:

- هذه الشبكة مربوطة بالشبكة الرئيسيّة للصرف الصحيّ بكامل هذه المنطقة، أيضاً مربوطة بشبكة المجاريير الخاصة بمطار بن غوريون وهو وجهتنا.

نظر له مسعود بذهول وكاد أن يصرخ من الدهشة:

- ماذا؟

مطار بن غوريون؟

وهل نهرب من كل رجال الأمن هنا إلى أكثر المنشآت المؤمنة في تل أبيب أو قل إسرائيل بالكامل؟!

و كأننا نستجير من الرمداء بالنار!

ضحك ليان وأجابه:

- لن يتوقعوا هذا يا صديقي، وهو في صالحنا، لن يتوقع أحد أبدًا أننا قد ندخل إلى أكثر المؤسسات أمانًا في إسرائيل، وهذا هو المنشود.
نظرَ له مسعود قليلاً وبدا عليه الاقتناع:
- وما هي خُطَّتكَ بعد ذلك؟
أجابه ليان:

- اترك كُلَّ شيءٍ لحينه يا صديقي، هيّا بنا الآن لنُساعد الشيخ دياب بالهبوط، ونهبط نحنُ أيضًا قبلَ أن تأتي القوات إلى هنا.
هبطَ ليان إلى أسفلٍ برشاقةٍ قطُ وساعدَ مسعود الشيخ دياب في النزول، وقامَ ليان بإمساكه حتّى لا يسقط، ومن بعده هبطَ مسعود وقامَ الاثنان معًا من أسفلٍ بإعادةِ الغطاء قدر المستطاع إلى مكانه، وقد نصحا بالفعل، لم يَكُنْ مُحكمًا كما كانَ في البداية، ولكنّه لن يُثِيرَ الريبة على الأقل، وأغلقَ ليان وأخرجَ هاتفه النقال وقامَ بتشغيل تطبيق البوصلة، وحدّد الاتجاه وساروا معًا.

ظلّوا سائرينَ لمدة ثُناهِ العُشرون دقيقة، أشارَ لهما ليان بالتوقف، وأخرجَ هاتفه مرّةً أخرى وقامَ بمُراجعة الاتجاهات، واقتربَ من أحد أغطية المجاريير التي تعلوه، وكانَ يرى من خلالها ضوء القمر يتسلل من بين خصاصها. قامَ بتشغيل مُحدّد الموقع الخاص بجوجل، حتّى ظهرت له خريطة كاملة للسطح الخارجي، وظهرت نقطة تُشير لمكانهم، راجعَ مكانه على الخريطة، وأشارَ لهما بالسير معه في اتجاه الشمال الغربي.

سارا خلفه لخمس دقائق وتوقفوا أسفل إحدى أغطية المجاريير، صعدَ ليان قبلهم للسلم الخاص بالفتحة، وأخرجَ هاتفه من بين خصاص الغطاء جاعلاً الكاميرا الخاصة به تعمل في وضع التسجيل، وأدارَ الهاتف ٣٦٠ درجة كاملة، وأنزلَ الهاتف وأعادَ تشغيل ما قد تمّ تسجيله، وابتسمَ وأشارَ لهما بالصعود، وقامَ برفع الغطاء بحذرٍ وهدوء، وصعد هو أوّلًا وتفحصَ ما حوله، ثُمَّ مدّ يده يُساعد الشيخ دياب، وأجلسه أرضًا، ومدّ يده يُساعد مسعود وما أنْ صعدَ مسعود حتّى أعادَ الغطاء كما كان.

أخرجَ ليان الهاتف مرّةً أخرى وقامَ بإرسال إحداثيات موقعه الجغرافي في رسالة، سأله مسعود:

- ماذا الآن؟

أجابه ليان:

- انتظر وسوف ترى.

لم يكمل عبارته حتى لاحت من بعيد أضواء سيارة كبيرة تقترب من مكانهم، وما أن اقتربت حتى ظهرت ملامحها، كانت سيارة إسعاف بشكلها المميز، كان يقودها زياد ومعهُ أحد رجاله، وهبطا منها وارتميا على الشيخ دياب، وقبل أن يمتدوا ورأسه، فأشار لهما ليان بأنه لا وقت لهذا الآن، يجب أن يخرجوا سريعاً من هنا، وبالفعل وضعوا الشيخ دياب بالسيارة، وقام مسعود وليان بتغيير ملابس الشرطة التي يرتديانها بملابس خاصة بالمُسعفين، كانت موجودة بالسيارة، ونظر ليان لساعته والتفت لزياد.

أوماً له زياد بإشارة برأسه، وما هي إلا دقيقة بالضبط حتى تعالى صوت انفجار قوي، هز المنطقة بالكامل.

الفصل العاشر

اهتزّت السيّارة التي يجلس بها السيّد يوسي، والتي اتخذها مقرّاً لمتابعة الموقف حول المبنى التابع للموساد من أثر الانفجار، هبطاً من السيّارة ونظرَ تجاه الانفجار.

كانَ التفجير خلف الأسوار الخارجيّة لمطار بن غوريون، صرّخ السيّد يوسي على مُساعده، أتاهُ مُهرولاً:

- ماذا حدث، ما هذا الانفجار؟

تلعثم مُساعده وأجاب:

- يبدو أنّه إحدى محوّلات الكهربيّاء الخاصّة بالمطار يا سيّدي.. لقد انفجر.

- وما السبب؟

نطقها السيّد يوسي، ازدردَ مُساعده لُعباه:

- لم نتأكد بعدُ يا سيّدي، لم تصلنا أيّة معلومات مؤكدة من رجال الأمن بالمطار، لقد تحرّكوا بالفعل تجاه الانفجار الآن، ونَحْنُ في انتظار المعلومات منهم.

نظرَ لَهُ يوسي بغضب:

- اتصل بمدير أمن المطار الآن، أريدُ كُلّ المعلومات الآن.

انصرفَ مُساعده لتنفيذِ مطلبه، ووقفَ هو ينظر تجاه ألسنة اللهب والأدخنة التي تتعالى من خلف الاسوار، وظلَّ يفكر:

- أشعرُ أنّ لك دخلٌ فيما حَدَثَ يا ليان، ولو صَحَّ هذا، أعدك أنّ أضعك بالسجنِ بيدي، وسأحرص على ألاّ تخرج منه أبداً.

قالها وهو يضرب بيده على السيّارة التي كانَ بها، وأخذَ يصرخ.. أبداً.

أشارَ ليان لزياد ومسعود بالانتظارِ حتّى سَمِعَ دوي سيارات الإسعاف والإطفاء وهي تُهرول باتجاه محوّل الكهربيّاء المشتعل، وما أنّ وصلوا حتّى أشارَ لزياد بالتحرك، وبالفعل انطلق زياد باتجاه الحريق، وهو يُطلق البوق الخاصّ المُميّز لسيّارات الإسعاف، وما أنّ اقتربَ منهم حتّى انحرَفَ في اتجاه الخروج من المطار مُسرّعاً، وما أنّ اقتربَ من البوابة الأمنيّة للمطار حتّى اقتربَ منه مستوول الأمن وسأله:

- ماذا هناك؟

أجابهُ زياد بعبريّة لا ريبَ فيها:

- معي مُصاب واحد، يبدو أَنَّهُ أحدُ عُمالِ صيانةِ المُحوّلات، وقد انفجَرَ المُحوّلُ الكهربائيُّ بوجهه، وأنا في طريقي بهِ للمُستشفى العامِّ، هيا أَفْصَحْ لنا الطريق.

وبالفعلِ أشارَ مُستوول الأمن، قاموا بفتحِ البوابةِ وخرجتُ سيّارةَ الإسعافِ مُسرعةً، وما أَنُ ابتعدوا مسافةَ أمانةٍ حتّى توقّفوا جانبًا؛ حيثُ كانتُ توجدُ سيّارةُ أُخرى بانتظارهم، هبطوا جميعًا وساعدوا الشيخَ دياب، وركبوا السيّارةَ الأُخرى وانطلقتُ بهم، وما أَنُ وصلتُ السيّارةَ على مشارفِ تلّ أبيب، وفي إحدى الطُرُق السريعةِ أشارَ ليان لمُساعد بالتوقّفِ جانبًا وهبطَ من السيّارة، ومدَّ يدهُ مُصافِحًا الشيخَ دياب وقالَ لَهُ:

- الوداع يا شيخَ دياب.. شَرَفْتُ بلقائك.

أَمَسَكَ الشيخَ ديابَ بيدهِ وضغَطَ عليها:

- إلى أينَ يا بُني، إلى أينَ تذهب؟

تعالى معي يا بُني، لن أتركك، أعتقد أَنَّهُ لم يَعدْ لك مكانًا هُنا.

ربّتَ ليان على يدِ الشيخَ دياب:

- بالفعل يا شيخنا، بالفعل لم يَعدْ لي مكان هُنا، وخاصّةً بعدما بدأتُ أعلّمُ أصولي وأصلَ أبي، ولكن يجب أن أنهي بعضَ الأشياءِ أوّلاً وبعدها أبدأ رحلتي الخاصّةَ للوصولِ إلى أبي وأهلي، وبالنسبةِ لك لقد قُمتُ بتحديدِ كُلِّ شيءٍ لزياد ومساعد، سوفَ تخرجونَ الآنَ إلى منطقةَ رأسِ الناقورة الساحليّة، ومن هُناكَ سوفَ تقومُ رجاله المقاومه الفلسطينيّة التي تواصل معهم مساعد بإخراجك بحرًا إلى مدينةِ الناقورة اللبنانيّة في الحزامِ الأزرقِ اللبناني، ومن هُناكَ يتولّونَ سفركَ إلى مصر؛ لتلتقي بآبنتك زينة، أنتَ أيضًا لم يَعدْ لك مكان هُنا.

تأثّرَ الشيخَ دياب، وسقطتُ عبرة من عينيه:

- أعلّمُ يا ولدي، ولم أَكن أريدُ هذا، كُنْتُ أَفْضَلُ أن أموتَ هُنا وأقبرُ بينَ تُرابِ وطني، فكما عشتُ مُحاربًا من أجله.. هو أحقُّ بجسدي بعدَ موتي.

ربّتَ ليان على كتفه:

- أنتَ رمزٌ للمقاومةِ وشعبك يا شيخَ دياب، ونجاحك في الهربِ والحفاظ على حياتك، يرفع من الرّوح المعنويّة لرجالك، ويثبتُ فيهم رُوح القتال، وينجح في زرع رسالة أَنّ ما تُروّجُ لَهُ إسرائيل بخصوص نظامها الأمني الذي لا يُخترق ما هو إلّا محض كذب وادّعاءات.

ابتسمَ الشيخَ دياب واعتدلَ وقامَ ليُعانقَ ليان:

- عِدني يا بُني برويتك عمّا قريب.

- مَنْ يدري يا شيخنا، مَنْ يدري؟

- نظرَ له الشيخ دياب في عَيْنِهِ:
- قلبي يُحدِّثني أنني سوف أراك مرةً أخرى، ولكن ليس هُنا، وقلبي لا يُخطئ يا ولدي، صدَّقني.
سقطتْ عَبرة من عين ليان تأثراً برُدِّ فعل الشيخ دياب، ترك ليان الشيخ دياب، وهَمَّ بالانصرافِ حتَّى أوقفهُ مسعود ومدَّ إليه يده قائلاً:
- هكذا بدون حتَّى أن نتصافح.
نظرَ ليان ليد مسعود الممدودة، ومدَّ يده وتصافحا وتعانقا، حدَّثهُ مسعود قائلاً:
- لقد شَرَفْتُ بالعملِ معَكَ يا صديقي.
ابتسمَ له ليان:
- الشرفُ لي أنا يا صديقي.
وهَمَّ بالانصرافِ.
- تذكرُ أنَّ لكَ أخاً هُنا.
نطقها مسعود وتابع:
- متى أردتُه هو في انتظاركَ.
التفتَ إليه ليان:
- أعلمُ يا صديقي، ومَن يدري، لعلَّ اللقاء قريب.
قالها وسار مُبتعداً حتَّى توارى خلف إحدى التُّباب الرملية المحيطة بالطريق، وتساقطتْ عبراته وهو يقول:
- مَن يدري يا صديقي.. مَن يدري!

الجدور



الفصل الأول

وقف جندي الحراسة مُتمللاً ونظرَ لصديقه الذي معه في الخدمة، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

- ما أطول ليالي الشتاء؟!

لياليها مُملّة طويلة ليسَ بها أيُّ أحداثٍ أو أنشطة نقوم بها، فهي نَحْنُ ذا نقف يومياً طوال فترة خدمتنا هنا حتّى كادت عِظامنا تتيبّس من البرد القارس وقلة الحركة.

ضحك زميله وهو يُشعل سيجارة ويتنفس دُخانها مُحاولاً أن يجعلها تدبّ الدفء في أوصاله.

- اهدأ يا (أفرايم) إنّه قدرنا، ولكنْ أصدقك القول أننا في نعيمٍ بالنسبة لزملائنا في الخدمات الأخرى، فنحنُ نتدبر من قلة الحركة والهدوء بموقعنا هذا، وغيرنا يعاني من هجمات هؤلاء المخربين الفلسطينيين على المواقع التي يحرسونها.

تطلّع له زميله وقال مُحنداً:

- ومن هذا المأفون الذي يُفكر بالاقتراب من هذا المنزل بحراسته هذه، يكفي فقط ذكر

اسم صاحبه حتّى يدبّ الرعب في قلب أشدّ الرّجال قوة!

هزّ زميله رأسه مُوافقاً:

- معك حقّ فالسيد (موشى) كما قد سمعتُ عنه أسطورة في عالم المخابرات، ويُقال أنّه قد

كانَ من أشرس العُملاء الخارجيّين في مهامهم قبل أن يتقدّم بالعمر ويُمسك منصب رفيع المستوى بالموساد.

قالها وصمتَ فترة ثُمَّ أشارَ لزميله بأنّه سيقوم بجولة حول السور الشرقي للمنزل بغرض

الاستطلاع وكذا ليُحرّك قدميه قليلاً، أنهى حديثه وتحرك نحو السور الشرقي.

ظلّ سائراً حتّى توارى عن الأنظار قليلاً ونظر يميناً ويساراً كي يتأكد أن لا أحد يراه، وأخرجَ

هاتفه محمول من سُترته العسكرية، وقامَ بتصفح الرسائل الواردة على ذلك التطبيق الشهير

للمراسلة، واتسعت ابتسامته؛ إذ عثرَ على غايته وهي رسائل صديقه.

- ألم يُخبروك بعدم استخدام الهاتف النقال أثناء الخدمة؟

التفت للخلف بسرعة إثر سماعه هذه الجملة، ولم يُهله القدر، فقد شعر بقنبلة تنفجر في

فكّه وتلتها قبضة مفرودة تضرب عنقه من الجانب، فمادت به الدنيا وسقط أرضاً دونَ

حراك ولم يصدر منه أي صوت.

تحركَ (ليان) مُسرّعاً وقامَ بسحبِ الجسد المُسجى أرضاً وتوارى به خلف إحدى أكشاك

الحراسة المنتشرة حول المنزل، وبسرعة ارتدى معطفه العسكري وقبّعتِه وأرخاها على وجهه؛

ليُخفي أكبر قدر من ملامحه، وأخذَ سلاحه الشخصي ووضعه في حزامه، ثُمَّ قامَ بإحكام وثاقه جيّدًا ووضعه بداخل كشك الحراسة، وقامَ بإغلاق فمه كي لا يصيح عندَ استعاد وعيه. تحرّكَ بخفّة سائرًا موازيًا لسور المنزل حتّى اقتربَ من منطقة مُظلمة بعض الشيء، فنظرَ حوله مُتلفتًا ليطمئن أن لم يره أحد، وحينما تأكد قفزَ برشاقة وأمسكَ بطرفِ السور وساعدته عضلاته المفتولة وجسده الرشيق على هذا الفعل بسهولة.

قفزَ داخل حديقة المنزل واستقرَّ أسفل إحدى الأشجار، أخذَ يتفحص المنزل من مكانه ليدرس الموقف جيّدًا.

سرحَ قليلًا في الأحداث الماضية، تذكرَ كُل ما مرَّ به خلال الخمسة أيّام الأخيرة، ابتسمَ برُكنٍ فيه بسُخريّة، فلم يكن يحلم أو يتخيّل في أبشع كوابيسه أن يحدث كُل هذا فتقلب حياته رأسًا على عقب هكذا.

تذكّرَ البداية ولقائه الأول ب (زينة) و(الشيخ دياب) ونجاحه في تهريبها إلى مصر، وما حدّث للشيخ (دياب) من إعتقالٍ وكيفية نجاحه هو و(مسعود) و(زياد) في تهريبه من سجنه بخطة مُحكمة، بل وإخراجه خارج إسرائيل كُلّها. تواصلَ بعدها مع مسعود واطمئنَّ أن الشيخ (دياب) في طريقه إلى مصر للقاء ابنته (زينة)، توقف طويلاً حينما تذكّرها، وتذكّر ملامحها،

نفضَ تلك الذكريات عن عقله وانبته جيّدًا

لحديقة الفيلا، وأخذ يفحصها ويدرس تحرّكاته التي يُخطّط لها، ظلَّ بمكانه لعشر دقائق كاملة أسفل إحدى الأشجار المتوسطة وارفة الأغصان، ثُمَّ تسلَّلَ برشاقة فهدٍ صيّاد حتّى وصلَ إلى الجدار الغربي للفيلا.

اقتربَ بهدوءٍ من إحدى النوافذ الجانبية المفتوحة؛ ليتسلَّلَ ضوء خافت من بين خصائصها. رفعَ ذراعيه وتعلّقَ بها وبخفّة رفعَ جسده وتعلّقَ بالإطار الخارجي للنافذة، وفتحها قليلًا كي يتمكن رؤية الفيلا من الداخل، وما أن اطمأنَّ لعدم وجود أحد، قفزَ للداخل دون أن يُصدر صوتًا، وساعده فيما فعل الحذاء الرياضي الخفيف الذي ينتعله.

هبطَ على أرضية الفيلا فتوارى خلف إحدى المقاعد العملاقة التي يزخر بها بهوها الرئيسي، تفحصَ البهو جيّدًا ووجدَ ضالته في سلّم داخلي يربط بين البهو الرئيسي والطابق العلوي، وكما علِمَ مُسبقًا أن السيّد (موشى) يعيش وحيدًا؛ إذ لم يتزوَّج بعد!

صعدَ السُلّم، كانَ الطابق العلوي يحتوي على ثلاثة أبواب فقط، تقدّمَ من أكبرها ووضعَ أذنه عليه لم يسمع شيئًا ففتحهُ بهدوء.. غُرّة مكتب تحتوي على مكتبة ضخمة، وجدها

خالية من طلبه فأغلق الباب وتقدّم من الثانية، فعَل ما فعله مع الغُرفة السابقة، سَمِعَ هسيس ضعيف فأدرك أنّها الغُرفة المنشودة.

مدّ يده وعالج الرتاج بهدوء كي لا يُصدّر صوتًا، وتقدّم على أطراف أصابعه ووقف قليلًا لتعتاد عيناه الظلام، وشاهد الجسد المُسجى على الفراش، أدرك من تفاصيل وبنية الجسد أنّه غايته.. السيّد (موشى).

تقدّم من الفراش وأخرج المُسدس الذي حصلَ عليه من جُندي الحراسة، ولكزّ (موشى) في كتفه بهدوء حتّى أفاق من نُعاسه واستدارَ ليرى مَنْ خلفه، لكنّ (ليان) لم يُهلِه الفرصة وعاجله بضربة من مِقْبَضِ مُسدسه على رأسه من الأعلى أفقدته وعيه وراحَ في سُباتٍ عميق. شرعَ (ليان) في شدّ وثاقه وخلع ملابسه بالكامل عدا التي تستر سوءته، وقامَ بتكميم فمه وهو يقول:

- سامحني يا سيّد (موشى)، لكنّه إجراء ضروري.

جلسَ بجوار الفراش على إحدى المقاعد القريبة، مُنتظرًا (موشى) أن يفيق، دقائق معدودات وقد تحرّك رأسه وشرعَ في الإفاقة، ثُمَّ نظرَ تجاه (ليان) وهو يزيد، يكاد أن يتطاير الشرر من عينيه.

أخذَ يحرّك رأسه مُحاولًا أن التخلّص من ما يُعيق فمه وهو يُزمجر، فاقتربَ منه ليان:

- اهدأ يا سيّد (موشى).. اهدأ.

لم أسعَ إلى هذا الوضع على مَحْمَل شخصي، ولكنني جئتُك مُستفسرًا، دعنا نُنهي هذا النقاش بهدوء، وأتعهدُ لك أن أنصرفَ مُباشرةً ولن ترائي ثانيةً.

هدأ (موشى) قليلًا ليستمعَ له فتابعَ (ليان) حديثه:

- كُلّ ما أريدُ معرفته فقط التفاصيل الخاصة بسييل.

اتسعتْ عينا (موشى) عند ذكر هذا الاسم، فابتسمَ (ليان) ليسَ هذا فحسب؛ (سييل جروهار) أودُ معرفة كُلّ شيء عنها، وكذا كُلّ ما تعلمه عن ذلك المصري (أشرف صبحي) وما علاقتها به، وهل هما من الأحياء؟

وإن كانا كذلك، كيفَ أعثر عليهما؟

نظرَ إليه (موشى) في ذهول، فتابعَ (ليان): سأحرّر فمك، ولكنّ تذكر يا سيّدي ما أتيتُ إلّا لمعرفة هذه المعلومات فقط وسأنصرفَ مُباشرةً، فأرجوك لا تُحاول أن تستغيث أو تصرخ.

وبعدَ لحظة صمّتْ أومأَ له (موشى) بالموافقة، فتقدّمَ منه (ليان) وقامَ بنزع اللاصق الموضوع على فمه، وما أن فعلَ حتّى تحدّثَ (موشى) وهو يكاد يصرخ من الغضب.

- أيتها الخائن هل تعتقد أن من هو مثلي وبعد كل هذا العمر يرتعد ويخاف من عميلٍ مثلك، أو من اللعبة التي بيدك مُشيرًا برأسه تجاه المسدس، ويُفشي معلومات بلده؟ ابتسم (ليان) ونظر للمسدس وألقاه جانبًا واقترب من (موشى) وقال:
- أعلم يا سيد (موشى) طبيعة شخصيتك، كما أعلم أيضًا أنك لن تتحدث أبدًا، ولن تُفشي أية أسرار خاصة بإسرائيل، ولكنني أريد هذه المعلومات بصفة شخصية، حسنًا سوف أخبرك بالحقيقة.. (سييل جروهار) هي أُمي.
- تعالَت الدهشة على وجه (موشى) وعقد حاجبهُ وغمغم:
- أَمَك؟
- كيف هذا؟؟
- ومتى؟؟؟
- ارتسمت ابتسامة شاحبة على وجه (ليان) وأجابهُ:
- هذا ما جاءَ بي إليك لتُخبرني به.
- صمت (موشى) قليلًا ثُمَّ تابع مُنفعلًا:
- ولو، لن أفتح فمي بأي شيء.
- ابتعد (ليان) للخلف وأخرج هاتفهُ المحمول من جيبِ سُترته وتابع:
- حسنًا يا سيد (موشى)، لكن تذكر أنك من أجبرتني على فعل هذا، ونظر للهاتف بيده وتابع حديثه:
- هذه إحدى مميزات التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، بمجرد أن تقوم برفع أية صورة أو مقطع فيديو بسيط، يتم وصوله للملايين بوقتٍ قصير جدًا، ومال أكثر حتى كاد أن يلتصق بوجه (موشى):
- وخاصة إذا كانت الصورة مشينة أو لشخصية عامة ولها حجمها في المجتمع، وبالأخص المجتمع الإسرائيلي، فهو مجتمع مكروه من كل الشعوب!
- صمت قليلًا ثُمَّ وجّه كاميرا الهاتف إلى (موشى) المُقيد عاريًا، وقام بالتقاط عدّة صور سريعة له بوضعيته هذه، ووضع الهاتف في جيبِ سُترته وتابع حديثه بهدوء:
- تخيل معي سيد (موشى) الأخبار التي سوف تنتشر كالنار في الهشيم، ومعها صورتك وأنت عاري، رجل المخابرات الإسرائيلي، البطل القومي عاريًا ومُقيّدًا وفي وضع مُخجل، ومطّ شفتيه في أسفٍ وأكمل:
- أعتقد أن مثل هذه الصورة كفيّلة بالقضاء على على تاريخك تمامًا، قالها واستند للخلف في مقعده.

احمَرَّ وجهه (موشى) حتَّى كاد أنْ ينفجرَ من الغيظ وصرخ به:
- أيتها الكلب الخائن العميل، سوفَ أقتلكَ بيدي هذه، واعلم جيِّدًا أنَّني لن أتركك، وسأعثر عليك وإنْ عُدتْ إلى رحم أمِّك مرَّةً أُخرى.
ضحك (ليان) ومالَ إليه وقال:
- لندع الانتقام جانبًا الآن، هيَّا ليسَ أمامنا اليوم بطولة، تحدّث فكلِّي آذان صاغية، وصمت وهو ينظر لموشى بتحدٍّ.
أطرقَ (موشى) برأسه أرضًا، وهُنا أدركَ (ليان) أنَّه قد نجحَ فيما يربو إليه، وبالفعلِ شرعَ (موشى) بالتحدُّثِ ومع حديثه اتسعتْ عينا (ليان)!

الفصل الثاني

- لقد غادرَ لبنان بالفعلِ يا سيّدي.
- قالها (مراد) وهو مُبتسمٌ مُحدّثًا السيّد مدير جهاز المُخابرات العامّة، فتنهّد وكأَنَّهُ أراحَ جبلاً عن صدره وقال:
- وهل تَمَّ تأمين خطِّ السير بالكامل يا (مراد)؟
- أجابهُ (مراد) بكُلِّ حسم:
- بالطبع سيّدي، ليسَ هذا فحسب؛ بل تَمَّ تغيير خطِّ السير أكثر من مرّة، وكذا وسائل الانتقال والملابس، أعلم جيّدًا يا سيّدي أنّ شخصية الشيخ (دياب) مهمة، كما تُعدّ حياته ثمينة بالنسبة لَكُلِّ الجوانبِ لنا وللجانب الفلسطيني الشقيق، فهو رمزٌ للكفاح والجهاد والنضال ضد العدو الصهيوني، وكذلك بالنسبة للجانب الإسرائيلي؛ إذ يُعدّ شوكة في ظهرها وبعدَ ما حدثَ وهروبه المُثير للتساؤلات أصبحَ هدفًا وجبَ اصطياده بالنسبة لهم، أو على أقل تقدير الخلاص منه.
- وأصدّقك القول يا سيّدي فَمُنْذُ أنُ عملت في جهاز المُخابرات المصريّة، وحتى تلك الملفات التي اطّلعْتُ عليها لمهام سابقة أكاد أجزم أنّ الجانب الإسرائيلي يستشيط غضبًا ويسعى جاهدًا بكُلِّ وسيلة لإستعادة الشيخ (دياب) مرّة أخرى، وبالفعل أطلقَ الموساد كُلَّ عملائه وجواسيسه لدى الدولة اللبنانيّة مُحاولًا جمع أيّة معلومات ومُنتهى السرعة.
- ورجالنا هُناكَ كانوا أسرعَ منهم بكثير، فبمُنْتَهى الحزم والثقة تَمَّ وضع خطة لإخفاء أي أثر للشيخ وتحركاتِهِ وقد نجحنا، وها هو الشيخ (دياب) في طريقهِ الآن إلى مصر.
- قالها ونظرَ لساعة يده وتابع:
- وفي أقلّ من ثلاثِ ساعاتٍ يا سيّدي سيكون هُنا بأمانٍ بيننا.
- ابتسمَ السيّد مدير المُخابرات وقال:
- يصل سالكًا بإذن الله يا (مراد)، ومُجرّد وصوله ينتقل حيثُ تُقيم ابنته (زينه)، ثمّ أتركوهما وحدهما يومًا أو يومين دون إزعاج، وكُلّ طلباتهما تُجاب في الحال، وبعدها لي معه لقاء بإذن الله.
- سأله مراد:
- هل تُريدُ إحضارَهُ إلى هُنا يا سيّدي؟
- أجابهُ مدير المُخابرات العامّة:

- لا يا (مراد) سوف أذهب أنا إليه، فذلك الرجل يستحق أكثر من هذا بكثير، ولكن اترك كل هذا الآن وأخبرني، هل من جديد بخصوص صديقنا هناك؟
- اعتدل (مراد) وأجاب وقد ظهر الاهتمام على وجهه:
- لا يا سيدي، وهذا أمر غريب للغاية فالإسرائيليين لم يتبقى لهم سوى نبش الأرض نفسها شبرا شبرا ولكن دون جدوى، لقد اختفى تمامًا حتى عن أعين رجالنا هناك وبطريقة غريبة جدًا، إذ لم يستدل له على أثر وكأنه غير موجود من الأساس، ورجالنا هناك لم يدخروا أية جهود وجاري البحث يا سيدي على قدم وساق.
- اعتدل مدير المخابرات في جلسته وقال:
- خذ حذرك يا (مراد) فحياة رجالنا هناك تساوي الكثير، ولا يمكن أن نخاطر بأرواحهم لأي سبب أو شخص كان، وصمت قليلاً ثم تابع:
- وهل هناك أخبار من (مُحاربتنا)؟
- أجابه مراد:
- لقد أبلغناها بعد حادث صديقنا وإطلاق الإنذار العام بمبنى الموساد وهروبه، أبلغناها بأن نُجمد كل أنشطتها تمامًا وتعود إلى حالة السكون الأولى، ولعملها وحياتها الطبيعية، ولا نحاول الاتصال بنا أو بأي عميل لنا سواء اتصال مباشر أو إلكتروني.
- لا تقلق يا سيدي فهي مُدربة على أكمل وجه وتعلم القواعد في حالات الخطر، وكذا قواعد (التحوص) في حالات القلق بالمجتمع الصهيوني.
- نظر له المدير وأخيرًا تنهد مرة أخرى وتابع:
- حسنًا يا (مراد) اذهب أنت الآن وأخبرني بالمستجدات أولًا بأول، ونسأل الله أن تمر هذه الفترة بهدوء وعلى خير.
- هم (مراد) بالانصراف وهو يقول:
- بإذن الله يا سيدي، سوف تمر كل الأمور على خير، قالها وخرج من الغرفة، تاركًا خلفه السيد مدير المخابرات وهو يقول:
- من يعلم يا (مراد)، لكنني أعتقد أن الساعات القادمة سوف تحمل للجميع مفاجآت قاسية.
- قالها دون أن يدري مدى صدق ما قال..
- فالساعات القادمة تحمل الكثير والكثير.
- تحمل حقبة التبضع الخاصة بذلك الحانوت الشهير بمدينة تل أبيب، ويُعد من أكبر سلسلة محلات المواد الغذائية بها، صعدت إلى شقتها في الطابق الثالث بتلك البناية القديمة نسبيًا

ما أن نطق بهذا الاسم حتّى اصفرّ وجهها وحاكى وجوه الموتى، وسقطت على مقعد خلفها صامتة تنظر إليه في ذهول.

- لا تخافي، جئتُكِ في سلام ولا أضمر لكِ أيّ شرّ.

وضعت رأسها بين يديها وقالت بصوتٍ خفيض:

- كيفَ عرفتَ بهذا الاسم؟؟

جلسَ على المقعد المُقابل لها وقال:

- لقد تتبعت ال (IP) الخاصّ بكِ عن طريق الخادم الرئيسي لمبنى الموساد، وأنا من تسبّب في إطلاق الإنذار العامّ في المبنى؛ إذ اعتبروها محاولة اختراق خارجي، ولكنني كُنْتُ أتتبع جهازكِ أنتِ من الداخل، وقد نجحتُ في الهروب.

- وماذا تُريدُ منّي؟

ولماذا لم تُبلِّغ عني؟

قالتها في استسلامٍ كاملٍ له.

فتابعَ حديثه:

- لا أريدُ منكِ أيّ شيءٍ سوى ترتيب اتصال بالمُخابرات المصريّة فقط، وأعِدكِ أن لا أذكر أيّ شيءٍ خاصّ بكِ أبداً لأني إنسان.

صمتت لفترة ثمّ قالت:

- وما أدراك أنّني أعملُ لصالح المُخابرات المصريّة وليسَتْ أيّة جهةٍ أخرى، فأعداء إسرائيل في كلّ مكان؟

- مُجرّد أنّ حدسي يُخبرني بهذا، ولا أعتقد أنّ أيّة جهةٍ أخرى يمكن أن تصلَ إلى هذه الدرجة، وكذا ملامحك فهي أقرب للملاحم المصريّة الصميّة، وأيضاً أسلوب ردّكِ على الموقع كان أقرب لأسلوب المصريين واللهجة المصريّة، تغلب على كتاباتك، فأنتِ مُطمئنة لإخفاء هويتكِ خلف الجدار الناري للخادم الرئيسي للموساد.

قالها وظلّ صامتاً منتظراً ردّها، ولكنّه لم ينتظر كثيراً:

- ماذا تُريدُ اخبارهم؟

اعتدلَ في مقعده للخلف ونظر لها

أخبريهم أنّ ابن الذئب الأبيض يُريد العودة لجذوره.

قالها وصمت وتركها وألف علامة استفهام تدور في عقلها.. من هذا؟ ومن هو الذئب الأبيض؟ من؟؟؟

الفصل الثالث

تعالَت طرقات خفيفة على باب تلك الغرفة بمبنى المُخابرات المصريّة، طرقات هادئة وكأنّها لا تُريد أن تُسبّب أيّ إزعاج أو تُخرج مَنْ بالداخل من تفكيره وعمله، وما هي إلا لحظاتٍ حتّى أتى صوت رزين قائلاً:

- تفضّل بالدخول.

فُتِح الباب وما أنْ ظهرَ الذي خلفه حتّى نهَضَ صاحب الجسد السمين مُسرّعاً مُهرولاً ومُرحّباً بالقادم.

- سيادة المدير، أهلاً وسهلاً بك سيّدي، وتابع وهو يتسم:

- في الحقيقة لم أكنْ أتوقع هذه الزيارة، وأشار إلى أقرب مقعدٍ وأكمل:

- تفضّل يا سيّدي.

جلسَ سيادة مُدير المُخابرات العامّة إلى المُقعد المُقابل له وهو يتسم لصاحبِ الجسد البدين:

- كيفَ حالكَ يا (خيري)؟

وكيفَ حال غرفتك الجديدة.. هل أعجبتك؟

ابتسمَ (خيري) ابتسامة تُثْم عن الإمتنان وتهذج صوته:

- شُكراً لك يا سيّدي.

انعقدَ حاجبا السيّد مُدير المُخابرات العامّة وارتسمت على وجهه ملامح دهشة:

- على ماذا تشكرني يا (خيري)؟

وتابع:

- نَحْنُ مَنْ يجب أنْ نشكركَ على قرار عودتك، أنتَ لا تعلم مدى حاجتنا إليك وإلى خِبراتك في قسم المُحاكاة والتقليد.

أنتَ مهارة فريدة في مجالك يا (خيري)، وأكاد أجزم أنّه لم يأتي في مثل مهارتك وقُدراتك بمصرَ كُلّها، بل قُلّ بالعالم.

أطرقَ (خيري) بنظره أرضاً وانسابثَ دمعة حبيسة من مُقلته، فربتَ السيّد المدير على كتفه قائلاً:

- لننسَ الماضي يا (خيري) بجراحه وآلامه، فلسوفَ تمضي الحياة شتناً أم أبيناً.

رفعَ (خيري) وجهه الغارق بدمعه:

- كيف يا سيدي؟

كيف أنسى حياتي كلها؟

كيف أنسى أصدقاء عمري كله؟!

قالها وانهمرت عبراته أكثر، فاقترَب منه السيد مدير المُخابرات، وقامَ باحتضانه وهو يقول:

- ومن منّا يستطيع نسيانهم يا (خيري)؟

من؟؟؟

صمتَ فترة تاركًا لخيري فرصة لتفريغ شحنة عواطفه، وما أن هدأ قليلًا حتّى تابعَ حديثه:

- لم تُخبرني، كيف حال مكتبك الجديد، والفريق الذي سوف تُشرف على تدريبه؟

ذلكَ الفريق هو صفوة شبابنا في مجال الكمبيوتر والجغرافيك وتقنيات الذكاء الاصطناعي.

مسحَ (خيري) ما تبقى من أثرٍ للدمع على وجهه، وظهرَ الاهتمام على وجهه وصوته:

- بالفعل يا سيدي، لم أرى في حياتي من هم مثلم في مهاراتهم، وكذا تلكَ التقنيات الغربية

والعجيبة التي يستخدمونها، حتّى أنّني قد حدثت نفسي، أنّ ما كنّا نقوم به في الماضي، ما

هو إلا عبث أطفال بالنسبة إلى ما هم قادرون على فعله الآن مع التقنيات الجديدة، وخاصةً

ذلكَ الذكاء الاصطناعي!

ابتسمَ السيد مدير المُخابرات العامة وقالَ مُشجعًا:

- تلكَ التقنيات ليس لها أيّة قيمة يا (خيري) بدون عقل وذكاء الإنسان، قالها وهو يُشير

بإصبعه إلى رأس (خيري).

الآن المطلوب منك أن تصقل تلكَ المواهب والتقنيات التي يمتلكها أولئك الشباب بالذكاء

والحنكة، وحسن التدبير لجعلهم بالفعل فريق قادر على صنع المستحيل، فلا قيمة لتلكَ

التقنيات الحديثة بدون لمسات عبقرية من صاحب الأصابع الذهبية.

احمَرَّ وجه (خيري) من الخجل لهذا الإطراء، واللقب الذي كان يُطلق عليه فيما مضى،

واستدارَ المدير وهمّ بالخروج لكنّ صوت (خيري) من خلفه قد أوقفه:

- شكرًا لك يا سيدي.

التفتَ إليه السيد مدير المُخابرات وابتسمَ في وجهه وقال:

- لا تشكرني أنا يا (خيري)، بل يجب علينا جميعًا أن نشكرَ بلدنا، هذه البلد التي عانت

على مرّ العصور والأزمنة، وما زالت تُعطينا من خبراتها ولا تتخلّى عن أبنائها البتة.. أبدًا لم

تتخلّى يا (خيري)، قالها وانصرفَ تاركًا (خيري) خلفه يكاد قلبه أن يقفز من صدره؛ نظرًا

لشدّة خفقانه، وذهنه مشغول بفكرة واحدة.. مصر فقط.

تعالّت طرقات سريعة على باب غرفة السيّد (يوسي) ممّا جعله يُشير مُسرّعًا بالدخول.

- ماذا هناك يا (باروخ)؟

تسارعت أنفاس (باروخ) فأشارَ له أن يهدأ ويستردّ أنفاسه أولًا.

- آسف سيّد (يوسي) ولكنّ يجب أن أخبرك بالمعلومات الجديدة بأقصى سرعة .

أشارَ له السيّد (يوسي) بالمتابعة:

- لقد عثرنا على إحدى البرامج الخبيثة التي قامَ (ليان) بزراعتها في الخادم الرئيسي، وهو مُجرّد فتح منفذ في الخادم الرئيسي إلى حاسوب (ليان)؛ كي يستطيع الولوج إلى جميع بيانات وملفات الخادم الرئيسي كاملة، وبالفعل قامَ بنسخ العديد من الملفات نقوم بحصرها الآن. والآن يقوم الخبراء بترميم القرص الصلب الخاص بحاسوب (ليان) بعد أن تدمّر بفعل الحريق، ليس هذا هو جُلّ المهم يا سيّدي، فقد عثرنا بخلاف الملفات التي قامَ بنسخها على قيامه بالبحث في عناوين (IP) الحكومة التي يقوم الخادم الرئيسي بإخفائها، بل وقامَ بتتبّع إحداها وهو في قسم مُراقبة مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت.

صمت بعدها (باروخ) وظلّ السيّد (يوسي) صامتًا مُفكرًا لفترة وأخيرًا أشارَ لباروخ مُتابعًا:

- كانَ (ليان) في آخر فترة يعمل في محاولة كشف ذلك الموقع العربي الإخباري، والذي كُنّا نشكّ أنّه يُخفي خلفه إحدى شبكات التجسس على مُجتمعنا، وصمت قليلًا واعتدلّ ونظرَ لباروخ وهو يقف فجأة من مجلسه:

- هل تعلم معنى هذا يا (باروخ)؟

أنّ ذلك التجسس داخليًا.. أجل يا (باروخ) لقد نجحَ (ليان) في العثور عليه، ولكنّ ما حدث جعله لا يُكمل عمله، واختطفَ سماعة هاتفه وضربَ رقمًا داخليًا مُختصرًا، وقامَ بإعطاء أوامره بوضع كُلّ العاملين في قسم مُتابعة مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت تحت المُراقبة في الحال، وإحضار ملفاتهم بالكامل على حاسوبه الشخصي وإرسال نسخة منها إلى قسم التحليل النفسي، ونسخة إلى قسم التحريّات في الحال، وأغلقَ الهاتف وهو ينظر لباروخ:

- اذهب الآن ولا تعود إليّ إلّا بكُلّ البيانات التي كانت على القرص الصلب الخاص بليان، وما أنّ أنهى عبارته حتّى انصرفَ (باروخ) مُسرّعًا لتنفيذ أوامره.

جلسَ على مقعده ونظرَ لشاشة حاسوبه والتي تحوي صورة (ليان) أمامه وتحدّث مُخاطبًا الصورة:

- مَنْ أنت؟

وماذا حدث؟

هل أنت جاسوس أم عميل أم خائن؟

أَمْ أَنْتَ قَدْ تَوَرَّطْتَ فِي شَيْءٍ مَا؟
أَمْ أَنْتَ وَطَنِي وَتُحَاوِلُ كَشْفَ سِرِّ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ، وَلَكِنْ حَدَّثَ شَيْءٌ قَلْبَ الْأُمُورِ عَلَيْكَ؟
مَنْ أَنْتَ؟
قَالَهَا وَهُوَ يَصْرُخُ وَ يُضْرَبُ بِقَبْضَتِهِ عَلَى سَطْحِ مَكْتَبِهِ.

الفصل الرابع

- أبي.

صرختُ بها (زينة) وهي تُهرول مُسرعة لتُلقِي بنفسها في أحضانِ أبيها الشيخ (دياب)، وعلى الرغم من سنواتِ عُمُرِهِ إِلَّا أَنَّهُ حملها وكأَنَّها طفلة بينَ ذراعيهِ وظلَّ يدور بها كما كَانَ يفعل في طفولتها، وهي تُعانقُ رأسَهُ وتقبُّلُهُ في كُلِّ مكانٍ تصل إليه شفيتها.

ظلاً هكذا عِدَّة دقائق حتَّى شعرت أنْ أنفاس أباهَا تتهدَّج من المجهود المبذول في حملها، فهبطت أرضاً وساعدته وأجلسته على أقربِ مقعد، ودفنت رأسها بينَ قدميه تبكي وهو يربت على رأسها، وسقطت دمعة حبيسة من عينه، ظلاً على هذا الوضع فترة حتَّى اعتدلت (زينة) وهي تمسح دمعها وتنظر في عينيه مُبتسمة.

- حمداً لله على سلامتك أبي، حمداً لله، كُنْتُ متأكدة من عودتك إليّ، قد دعوتُ اللهَ وأعلم أَنَّهُ سيستجيب، وها قد استجاب.

ضمَّ الشيخ (دياب) رأسها بينَ يديه:

- الحمد لله يا ابنتي، رغم محبسي والوضع الذي كُنْتُ فيه بسجون جيش الاحتلال، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَتق باللهِ وَأَنَّهُ سوفَ يُخرجني ممَّا أنا فيه وقد كان.

الحمد لله الذي لا يُعتمدُ على مكروه سواه، والفضلُ له أيضاً ليحميه اللهُ ويُخرجه سالمًا.

لفتت هذه العبارة انتباه (زينة) فنظرتُ لعينه مُتسائلة:

- (ليان)؟؟!

أوماً لها بالإيجاب:

- أجل يا ابنتي، كادَ أنْ يُضحِّي بحياته من أجلِ إنقاذي، فعَلَ المُستحيل بحقِّ وأُخرجني من الأراضي المُحتلة.

اتسعتُ عيناها في رُعبٍ وقلقلٍ وصرخت:

- وهو يا أبي؟

هل هو بخير؟

ربتْ على كتفها مُطمئناً:

- اطمئني يا ابنتي، هو بخير، مَن مثله من الصعب أنْ يُصيبه مكروه، فهو ذكي ولما وخفيف

الحركة، والأهم من كُلِّ هذا يملك روحَ مُحاربٍ قلماً وجود الزمان بمثله، حتَّى أَنَّهُ يُذكرني

برجلٍ واحدٍ فقط لم ولن يتكرر.

ارتسمت ابتسامة على وجهها وهي تحته على الحديث:

- أخبرني بما حدث أبي، وكيف فعلها (ليان)؟ كيف استطاع إخراجك من سجون الاحتلال وتهريبك من الحدود؟!

- حسناً يا ابنتي سوف أخبرك بكل ما حدث، وكل التفاصيل، وكيف فعلها (ليان)، ذلك المقاتل الصنديد الذي لطالما تمنيت أن يهيني الله ابناً مثله، ولكن حكمته سبحانه وتعالى، اقتضت أن يهيني أجمع وأحن وأنقى قلب، قالها وهو يمسك ذقنها بيده فقبلتها.

ضمها إلى صدره وشرع يحكي لها كيف فعلها (ليان)، وكيف حارب كل قوات الأمن ورجال المخابرات الإسرائيلية بمنتهى الجسارة والعبقريّة، ومع التفاصيل تتسع عينها من فرط الإثارة، وتتعالى دقات قلبها حباً.. وتتعالى.

- آسف سيدي

قالها (مراد) بعد أن فتح باب غرفة سيادة المدير دون أن يؤذن له، فقد طرق الباب طرقاً سريعاً وقام بفتحه مباشرة دون انتظار الإذن بالدخول، تطلع له السيّد مدير المخابرات وسأله:

- ماذا هناك يا (مراد)، من نظراتك ودخولك السريع هذا يوجد شيء مهم؟ أجابه (مراد) وهو يلهث:

- يوجد شيء مهم وخطير يا سيدي، لقد وصلت رسالة الآن من (مُحاربة الصحراء)، رسالة مُقتضبة وغير مفهومة بالمرّة.

انعقدَ حاجبا السيّد مدير المخابرات وتساءل مُندهشاً:

- (مُحاربة الصحراء)؟

أليس من المُفترض أن تكونَ في حالةِ تحوُّل تامّ الآن، وأنشطتها متوقفة بالكامل، ومنها أية محاولة للاتصال بنا!

هزّ (مراد) رأسه موافقاً وتابع:

- وهذا ما تمّ إبلاغها به وبالفعل شرعت في تنفيذه، لكن رجال قسم الاتصالات قد تفاجأوا بورود هذه الرسالة على إحدى صفحات التواصل الاجتماعي الخاصّة بالاتصالات الطارئة، ومن حساب احتياطي يُستخدم في وقت الأزمات فقط، ممّا دفعهم لفك شفرتها وإرسالها لي على الفور، لكن الغامض بحق هو فحواها يا سيدي.

أشار له السيّد مدير المخابرات بالإسراع:

- أخبرني بفحواها يا (مراد).

فتح (مراد) الورقة الصغيرة التي بيده وقرأ ما بها:

- ابن الذئب الأبيض يُريد العودة لجذوره!!

صمت (مراد) تمامًا بعد هذه العبارة، وخاصةً بعد نظرة الدهشة واتساع عينا السيد مدير المخابرات.

طال الصمت فترة، قطعهُ (مراد) مُتسائلًا:

- سيدي.. هل أدركت شيئًا من فحوى الرسالة؟

ارتسمت ابتسامة على وجه السيد مدير المخابرات وهو يقول:

- لقد توقعتُ هذا، ولكن لم أتوقع بمثل هذه السرعة ولا بهذه الطريقة.. حقًا هذا الشبل من ذاك الأسد.

نظر لمراد وقال:

- أرسل رسالة لمحاربة الصحراء بأنه سوف يتم النظر في الأمر، وأخبرها بإيقاف كل أنشطتها تمامًا، وأنه جاري الإعداد لخروجها من هناك، فقد انكشف أمرها وأصبح القبض عليها مسألة وقت فقط، فيجب الإسراع يا (مراد) بتنفيذ عملية لخروجها الآمن من إسرائيل.

أعطى تعليماته وشرّد بنظره بعيدًا، لكن (مراد) لم يتحرك من مكانه وظلّ واقفًا صامتًا، ممّا جعل السيد مدير المخابرات ينظر له بدهشة:

- ماذا هناك يا (مراد)؟

لماذا لم تذهب لتنفيذ التعليمات؟

- معذرةً سيدي، ولكن ما فحوى هذه الرسالة؟ ومن هو الذئب الأبيض؟

ومن هو ابنه؟

وهل يوجد علاقة بين هذه الرسالة وبين صديقنا هناك (ليان)؟

ألقى أسئلته ووقف صامتًا.

- هذه قصة طويلة جدًا يا (مراد)، الشكوك التي كانت في عقلي قد تأكدت الآن أنها حقيقة،

ولكن مهما كانت الدوافع والأفعال التي قام بها (ليان) لا يمكن الوثوق بالنوايا أبدًا.

أذهب الآن يا (مراد) ونفذ ما أخبرتك به سريعًا، وستعلم كل شيء قريبًا فسوف تتولى أنت

هذه المهمة، وصمت قليلًا ثم تابع:

- مهمة (ابن الذئب)، قالها وسرّح في ذكريات قديمة.

الفصل الخامس

تعالى صوت رسالة تنبيه من الحاسوب الخاص بالسيد (يوسي) فالتفت إلى شاشته، وعدّل من نظارته الطبية وتابع فحوى الرسالة، وما أن انتهى من قراءتها حتى رفع سماعة هاتف مكتبه واتصل برقم صغير:

- احضر حالاً يا (شاؤول)، وأغلق سماعة الهاتف، وما هي إلا دقائق حتى تعالى صوت طرقات على باب الغرفة فسمح لصاحبها بالدخول.

- لقد أرسل القسم التقني تقرير إلي الآن، يُفيد أنهم قد نجحوا في تحديد أي قسم من الأقسام، وبالتحديد أي جهاز نجح (ليان) في اختراقه قبل أن تنطلق صفارات الإنذار، وهو جهاز الحاسوب الخاص (راشيل سيروف) من قسم متابعة وسائل التواصل الاجتماعي، أريدُ كل المعلومات عنها الآن، وكل تاريخها بالكامل، ومن الآن توضع تحت الملاحظة الدقيقة، وأرسل إلى (باروخ) بعد أن تذهب لتنفيذ التعليمات.

خرج (شاؤول) لتنفيذ التعليمات، وترك خلفه السيد (يوسي) يتفحص شاشة حاسوبه، دقائق قليلة وكان (باروخ) يقف أمام السيد (يوسي) صامتاً منتظراً التعليمات، فأشار له السيد (يوسي) بالجلوس.

- ما هي مدة الصداقة بينك وبين (ليان)؟

وما هي قوة هذه الصداقة؟

لم يتوقع (باروخ) الأسئلة فصمت قليلاً ثم أجاب:

- معذرةً يا سيدي لم أتوقع هذه الأسئلة، توقعت أسئلة بخصوص العمل، ولكن بالطبع سأجيب.

حسناً، أنا و(ليان) أصدقاء منذ الجامعة؛ إذ كنّا أصدقاء وزملاء دراسة في مدرسة الهندسة، وعلوم الحاسوب في الحرم الجامعي (أدموندي سفرا-جفعات رام) بتل أبيب، وكان (ليان) الأوّل على دفعتنا طوال الخمس سنوات الدراسية، وهو شخصية انطوائية جداً وليس له أصدقاء بالشكل الواضح الصريح، وإن كان يعتبر كل من حوله زملاء فقط، سواء في الدراسة أو بعدها، وحتى بعد أن تمّ اختيارنا من الدفعة بالكامل لشرف العمل بالجهاز هنا، لم نصبح أصدقاء بالشكل المتوقع، فحياته كلها ليس بها ما يُخفيه أو ما يحثه على تغيير أو أي نشاط مُخالف لطبيعته؛ فهو إنسان رياضي منذ صغره، يعشق الرياضة بكل أشكالها وكذا القراءة، فقد كان يقضي كل أوقات فراغه بمكتبة الجامعة، ولا نراه في أية أنشطة اجتماعية سواء

طَلَبِيَّةٌ أَوْ رَسْمِيَّةٌ أَوْ حَتَّى بَيْنَ الطُّلَّابِ أَنْفُسَهُمْ، لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ سِوَى عَمَّتِهِ (هَمَارَا) وَهِيَ الَّتِي تَرْعَاهُ بَعْدَ أُمِّهِ، وَأَعْتَقَدُ أَنَّهُ بَلَا أَبٍ، فَلَمْ يَأْتِ ذِكْرَ لِأَبِيهِ نَهَائِيًّا مِنْ قَبْلِ.
صَمْتُ (بَارُوخ) بَعْدَ أَنْ أَدْلَى بِكُلِّ مَا يَعْرِفُهُ عَنْ (لِيَانِ)، بَيْنَمَا السَّيِّدُ (يُوسُفِي) يَنْظُرُ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يُظْهَرَ أَثْبَتَ تَعَابِيرٍ عَلَى وَجْهِهِ.

- حَسَنًا يَا (بَارُوخ)، يُمَكِّنُكَ الْإِنْصِرَافُ الْآنَ، هَلْ مِنْ جَدِيدٍ فِي مَوْضُوعِ الْقِرْصِ الصَّلْبِ الْخَاصِّ بِحَاسُوبِ (لِيَانِ)؟

هَؤُلاءِ (بَارُوخ) رَأْسُهُ نَفْيًا وَأَجَابَ:

- لَا يَا سَيِّدِي، لَيْسَ هُنَاكَ جَدِيدٌ وَالْقِسْمُ الْفَنِّي يَعْمَلُ عَلَيْهِ جَاهِدًا، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحَرْقِ وَالتَّلَفِ نَتِيجَةً صَدَمَاتٍ قَوِيَّةٍ، وَقَبْلَ كُلِّ هَذَا تَمَّ تَشْفِيرُ الْمُلَفَّاتِ بِالْكَامِلِ بِإِحْدَى فَيَرُوسَاتِ الْفَدِيَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي لَمْ نَجِدْ لَهَا أَيْ حَلًّا حَتَّى الْآنَ، فَالْعَمَلِيَّةُ تَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الْوَقْتِ يَا سَيِّدِي، لَكِنَّا سَوْفَ نَصِلُ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ.

- حَسَنًا يَا (بَارُوخ)، يُمَكِّنُكَ الْإِنْصِرَافُ الْآنَ وَأَعْلِمْنِي بِالْمُسْتَجِدَّاتِ.

خَرَجَ (بَارُوخ) تَارِكًا خَلْفَهُ السَّيِّدَ (يُوسُفِي) يَنْظُرُ إِلَى شَاشَةِ حَاسُوبِهِ، الَّتِي تَحْتَلُّهَا صُورَةُ (لِيَانِ)، وَضَرَبَ عَلَى سَطْحِ مَكْتَبِهِ مُتَحَدِّثًا إِلَى الصُّورَةِ:

- مَنْ أَنْتَ؟

مَنْ أَنْتَ؟

جَالِسَةً فِي تِلْكَ الشَّرْفَةِ الْمُطْلَقَةِ عَلَى النِّيلِ، تُدَاعِبُ نَسِمَاتِ اللَّيْلِ شَعْرَهَا الْأَسْوَدَ الطَّوِيلَ، انْحَدَرَتْ دَمْعَةٌ عَلَى خَدِّهَا، انْسَابَتْ عَلَى وَجْنَتِهَا وَتَبِعَتْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى، شَعَرَتْ بِيَدٍ تَرَبَّتْ عَلَى كَتِفِهَا، فَاسْرَعَتْ بِتَجْفِيفِ دَمْعِهَا وَرَسَمَتْ ابْتِسَامَةً عَلَى شَفَتَيْهَا، وَالتَفَتَتْ لِصَاحِبِ الْيَدِ وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ تَعَانِقُهُ، ظَلَّ يَرِبْتُ عَلَى رَأْسِهَا بِيَدِهِ الْحَانِيَّةِ:

- هَوْنِي عَلَيْكَ يَا بُنَيَّتِي، أَطْمَئِنِّي هُوَ بَخِيرٌ.

رَفَعَتْ رَأْسَهَا مُتَظَاهِرَةً بِالْدهْشَةِ:

- مَنْ؟

مَنْ تَقْصِدُ يَا أَبِي؟

ضَحَكَ الشَّيْخُ (دِيَابَ) وَقَالَ لَهَا وَهُوَ يُسَكُّ بِذَقْنِهَا:

- وَهَلْ تُخْفِي عَلَيَّ أَبِيكَ شَيْئًا يَا (زِينَةُ)؟

وَحَتَّى لَوْ حَاوَلْتِي عَيْنَاكَ سَتُخْبِرُنِي بِكُلِّ شَيْءٍ.

خَفَضَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْخَجَلِ، وَلَكِنَّا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَكْتَمَ جَمَاحَ عِبْرَاتِهَا فَانْسَابَتْ تُغْرَقُ وَجْهَهَا، فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ وَتَرَكَهَا حَتَّى أَخْرَجَتْ كُلَّ مَشَاعِرِهَا.

- أعلمُ ما بقلبكِ يا ابنتي، والآن وبعدَ أن تأكدت من مشاعركِ تجاهه، سوفَ أفصح لكِ عن ما علمتهُ منه شخصيًا ولكن ما سأخبركِ بهِ بالتأكيد يحتاج إلى أن نتأكد من صحتهِ أولاً، ويجب أن أريح بالكِ ولو قليلاً.

قالها وصمتَ قليلاً وخلال لحظات الصمت هذه، كانت عينا (زينه) تُحاول أن تخترق عقله لتحتنه على البوح.

فتابع حديثه ليريح قلبها:

- حسناً يا ابنتي، لقد اكتشف (ليان) خلال عمله في الموساد أن أباه مصري مُسلم، وأن أمه إسرائيلية يهودية، بل إن أباه رجل مُخابرات مصري، ولم يُعطني أية تفاصيل أخرى تخصه، وهو يُريد أن يعودَ لجذوره، فهو يرفض المجتمع الإسرائيلي ويرفض أن يعيش به، هذا كُل ما قاله لي.

كان يتحدث وهي تنظر له وقلبها يكاد يرقص طرباً، وما أن انتهى من حديثه حتى قفزت من السعادة وظلت تقفز كطفلة صغيرة أحضر لها أباه طلبها!

ظل الشيخ (دياب) ينظر لها ولنظرات السعادة بعينيهما، واقترب منها وضمها إلى صدره مرة أخرى قائلاً لها:

- أعلمُ يا ابنتي، أعلمُ بما في قلبكِ ولهذا أخبرتكِ ولكن يجب أن ننتظر لنرى ما سوفَ تؤول إليه الأمور، فليس كُل ما يتمناه المرء يُدركه، اطلبي من الله وسوفَ يُعطيكِ الصالح لكِ وللجميع.

قالها ومن داخله يتمنى من الله أن يُحققَ لها ما تتمناه ويعود (ليان).. يعود لوطنه، يعود لأهله، يعود لدينه.

الفصل السادس

- (نورهان فريد).
قالتها قاطعة الصمت الطويل السائد مُنذُ فترة طويلة، وخاصةً بعدَ أن أرسلت الرسالة إلى القاهرة، وهي تجلس أمام شاشة حاسوبها مُنتظرة الرد.
كَانَ (ليان) جالسًا قِبالتها على المِقعَد المواجه لها، فنظرَ لها بعد ما قالت:
- أهذا اسمك؟
قالها (ليان).
- أجل، لا أعلم لماذا أخبرتك به، لكنني شعرتُ أنني بحاجةٍ إلى أن أخبرَ به أحد، وصمتت قليلًا وتابعت:
- هل تعلم أنني أقف يوميًا أمام المرأة قبلَ أن أخلد إلى النوم، وأقول اسمي لنفسِي، أفعل هذا كُلَّ يومٍ مُذ أن تَمت زراعتي في هذا المجتمع، لقد خشيتُ أن أنسى اسمي ومَن أنا، قالتها وأطرفت أرضًا برأسها.
صمتَ (ليان) احترامًا لمشاعرها، وبعدَ فترةٍ تحدّث:
- على الأقل أنتِ تعلمينَ هويّتكِ وأهلكِ ومَن أبيكِ ومَن أمكِ، وأتيتِ لهذا المجتمع بمحض إرادتكِ ولأجلِ وطنكِ، فما بالكِ بإنسانٍ عاشَ طوال عمره في وهمٍ لم يعلم له أبًا، وحتى أمّه كانت مُجرّد خُدعة!
عاشَ في مجتمعٍ عُنصري، وتربّى على أفكارٍ يرفضها من داخله، وفجأةً يكتشف أنه ضحية خُدعة كبيرة ليسَ هذا فحسب؛ بل اكتشفَ أنه مصري لأبٍ مصريٍّ مُسلم، وأنَّ أباه يُعدّ العدوَّ الأوّل لمجتمعه، قالها وصمتَ تمامًا.
- آسفة، لم أقصد أن أجرحَ مشاعرك، وأدركَ بكُل هذه الأمور.
قالتها له مُحاولَةً أن تُخفّف من تأثيره، فنظرَ لها وارتسمت على شفثيه ابتسامة خفيفة:
- لا عليكِ، ليس لي يد بكُل ما حدثَ سابقًا، ولكن أعتقدُ أنني صاحب القرار فيما سيحدثُ لاحقًا.
ولم يكد ينتهي من عبارته حتّى تعالَى صوت تنبيهٍ بورود رسالة جديدة، فتعلّقت أنظارهما بشاشة الحاسوب، وأسّرت (نورهان) وظلّت أصابعها تعمل على الحاسوب المحمول حتّى استطاعت أن تفكّ تشفير الرسالة، وما أن رأتها حتّى اتسعت عينها من الدُعر، و(ليان) يقف

من خلفها يقرأ فحوى الرسالة، والتي كانت واضحة وصريحة تمامًا "يتمّ النظر في أمر ابن الذئب، تجميد كامل لنشاط مُحاربة الصحراء، الخطّة (أ) طواري، لقد تمّ اكتشاف أمرِك) نظرَ (ليان) لها، كانت قد سقطت على المقعد ودفنت رأسها بين ذراعيها، فسألها:
- ما هي الإجراءات المُتَّبعة التي أخبروك بها؟ وما هي تفاصيل الخطّة (أ) طواري؟
رفعت رأسها وكانت عبراتها تُغرّق وجهها:

- إنَّها خطّة للهروب في حالة انكشاف أمرِي، معي جواز سفر سوري باسم (مادلين الفريد)، وتأشيرة دخول للأراضي المُقدَّسة المسيحيّة بإعتباري مسيحيّة سوريّة، وأتيت لزيارة الأماكن المُقدَّسة، ومن مطار (بيت لحم) أغادر إلى الأراضي السوريّة وهُنَاكَ أُسَلِّمُ نفسي إلى السُلطات السوريّة وأطلب السفير المصري وأُعطيهِ رمز كودي، وهو يتولّى أمر عودتي إلى الأراضي المصريّة.

- حسناً، قالها (ليان).

- أحضري هذا الجواز الآن، وهيا أحضري أغراضك الضروريّة فقط، وسوف أتولّى أنا مهمّة إيصالك إلى مطار (بيت لحم).

وما أنْ أنهى عبارته حتّى تحرّكت لتنفيذ ما أمرها به.

أخرج هاتفه وفتح تطبيق الخرائط الشهير، وبحث عن أقرب الطُّرق وأكثرها أمناً لهما من (تلّ أبيب) وحتّى (بيت لحم)، وبالفعل رسم الطريق على شاشة جواله وحفظ المسار، وأغلق شاشة الحاسوب المحمول ووضعه في حقيبة صغيرة يضعها على ظهره، وفجأة شعر بحركة غريبة، أنصت السمع على الباب.. كانت تحركات أقدام كثيرة صاعدة السُلّم الخاصّ بالعقار، اقترب من النافذة الصغيرة المواجهه ونظرَ من بين خصاصها دونَ أنْ يُظهر نفسه، كانت سيّارة أمن تقف أسفل العقار، ويهبط منها عدد من رجال التدخّل السريع، ويدخلون إلى مدخل العقار مُسرعين.

- لقد انتهيت!

قالتها (نورهان) وهي تضع حقيبة ظهرٍ مُشابهة على ظهرها وتقف بجواره، نظرَ لها وأمسك بكتفيها وهو يُشير لها بخفيض صوتها، وقال هامساً لها:

- قوات الأمن تُحيط بالعقار، وهم في طريقهم إلى هُنا.

قالها واتسعت عيناها في رُعبٍ وسقط قلبها بينَ قدميها من الرُعب، فهمست في جزعٍ:

- إذّا هي النهاية، لم يُجبها؛ فقد كانت مُحققة..

إنَّها النهاية.

ألف عدد



الفصل الأول

تجمّد الزمن لفترة.. كانَ عقل (ليان) يعمل سريعًا، يدرس كلّ الاحتمالات، نظرَ تجاه (نورهان) كانتْ تقف وعلامات الفرع تكسو وجهها وتكاد تبكي وتنهار تمامًا، فأدرك أنّها ليستْ عميلة ميدانيّة بالمُخابراتِ المصريّة، هي فقط عميلة مزروعة بالمجتمع الإسرائيلي بغرض جمع المعلومات، فأمسكَ كتفيها ونظرَ في عينيها مباشرةً:

- أنصتي لي جيّدًا، الفرع لن يُفيد ولكنْ بالتفكير السليم نستطيع تجاوز كلّ هذا، هل أحضرتِ كلّ مُتعلّقاتكِ الضروريّة في حقيبة ظهركِ هذه؟ وأشارَ إلى الحقيبة التي على ظهرها والشبيهة لحقيبة ظهره هو الآخر.

هزّتْ رأسها بالإيجاب، ولم تنطق فتابع:

- حسنًا، الآن تعالي معي، قالها وأمسكَ ذراعها وتقدّمَ إلى دورة المياه الخاصّة بالشقة، وفتحَ النافذة التي بها ونظرَ منها، كانتْ توجد نافذة مواجهة تمامًا والمسافة لا تتجاوز المتر الواحد وأسفله نوافذ أخرى، فنظرَ لها وسألها هل من قاطنٍ بالشقة المُقابلة؟

هزّتْ رأسها بالإيجاب، وقالت:

- أجل، السيّد (بربرا) وأبنائها، لكنّ الشقة التي أسفلنا لا يقطنها أحد مُنذُ قدومي لهذا العقار.

ابتسمَ وأجاب:

- حسنًا، هيّا بنا.

ذهبَ إلى المطبخ الخاصّ بالشقة، ونزعَ بقوة وصلة الغاز الطبيعي المتصلة بِمُحضّر الطعام، وتركَ الغاز ينساب وأسرّع وأغلَقَ قاطع الكهرباء الرئيسي بالشقة، وتركَ الظلام يُغلف المكان وأسرعَ إلى نافذة دورة المياه، وبالفعلِ خرجَ بجسده بِحركةٍ رشيقَةٍ من النافذة الصغيرة، وأمسكَ بالإطار السفلي لها بكلتا يديه، وضربَ بِقدمه بعنفِ النافذة السفليّة للطابق السفلي، وبالفعلِ كسرِ النافذة وبرشاقةٍ تركَ يدًا واحدةً وأمسكَ بالأُخرى بإحدى أنابيب المياه المازة بجانبه، وهبطَ حتّى أصبحَ في مستوى نافذة الطابق السفلي، ونظرَ للأعلى تجاه (نورهان) وأشارَ لها أن تهبط، وبالفعلِ تحرّكتْ برشاقةٍ ساعدها فيها وزنها الخفيف، وأمسكَ بها وأحاطها بِذراعٍ واحد، والأُخرى يُمسكُ بِأنبوب المياه حتّى وضعت إحدى قدميها على إطار النافذة وساعدها بالدخول منها، ودلّفَ خلفها بنفسِ الرشاقة، وما أنْ اعتادت عيناها

الظلام قليلاً حتى أخرج هاتفه المحمول وأضاء مصباحه وأخذ يتفحص الشقة، وهو يُمسك بيد (نورهان) وكأنه يُمسك بيد طفلة صغيرة، وهي مُستسلمة له تمامًا.

اقترب من باب الشقة وأخذ يسمع، كأنه أصوات الأقدام وصلت بالفعل إلى الطابق العلوي؛ حيث الشقة، وتعالى الطرقات ولحظات قليلة وتعالى صوت تكسير الباب الخاض بها، وبالفعل انهار الباب تحت وطأة الضربات، ونجحوا بالدخول ومع اندفاعهم للدخل، فتح باب الشقة التي بها وهو يُمسك ذراع (نورهان) ويجذبها فاتجهت إلى الدرج للهبوط، ولكنه أشار لها بعلامة النفي، واتجه للمصعد ودخلا معاً وضغط الأزرار إلى الطابق العلوي الأخير، فنظرت له بإندهاش، فأجابها:

- لن نستطيع الإفلات من كل القوات التي بالأسفل، ولكن من سطح العقار يمكننا الهرب إلى أي عقار آخر.

وما أن انتهى من عبارته حتى حدث صوت انفجار مكتوم، تسبب في إرتجاج بالمصعد الكهربائي للحظات، ولكنه تابع الصعود، ومن أسفله تعالت الصيحات وسادت حالة من الهرج والمرج بالعقار بالكامل، فحدث ما توقع وما رتب له مع اندفاع القوات وكسر باب الشقة ومحاولاتهم الإنارة بسبب ظلام الشقة، حدث شرار فأشتعل الغاز الطبيعي المحبوس بالشقة بإنفجار وتعالت ألسنة اللهب، ومع حالة الهرج يستطيعا الهرب بسهولة.

قد وصل المصعد أخيراً إلى الطابق الأخير، أمسك ذراع (نورهان) وجذبها و صعدا معاً إلى سطح العقار على الأقدام، وضرب باب سطح العقار بقدمه ونجح في كسره، وما أن دلفا إلى سطح العقار حتى اقترب من الأسوار الخاصة به، وتفحص كل الاتجاهات وأخرج هاتفه المحمول، وفتح تطبيق الخرائط الشهير ورسم مسار هروبهما وهو يطابقه على أسطح العقارات القريبة، وما أن انتهى حتى نظر لنورهان وقال:

- ثقي بي، هيا بنا.

لم ينتظر منها إجابة، فما أن انتهى من عبارته حتى اعتلى السور الشرقي لسطح العقار، وبقفزة واحدة وصل إلى سطح العقار المجاور، وأشار لها بفعل المثل، ترددت لثوان ولكنها حسمت أمرها وقفزت، وتلقاها بين ذراعيه، وابتسم لها مشجعاً وتابع المسير من سطح عقار إلى آخر، وعقله يعمل سريعاً.. ويعمل.

الفصل الثاني

- كما توقعت أنت يا سيدي قد حدث بالفعل.

قالها (مراد) وهو واقف أمام مكتب سيادة مدير المخابرات المصرية، وتابع حديثه قائلاً:

- رصد رجالنا في تل أبيب، تحرك رجال الأمن والتدخل السريع، القوات تحاوط المبنى المقيمة به عميلتنا (نورهان) ولكن قد حدثت أشياء غريبة وعجيبة بعد صعود رجال الأمن للعقار. صمت (مراد) فأشار له سيادة مدير المخابرات بالمتابعة بالتفاصيل، فتابع قائلاً:

- لقد حدث انفجار بمجرد دخول رجال الأمن لشقة (نورهان)، ويعتقد رجالنا أن مصدر الانفجار هي الشقة نفسها، وبالفعل حدثت حالة من الهرج والمرج بالمنطقة كلها، وتقوم قوات الاحتلال الآن بحصار المنطقة بالكامل، ومنع خروج أو دخول أحد إليها بداعي عمل إرهابي.

اعتدل السيد مدير المخابرات في مجلسه، وصمت قليلاً ونظر لمراد وقال:

- وهل من أخبار عن (نورهان) و(ليان)؟

صمت (مراد) وهز رأسه بعلامة النفي، فتابع سيادة مدير المخابرات:

- حسناً، لا يوجد أخبار في حد ذاته خبر جيد، المهم انشر رجالنا هناك بكل مكان محتمل، وأرسل لي ملف (نورهان) وتفاصيل خطة الهروب الخاصة بها، وتفاصيل شخصيتها البديلة، أعتقد أنها سوف تظهر في أقرب وقت.

وما أن أنهى حديثه حتى أشار لمراد بالانصراف، واعتدل في مقعده الوثير مُفكراً في كل ما حدث، وأخيراً مدّ يده وتناول سماعة هاتف المكتب، وأجرى اتصالاً وانتظر دقائق قليلة حتى أجاب الطرف الآخر.

- أهلاً (خيري) كيف حالك؟

مُوفقاً دائماً.

أريدُ التحدث معك قليلاً، لا، ليس هنا يا (خيري)، نعم خارج الإدارة، سوف أرسل لك على هاتفك موقع مقهى على النيل مباشرةً، لا، الموضوع ليس له علاقة بالعمل، إنه بشكل شخصي يا (خيري).

الموضوع خاصٌ بأشرف صبحي، وصمت قليلاً، ليس مباشرةً ولكن بأسر ابنه يا (خيري).

قالها ورائت فترة طويلة من الصمت، خيم على الجميع وقتها صمت طويل كثيب.

شاخصة البصر تقف في تلك الشُرْفَة المُطَلَّة على النيل الساحر، غارقة في ذكرياتها، تكاد لا تشعر بما حولها حتَّى أن أباهما الشيخ (دياب) ظلَّ واقفًا خلفها لمدة طويلة دونَ أنْ تشعر، وأخيرًا بلمسةٍ حانية من يدهِ على كتفها أعادتها إلى أرض الواقع، فاستدارت مُبتسمة وارتقت بحضنها.

- بَمَ تُفكرينَ يا ابنتي؟

قالها الشيخ (دياب) لها فرفعت رأسها مبتسمة وقالت:

- لا شيء يا أبي، لقد أخذني منظر النيل ليلاً وانعكاس القمر على سطح المياه، ونسمة الهواء وهي تُداعب شعري فلم أعد أشعر بما حولي.

ابتسمَ الشيخ (دياب) وهو ينظر في عينيها وقال:

- أعلمُ ما بقلبك يا ابنتي، فلا تُخبِئِ عني شيئاً، واعلمي يا ابنتي أنني أهتمُّ هذا أيضاً، فقد اعتبرت (ليان) بمثابة ابن لي، كم تمنيت الحصول عليه، وأشعر أنَّه تعويض الخالق لي بعدَ كُلِّ هذا العمر.

وما أنْ أنهى حديثه حتَّى دفنت رأسها في صدره وبدأت بالنحيب، فأخذ يربت على رأسها مُواسياً، حتَّى انتهت ورفعت رأسها بعينينِ أغرقهما الدمع.

- كم أهتمُّ هذا يا أبي، كم أهتمُّ!

نظرَ لها ومدَّ أصابعه ليمسح دمعها وهو يبتسم في وجهها وقال:

- هياً إذًا، امسحي دمعكِ واستعدي للقاء هام.

نظرت له باستغراب:

- لقاء؟! وهام؟!

مَن يا أبي؟

ابتسمَ ابتسامة حانية:

- السيّد مدير المُخابرات العامّة المصريّة شخصياً آتٍ إلينا.

ارتسمت نظرة ذهول على ملامحها:

شخصياً، سوف يأتِي إلى هنا؟

أجابها بإيماءة من رأسه، فتحرّكت مُسرعة وهي تقول:

- ادًا لا بُدَّ أنْ أَسْتعدَّ، مُستحيل أن يراني بهذا الشكل.

قالتها وركضت مُسرعة إلى غرفتها، ومن خلفها تعالت ضحكات الشيخ دياب وهتمَّ قائلاً:

يا للنساء!

الفصل الثالث

هبطَ (ليان) درجات ذلك العقار ووقفَ مُنتظراً وصول (نورهان)، وما أنْ هبطت وهي مُتقطعة الأنفاس من كثرة الركض والقفز من أسطح العقارات، حتى ابتعدا تماماً باكثر من أربعة شوارع كاملة عن العقار الذي كانت تقطنه، تركها قليلاً حتى تهدأ أنفاسها تماماً وتستعيد رباطة جأشها.

- أعطني هاتفك، قالها لها بلهجةٍ آمرة، لم تستطع معها إلا أنْ تمدَّ يدها وتُخرج هاتفها من جيبِ بنطالها وأعطته إياه.
تفحصه وجده مُغلَقاً فنظر لها:

- أحسنت، هل به شيء هام.

هزت رأسها نفياً، لم ينتظر كثيراً وقامَ بالضغطِ بكفِّ يدهِ حتى هشَّمهُ تماماً وحوَلَهُ لَحْطَامٍ، ولم يكتفي بهذا فقط، ولكنهُ تقدَّم من بابِ غرفِ صيانةِ مجاريير المياه الخاصة بالعقار الواقفان به، وقامَ بفتح إحدى أغطية مصارف المياه، وقامَ بالقاء الحطام بها وأغلقها بإحكام، وعادَ مُسرِعاً إليها وعدَل من هندامه وامرأها بفعل المثل، وما أنْ انتهيا حتى تأبط ذراعها وخرجا متجاورين من العقار إلى الشارع الرئيسي، بعد أن ارتديا غطاء للرأس الخاص بلعبة البيسبول الأمريكية؛ ليخفيا قدر المُستطاع من ملامحهما.

أخرجي جواز السفر الخاص بالطواري، ومُنذُ الآن لا تتحدَّثي بأيَّة كلمة عبريَّة، تحدَّثي باللغة العربيَّة فقط والانجليزيَّة، وأنا صديقك ومُرشدك السياحي بإسرائيل.

أومأت له بالموافقة، وبالفعل اقتربا من إحدى المحال الخاصة ببيع الهواتف الجوالَّة، وبنظرةٍ فاحصة سريعة قامَ بتحديد أماكن كاميرات المراقبة، وقامَ بإيقاف (نورهان) في إحدى الزوايا التي يستحيل معها أنْ تكشف ملامحها، وتقدَّم من البائع مُبتسماً وطلب شراء هاتف جديد لصديقتهِ السوريَّة التي أتت لزيارة الأماكن المُقدَّسة، وبالطبع طلب اتصال مباشر بالإنترنت، وأيضاً مُخصص للاتصالات الدوليَّة كي تستطيع أنْ تتحدَّث ذويها بسوريا، وقامَ بإعطائه جواز سفرها واستلم الهاتف، وتأكَّد من عمل وظائفه، وقامَ بالمُغادرة وهو يُمسك ذراعها، وما أنْ ابتعدا قليلاً حتى سألته:

- لماذا قُمتَ بشراء هاتف جديد، أعتقد لست بحاجةٍ إليه الآن، ويُمكن مهما اتخذنا من احتياطات أنْ يتمَّ كشف هويَّتينا وتتبعه.

ظَلَّ ناظرًا لها وهو يرسم على وجهه ابتسامة خفيفة، وأخيرًا قال:

- وهو المطلوب، وتابع:
- سوف أخبرك بكل شيء في وقته، ولكن الآن علينا أن نقوم ببعض الأشياء الهامة، وسوف أشرح لك كل التفاصيل.

وأنهى عبارته وقام بجذبها من ذراعها، ودخلا إلى إحدى الأذقة الجانبية المظلمة، وتقدّم من إحدى مداخل العقارات، وطلب منها أن تُغيّر ملابسها بالكامل، وهو سوف ينتظرها هنا ليراقب الأجواء حتى تنتهي، وبالفعل قامت بما طلبه منها، وما أن انتهت حتى وجدته قادمًا إليها ويديه إحدى عبوات الإسبراي الخاصة بصبغ الشعر بسرعة، ولكنها لا تدوم طويلًا، وطلب منها أن تصبغ شعرها بهذا اللون الأحمر القاني، نظرت له بذهول، ولكن نظرة عينه أجبرتها أن تطيعه، وبالفعل في خلال دقائق أصبحت من ذوات الشعر الأحمر الناري المتوهج، وقام هو أيضًا بفعل المثل بشعره وقام بتغيير ملابسه بالكامل، وما أن انتهى حتى جذبها من ذراعها مرة أخرى، وهي تتبعه مُستسلمة، وخرج من الشارع الجانبى المظلم إلى شارع آخر أكثر حيوية، وقام بالدخول إلى إحدى المقاهي المزدهمة بالرواد، وأخرج الحاسوب من حقيبة ظهرها وأعطاهما إيّاه وقام بفتح اتصال آمن بالإنترنت عن طريق هاتفه الخلوي، وطلب منها أن تُرسل رسالة مشفرة إلى المخابرات المصرية تُخبرهم بتغيير الخطط، وأن ينتظروا رسالة غدًا في نفس التوقيت، وبالفعل قامت بما طلب منها، وانتظرا دقائق قليلة حتى أتاهما الإشعار بوصول رسالة فحواها الموافقة.

أغلق شاشة الحاسوب ووضعها في حقيبة الظهر الخاصة بها وجذبها من ذراعها مرة أخرى وخرج من المقهى، وهنا سحبت ذراعها من يده بالقوة، وكادت أن تصرخ به أن يتوقف. أريد أن أفهم كل شيء الآن، لن أتحرك خطوة واحدة بهذه الطريقة مرة أخرى، حتى تخبرني بكل التفاصيل، يجب أن أتحرك بناءً على خطة وليس بهذه الطريقة، وكأنني تلميذة أو طفلة بيد ولي أمرها.

نظر لها طويلًا وكاد أن يفقد أعصابه، ولكنه تمالك نفسه، وصمت قليلًا وتنفّس بهدوء كي يخرج انفعاله وقال لها:

- حسنًا، سوف أخبرك بكل شيء ولكن لنتحرك سريعًا، وسأخبرك ونحن نسير، وبالفعل أطاعته فتابع حديثه:

- الخطة الموضوعية من المخابرات المصرية منذ أكثر من عامين، وخلال هذين العامين حدث تطور رهيب في المنظومة الأمنية الإسرائيلية، وتم دخول الذكاء الاصطناعي بها، بل تكاد تكون كل كاميرات المراقبة بالشوارع، أو المتاجر العامة والمولات مرتبطة بالسيرفرات

الرئيسية للشاباك أو (الشين بيت)، أو جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي وبدورها مرتبطة بالموساد؛ لأنَّ الجهازان ومعهما جهاز (أمان) أو المخابرات الحربية خاضعين لرئاسة الوزراء بإسرائيل، وجميعهم يعملون معًا بالتنسيق التام، ومُنذُ أن تمَّ استخدام الذكاء الاصطناعي في أنظمة المراقبة، مُجرَّد أن يتمَّ إعطاء الحاسوب صورة أو عدَّة صور تفصيلية للهدف _بالتركيز_ يمتلكون آلاف الصور الخاصة بكِ وبِ أيضًا، يقوم الذكاء الاصطناعي برصد ومقارنة كلَّ الصور القادمة من كاميرات المراقبة بالكامل ويُقارن الوجوه والسمات الجسدية أيضًا، لهذا أولًا يجب أن تُغيِّر ملامحنا بقدر المُستطاع، ولكنَّ قبلَ هذا قُمتِ بشراء هاتف جوال لجواز السفر المُعدَّ لهروبكِ والذي يحتوي صورة لكِ، فأصبحَ بغير قيمة؛ لأنَّكِ عند عبوركِ لأيِّ منفذٍ به ومُجرَّد مرور جواز السفر على الماسح الضوئي، فالذكاء الاصطناعي يُعطي إشارة لحظية بالقبض عليكِ، لهذا قُمتِ بعملية الشراء والغرض منها خُداع الذكاء الاصطناعي. نظرتُ له وهي فاعرةٌ فاهما من الدهشة:

- كيف هذا؟

تابع حديثه:

- سوفُ أخبركِ ولكنَّ يجب أن نقومَ بتغيير بعض السمات الشكلية لنا مثل النحافة والسمنة، فيجب أن ترتدي بعض الملابس الثقيلة أسفل ملابسكِ، وسوفُ أقومُ بالمثل مع تغيير لون الشعر، مع هذه القُباعات نكون نجحنا بنسبة تُقارب ال ٤٠ % في خُداع الذكاء الاصطناعي، يأتي بعدها خطة الخداع للعقل البشري، وهي التي قُمتِ بشراءِ الهاتف من أجلها، أولًا أريدكِ أن تتصلي بأيِّ رقم بالدولة السورية ومدة المكالمة لا تتجاوز الثلاثين ثانية فقط، وبعدها سوفُ أخبركِ باقي الخطوات ولكنَّ هيّا فلنُسرِع، فكلُّ دقيقةٍ ولها ثمنها. ظلَّت تنظر له طويلًا، ولكنها أطاعته في النهاية؛ حيثُ أدركت مدى ذكائه وحنكته، وقد كان.

الفصل الرابع

- اجلس يا (خيري).
- قالها السيّد مدير المُخابرات العامّة المصريّة لخيري، وهو يُشير له ليجلس في المقعد المُقابل له في هذا المقهى المُطلّ على النيل مُباشرة، ألقى (خيري) جسده المكتنز وهو يلهث من فرط الحركة والحرارة والانفعال.
- تقدّم منهم النادل فطلب منه سيادة المُدير قدحين من القهوة، وبعدَ انصرافه ظلّ الصمت هو السائد بينهما لفترة، قطعهُ السيّد مدير المُخابرات العامّة قائلاً:
- كيفَ حالكَ الآنَ يا (خيري)؟
- وكيفَ حال العمل؟
- لم يُجيب (خيري) ولكنّه تمتم بعباراتٍ غير مفهومة.
- حسناً يا (خيري)، سوفَ أدخل في الموضوع مُباشرة، لقد ظهرَ (آسر).
- قالها السيّد مدير المُخابرات، وصمّت من بعدها لفترة، كانتُ خلالها ترتسم أعتى علامات الذهول والصدمة على وجه (خيري)، الذي ظلّ صامتاً، فتابع السيّد مدير المُخابرات العامّة:
- لم نتأكد بعد، ولكنّ كلّ الأدلة تؤكّد أنّه هو، بل إنّهُ قد تواصلَ معنا بالفعلِ عن طريق أحد عملائنا في إسرائيل.
- تواصلَ معكم؟؟!!!
- قالها (خيري) بذهول وعيناهُ تكاد تخرج من محجريهما من فرط الاتساع.
- نعم يا (خيري)، ليسَ هذا فحسب، فقد ساعدنا في إخراج أحد أهمّ الشخصيات النضاليّة الفلسطينيّة من سجون الاحتلال، وإخراجه خارج الأراضي المُحتلّة بالكامل وإيصاله سالمًا إلى مصر، ومن قبلها أخرجَ ابنته الوحيدة وأنقذها، وهو الآن يخوض حربًا مُفردة ضد دولة الاحتلال بالكامل، وهو ناجح حتّى الآن في إشعال النيران في كلّ مكانٍ يذهب إليه، وكلّ هذا دونَ أن تمسّ شعرة واحدة من رأسه، حتّى أنّه يُذكرني بأبيه في شبابه.
- قالها السيّد مدير المُخابرات العامّة، وصمّت قليلاً ليعطي فرصة لخيري ليستوعب الأمور، فنطقَ (خيري) أخيراً:
- كيفَ لطفٍ صغير أن يفعلَ كلّ هذا؟
- ابتسم السيّد مدير المُخابرات العامّة وقال:

- لقد مرّت أكثر من خمسة عشر عامًا يا (خيري) مُنذُ أن رأيتُه آخر مرّة أو سمعت عنه أخبار، لقد أصبح شابًا الآن في السادسة والعشرين من عُمره، ليسَ هذا فحسب؛ بل أيضًا أنهى دراسة هندسة الحاسوب في إسرائيل، ومن نبوغه تمّ تعيينه في (الموساد) بقسم الاختراق والتتبع.

كان اتساع عين (خيري) يزداد ويزداد وأنفاسه تتابع حتّى كادَ يلهث من فرط الانفعال، وكأنّه في مضمار للجري.

- وهل تأكدتم من شخصيته؟

قالها (خيري) بحذر، فاعتدل السيد مدير المخابرات في مقعده وأسند ظهره للخلف وقال:

- لم نتأكد بعد التأكد التام، لكنّ الدلائل تُشير إلى أنّه هو حقًا، بل إنّهُ الآن يُساعد إحدى عملائنا في إسرائيل، الذي تمّ كشف شخصيته على الخروج والعودة إلى مصر.

غمغم (خيري) بصوتٍ خفيض:

- وماذا يُريد؟

ولماذا تواصل معكم؟

صمت السيد مدير المخابرات قليلًا وأجاب:

- يُريد العودة يا (خيري).

- العودة؟! إلى أين؟

- إلى مصر يا (خيري)، يُريد العودة إلى مصر، يُريد العودة إلى جذوره، إلى وطنه، إلى أهله.

قالها السيد مدير المخابرات، و(خيري) أمامه يكاد لا يتنفس من فرط الانفعال والذهول.

فما قاله لم يكن يستطيع أيّ فرد تخيُّله أو يحلم به أبدًا.. أبدًا.

تقدّم (ليان) ومن خلفه (نورهان) من شباك التذاكر في محطة القطارات الرسميّة في مقاطعة

(رامات هاشرون) بتلّ أبيب.

تذكرتين من فضلك إلى (أورشليم) في قطار الساعة الثامنة مساءً.

وبالفعل قام بأخذ التذكريتين وتحركًا معًا، وقاما بالذهاب إلى المقهى الخاصّ بمحطة القطار،

وجلسا على إحدى الطاولات وطلبا مشروبين مُثلّجين كأيّ اثنين مخطوبين أو عُشّاق.

والآن يا (نورهان) أخرجي الهاتف وأجري اتصالًا بأيّ رقم داخل سوريا، وحاولي أن تقطعي

الاتصال قبل ثلاثين ثانية؛ كي لا يتمّ تتبّعه بنسبة ١٠٠ %، فقط أريدُ أن يتم التقاط الاتصال

وتحديد المكان ولكن لا يدركون فحوى الحوار.

أخرجت الهاتف ونظرت في شاشته التي تُشير إلى الساعة الثامنة مساءً إلّا عشر دقائق،

وقامت بإخراج ورقة صغيرة كانت بينَ بطانة حقيبة ظهرها، وبها بعض أرقام الهواتف

ووسائل الاتصال للطوارئ، وقامت بالاتصال برقم داخل الدولة السوريّة وما أن تمّ الاتصال حتى قالت:

- مرحباً (أمّي)، أنا في طريقي إلى (القدس) الآن، ومُجرّد وصولي سأُتصل بكِ مرّة أُخرى؛ كي أطمئنك على وصولي.

نعم يا أمّي وأنتِ أيضاً، لقد قمت بالصلاة من أجلكم في كنيسة المهدي أنتِ وأبي، وسوف أصلي لكما أيضاً بكنيسة القيامة مُجرّد وصولي إلى (القدس)، أدام الله صحتكما، إلى اللقاء. قالتها وأغلقت الاتصال ونظرت في ساعة يدها، لم تكن تجاوزت الثلاثين ثانية بالفعل، فأشار لها (ليان) بعلامة (أحسنّت) بإبهامه، وأمسكها من ذراعها وقام بسحبها خارجاً وهي مُستسلمة له تماماً.

خرجوا خارج المقهى الخاصّ بمحطة القطارات، وسارا حتّى وصلا إلى الرصيف الخاصّ بالقطار المتجه إلى (القدس)، وصعدا القطار وعينا (ليان) تبحث عن المقعدين الخاصّين بهما، حتّى عثر عليهما وأشار لنورهان بالتوقف، وتقدّم من المقعدين المتجاورين الخاصّين بهما، وانحنى أرضاً بجوار المقعد ومدّ يده أسفله وقام بانتزاع جزء من حاشية المقعد ممّا ساعد على ظهور جزء مُفرّغ صغير، والتفت إلى (نورهان) وأشار لها بإعطائه الهاتف الجديد، فنظرت له بإندهاش ولكن مع نظرة عينيه الصارمة أطاعته.

تناول منها الهاتف وقام بضبطه على وضع الصامت وقام بوضعه في الجزء الذي اقتطعه من حاشية المقعد، واعتدلّ وأمسك ذراعها وأخذ طريقهما خارج القطار، الذي بدأ في التحرك. تقدّم مُسرّعاً من باب القطار وهو يُطلق صافرة الإنذار بالابتعاد كي يغلق، ومدّ يده ليمنعه من الإغلاق، وبيده الأخرى يُمسك بذراع (نورهان)، وأنزلها من القطار وتبعها بقفزة سريعة، ومن خلفه أغلق القطار بابه وأخذ في التحرك.

ظلاً واقفين يشاهدان تحرك القطار مغادراً محطة (رامات هاشرون)، وما أن ابتعد حتّى التفت إلى (نورهان) وقال:

- هيّا بنا.

تبعته وألف سؤال يطرح نفسه بعقلها، لماذا فعل هذا.. لماذا؟!

الفصل الخامس

ظَلَّ الصمت هو المُسيطر لفترة طويلة على الطاولة التي تجمع السيد مدير المُخابرات المصرية (خيري) حتَّى قطع الصمت (خيري) مُتسائلاً:

- وماذا ترى يا سيدي؟

- لم نُقرر بعد يا (خيري) في الإدارة، ولكننا في انتظار نتائج بعض اللجان المُنعقدة لبحث الموضوع، وأيضًا بعض المعلومات التي يجمعها رجالنا هُناك في إسرائيل، قالها وصمت.

ظَلَّ (خيري) ناظرًا له في انتظار أن يُكَمِّل حديثه، ولكن طالت فترة الصمت فتحدَّث (خيري):
- وما هو المطلوب مِنِّي بالضبط يا سيادة المدير؟

ابتسم السيد مدير المُخابرات، ونظرَ لخيري نظرة إعجاب وقال:

- ما أطلبه منك خارج حدود العمل يا (خيري)، ما أطلبه منك هو بصفة شخصيّة، ويندرج تحت بند ثمن الصداقة، قالها وهو ينظر لخيري في عينيه، التي بالفعل لمعت وترقرق الدمع بها تأثرًا.

- وأنا كُلي لها، أنا فداء لصديق عمري، وصمت قليلًا وتابع:

- وابنه.

قالها (خيري) وما أن انتهى من هذه العبارة، حتَّى انهمرَ الدمع يُغرِق وجهه، فصمت السيد مدير المُخابرات قليلًا احترامًا لمشاعره، وأخيرًا قال:

- وأنا أعلم أنّك لن تتوانى أبدًا يا (خيري) عن أن تُضخّى بحياتك نفسها من أجل (أشرف)، ولكن يجب أن تعلم أن حياتك أيضًا غالية جدًّا ليس علينا فقط، وإنما على مصر كُلها يا (خيري).

أنهى حديثه وانتظر فترة ليستجمع مشاعره، ويترك فرصة أيضًا لخيري ليتمالك نفسه، وبعد فترة من الوقت نظرَ لخيري واستجمع قواه وقال:

- ما أطلبه منك هذه المرة يا (خيري) لا ولم أعتقد أبدًا أن يأتي وقت وأطلبه من أي إنسان، وخاصّةً منك أنت يا (خيري).

- وأنا لها يا سيدي.

قالها (خيري) بحماس وعينه تحمّلان كُل الاصرار.

- مهمتك ليست هُنا يا (خيري)، مهمتك هُناك في إسرائيل!

قالها وصمتَ تمامًا، ثُمَّ تابع أخيرًا:

- أنتَ الوحيد الذي يُمكنه أنْ يتعرّف على (آسر)، وخاصةً بعدَ إختفاء (أشرف) وكذا (هدى)، وليسَ هذا فقط، ولكنْ هل تُدرك مردود الأمر على (آسر) شخصيًا، حينما يراك أمامه في إسرائيل، ساعتها فقط يُدرك أنْ مصر ورجالها يفعلونَ المُستحيل من أجلِ أبنائها ومن أجلِ كُلِّ دَمٍ مصري، حتّى وإنْ لم يَكُنْ مصريًا خالصًا، فيكفي فقط أنْ أباهُ يستحقّ منا جميعًا ما هو أكثرُ نظير ما فعله لمصر.

انحدرت دمعهُ حبيسةً من عين (خيري) وتابع:

- وأنا لها بإذن الله.. وأعدك سيدي، لن أعود إلّا مع ابن صديق عمري، لن أعود إلّا به سالمًا بإذن الله.. سأعود بآسر.

- لقد تمّ رصد (راشيل).

قالها (شاؤول) مُنتهى بحماس وهو يقف على باب غرفة السيّد (يوسي)، ممّا جعل كُلِّ حواسهِ تنتبه إليه ويسأله:

- أين؟ ومتى؟

تابع (شاؤول) قائلًا:

- تمّ رصد أنثى تقريبًا بذات المواصفات الجسدية عن طريق كاميرات المراقبة العامة، وقد قامت بشراء هاتف محمول جديد من إحدى المحلات التجارية باسم (مادلين فريد) سورية الجنسية، وكان معها شاب لا تظهر ملامحه بوضوح تمامًا ولكنّ الذكاء الاصطناعي أكد بنسبة ٧٠ % أنّه (ليان)، وبعد الشراء تحرّكًا مرّةً أخرى وتمّ رصد الهاتف الجديد وتتبعه إلى محطة قطارات (رامات هاشرون)، وتمّ إجراء اتصال بدولة سوريا، وتمّ رصده وموقعه بالكامل، ولكنّا لم نستطع فتح منفذ صوتي للتتبع؛ فالمكالمة كانت قصيرة جدًا، والقطار الآن في طريقه إلى (أورشليم) وهما على متنه.

ظلّ السيّد (يوسي) صامتًا لفترة وأخيرًا قال:

- أرسل رجال التدخل السريع إلى محطة (أورشليم)، أريدُ أن يتمّ فرض سياج أمني على المكان بالكامل، لا أريدُ أنْ تتمكن ذبابة من الدخول أو الخروج دونَ إذنٍ مُسبق، وأيضًا أريدُ أنْ تنشر صور (ليان) وكذا (راشيل) في كُلِّ المحطات التليفزيونيّة وعلى كُلِّ وسائل التواصل الاجتماعي، والمواقع الإخبارية والتنويه أنّهما ارهابيين خطيرين ومكافاة لمن يُدلي بأيّة معلومات عنهما، وأعطيت تعليمات واضحة وصريحة لمرفق القطارات بعدم إيقاف القطار المتجه إلى أورشليم لأيّ سببٍ من الأسباب في أيّة محطة أخرى، وأريدُ بيان تفصيلي بكُلِّ الركاب، وكذا تفريغ كُلِّ كاميرات المراقبة للقطار ومحطة (رامات هاشرون)

خلال آخر ساعتين، وامداد السيرفرات الرئيسية الخاصة بالذكاء الاصطناعي بهم لفحصهم، وايضا الخبراء الفنيين يقومون بمراجعتهم، وأعطى النتائج مباشرة.

هم (شاؤل) بالانصراف لكن السيد (يوسي) قد أوقفه:

- وأين السيد (مؤش) لم يأتِ إلى مكتبه منذُ الصباح، ولا يردُّ على أيّة اتصالات سواء في منزله أو هاتفه الجوال، أرسل قوة إلى منزله أريدُه خلال ساعة واحدة يكون أمامي هنا في مكنتي.

قالها وأشار له بالانصراف، ونظر إلى شاشة الحاسوب التي بجواره وإلى صورة (ليان)، التي تحتلها من ملفه الخاص الذي كان يُراجعُه للمرّة المئة وقال:

- أعدك أنّك هذه المرّة لن تفلت أبداً، وسوف أضعك بيدي خلف القبضان، وأحرص شخصياً على ألا ترى ضوء النهار مرّة أخرى في حياتك.

قالها وهو يضغط بقوة على القلم الذي بينَ يديه حتّى سحقه تماماً دونَ أن يشعر وتابع:

- أعدك يا (ليان).. أعدك.

الفصل السادس

-أكاد أختنق، لا أستطيع التنفس .

قالتها (نورهان) وهي تسير مُتأبطة ذراع (ليان) ويسيران متجاوران، فمالَ (ليان) إليها هامسًا:

- أرجو أن تتماسك لبعض الوقت، أعلم أن هذه الملابس كثيرة للغاية، ولكن لتغيير الشكل العام لجسدنا؛ كي لا يتم رصدنا وتتبعنا عن طريق الذكاء الاصطناعي، فهو لا يعتمد على الملامح فقط، وإنما على تفاصيل الجسد بالكامل أيضًا وكذا طريقة الحركة أثناء السير، وكُلّ خلجة وتفصييلة في شخصيتك.

والآن هيا، سوف نذهب إلى هذا المول القريب، وهو مُكيّف الهواء فستشعرين بتحسُن قليلًا هناك.

قالها وتحركًا معًا إلى مدخل المول، وما أن دخلا من باب المول حتَّى أخرج هاتفه وأجرى اتصالًا سريعًا:

- أهلاً (مسعود)، نعم لقد وصلنا إلى المول، سنكون في انتظارك عند ذلك المقهى الشهير في الطابق الأرضي، نعم عشر دقائق بالأكثر.

قالها وتحركًا معًا، وأثناء مرورهما أمام إحدى الشاشات العملاقة الإعلانِية الخاصة بالمول، فوجئا بصورهما تتوسط الشاشة الضخمة مع بيان يُفيد بأنَّهما إرهابيين هاربين، والإعلان عن مكافأة لمن يُدلي بأيّ معلومات عنهما أو تساعد في إلقاء القبض عليهما.

نظر تجاه (نورهان) وجدها مُمتعة الوجه، تكاد تسقط فاقدة الوعي من الصدمة، فأمسك ذراعها جيّدًا وجذبها للتحرك بعيدًا وهو يهمس في أذنها:

- لا تخافي واهدي، فمع كُُل هذه الملابس وغطاء الرأس الذي ترتدينه (الحجاب) تمّ تغيير شكلك بالكامل، ولن يشك بنا أحد خصوصًا مع كُُل الملابس التي أردتها أنا أيضًا وهذه القُبعة التي تخفي نصف وجهي، ولكن يجب علينا أن نتحرك سريعًا، فبمُجرد أن يأتي (مسعود) نخرج من هنا بسرعة، والآن بعد أن كانَ لنا عدوًا واحدًا أصبحَ لنا ألف عدو!

سارا معًا بهدوء كي لا يلفتا الانتباه حتَّى وصلا إلى المكان المُتفق عليه، وما هي إلّا دقائق قليلة وظهَرَ (مسعود)، فتقدّم منه فاتحًا ذراعيه وتعانقا.

- لم أتوقع رؤيتك بهذه السرعة يا صديقي.

قالها (مسعود) وهو يبتسم لليان.

- وأنا أيضًا لم أتوقع هذا يا (مسعود)، ولكن لنخرج من هنا الآن وبسرعة، فقد تمّ إذاعة صورنا وأعلنوا عن مكافأة كبيرة لمن يُرشد عن مكاننا أو يدلو بمعلوماتٍ عن شخصيّاتنا، وهذا المكان مُزدحم كما ترى.

أنهى عبارته وتحركوا معًا وفجأة تعالى الصراخ من خلفهم:

- هؤلاء هم الإرهابيين الفارين.

تحرك (ليان) بسرعة دون أن يلتفت إلى مصدر الصوت دافعًا أمامه (نورهان) و(مسعود) وحتهما على الركض، وبالفعل انطلقوا يركضون ومن خلفهم تعالى الصيحات غير مُلتفتين إليها، حتى وصلوا إلى إحدى المصاعد الإلكترونية، فضغط (ليان) سريعًا على زر طلب المصعد، ففتح الباب فاستقل المصعد وأشار لهما بالدخول، وضغط زر الطابق السفلي الخاص بموقف السيارات، فسأله (مسعود):

- ما الذي تنوي فعله يا (ليان)؟

كان عقل (ليان) يعمل سريعًا:

- سوف أحاول تدبير وسيلة مواصلات لكما، وأحاول تشتيت انتباه الجموع؛ لأعطيكما فرصة للفرار.

قالها وكان المصعد قد وصل إلى الطابق السفلي الخاص بموقف السيارات، وما أن فتح الباب حتى انطلقت صفارات الإنذار بالمكان والشاشات تعرض بدء تنفيذ الإجراءات الأمنية للإغلاق الكامل لوجود إرهابيين بالمكان، امتنعت وجوههم، فالهرب الآن أضحي صعبًا.. بل مستحيلًا!

جلس (موشى) ممتقع الوجه، ينظر أرضًا ويكاد ينفجر وجهه الأبيض المشرب بحمرة الغضب، أمام مكتب السيد (يوسي) وظل الأخير ناظرًا إليه في صمت.

- هل تريد إخباري يا سيد (موشى) أن شابًا صغيرًا مثل (ليان) نجح في شل حركتك، بل في إحكام وثاقك شبه عاريًا بمفرده؟

أُيعقل هذا؟!

السيد (موشى) رجل الموساد الأول، الذي كانت ترتجف القلوب لمجرد ذكر اسمه، ويكفي فقط أن يُذكر اسمه في إحدى العمليات لتعرف نتائجها مسبقًا، لقد كانت تُدرس عملياتك في مدرسة (الموساد)، فكيف ينجح شاب صغير فيما فعل بك؟

ظل (موشى) صامتًا، ووجهه يزداد احمرارًا وامتقاعًا، وأخيرًا تحدث:

- إنّه شيطان صغير، ساعده سنّه الصغير وخفة حركته على أن ينجح فيما فعل، ولكن تأكد يا سيد (يوسي) أنني لن أتركه أبدًا حتى لو كان هذا آخر شيء أفعله في حياتي كلها.

نظر له السيد (يوسي) نظرة سُخرية وقال:

- سنرى.. سنرى.
والآن أخبرني بكل التفاصيل والأحداث التي دارت بينكما أثناء احتجارك وتقييدك، قالها بأسلوبٍ ساخرٍ قاصداً ومُتعمداً الضغط أكثر على ما تبقى من كرامة السيد (موشى).
تحدثت (موشى) دون النظر إليه:
- لقد طلب معلومات غريبة، وقال كلاماً غريباً!
شحن السيد (يوسى) كل حواسه عند ذكر هذه النقطة، واقترب أكثر من خلف مكتبه إلى السيد (موشى) الجالس أمامه وقال له:
- أي نوع من المعلومات؟
وهل أخبرته بها؟
تابع (موشى) حديثه:
- بالطبع لم أخبره بأية معلومات مفيدة، كل ما كان يُريده هو معلومات عن (سيبيل جروهار)، ليس هذا فحسب؛ بل وعن ذلك الشيطان المصري، رجل المخابرات الأسبق (أشرف صبحي)، قد راوغته وأعطيته معلومات بلا قيمة، ولكن ما لفت انتباهي قوله بأنه ابن الحسنة (سيبيل جروهار) ليس هذا فحسب، بل ابنها من ذلك المصري!
اتسعت عينا السيد (يوسى) عند هذه النقطة وتعالَت الدهشة على وجهه وتساءل:
- ابن (سيبيل) وذلك المصري (أشرف صبحي)!!!
كيف حدث هذا؟ ومتى؟؟؟
- هذا ما حاولت أن أستدرجه فيه لمعرفة التفاصيل، ولكنني لم أنجح؛ لذلك وبراعته فهو وكنوم للغاية.
نظر له السيد (يوسى) طويلاً وظل صامتاً.
- هل تعلم لو ما أخبرك به صحيح، فما الذي يعنيه هذا؟
وتابع دون أن يترك فرصة لموشى للرد:
- أن هناك ثغرة أمنية رهيبة جداً في الموساد، واستدار وانتزع هاتف مكتبه وضرب رقم مختصر:
- أريد كل ملفات العمليات الخاصة بسيبيل جروهار، وكذا كل ملفات العمليات والمعلومات الشخصية التي يمكن توافرها عن ضابط مخابرات مصري يدعى (أشرف صبحي) الآن تصل إلى الحاسوب الخاص بي.
وضع سماعة الهاتف بقوة وغضب، ونظر تجاه (موشى) وتابع:
- والآن أريد كل التفاصيل، وكل معلومة أخبرته بها، وكل معلومة أخبرك هو بها، فما سوف يحدث لاحقاً لن نحمد عقباه أبداً.. أبداً.

الفصل السابع

تعالى صوت طرقات هادئة على باب تلك الشقة السكنية المطلة على النيل، وما هي إلا دقيقة واحدة حتى فُتِحَ الباب، وظهرت من خلفه (زينة) وما أن رأت الطارق حتى ارتسمت ابتسامة واسعة على شفيتها، ودعت الطارق للدخول مُرحبة به ولكنها شاهدت أحداً آخر خلفه، فتحدث الطارق قائلاً:

- كيف حالكِ ابنتي، هذا السيد (خيري) من أعظم الخبراء في الجهاز لدينا، وقد أتى معي للقاء الشيخ دياب، والترحيب به.

اتسعت ابتسامة (زينة) وأفسحت المجال وأشارت مُرحبة:

- كُلُّ مَنْ يَأْتِي مَعَ سَيَادَتِكَ فَهُوَ مُرْحَبٌ بِهِ دَائِمًا سَيَادَةُ الْمُدِيرِ.

تقدّم السيد مدير المُخابرات ومن خلفه (خيري) حتى وصلا إلى غرفة الاستقبال، ومُجرّد دخولهما تعالى صوت الشيخ (دياب) بالترحيب من خلفهما، فالتفتا إليه وتعانق السيد مدير المُخابرات والشيخ (دياب) معًا، وطالَ العناق قليلاً وما أن انتهى الشيخ (دياب) بالترحيب بالسيد مدير المُخابرات حتى التفّت مُرحبًا بخيري بحرارة وكأنّه يعرفه مُنذُ عقود، واتخذ كُلُّ واحدٍ مجلسه.

- شُكْرًا لَكُمْ.

نطقها الشيخ (دياب) بكُلِّ إمتنان وحبٍّ مُوجّهًا حديثه للسيد مدير المُخابرات العامة، فنظرَ إليه مُبتسمًا:

- لَا شُكْرَ بَيْنَ الْأَشْقَاءِ يَا شَيْخَ (دياب)، أَنْتَ قَامَةٌ وَمِثَالٌ لِلْكَفَاحِ، وَأَيُّقُونَةُ لِلْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ، وَهَذَا أَقْلُ تَقْدِيرٍ وَوَاجِبٍ مِنَ الْحُكُومَةِ الْمِصْرِيَّةِ تَجَاهَ شَخْصِكَ.

تأثر صوت الشيخ (دياب) وقال:

- أَعَزَّكَ اللَّهُ وَبَارَكَ لَكُمْ وَأَعَانَكُمْ، وَجَعَلَكُمْ دُخْرًا وَعَوْنًا لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ بِأَكْمَلِهِ وَلِلْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ بِالْأَخْصِ.

قاطعه السيد مدير المُخابرات وهو يربت على ساقه:

- دَعَكَ مِنْ هَذَا يَا شَيْخَ (دياب)، لَقَدْ جِئْنَا لِلْأَمْنَيْنِ عَلَيْكَ، وَأَيْضًا لِسُؤَالِكَ عَنِ (ليان).

ارتسمت ابتسامة حانية على وجه الشيخ (دياب) عندَ ذِكرِ اسمِ (ليان) وقال:

- حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَخْرَجَهُ سَالِمًا مِنْ هُنَاكَ، وَأَنَا تَحْتَ أَمْرِكُمْ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يُسَاعِدُ (ليان) وَيُسَاعِدُكُمْ.

وهذا ما نتوقعه منك يا شيخنا، السيد (خيري) هو أقرب شخص لوالد (ليان) وصديقه المُقَرَّبُ والوحيد تقريبًا، فأريدُ منك أَنْ تُخْبِرَهُ بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ، وَتَصَفَّهُ لَهُ بِالتَّفْصِيلِ.

قالها السيّد مُدير المُخابرات، وتركَ الحديثَ للآخرينَ معًا، وبالفعلِ شرَعَ في الحديثِ معه. كانَ الشيخ (دياب) يحكي كُلَّ الأحداثِ بأدقِّ تفاصيلِها، بينما (خيري) يُنصتُ له بِكُلِّ حواسِه وتتعالى دُقاتُ قلبه.. وتتعالى.

تعالَتْ صافراتُ الإنذارِ بالمكان، فتوقفَ الثلاثةُ وتجمّدوا في أماكنهم عدا (ليان)؛ إذ كانَ عقلُه يعملُ سريعًا، وتحركَ مُسرّعًا وأمسَكَ يدَ (نورهان) و(مسعود) وجذبهما إلى أقربِ الصفوفِ من السيّاراتِ في ذلكَ المَرأب، وانحنى أرضًا وطلبَ منهما فعلَ المثلِ كي لا يراهما أحد.

- والآنَ ماذا نفعل؟

نطقها (مسعود) بلهجةٍ متوتّرة، مُخاطبًا (ليان).

- اسمعني جيّدًا يا (مسعود)، تحرّكنا نحنُ الثلاثةُ صعبٌ جدًّا، تحرّكا أنتما معًا وأنا سوفُ أساعدكما، وأيضًا أشتتُ الانتباهَ عنكما حتّى تستطيعا الفرارَ من هُنا، أوّلًا سأقومُ بتأمينِ وسيلةٍ نقلٍ لكما، ثانيًا كُلُّ المطلوبِ منك أنْ تصلَ بنورهانَ إلى قطاعِ غزّةٍ عن طريقِ الأنفاقِ من داخلِ إسرائيلِ إلى هُناك، وأعتقدُ المُخابراتُ المصريّةُ سوفُ تتولّى مهمةَ إخراجها من القطاعِ بسهولة.

قالها وشرَعَ في التنفيذ، لم ينتظر موافقتهمَا، أخرجَ هاتفه المحمولَ وأسرَعَ بفتحِ شاشةٍ تطبيقي الخرائطِ الشهير (جوجل)، وبحثَ عن أقربِ وحدةٍ شحنِ سيّاراتٍ كهربائيّة، وبالفعلِ أخبره عن مكانها في ذلكَ المَرأب، فأشارَ لهما بالتحركَ خلفه مُنحينِ بجوار السيّات.

وصلوا إلى هُناك، اقتربَ من إحدى السيّاراتِ وفحصها جيّدًا ثُمَّ عادَ إليهما.

- هذه السيّاراتُ الحديثةُ الكهربائيّة، بها نظامُ قيادةٍ آليّةٍ مُرتبطُ بالأقمار الصناعيّة الخاصّة بجوجل، وهذا من حُسْنِ حظنا، فلو كانتْ سيارةً عاديّةً ما نجحتُ فكري.

قالها لهما واقتربَ من السيّارة وهبطَ أسفلها وأخرجَ كابلَ للتوصيلِ من حقيبةٍ ظهره، وأدخله في مدخلٍ خاصٍّ به أعلى الإطارِ الأيمنِ للسيّارة في تجويفٍ يكاد يُرى بالعينِ المُجرّدة.

ظَلَّ يعبثُ بشاشةٍ جوالِه لعدّةِ دقائق، وبعدها تعالَى صوتُ رتاجِ السيّارة يفتح، وقد أضاءتْ أنوارها، وتعالَى صوتُ هديرِ مُحركها، فابتسمَ بركنِ شفّتيه بسُخريّةٍ وقمتم:

- أهلاً بالتكنولوجيا.

أشارَ لهما أنْ يركبا السيّارة.

- اسمعني جيّدًا يا (مسعود)، قد أوقفْتُ نظامَ التتبعِ بالسيّارة وكذا أوقفْتُ القيادةَ الآليّة، أصبحتُ الآنَ سيّارةً عاديّةً جدًّا لكنّها تعملُ بالكهرباء، و طبقًا لمؤشّر البطارياتِ بها، فهي تكفي أنْ تصلَ إلى الحدودِ مع القطاعِ وخاصّةً معبر (بيت حانون) الخاصّ بالمشاة أو معبر

(كرم أبو سالم) الخاصّ بالبضائع، وقد أرسلت لك على هاتفك مسار على تطبيق الخرائط، بعيداً عن الأكملة واللجان الإسرائيلية، هيّا تحرك بسرعة.
- لن أتركك هنا.

قالتها (نورهان) وهي تبكي فنظر لها وقال بلهجة حاسمة:
- لا تقلقي أنا خلفكما مباشرة، ولن أتركك حتى أطمئن من عودتك سالمة إلى أرض مصر، والآن هيّا أسرع حتى لا تكون نهايتنا جميعاً هنا.
تحركت بعد حديثه هذا وجلست بجوار (مسعود)، الذي استدار بدوره إلى (ليان) وقال:
- احترس يا صديقي، أعانك الله، وفي انتظار تواصلك معي.

هزّ (ليان) رأسه بعلامة التأكيد وأشار له بالابتعاد، وبالفعل انطلق (مسعود) بالسيارة مبتعداً، ومن خلفه (ليان) يتابعه وفجأة تعالى هتاف من خلفه.
- اهبط أرضاً وأترك حقيقتك بجوارك.

نظر خلفه مُسرّعاً كانوا ثلاثة ضباط أمن إسرائيليين يُشهبون أسلحتهم في وجهه، فتظاهر بالجزع والخوف وهو يقول بالعبرية:

- أنا لست معهم، أنا مواطن شريف، وقد شعرت بالخوف من صافرات الإنذار وما هي الحقيقية.

قالها وهو يُنزل الحقيقة عن ظهره، وفجأة أطاح بها في وجه أبعد الضباط، وتحرك بسرعة وأطاح بقدمه سلاح آخر، وقبل أن يهبط أرضاً كانث يده تغوص في وجه أقربهم له.

سقط الثلاثة أرضاً بسرعة، فتحرك مُسرّعاً وانحنى لياخذ الحقيقة، لكنّ القدر لم يُمهله؛ فأتثناء اعتداله شعر بتيار كهربي عنيف يسري بكُلّ جسده، جعله ينتفض ويسقط أرضاً، كان ضابطاً رابعاً أطلق عليه من الخلف المُسدس الصاعق، بقوة تصل إلى عشرة آلاف فولت، مادته به الأرض وشعر بتقلص وألم في كُلّ سنتيمتر بجسده، حاول النهوض لكنّ صاعقة أخرى من ضابط آخر قد أصابته، قضت على ما تبقى من قواه، وإرادته لم تعجز أو تلين، صرخ وقاوم وحاول النهوض، لكنّ صاعقة أخرى من ضابط ثالث نجحت فيما فشل فيه الاثنين السابقين، وغامت الدنيا أمام عينيه، وأخر ما رآه هو أرجل العديد من ضباط الأمن الإسرائيليين، العديد والعديد، سقط بين الألف من الاعداء، حاول أن يفتح فاه، لكنّ أحدهم قد عاجله بضربة على رأسه، أظلمت الدنيا من بعدها وسقط في هوة حقيقة، لا قرار لها.

سقط فاقداً الوعي.. وحيداً بين يدي أعدائه.

صراع الذئاب



الفصل الأول

على السادة رُكّاب الطائرة رقم ٨٨٥ شركة العال القادمة من مطار بيروت الدولي ربط الأحزمة، والاستعداد للهبوط في مطار (بن غوريون- تل أبيب) وشُكراً لكم. تعالى هذا النداء في الطائرة، فتحرك هذا البدين جاهدًا لربط حزام مقعده، هذا المقعد الصغير نسبياً الذي احتوى جسده بالكاد، وبعدَ عدّة مُحاولات مُضنية، تقدّمت إحدى المضيفات لمساعدته وبالفعل نجحت في ربط الحزام فنظر لها مُمتنّاً وقالَ بلغةٍ عربيّة ذات لهجة شاميّة واضحة:

- شُكراً لكِ.

نظرتُ إليه وابتسمت وأجابته بلغةٍ عربيّة سليمة:

- لا شُكر على واجب يا سيّدي، أتمنّى لكِ رحلة سعيدة إلى (اسرائيل).

اتسعت ابتسامته ومدّ يدهُ يمسح العرق، الذي يندي جبينه برغم برودة الجو بسبب التكيف في الطائرة، ولكن من المجهود الذي بذله في محاولة ربط الحزام وأجابها:

- ليستُ أوّل مرّة لي في (اسرائيل) فأنا تاجر فواكه، ولديّ مزارع ضخمة في (لبنان) و(مصر) وأغلب صادرات الفواكه تأتي إلى (اسرائيل).

اتسعت ابتسامتها وتابعت:

- السوق الإسرائيلي سوق كبير وضخم وباب إلى الأسواق الأوربيّة والغربيّة. أجبها مُوكّداً:

- بالطبع، بالطبع أعلم هذا.

حيثُة بابتسامة وانصرفت عنه لمتابعة باقي الرُكّاب، وما أن ابتعدت قليلاً حتّى اختفت الابتسامة التي تُزيّن وجهه، وقالَ مُغمغماً:

- سوق ضخم بالاحتلال والقتل والسلب، ولكن أعدك أنّ هذا لن يدوم وسيعود الحق لأصحابه قريباً بإذن الله.

أرّخى رأسه للخلف، وسرح في مُخيّلتِه يتذكر الأحداث.

أفاق (خيري) من أفكاره على صوت رُبّان الطائرة يدعو الرُكّاب للنزول إلى أرض المطار، فتحرك من مقعده وهبط سُلّم الطائرة، وخرج إلى قاعة المطار ذاته، وأنهى اجراءاته كأني مواطن لبناني ويحمل جواز سفر لبناني، تكاد لا تُميّزه عن الأصل أبداً، ومع التنكر الخفيف في ملامحه سارت الأمور على ما يرام.

خرجَ من مطار (بن غوريون- تل أبيب)، ومُجرّد خروجه، اقتربَتْ منه إحدى سيارات الأجرة المُميّزة في (إسرائيل) بلونها الأبيض والشعارات الزرقاء التي تُزيّنُها، واقتربَ من السائق الذي ابتسم له مُحيّياً إيّاه وسأله بعربيّةٍ سليمة:
- أُرِيد السيد أنْ يصلَ إلى منزله سريّعا؟
أجابهُ (خيري):

- مُنتهى السرعة فالأولاد في الانتظار على العشاء.
- لا تقلق يا سيّدي، لم يَعد الأولاد حتّى الآن، ولكنّ العشاء جاهز.
قالها السائق، وهو يهبط ويفتح الباب لخيري، ويضع حقائبه بصندوق السيارة، ويعود لمقعده للقيادة وينطلق، بالتأكيد كانت هذه العبارات هي المُتفق عليها لهذا اللقاء، لكنّ الأهمّ هو الإشعار الذي ومضَ على شاشة هاتف (خيري): ليعلمهُ باقترابه من العميل المنشود، فاطمئنْ (خيري) وجلسَ في المقعد الخلفي، وتركَ العميل يقوده حيثُ الغرفة المُعدّة له في ذلك الفندق البسيط بأطراف مدينة (تل أبيب)، جلسَ وعقله لا يهدأ، ويُفكر في ذلك اللقاء المُرتقب.. ويُفكر، ويُفكر.

- سقطَ بينَ أيدي الأمن الإسرائيليّ يا سيّدي.
قالها (مراد) وهو يقف أمام مكتب السيد مدير المُخابرات العامّة المصريّة، الذي ظهر الاهتمام والجديّة على ملامحه، وسأله:
- كيف ومتى؟
أجابهُ (مراد) بسرعة:

- لقد أعلنت الميديا الإسرائيليّة على قنواتها في التلفاز، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي عن صورهما هو و(نورهان) وأعلنت أنّهما إرهابيّين مطلوبين، ويبدو أنّ بعض رواد المول التجاري الذي كانا به قد تعرّف عليهما أثناء انتظارهما لمسعود، ولكنّ الأخبار المؤكدة هي سقوط (ليان) ولا أخبار حتّى الآن عن (نورهان) أو (مسعود).

صمتَ (مراد) بعد أنْ أنهى حديثه، ورأى صمت طويل نسيباً عليهما معاً، لم يشأ (مراد) قطع أفكار سيادة المدير، ومرّت فترة وفجأة نظر له السيد مدير المُخابرات العامّة وسأله:
- هل وصلت له قوات الموساد؟ أم قوات الأمن العاديّة (الشرطة)؟
- أعتقد حتّى الآن يا سيّدي الشرطة فقط.

قالها (مراد) فصمتَ المدير مُفكّرا حتّى قطعت أفكاره رسالة تنبيه من الحاسوب المتواجد على مكتب مدير المُخابرات العامّة، فالتفت يتصفح الرسالة، و تنهّد ونظرَ لمراد:

- إنها (نورهان) أرسلت رسالة سريعة مُأمَنة ومُشفرة وقسم التحليل أرسلها مباشرة.. تقول إنها ومسعود استطاعا الفرار بمُساعدة (ليان) ولكنهُ سقط، وأيضًا تقول، أَنَّهُ قد أعدَّ لهما طريق إلى قطاع (غزة).
- واعتمدَ في مقعده وقام بإعطاء تعليمات لمراد لتنفيذها:
- هل لنا عملاء الآن قُرب ذلك الموقع؟
- أجابهُ (مراد):
- دقيقة واحدة فقط يا سيدي.
- وأخرجَ هاتفهُ المحمول وأخذَ يضغط على شاشته عدّة مرّات، ونظرَ للمُدير وقال:
- ليسَ هُناك في الوقت الحالي إلا عميل واحد فقط يا سيدي، ولكن...
- لكنّ ماذا يا (مراد)؟
- في الواقع إنها فتاة يا سيدي.
- إنّها العميلة الخاصّة بعملية الإنفاق بالقطاع يا سيدي، هي فتاة صغيرة ولكن رغم حداثة سنّها إلا أَنّها تمتلك قلب أسد وروح مُحارب.
- صمتَ المُدير مُفكّرًا، وأخيرًا تحدّث:
- ما اسمها؟
- الحركي (عسقله) أو بمعنى (أنثى الذئب)،
- لكنّ اسمها الحقيقي (آية).. (آية علاء).
- حسنًا يا (مراد) أرسل لها التعليمات حالًا بالتحرك إلى الهدف، توكل على الله.
- قالها واستندَ بظهره في كرسيّ مكتبه، وهو يُفكّر فيما قد يحدث مُستقبلًا.
- كانَ يعلم أنّ كلّ دقيقة ولها ثمنها،
- لذا لا بُدَّ أن يُسرّع قبل أن يقع (ليان) بينَ يدي الموساد، وخاصّة (يوسي)، لو حدثَ هذا،
- فمن المُستحيل بحقّ إنقاذه.. مُستحيل.

الفصل الثاني

- انهض.
- ضباب كثيف يُغلف عقله، لا يستطيع الرؤية جيّدًا.
- انهض، قاتل.
- تعالى الصوت مرّة أخرى من خلف الغيوم التي تُحيط بعقله، قد سمعَ هذا الصوت من قبل، حاولَ أن ينظر خلف الضباب المُحيط به، لم يستطع الرؤية جيّدًا، ولكنّه شاهد شبح إنسان، لا تظهر تفاصيل جسده، ولكنّ تظهر فقط سماته العامة، جسد ممشوق، عريض المنكبين، يقف عاقدًا ذراعيه.
- انهض ولا تسمح لأحد بهزيمتك.
- تردّد الصوت مرّة أخرى في عقله، كأنّ يشعر بالآلم مُبرحة في كلّ جزء من جسده، وكأنّه تعرّض لصدمة قطار مُسرّع سحقت عظامه، حاولَ أن يتحرّك لكنّ عضلات جسده لم تستجب، وكأنّها ترفض إطاعة أوامره.
- فجأة رأى الشبح يقف أمامه مُباشرة، ومُمسكه من ذراعيه ويقرب من وجهه:
- قاتل، فأنت خلقت مُقاتل، وتذكر الذئب لا تلد إلّا ذئاب.
- انتفض فجأة بعد هذه العبارة، وفتح عينيه، حاولَ أن يستوعب أينَ هو، وبالفعل في أقل من دقيقة أدرك كلّ شيء، أنّه في إحدى سيّارات الشرطة المُغلقة، في الجزء الخلفي منها المُعدّ للاحتجاز، يجلس على إحدى المقاعد ويديه مُقيدة للخلف ومثبتة بإحدى القيود البلاستيكية صعبة القطع المُعدّة للتقييد وكذا قدميه، لكنّ ما لفت انتباهه بحقّ أنّه في سيّارة شرطة عادية وليس بها غيره، حتّى لجزء المُخصص لقائد السيّارة فارغ.
- يبدو أنّهم في انتظار حضور رجال الموساد، وهذا من حُسن حظّي بالتأكيد.
- كانَ يتحدّث مع نفسه بصوت عالٍ، مدّ يده بعدها وتفحص جيب بنطاله الخلفي وابتسم حينما عثر على هاتفه المحمول فيه:
- شكرًا لكم أيّها الأوغاد.
- قالها وهو يبتسم، وبصعوبة أخرج الهاتف ووضعه خلف يديه مباشرة، وبصوت هادئ قال:
- Ok google وهي العبارة المُخصّصة للنداء لمُساعد جوجل الذكي بهواتف الأندرويد، وبالفعل نشط مُساعد جوجل وأجابهُ أنّه في انتظار أوامره.
- قُم بفتح قفل الحماية.

- تمّ الأمر يا سيّدي.
ابتسم (ليان) وتابع أوامره:
- فم بفتح شاشة الأوامر الرئيسية للبرمجة.
- تمّ الأمر يا سيّدي، ولكنّ وجبّ التنبيه أنّ بعض الأوامر الخاطئة في شاشة البرمجة الرئيسية قد تُسبب إجهاد على المُعالج الخاصّ بالهاتف، وأيضًا البطاريات وهو ما يؤدي إلى اشتعالها مع الحرارة الزائدة، لأنّها مصنوعة من مادّة الليثيوم.
- ضحك (ليان) وقال بصوت خافت:
- وهو المطلوب يا صديقي، وتقبّل آسفي مُقدّمًا وشُكرًا لك، فقد كُنْتُ خير مُعين لي الفترة الماضية.
- أنهى جُمْلته وشرع في إلقاء أوامر إلى الهاتف والهاتف يقوم بكتابتها في شاشة البرمجة الرئيسية، وما هي إلّا دقيقتين بالضبط حتّى أعطى الهاتف إنذار بارتفاع درجة حرارة المعالج.
- حسنًا سيّدي، ولكنّ يجب الآن إيقاف كُلّ العمليات، والدخول في وضع الثبات؛ لحماية الهاتف من الاحتراق وحماية البيانات المُخزنة.
- قالها الصوت الآلي مُساعد جوجل، لكنّ (ليان) أجابه:
- تجاوز كُلّ إجراءات السلامة وأكمل المهام.
- حسنًا يا سيّدي.
- وبالفعل شعر (ليان) بلفيح الحرارة خلفه، وبدأ الدخان بالتصاعد، وظهر الشرر من احتراق البطاريّة، مدّ (ليان) يده المُقيّدتان تجاه اللهب والشرر، شعرَ بالنيران تحرق يده ولكنّه تمالك نفسه، وحدث ما أَراد، وبالفعل قطع السوار البلاستيكي الذي يُحكم وثاقه من الخلف بالمقعد ويُقيّد يده معًا، فسحب يده مُسرّعًا اتقاءً للنيران المُشتعلة من خلفه، وأمسك بقايا الهاتف المُشتعل وقامَ بوضعه فوقَ السوار الذي يُقيّد قدميه حتّى قُطع هو الآخر، وأخيرًا تحرّزَ (ليان) بالكامل، ألقى الهاتف أرضًا وهو يغمم:
- شُكرًا لك يا صديقي.
- لم يتبقّ له الآن سوى الخروج من سيّارة الشرطة، أخذَ يتفحص السيّارة جيّدًا، اقتربَ من الشباك الصغير بينَ قمرة قيادة السيّارة والجزء الخلفي، وتجوّل بنظره في قمرة القيادة بالكامل، عثرَ على السُترة الخاصّة بالضابط المستوول عن القيادة، أدخل يدهُ في النافذة الصغيرة، وظلّ يعبث بالسُترة وكما توقع وجدَ الهوية الالكترونية الخاصّة بالضابط، فأمسكها في يدهِ وقامَ بتمريرها على شاشة حاسوب السيّارة ،، فأضاءت الشاشة وتعالى صوت المساعد.

- كيفَ أستطيعُ مُساعدتك؟
أجابَ (ليان) بصوتٍ واثقٍ ورزين:
- تجاوزَ إغلاقَ السيّارة، لقد أغلقت السيّارة بالخطأ وأنا بالجزء الخلفي منها.
صمتَ المُساعد لثوانٍ ثُمَّ أجابه:
- تجاوزَ إغلاقَ السيّارة ليسَ من الصلاحيات الخاصّة المتاحه لحاسوب السيّارة، لتنفيذها سيتم تحويلك إلى إدارة الأمن الآن في اتصال صوتي مباشر ليقوم أحد مسؤولي الخدمة بمُساعدتك.
- أنهى هذه العبارة وتعالى صوت الاتصال بمركز خدمة الطوارئ الخاص بالشرطة، وأتى صوت أنثوي يطلب منه تعريف نفسه، أمسكَ (ليان) الهوية الإلكترونيّة وأجاب:
- أنا الضابط (عزرا يمتاي) ولقد أغلقت السيّارة بالخطأ ولم أستطع تفعيل الفتح التلقائي.
من فضلك أعطني الرقم التعريفي الخاص بك.
قالها الصوت الأنثوي، فقامَ (ليان) بإعطائها رقم الهوية وتابعَ قائلاً:
- تبيّ لهذه التكنولوجيا الحديثة، لم نعتاد عليها بعد.
مرّت فترة صمت، لم يقطعها سوى صوت فتح أبواب السيّارة، وتبعها الصوت الأنثوي.
- لقد تجاوزت إغلاق السيّارة، ولكنّ برجاء إتباع الإجراءات المبرّة القادمة وعدم الإغلاق من الداخل.
- ابتسمَ (ليان) وقال:
- شكراً لك، أعدك بهذا.
قالها وتحركَ مُسرّعاً وقام بفتح الباب الخلفي بهدوء، ونظرَ حوله وقام بالنزول، وأغلق السيّارة من خلفه وهو يمسك بيده بقايا هاتفه المُحترق، ويضعه في جيب بنطاله، والتفّ بهدوء حول السيّارة، وسارَ بهدوء وثقة مُبتعداً.
- أنت.. توقف.
- تعالى الصراخ من خلفه، لم ينظر خلفه بل انطلقَ مُهرولاً، وأطلق ساقيه للرياح إلى أقرب مدخل طريق جانبي ومن خلفه تعالى وقع أقدام رجال الشرطة.
فجأة سمعَ صوت طلق ناري، وشعر به يصطدم بالأرض بجواره، أدرك أنّهم على استعدادٍ لقتله، أسرعَ من عدوه، وفجأة رأى دراجة ناريّة تنطلق من خلفه وتمرّ بجواره، وتتوقف أمامه فجأة بعرض الطريق، يرتدي قائدتها ملابس سوداء بالكامل وخوذة بنفس اللون تُخفي تفاصيله بالكامل.

همَّ أنْ يضربَ قائدها بقبضة يده، ولكنَّهُ وجدَهُ يُشيرُ لَهُ بالركوب خلفه، لم ينتظر كثيرًا قفز خلفه مباشرةً وأمسكَ بِهِ، وانطلقَ قائد الدراجة بسرعةٍ رهيبية وخفَّة وسلاسة، وكأنَّهُ يقودها مُنذُ نعومة أظافره، وانطلقَ يُسابقُ الرياح، ومن خلفهم ظهرت مجموعة من سيارات الشرطة.. وبدأت المطاردة.

الفصل الثالث

تساقط الدمع على وجه (نورهان)، فنظرَ لها (مسعود) وحاولَ أن يُهدئَ من روعها:
- اطمئني، سوفَ يهرب منهم، ثقي بي، أنتِ لا تعلمينَ (ليان) مثلي، إنَّه عبقرى، لم أرى مثله
في حياتي.

نظرتُ لهُ بعينين دامتَين وقالت:

- أعلم، لقد رأيتهُ كيفَ يُفكر ويعمل، ولكنَّ الكثرة تغلب الشجاعة، وهو فرد واحد فقط،
وقد لمحتهُ ساقطاً أرضاً في مرآة السيارة قبلَ أن نخرج من المرآب.

صمتت بعدَ هذه العبارة لفترة ثم تابعت:

- وحينما توقفنا أمام مقهى الإنترنت وأرسلت الرسالة للمُخابرات المصرية، كانَ ردُّهم أن
نستمر على الخطة التي وضعها (ليان)، وسوفَ يُرسلون أحدَ العملاء لتسهيل دخولنا إلى
القطاع، شعرت حينها أنَّه من الممكن ألا أراه مرةً أخرى.

لقد كانت فترة تعارفنا قليلة جدًّا، ولكنَّه قد أثر في نفسي تأثيراً كبيراً.

نظر لها (مسعود) وغمغم قائلاً:

- كلُّنا هذا الرجل، حينما رأيت (ليان) أوَّل مرَّة، كدت أن أقتله؛ إذ اعتبرتهُ يهودياً إسرائيلياً،
ولكنَ بعدها لم أشعر بهذا أبداً، ووجدتهُ يُحارب ويناضل من أجل القضية الفلسطينية، ومن
أجل مَن يُحبُّ ويحترم، أكثر من أصحاب القضية نفسها، وأنَّه على استعدادٍ أن يبذل روحه
من أجل مَن يُحارب.

خيَّم الصمت لفترة حتَّى قطعتهُ (نورهان):

- أليسَ من الواجب بعدَ كلِّ ما فعله ألا نتركه في هذه المحنة بمفرده.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن نُعدِّل الخطة قليلاً، لا أقصد ألا نتبع التعليمات، ولكنَ أقصد أن نؤخر تنفيذ
التعليمات قليلاً، ونحاول أن ننقذهُ أوَّلًا.

نظر لها، وازدرد لعابه:

- ولكنَ هذا خطر؛ فما نُحاولينَ فعله قد يُعرِّض حياتك وحياتي للخطر، ليسَ هذا فحسب،
بل وحياة (ليان) أيضاً، وعدمِ إطاعة التعليمات في مجالكم، أعتقد أنَّها قد تكون مشكلة
كبرى لك.

- أعلمُ هذا، ولكنَ أفعَل كلَّ هذا من أجله.

قالتها وعادَ الدمع يُغرق وجهها مرّةً أخرى، وهُنا أدركَ (مسعود) حقيقة شعورها، فصمت احتراماً لمشاعرها.

نظر لشاشة حاسوب السيارة، وتابع المسار على الشاشة ونظر لكمية الطاقة المتبقية ببطارية السيارة وقال لها:

- لا أعتقد إنْ قُمنا بالعودة أو تعديل المسار، فلن يتبقى بالسيارة طاقة تكفي العودة مرّةً أخرى لنفس المسار.

- وهل تعتقد أنّه لو كانَ في نفس الموقف، كانَ سيتركنا ويذهب؟
قالتها وهي تنظر إليه.

- لا، لا أعتقد.

قالها وهو يُدير عجلة القيادة بكُلّ حزم، ممّا أثارَ عاصفةً تُرابيّةً كبيرةً بسبب سيرهما في طريق جبلي صحراوي، ونظر لها وقال:

- لن يتخلّى عنّا.. فأنا أعرفه.

توقفت سيارّة السيّد (يوسي) في داخل السياج الأمني الذي فرضته قوات الأمن الإسرائيليّة حولَ مُحيط ذلك المول التجاري، الذي نجحوا في إسقاط (ليان) في المربّاب الخاصّ به، وما أنْ توقفت السيارة حتّى فتح بابها الخلفي، وهبط منها السيّد (يوسي) دونَ أنْ ينتظر حراسته الشخصية أو سائقه الخاصّ يفتح له الباب.

وأسرّع بالسؤال عن السيارة المحتجز بها (ليان)، توقف قائد القوات أمامه بدون أيّ اجابة، ممّا جعل السيّد (يوسي) يخرج عن شعوره ويصرخ به، فأجابه مُتلعثمًا:

- لقد هربَ من السيارة يا سيّدي، لكنّ قواتنا تطاردُه الآن هو وقائد الدراجة الناريّة.
- هرب؟!

ودراجة ناريّة؟

ردّد السيّد (يوسي) هذه الكلمات وهو في حالة ذهول ممّا سمع، فصرخ مُناديًا على رجاله، ونظر تجاه مدير الأمن وعيناه يكاد يتطاير منهما الشرر.

- أعطوا أوامر بتنحية كُلّ رجال الشرطة من الموقع والعملية كُلّها، وافتح تحقيق معهم أجمعين، وتحفّظوا على قائدهم.

أسرّع رجاله بتنفيذ أوامره، وتقدّم هو من سيارة الشرطة التي كان بها (ليان)، وفتح بابها الخلفي وصعد إليها وأخذ يتفحصها.

تقدّم وأمسك بقايا السوار البلاستيكي المشتعل وتفحص بيده آثار النيران على المقعد الذي كان يجلس عليه (ليان)، وتوجه إلى النافذة الصغيرة بين قمرة القيادة والجزء الخلفي من السيارة وعثر على سترّة القائد والهوية بها، مرّر الهوية على شاشة السيارة، فاستجابت له: - عرض آخر أوامر مسجلة.

قالها موجّهاً حديثه لحاسوب السيارة.

- مكالمة مع الإدارة، لتجاوز عملية إغلاق ذاتي بالخطأ للجزء الخلفي من السيارة. تعالى الصوت المعدني الخاص بحاسوب السيارة بهذه العبارة السابقة، وما أن انتهى منها حتى ألقى السيد (يوسي) الهوية من يده وهو يصرخ:

- اللعنة.. اللعنة.

يبدو أنك عبقرى بحق في مجالك يا (ليان)، وأنتك تستحق كل هذه الإشادات بعبقرتك في مجال التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي.

ولكن تأكد أنك مهما كانت عبقرتك أو ذكائك، فلن تنجح أبداً في هزيمة عقل (يوسي)، أبداً.. أبداً.

قالها وأخرج هاتفه المحمول، وأجرى اتصالاً سريعاً:

- أريد إحاطة المنطقة بالكامل بسيّاح أمني على بُعد أربعة بلوكات سكنية كاملة، وعدم دخول أو خروج أي فرد لأي سبب كان، مع إطلاق طائرات (الدرون) وانتشارها بكامل المنطقة وخاصةً أسطح العقارات بالكامل، وتفعيل خاصية الفحص الحراري بها وعدم الاعتماد على الكاميرات فقط، وتغيير كافة رموز الأمان والعبور الخاصة بتجاوز السياج الأمني، ليس هذا فحسب؛ بل ومراجعة كافة كاميرات المراقبة العمومية بالمنطقة (B 23) واستخراج تفاصيل الدراجة النارية ومحاولة العثور على معلومات تخص قائدها.

انتهى من إلقاء تعليماته، واستدار إلى سيارته، واقترب منها وتحذّث للحاسوب الملحق بها، وطلب خريطة تفصيلية للمنطقة بالكامل، وما أن ظهرت على شاشة الحاسوب حتى أخذ يكبّرها، ويقوم بفحص خط السير الذي اتبعته الدراجة النارية بقائدها و(ليان) ويحاول رسم أقرب سيناريو محتمل للهروب، وأضعف الأماكن في السياج الذي أمر بفرضه للمنطقة.

أخرج هاتفه مرة أخرى، وأجرى اتصالاً سريعاً مُعطياً تعليماته بغلق كل مداخل المولات التجارية، التي بالطريق وعدم السماح بخروج أو دخول أحد إليها، وكذا معرفة إحداثيات الموقع لسيّارات الشرطة التي تطارد الدراجة النارية براكبيها، وإرسال فرقة من القوات الخاصة لذات الموقع لاستكمال المطاردة، وابتعاد رجال الشرطة عن الأمر برؤيته، وأخيراً بالقاء

القبض على عمّة (ليان) السيّدة (تمارا)، والتحفظ عليها في مبنى الموساد، ولا يتم استجوابها إلاّ بمعرفته هو شخصياً.
ألقى تعليماته وأنهى الاتصال، ونظر تحاه هروب (ليان) بالدراجة الناريّة وهو يجذّ على أسنانه قائلاً:
- لرى الآن ما أنتّ فاعلهُ يا (ليان)، لم يَعدْ لديكِ أيّ منفذ للهرب، ما هي إلاّ دقائق أو سويّعات قليلة وستكون بيدي.
قالها وهو يُحكم قبضة يدهِ بقوة، ويضغطها..
ويضغط.

الفصل الرابع

انطلقت الدراجة النارية بقائدها صاحب الجسد النحيل الممتشح بالسواد من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه، وخلفه يجلس (ليان) بجسده الممشوق اليافع، ومن خلفه تنطلق ثلاث سيارت للشرطة الإسرائيلية، سيارت قوية حديثة، تتمتع بالقوة وسلاسة القيادة، وقد كان قائد الدراجة النارية بارع بحق، تشعر معه وكأنه بطل إحدى حلبات سباقات الدراجات النارية، أو أحد أمهر قائدي الدراجات النارية بعروض السيرك العالمية، فهو يملك التحكم الكامل بالدراجة، برغم وجود حمل إضافي عليها (ليان)، ولكنه نجح في السيطرة الكاملة عليها، بل يراوغ بها وكأنه لا يوجد عليها أحد، ومن خلفه يجلس (ليان) متخذًا الوضعية الصحيحة للجلوس ويحيط وسط قائد الدراجة بذراعيه، تاركًا جسده على حُرَيْته وعدم التشبث بمقعده كي لا يتسبب في انقلاب الدراجة بمن عليها، وأدرك من اللحظات الأولى براعة قائد الدراجة ومهارته.

بدأت المطاردة تتخذ شكل آخر ومنحنى أكثر خطورة.

انطلقت الدراجة النارية براكيها تنهب الأرض، وتناور ميمًا ويسارًا تفاديًا للطلقات التي تتطاير من خلفهما، وفجأة شعر (ليان) بألم رهيب وصدمة في كتفه الأيسر، وأدرك أنه أُصيب بإحدى الطلقات، لكن المفاجأة بالنسبة له أنها طلقات مطاوية التي تستخدمها الشرطة الإسرائيلية في أعمال فضّ الشغب، فأدرك أنهم حتى الآن لم تصدر لهم تعليمات باستخدام الطلقات الحية، فهتف لقائد الدراجة، طلقات (مطاوية)، فهزّ قائد الدراجة رأسه بعلامة الفهم، فانطلق بجرأة أكثر غير عابء بسيل الطلقات من خلفه.

وبالفعل كانت هذه العبارة كافية لبث الشجاعة أكثر في دماء قائد الدراجة النارية، وانطلق إلى أقرب مدخل شارع جانبي ومن خلفه الثلاث سيارات، وانعطفت للشارع الجانبي الضيق نسبيًا، وانعطفت خلفه سيارتين من الثلاثة وانطلقت الثالثة لتكمل سيرها، محاولة لتضييق الخناق عليه من الجهة المقابلة، ولكن ما كان ينويه قائد الدراجة النارية مخالف تمامًا لتوقعاتهم، فقد انطلق بالفعل للشارع الجانبي ومنه لمنعطف آخر جانبي أكثر ضيقًا، وما أن وصل إلى المنعطف الضيق حتى مال بالدراجة وهو يضغط المكابح الخاصة بها مما جعلها تطلق صرير وتلتف حول نفسها وهما أعلاها، ودارت نصف دائرة حتى أصبحت في مواجهة مدخل الشارع الجانبي، في نفس لحظة وصول إحدى سيارات الشرطة التي كانت تطاردهما، وضغط قائدها مكابح السيارة سريعًا ليتفادى الدراجة النارية التي تقف أمامه، لكن قائد

الدراجة لم يتوقف، بل اعتصر المقود بيده فجأة، لتنتقل الدراجة بكامل قوتها في اتجاه السيارة، وهي مرتفعة المقدمة بسبب ضغطه على مقود السرعة المفاجئ، واعتلى مقدمة السيارة بالدراجة النارية، ومنها إلى الزجاج الأمامي الذي تهشم من تحت ثقل الدراجة براكيبيها، ومنه إلى سقف السيارة الذي انبعج من تحت وطأة الوزن، وقفزت الدراجة خلف السيارة التي توقفت في مدخل الشارع الحانبي، وما أن لامست إطاراتها الأرض حتى انطلق قائدها مسرعاً يعود إلى الطريق الذي أتى منه مرة أخرى.

- اذهب بنا إلى المول التجاري الذي تمّ إلقاء القبض عليّ به.

قالها (ليان) لقائد الدراجة النارية، الذي لم يستوعب الأمر في البداية، فتابع (ليان) إنهم ينتظروننا في هذا الاتجاه، وأيضاً أريدُ إحضار حقيبة الظهر الخاصة بي لقد قذفها أسفل إحدى السيارات في المرائب الخاص بالمول التجاري.

هزّ قائد الدراجة النارية رأسه علامة الموافقة، وانطلق عائداً من طريق فرعي آخر هرباً من سيارات الشرطة التي تطاردهما، حتى عاد من نفس الطريق، وانطلق في اتجاه المول التجاري الذي وصفه له (ليان) سريعاً، وما أن بلغ المول حتى انطلق مسرعاً إلى المرائب الخاص به. وهبط الطريق المعدّل لنزول للمرائب، وتقدّم من السيارات حتى أشار له (ليان) بالتوجه إلى ركنٍ مُعيّن، وهو المكان الذي تمّ إلقاء القبض عليه به، وبالفعل توقف في المكان المنشود، وهبط وأسند الدراجة النارية بحاملها الخاص، وقفز (ليان) من خلف ظهره وتقدّم من إحدى السيارات المتوقفة، وهبط أرضاً بجوارها، وابتسم وهو يمدّ يده ليأخذ حقيبة ظهره، وعاد مسرعاً إلى قائد الدراجة النارية، ولكنّه توقف فجأة، فقد هاله ما رأى، لم يتوقع ما رأته عيناه أبداً، فغر فاه من الدهول!

كان قائد الدراجة النارية يخلع غطاء حماية الرأس الذي يعتمره فوق رأسه، ليكشف عن وجهه، كانت فتاة، فتاة رائعة الحُسن، جميلة المحيّا، رشيقة القوام، شعرها كأحلك الليالي التي لم يظهر بها قمر.. فما الحاجة لقمر في وجودها، طويل بنسب حتى منتصف ظهرها. سوداء العينان والشعر والملابس، يضيفي كلّ هذا السواد جمالاً على جمالها. شعرٌ لوهلة أنّه أمام إحدى التماثيل المنحوتة التي تعبر عن الجمال الأسمر، لم يكن يتخيّل أنّ ما يراه حقيقياً، وأنّ قائد الدراجة النارية الذي كان يهرب ويناور ويتفادى الطلقات النارية.. هذه الفتاة رائعة الحُسن،

ولثوانٍ عمّ صمت رهيب، صمت تعالت فيه فقط دقات القلوب، صمت تشعر معه أنّ الزمن قد توقف، صمت رهيب.. صمت المشاعر.

الفصل الخامس

- لقد نجح في الهرب يا سيدي.
قالها (مراد) بكلّ حماسة وهو يقف أمام السيد مدير المخابرات العامة المصرية، وتابع بانفعال:

- ولقد نجح عميلنا (عسقله) في الوصول إليه وإخراجه من الحزام الأمني الذي فرضته قوات الأمن الإسرائيلية، وأرسلت لنا رسالة مُختصرة، ولكنها لم ترسل تقرير كامل بعد.
اتسعت ابتسامة السيد مدير المخابرات المصرية، وأشار بيده وهو يعود للخلف بظهره.
- رائعة تلك الفتاة، أتذكر عملية الأنفاق، وما فعلت حينها، وكيف نجحت بمفردها في كشف شبكة الأنفاق المُعدة لتنفيذ عمليات إرهابية في الأراضي المصرية، بل ونجحت أيضًا في تدمير أكبر نفقين على رأس الإرهابيين، وعملاء تلك الدولة المُعادية، برغم سنوات عُمرها التي لا تتجاوز الثالثة والعشرون، إلا أنها تمتلك قلب مُحارب، وذكاء ثعلب، وإصرار ذئب فاستحققت عن جدارة لقب (أنثى الذئب).
ونظر إلى (مراد) وتابع تعليماته له:

- أعطي التعليمات لرجالنا هناك بتجهيز منزل آمن بأقصى سرعة وأرسل العنوان إلى (عسقله)، وكذا إلى السيد (خيري) ليكون مُستعدًا للقاء، وأرسل أفضل رجالنا هناك للتامين فقط، وليس التدخل تحت أي ظرف ووضع، حياة رجالنا غالية يا (مراد)، هيّا اذهب ونفذ مباشرةً، وأرسل لي أية تفاصيل جديدة لحظة بلحظة.
انصرف (مراد) مباشرة بعد هذه الجملة، وترك السيد مدير المخابرات شارد الذهن ترتسم ابتسامة على وجهه.

- حقًا هذا الشبل من ذاك الأسد، لقد توقعت أنهم لن يستطيعوا الإمساك بك.
واعتمد في مقعده وهو يُمسك الملف الذي أمامه وينظر للصورة التي في بدايته.
- ولكن من يضمن ولائك.

هل تتغلب دمالك المصرية؟

هل يكون الانتماؤك لأبيك وعشيرته؟

أم لأُمك؟

قالها وصمت وهو ينظر إلى صورة (ليان) وبجواره صورة أبيه (أشرف صبحي)،
الرجل الذي قهر المُستحيل.

- اللعنة.. استعدي.

قالها (مسعود) موجهاً حديثه لنورهان، ممّا أخرجها من حالة الشرود التي كانت بها فنظرت أمامها، وإذ بهما على مقربة من إحدى الأكمنة الأمنية الإسرائيلية مكونة من عدة سيارات مُدَرَّعة وعدد كبير من الجنود، لم يكن أمامهما أية فرصة للهرب، فهما في منتصف طريق جبلي ضيق وحتى لو حاول (مسعود) أن يعود أدراجه، فبالأكيد تمّ رصده من قبل الكمين، وساعتها سيجد كلّ هذه الكتلة الأمنية في مُلاحقته، بل قد يصل الأمر إلى قصف السيارة وتدميرها بمن فيها، فالقوات الإسرائيلية، لا تتهاون مع أي خطر محتمل، ولمجرد الشك فقط. - تماسكي، سوف نخبرهم أننا قادمين من معبر (بيت حانون) وأننا في طريقنا إلى الضفة، وأنّ حاسوب السيارة مُعطّل فضللنا الطريق، وكُنّا نسير على غير هُدى، حتى أوشكت بطاريات السيارة على النفاذ.

وصمت قليلاً وتابع:

- على بركة الله.

وبالفعل سار بالسيارة بهدوء حتى اقترب من الحاجز الأمني، وشهر الجنود أسلحتهم في وجهيهما، واقترب أحدهم من الباب المجاور لمسعود وأشار له بفتح الزجاج، ولكنّ (مسعود) فتح الباب وهبط على الأرض وهو يتحدّث بكل انفعال وحماسة:

- حمداً لله.. حمداً لله.

أوشكنا أن نموت، ولقد أرسلكم الله لنا.

ظلّ الجندي صامتاً يتابع (مسعود) وأخيراً تحدّث:

- أخرج هويتك، وماذا كنت تفعل في هذا الطريق؟

ابتسم (مسعود) وهو يُخرج هويته من جيب بنطاله الخلفي ويناولها إلى الجندي الذي مدّ يدهً يتفحصها، وتابع:

- لقد جئنا من القطاع وعبرنا من معبر (بيت حانون) وكُنّا في طريقنا إلى الضفة لتزور زوجتي أباها المريض هناك، ولكنّ حاسوب السيارة اللعينة تعطل، ولم نعد نستطيع تحديد وجهتنا، وفقدنا الطريق تمامًا حتى ظهرتم أمامنا، فقد أرسلكم الله لإنقاذنا.

مرت فترة من الصمت بعد حديث (مسعود)، وظلّ الجندي خلالها ينظر إليه وإلى هويته التي بيده، ومال إلى زجاج السيارة ينظر إلى (نورهان) وأخذ يجول بنظره في السيارة، وأشار لمسعود أن يفتح له حقيبة السيارة، وبالفعل أطاعه (مسعود)، وأخذ الجندي يفحص السيارة، وأخيراً أشار لهما بالانصراف، تقدّم (مسعود) ليركب السيارة ولكن فجأة أوقفه نداء من خلفه:

- انتظر.

أَيْنَ أوراق عبوركما من المعبر؟

ازدرد (مسعود) لُعبه بصعوبة، وأشارَ لَهُ قائلًا:

- معي في السيارة.

قالها وهو بالفعل كَانَ بداخل السيارة، ونظر تجاه (نورهان) وقال لها بصوتٍ خافت:

- ضعي حزام الأمان واستعدي.

تحركت سريعًا وقامت بربط حزام الأمان بهدوء كي لا تُثير الانتباه، وفجأة انطلق (مسعود) بالسيارة مُختَرِقًا الحواجز الموضوعة بينَ المُدرعات والجنود، وبالفعلِ نجح في العبور، ومن خلفه تعالت الهتافات، وتحرك الجنود مُسرعينَ إلى سياراتهم وانطلقوا خلفه، وهم يغمرون السيارة بوابل من رصاصاتهم.

كَانَ (مسعود) سائق لا لَهُ غبار في القيادة، بحكم المشاركة في عمليات كثيرة ضد العدو الصهيوني داخل الأراضي المُحتلّة، ولكنّ الوضع هُنا مُختلف تمامًا!!

فالأرض غير المُمهّدة والصخور، والرتل العسكري الذي يلاحقه بمدركات وسيارات ذات دفع رباعي مُخصّصة لمثل هذه الطُرق، وهو يقود سيارة حديثة كهربائية، مهما كانت إمكاناتها وقوتها فهي بالتأكيد أضعف كثيرًا، ورغم كُلّ هذا فقد نجح عن طريق عامل المفاجأة ومهارته في الهرب واتساع الفارق بينه وبين القوات الإسرائيلية.

لم تدم فرحتهم طويلاً؛ فقد ظهرت في السماء طائرة مروحية عمودية شقت السماء فجأة فوق رأسهم حتى سبقتهم واستدارت لمواجهة السيارة، اتسعتَ عينا (مسعود) في رُعب وبجواره (نورهان) مُتشبّثة بمقعدها ويكسو وجهها أشدّ آيات الرعب، فقد فهما ما تنتوي الطائرة فعله، وبالفعلِ حدث ما توقعاه.

أطلقت الطائرة إحدى صواريخها الجوّ أرض، ولكنّ بحركةٍ مُفاجئة نجح (مسعود) بالالتفاف بالسيارة إلى أقصى اليمين، ممّا جعلَ الصاروخ يُخطئ السيارة، ويُصيب الأرض خلفها مباشرة مُحدِّثًا انفجارًا رهيبًا من شدّته دفع بالسيارة لمسافة عشرة أمتار كاملة للأمام، وارتطمت السيارة بالأرض بشدّة ولكنّ (مسعود) قد نجح في التحكم بها، وتفاذي بعض الصخور، وانطلق إلى ممرٍ محفور بفعل الطبيعة بينَ الصخور، مُحاولًا الهرب من الطائرة التي تُطارده، ولكنّ ما أنْ نجح في دخول الممر، حتّى تنفّس الصعداء قليلًا، ولكنّ من خلفه كَانَ قائد الطائرة يحكم التوجيه بعصى التحكم ويستهدف السيارة مباشرة، وبالفعلِ اطلق صاروخ آخر، وانطلق الصاروخ تجاه السيارة وهي سائرة بينَ الصخور، ورأى (مسعود) وهجه من

خلفه في مرآة السيارة واتسعت عيناه في رعب، واقترب الصاروخ وأصاب هدفه مباشرة، ودوى انفجار عنيف.

وقد أصاب الصاروخ السيارة تمامًا، وحولها إلى كتلة من النيران، وتناثرت أشلاؤها على نطاق واسع، بكل ما كانت تحمله.

وقف قائد الطائرة قليلًا يُشاهد النيران وهي تاكل ما تبقى من السيارة، ثم أمسك المذياع الداخلي قائلاً:

- تمّت إصابة الهدف وتدميره تمامًا، جاري العودة إلى القاعدة.

انتهى.

واستدار مُحلّقًا مُبتعدًا، ومن خلفه تعالت ألسنة اللهب، تلتهم بقايا السيارة بما فيها ومن فيها.

الفصل السادس

مرّت عدّة دقائق و(ليان) يقف في مكانه ينظر للفتاة، لم يَكُن يُصدق عينيه، كَلّ هذا الجمال؟ لم يتوقع أبدًا أن قائد الدراجة النارية، الذي كَانَ يناور ويقاقل ويهرب بهذه الطريقة هو أنثى، بل هو مثال للأنثى مُكتملة الأنوثة، رائعة الجمال، ولكنّ جمال هادئ، بشرة سمراء جميلة، عيون واسعة بُنيّة تميل إلى العسلي، ذات ملامح هادئة، تُجبرك على أن تظلّ تتطلع لها، لا تستطيع أن تبعد عيناك عنها ولو لثوانٍ قليلة.

- ألن نتحرك؟

قالتها بصوتٍ هادئٍ رخم، كاد أن يُسقطه أكثر في حلم يقظة جميل لا يُريد أن يخرج منه، ولكنّه انتبه أخيرًا.

- آسف، لم أتوقع أن تكون فتاة.

قالها على استحياء، وبصوتٍ مُتلعثم من الخجل.

ارتسمت ابتسامة على وجه الفتاة، ابتسامة كادت أن تُسبب له حالة من الإرتباك والتوتر، وقالت وهي تقترب منه وتمدّ يدها مُصافحة:

- (آية).. (آية علاء)، تابعة للمخابرات المصرية، وإحدى جنود القوّات الفلسطينية، وعضو بمُنظمة التحرير الفلسطينية، وأيضًا المستوول عن ملف الأنفاق في قطاع (غزة).

اتسعت عينا (ليان) في دهشة، وهو يمدّ يده مُصافحًا، لم يَكُن يتخيّل أبدًا أن مثل هذه الفتاة الرقيقة، هي في واقع الأمر جندي مُقاتل في صفوف القوات الفلسطينية، بل أيضًا تعمل مع المخابرات المصرية.

وفجأة ارتطمت رصاصة بالحائط بجوار (ليان) مُباشرةً على بُعد سنتيمترات قليلة من رأسه، انخفض أرضًا سريعًا وكذلك فعلت (آية)، ليحتميا من الطلقات أسفل السيارات المُحيطة بهما، ونظرا إلى بعضهما البعض من خلف السيارات، دون أن يتبادلا كلمة واحدة، اتفقت عيونهما على خطّة، وشرعا بالتنفيذ.

تحرك (ليان) بسرعة والتفّ خلف السيارة التي يحتمي خلفها، وفي طريق أبعد عن مكان (آية)، قفز من خلف السيارة إلى سيارةٍ أخرى، وبالفعل انطلقت كَلّ الرصاصات تجاه السيارة التي يحتمي بها، وفي ذات الوقت تقريبًا تحركت (آية)، وقفزت على دراجتها النارية، وأدارت مُحرّكها بحرفيّة ومهارة وانطلقت بها في اتجاه مُعاكس عن مكان (ليان)، وبالفعل توقفت الرصاصات لثوانٍ، نجحت الخطّة، وحدثت تشتت بين القوات، وهذا هو المطلوب.

تحركَ (ليان) سريعًا، قفز من أعلى السيارة التي يحتمي خلفها وضرب حقيبة يده في وجه أحد الجنود، ولم ينتظر فبمجرد أن لامست قدماه الأرض حتى التف سريعًا بإحدى حركات الكونج فو وركل جندي آخر بساقه في وجهه، وهبط أرضًا على ركبتيه ودفع يده اليمنى في معدة جندي ثالث، جعلته ينحني ألمًا.

وفي نفس اللحظة كانت (آية) تنطلق بالدراجة النارية بكل سرعتها بين السيارات في المرآب بمهارة، وكأنها ولدت بسيرك، أو تعلمت قيادة الدرجات النارية قبل أن تتعلم التخلي عن الحفاضات!

كانت تقود الدراجة وهي منحنية تفاديًا لأي طلاقات قد تصيبها، وفجأة لاح لها نهاية الممر، ولكنها جذبت المقود أكثر لزيادة سرعتها، وقامت بجذب المقود إليها فارتفعت العجلة الأمامية للدراجة النارية عن الأرض، وقفزت بها وسارت على الجدار نفسه بصورة مذهلة، جعلت الجنود تتوقف لمشاهد ما تفعل، ولم يشعروا إلا وهي تهبط عليهما بدرجاتها النارية، وكأنها طائر رخ عملاق، هبط من السماء لاقتناص فريسته، ودفعت بقدمها اليمنى بكل قوتها في وجه أحد الجنود وهي تهبط بثقل الدراجة بالكامل على جنديين آخرين أمامها حتى سمعت صوت تحطم عظامهما أسفلها، وبمجرد أن لامست الإطارات الأرض، حتى انطلقت في اتجاه موازي لمكان (ليان)، كان هو في هذه اللحظة يلكم أحد الجنود بيمينه في وجهه، ويدفع قدمه اليمنى أيضًا للخلف في معدة آخر.

وما أن شاهدها منطلقة تجاهه، حتى اختطف الحقيبة من الأرض، وقفز خلفها على الدراجة في تناغم وخفة، وكأنهما قد تدربا معًا طوال عمرهما على إتيان مثل هذه الأفعال، وانطلقت (آية) بالدراجة، واتخذت الطريق إلى داخل المول حتى قابلها الدرج الصاعد من المرآب إلى الطابق الأرضي بالمول، فهتفت مشيرة إلى (ليان) الجالس خلفها.

- تشبث بي جيدًا.

شعرَ (ليان) بالخرج؛ فهو لم يعتاد أبدًا أن يلامس جسد فتاة من قبل، بل وأيضاً يمسكها بكلتا يديه حول خصرها، ولكن لا مفر من هذا، وبالفعل أمسك بخصرها، وما أن فعل حتى انطلقت بأقصى سرعة صاعدة الدرج، وما أن صعد إلى الطابق الأرضي حتى توجهت إلى المدخل الرئيسي للمول التجاري، ولكن هناك مفاجأة في انتظارهما.. كان المدخل الرئيسي مغلقًا ويقف أمامه عدد من رجال الأمن ويشهرون أسلحتهم في وجهيهما، فأسرعت بالالتفاف عائدة أدراجها، وأخذت تجول بنظرها بحثًا عن مخرج الطوارئ، حتى أشار لها (ليان) إلى إحدى اللافتات التي تشير إلى مخرج الطوارئ.

وبالفعل انطلقت إليها، وعبرت البوابة المؤدية لممر الطوارئ بدفعها بقدمها، وأيضًا كانت مُغلقة بقفل حديدي كبير، فتوقفت قليلًا تُفكر، ثُمَّ أشارت لليان بالتشبث مرةً أخرى، وانطلقت تجاه سُلّم الطوارئ الصاعد للطوابق العلوية.

صعدت الدرج بأقصى سرعة وما أن وصلت إلى الطابق الأخير، حتّى توقفت وهبطت من الدراجة هي و(ليان)، وظلًا يتفحصان الطابق الأخير، فلم يجدا أيّ مفرّ سوى الواجهات الزجاجيّة فقط من كلّ الجوانب، سمع وقع أقدام كثيرة، تقدّم (ليان) من حافة الدرج والصور المؤدى إلى البهو الخاصّ بالمول التجاري، فشاهد العديد والعديد من الجنود الذين يستعدون للعودة خلفهما، فأخذ ينظر حوله، كان الطابق الأخير هو المُخصص للمطاعم، فتقدّم من أحد المقاعد الموجودة بالمكان، وأمسكه وفتح باب المصعد المتوقف في هذا الطابق، وقام بوضع المقعد بطريقة تمنع إغلاق الباب نهائيًا، وفعل بالمصعد الآخر مثلما فعل بأخيه، في هذه الأثناء تقف (آية) مولية ظهرها له، تنظر عبرَ الواجهه الزجاجيّة شاخصة البصر تُفكر، فاقترَب منها وسألها:

- فيما تُفكرين؟

نظرت له وابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت وهي تُشير بيدها إلى إحدى المباني القريبة من خلف الواجهه الزجاجيّة:

- انظر إلى ذلك المبنى، إنّه على بُعد عشرة أمتار تقريبًا، ويمكن باندفاع سريع أنْ أعبرَ المسافة بالدراجة الناريّة، ولكن تبقى مشكلة واحدة، هي وزن جسدك، لم أقم بمثل هذه المخاطرة من قبل إلّا بمفردي، وأعتقد أنّي أستطيع فعلها بإذن الله.

أخذ عقل (ليان) يعمل سريعًا وهو يستمع لها، وبالفعل المسافة ليست بالقليلة، ووزن جسديهما معًا يُعدّ مخاطرة غير محسوبة، قطع أفكاره سيل من الطلقات المنهمر تجاههما، فقفز جانبًا وهو يمسكها من ذراعها ليبعدها من اتجاه الرصاصات المنطلقة، وسقطا معًا أرضًا، ولكنه أشار لها بالبقاء مكانها حتّى يعود، وأسرع مُنحنيًا حتّى بلغ إحدى المطاعم المتواجدة بالمكان، وتفحصه بنظره جيّدًا، كانت لا توجد أيّة أسطوانات للغاز، إذ أنّ هذه الأماكن تعمل كلّها بالكهرباء أو الغاز الطبيعي من أجل الأمان، ولكنه كان سريع التفكير. اقترب من أحد الأفران الكهربائيّة ووضع به إحدى المناشف القماشية المُستخدمة بالمطعم، وبالفعل اشتعلت، أمسكها من طرفها، وقفز على أحد المنضدات القريبة، ووضع المنشفة المشتعلة تجاه حسّاس الحريق، وبالفعل انطلق الإنذار العام، وحدث ما توقعه وانقطعت الكهرباء بالكامل عن الطابق، وانهمرت المياه من كلّ مكان مُخصص للإطفاء.

انطلق عائداً إلى مكان (آية) مُستغلاً الظلام وحالة الهرج، وهو في طريقه تناول إحدى المقاعد الحديدية الموجودة بالمكان، واقترب من الوجه الزجاجي المواجه للمبنى القريب وهو يقول لها:

- هيا ليس لدينا وقت للحسابات، سوف نُخاطر بفكرتك.
ألقى المقعد بكُل قوته تجاه الواجهة الزجاجية، وتصدعت بالكامل، فأعاد الكرة مرة أخرى، وتهاوى هذا الجزء من الواجهة مع الضربة الثانية، وبينما هو كذلك إذ بآية قد امتطت دراجتها النارية، أخذَ حقيبتها من الأرض، وجلس خلفها وأشار لها بالإنطلاق.
انطلقت (آية) بأقصى سرعة وأخذَ دورة كاملة بالرواق بالكامل حتى تستطيع أن تزيد من سرعتها، ولكنها أضاءت الكشاف الأمامي للدراجة، مما سمح للجنود برصدها، فانطلق وإبل من الطلقات خلفهما، فأطفأت الكشاف مُرغمة وانطلقت تجاه الزجاج المكسور، وهي تضغط بكُل قوتها على مقود السرعة، ولا يدور في عقلها سوى سؤال واحد فقط... هل تستطيع بلوغ ذلك المبنى؟
هل؟

بلغت الحافة الزجاجية فجذبت المقود لأعلى، وهي تطلق صرخة أخرجت معها كُل توترها وانفعالها، ووثبت الدراجة النارية في الهواء، وانطلقت تشق الفضاء وكأنها طائرة صغيرة، تشق عنان السماء.
وانتهت رحلة الصعود، وبدأت رحلة الهبوط. بفعل الجاذبية الأرضية، ولكنها كانت أقصر مما قد حسبا لها، فبات من الواضح خطأ حسابتهما، خطأ جسيم.. خطأ قاتل.

مصيصة الثعلب



الفصل الأول

مشاعر جارفة وإحساس رهيب مرّ بليان والدراجة النارية تُحلّق في الهواء، وهو و(آية) على متنها، هذه الفتاة الفلسطينية المُقاتلة، وفجأة مرّ شريط من الذكريات السريع أمام عينيها، وانطلقت (آية) بالدراجة النارية وخلفها (ليان) مُمسّكاً بها وقفزت بالدراجة من الطابق الرابع إلى إحدى المباني القريبة، وطارت الدراجة في الهواء كأنّها طائر عملاق براكبيها، ولكن للأسف حدث ما كانَتْ تخشاه، الوزن الزائد، وبدأت مرحلة الهبوط قبل الوصول إلى المبنى المنشود، مرّ كلّ هذا أمام عيني (ليان) سريعاً، وكأنّه شريط مصوّر يعرض بسرعة رهيبة، وحينها فقط أدرك صعوبة الموقف، بل استحالته.

ولأول مرّة في حياته يشعر بالهزيمة، وشعر بمرارتها في حلقة، وبدأت رحلة الهبوط، وبسرعة رهيبة.

تقول الأمثال:

"قد يكون بين الحياة والموت لحظة"، لحظة فارقة، النجاة لمن استغلّها.

وهذا ما حدث بالضبط؛ فبمُجرّد رؤية (مسعود) الطائرة وهي تستعدّ لإطلاق الصاروخ، انحدرَ تجاه منحدر قريب، وقامَ بفك حزام مقعده وحزام مقعد (نورهان)، ويدهِ اليسرى فتح باب السيّارة المجاور لها، وهو يحتضنها بذراعه اليمنى، ويقفز بها خلف إحدى الصخور، والسيّارة تنطلق بنفس خط سيرها، وبمُجرّد ارتطامهما بالأرض، حتّى أصاب الصاروخ السيّارة وحولها إلى أشلاء مُتناثرة حتّى أنّ بعضها أصابهما، ولكنّ (مسعود) كانَ مُستعدّاً لهذا الموقف، فالتف بجسده تجاه السيّارة ليحمي (نورهان)، ويصنع منه درعاً يقيها من الانفجار، وقد نجح بالفعل فيما يُريد، حتّى أنّ (نورهان) لم تُصاب بأيّ أذى تقريباً عدا بعض الخدوش البسيطة، في حين أنّ (مسعود) قد تعرّض لقوة الانفجار والشظايا في ظهره، ممّا جعله يسقط أرضاً وتسيل الدماء من ظهره، هرولت إليه (نورهان) تحاول أن تُسعفه، ولكنّه أشار إليها بالاستلقاء أرضاً حتّى ترحل الطائرة، ويطمئن الجنود أنّ السيّارة بالركاب قد انتهوا، وبالفعل لم تمضي إلّا دقائق معدودة حتّى غادرت الطائرة وهذا المكان، فتحركت (نورهان) بسرعة لتفحص (مسعود) وتملكها الفزع لشدة إصابته، ولكنّها أسرعَتْ وساعدته على النهوض، حتّى يغادرا هذه المنطقة سريعاً.

اتكأ عليها واضعاً يده على كتفها، مُحاولاً السير دون أن يُثقل على كاهلها بحمل جسده، ولكنّه جسده كانَ مُتخنناً بالجراح وبدأ يفقد الكثير من الدماء، رويداً رويداً بدأ يسري الخدر

في أوصاله وأوشك أن يفقد وعيه، فأوقفها وتركت نفسه ليسقط أرضاً وأراح ظهره على إحدى الصخور القريبة، وأشار لها أن تجلس أرضاً بجواره.

فعلت ما أشار لها به.

- لن أستطيع النهوض فأنا مُصاب بشدة، وعلى وشك أن أفقد وعيي، يجب عليك التحرك في الحال، تحركي في هذا الاتجاه، وسوف تصلين إلى أقرب منطقة مأهولة في ظرف ساعة بالأكثر من السير المتواصل.

قالها وهو يُشير لها بيده في اتجاه الجنوب الشرقي، ومن بعد أن أنهى حديثه حتى أخذ بالسعال، وفجأة سقط مغشياً عليه، أخذت (نورهان) تُحاول إفاقته أو إسعافه، ولكنه كان قد فقد الكثير من الدماء، وقفت (نورهان) وأخذت تنظر حولها ولكن لا ترى إلا صحراء قاحلة بكُل اتجاه، فأدركت عظم المصيبة المحيطة بها، وعادت ونظرت لجسد (مسعود) الملقى أرضاً و المتخن بالجراح، وقالت:

- مستحيل.. لن أتركك أبداً، لقد كدت تُضحّي بحياتك لتحميني.

قالتها وهي تجذبه من سقطته حتى نجحت في حمله جزئياً، وبدأت رحلة العودة.

وسارت بحملها الثقيل، تجر ساقها، لكن عزمها كان أكبر، وقد اتخذت قرارها، لن تعود بدونه أبداً.

الفصل الثاني

- حمدًا لله على سلامة الوصول.
- تعلي صوت التنبيه الخاص بالهاتف الجوال، مُعلنًا وصول هذه الرسالة، فتحرّك صاحب الجسد الضخم وأمسك الهاتف، وابتسم بعد أن قرأ فحوى الرسالة على ذلك التطبيق الخاص المشفر والمؤمن تمامًا بحيث لا يستطيع أحد اختراقه البتة.
- وجرت أصابع (خيري) على شاشة الجوال، ليُرسل رسالة ردًا على ما سبق، وما أن أرسلها حتّى أغلق التطبيق الخاص بالمراسلة، وفتح معرض الصور الخاص بالهاتف، ووضع رقم سري خاص لإظهار المحتويات المخفية من الوسائط والصور، وتوقّف أمام صورة لرجل في العقد الخامس من عمره مفتول العضلات قويّ البنيان أشيب الفودين، يبتسم ابتسامة هادئة تبعث على الطمأنينة، برغم بنيانه القوي.
- وانسدلت دمعة من عين (خيري) و تبعها سيل من الدمع أغرق وجهه، وهو يتمتم قائلاً:
- واه يا صديق العمر!
- أرحل إلى آخر الدنيا والجحيم بذاته من أجلك يا صديقي، وصمت قليلًا ثمّ تابع:
- ومن أجل ابنك أيضًا.
- قالها وran صمت طويل لا يتخلّله سوى صوت أنفاسه المتهدّجة من أثر البكاء، حتّى تعالى صوت طرقات هادئة على باب الغرفة، فمسح دمه سريعًا، وقام واقفًا من الفراش الذي كان يجلس عليه، واقترب من باب الغرفة متسائلًا:
- من الطارق؟
- أتاه الجواب بصوت هادئ رخم وبانجليزية بسيطة:
- خدمة الغرف يا سيدي.
- مدّ (خيري) يده وأدار مقبض الباب، وما أن فتح الباب حتّى وجد شابًا وسيما ممشوق القوام يقف مبتسمًا، وأشار له بالدخول.
- تقدّم الشابّ خطوتين لداخل الغرفة وهو يسأل (خيري):
- هل كلّ شيء على ما يُرام يا سيدي؟
- أجابه (خيري) بالإيجاب وهو يرسم على وجهه ابتسامة مجاملة، وهمّ أن ينهي الحديث ليخرج الشابّ ويغلق الباب، لكنّ الشابّ ظلّ واقفًا وهو مبتسم وقال له مرّة أخرى:
- أرجو أن تكون الإقامة هنا مريحة بالدرجة التي كنت تتمناها يا سيد (سليم)؟

أجابه (خيري) بنفاذ صبر بإيماءة من رأسه، ولكن الشاب تابع قائلاً:

- أم تُحب أن أخطبك بالسيد (خيري)؟؟؟

اتسعت عينا (خيري) في ذهول، وكاد قلبه أن يثب خارج صدره من قوة نبضاته التي تعالت، ووقف مذهولاً.

فتابع الشاب وهو يُشير بيده من خلف ظهره:

- هل كنت تتوقع أن تدخل (إسرائيل) دون أن يتم كشف شخصيتك؟!

أنت واهم، والمخابرات المصرية فشلت هذه المرة.

قالها و أطلق ضحكة مُجلجلة، ومن خلفه تقدّمت الجنود وأحاطت بخيري من كل اتجاه شاهرة أسلحتها في وجهه.

في هذه اللحظة فقط، أدرك (خيري) أنه سقط في الفخ المُحكّم.. سقط في يد العدو!

- مُستحيل.

ترددت الكلمة بعقل (ليان) في هذه اللحظة، ولكنه نفّس اليأس عنه وتحرك سريعاً، وهبّ واقفاً على مقعد الدراجة النارية التي بدأت رحلة الهبوط من ارتفاع يناهز الخمسة عشر

متراً تقريباً بفعل ثقل جسديهما معاً، وأمسك معصم (آية) وصرخ بها:

- هيا.

قالها وقامَ بثني رُكبتيه كأنه يهَمُّ بالقفز لمسافة كبيرة، وهو يضع حقيبته على ظهره، ومُمسك بساعد (آية) وقامَ بفرد ساقيه بكُلِّ ما أُوتِيَ من قوة، دافعاً الدراجة النارية للأسف أكثر ممّا

أعطاه قفزة للأمام قليلاً مُبتعدين بجسديهما عن الدراجة، ومقتربين من جدار المبنى المُقابل، وبالفعل نجحَ أن يقترب أكثر من المبنى، ولكنهما كانا قد تخطيا حافة السطح واصطدما

بجدار المبنى وبدأت رحلة السقوط، وبكُلِّ ما أُوتِيَ من قوة وعزيمة، مدَّ يده اليسرى يتشبّث ببروز بين الطابق الثالث والثاني للمبنى، ونجح بالفعل ولكنه صرخ صرخة مدوية من شدة

الألم الذي شعر به بسبب التوقف المُفاجئ من السقوط، ليس هذا فحسب؛ فبسبب ثقل جسد (آية) التي يمسكها بيده اليمنى، وسقطت الدراجة النارية من ذلك الارتفاع واصدرت

دويّاً هائلاً لحظة اصطدامها بالأرض، وشعرت (آية) بمقدار الألم الذي أصابه، فتحرّكت بسرعة والتفت بساقيها حولَ خصره ليتركها بيده اليمنى ومُمسك بها هي الأخرى في ذلك البروز

لتوزيع الحمل على ذراعيه الاثنين، وفهمَ سريعاً ما فعلت وبالفعل رفع يده اليمنى وأمسك في ذلك البروز، وتحركت (آية) بخفة وتسَلّقت على ظهره حتّى صعدت بقدميها على البروز،

والتفتت إليه مُمسك بيده وتُساعدته على الصعود، ونجحت بالفعل في مُساعدته، وجلس

(ليان) يلهث من فرط المجهود الذي بذله مُمسكًا بذراعه اليسرى ضاغطاً عليها من شدة الألم، الذي أُلِّمَ بها بسبب التوقف المفاجئ والحمل الذي تحمّلته.

في هذه الاثناء تحرّكت (آية) سريعاً، وسارت على ذلك البروز حتى بلغت إحدى الشُرف الخاصة بالطابق الثالث وأشارت إلى (ليان) باتباعها، وبالفعل تحرّك خلفها وتسلفاً سور الشرفة وأخرجت (آية) مديّة صغيرة من طيّات ملابسها وعالجت مزلاج الشرفة سريعاً حتى نجحت في فتحها، ودخلا إلى تلك الغرفة المُظلمة، وسارا بهدوءٍ حتى تعتاد عيونهما الظلام، مُحاولين العثور على باب الغرفة، وبالفعل عثر (ليان) على مقبض الباب، فأداره بهدوءٍ وهو يُمسك بمعصم (آية) وتحرك خارجاً.

كانت إحدى الشركات ذات الطابع المكتبي، وبالطبع قد أغلقت أبوابها في هذا التوقيت، فبحرك الاثنان بسرعة على ضوءٍ بسيطٍ خاص بالطوارئ يُضيء الرُدهة، حتى عثرا على المصعد فاستقلّاه أرضاً، وما هي إلّا لحظات قليلة حتى كانا قد وصلا للطابق الأرضي، ففتح باب المصعد وخرجا معاً بهدوءٍ، يتلمسا خطواتهما على أثر الضوء القادم من المصعد خلفهما، إذ كان الظلام يُخيّم على الطابق الأرضي تماماً.

وفجأة أغلق باب المصعد بعد أن تجاوز المدة المحددة له للبقاء مفتوحاً، فغرق المكان في ظلام دامسٍ تماماً.

تحدّث (ليان) بصوتٍ هامسٍ إلى (آية)، أن تبقى بجواره؛ حيث أنه استطاع أن يرى الطريق في اللحظات التي هي قبل إغلاق باب المصعد، وبالفعل أمسكت بيده وسار بهدوءٍ مُحاولاً تذكّر التفاصيل التي استطاع أن يراها لثوانٍ قليلة.

عثر على إحدى الأبواب المُقابلة له ومدّ يده ليُدِيرَ مقبضه، وفجأة سطع ضوء مُبهر، حتى أن أبصارهما قد غشيت تماماً وفتح الباب بقوة من تحت وطأة ضربة قوية، وتبع ذاك عدد من جنود القوات الخاصة، أحاطوا بهما وهم شاهرين أسلحتهم في وجهيهما. وهم لا يحملون إلّا أمراً واحداً فقط، القبض عليهما.. أو قتلها في الحال.

الفصل الثالث

- أخبار جديدة ياسيدي.
قالها (مراد) وهو يقف أمام مكتب السيد مدير المخابرات المصرية، ولكنه قالها بلهجة لا تبعث على التفاؤل البتة، مما جعل السيد مدير المخابرات يعتدل للخلف في مقعده ويشير له قائلاً:

- يبدو أنها أخبار غير جيدة، هات ما عندك على كُلِّ حال يا (مراد).
صمتَ (مراد) قليلاً ثُمَّ تكلمَ:

- أولاً بالنسبة للعميلة (نورهان) والشاب الفلسطيني (مسعود) لم يصلا للقطاع حتى هذه اللحظة، وانقطعت أخبارهم تماماً بعد آخر اتصال بنورهان، والذي يدعو للقلق هو ورود أخبار عن مُطاردة في إحدى المناطق الحدودية القريبة لقطاع غزة بين قوات الاحتلال وسيارة مدنية، تبعها خروج مُقاتلات وسماع دوي قذائف واستهداف وتفجير، ولكن لم تصل معلومات مؤكدة حتى الآن عن طبيعة الهدف المستهدف، ونجاح المُقاتلة في تدميره أو فشلها، هذا من ناحية (نورهان) و(مسعود)، ومن الناحية الأخرى، أبلغتنا إحدى وحدات الرصد والمُراقبة الخاصة بتأمين السيد (خيري) عن وصول عربتين خاصتين بقوات التدخل السريع، وتمت إحاطة الفندق الخاص بإقامته بالكامل، وحتى الآن لم ترد إلينا معلومات جديدة بهذا الشأن، يتبقى الأخبار الخاصة بليان ومعها العميلة الفلسطينية (آية)، ما ورد إلينا بعض الأمور الغريبة بحق يا سيدي، أفادَ عملائنا هناك بأن قتال دار في نفس المول التجاري، الذي نجحت القوات الإسرائيلية فيه بالقبض على (ليان) وتطور القتال من المَرآب الخاص بالمول الطابق الأخير منه، وبعدها تلاها تحطم الوجهه الزجاجية واختراق دراجة نارية من المرجح أنها الخاصة بآية للزجاج والقفز لمبنى مُقابل، وسقوط الدراجة واشتعالها، والقوات الإسرائيلية تحاوط المنطقة بالكامل، ومن الصعب في الوقت الحالي إدراك ما يحدث، يجب أن ننتظر قليلاً حتى تهدأ الأمور.

صمتَ (مراد) وترك فرصة للسيد مدير المخابرات كي يفكر في كُلِّ هذه الأمور جيّداً دون أن يُقاطعه، مرتَ دقيقتان من الصمت حتى أعطى السيد مدير المخابرات أوامره لمراد.

- أولاً تحري الأمر فيما يخص السيد (خيري) جيّداً وسريعاً ولكن بحذر، ووافني بأية معلومات تصل إليك مباشرة، وأيضاً أعطي رجال قسم الاتصالات التعليمات بإيقاف أي طريقة اتصال أو تواصل مع السيد (خيري) تماماً حتى أعطي تعليمات جديدة، كي لا نُعرّض

سلامته الشخصية للمخاطر، وأرسل إلي رجالنا في قطاع غزّة، لتحري أمر الحادث على حدود القطاع، ولو أمكن أيضًا إرسال عدد منهم لقرب منطقة الإشتباك، وتفحص الأمر جيّدًا تحسبًا لأيّ طارئ، وبالنسبة لبيان على رغم تعقد وخطورة ما أخبرتني به الآن، إلّا أنّي لم أملك ولو ذرّة واحدة من الخوف أو القلق تجاهه، بالعكس أشعر أنّه قادر على تجاوز كلّ هذه الصعاب والإفلات منها، ولكنّ هذا لا يمنع أن تُرسل إلى رجالنا هناك لاستطلاع الأمر جيّدًا والوقوف على كلّ تفاصيله، هيّا اذهب لتنفيذ الأوامر سريعًا، وأشار إليه بالانصراف.

وما أن انصرف (مراد) حتّى وقف السيّد مدير المُخابرات من مقعده واقترّب من نافذة مكتبه، ووقفّ شاردًا شاخصًا البصر، لكنّ عقله يعمل سريعًا في الموقف ومدى تعقيدِه وما آلت إليه الأمور من تعقيدات رهيبية وقاتلة.

حدث كلّ شيء بسرعة رهيبية، وتناغم كبير دون اتفاق مُسبق، فجأة تحرّك (ليان) و(آية) معًا في لحظة واحدة تقريبًا.

كان (ليان) الأقرب للباب فأغلقه سريعًا في وجه باقي الجنود، في نفس اللحظة كانت (آية) تركل أقرب الجنود في وجهه وهي تُبعد سلاحه الآلي عنها بيدها، وما أن أغلق (ليان) بيده اليسرى كانت يمينه تغوص في معدة أقرب الجنود إليه الذي أنثنى من شدّة الألم، وتحرّك (ليان) سريعًا، وقفز ليصل للجنديين الباقيين وما أن وصل للأرض حتّى تحرّك وركل الأقرب بقدمه اليمنى، وهو يدور حول نفسه بإحدى حركات الكونغ فو الشهيرة، وقبل أن يلتفت للجندي الآخر وجده ساقطًا أرضًا، و(آية) تحكم ذراعها حول رقبتِه حتّى فقد الوعي، نظر لها في انبهار، فلم يتوقع أبدًا أنّ هذه الفتاة الجميلة النحيلة تملك هذه الشجاعة والقدرات الجسدية، ولكنّه قد تجاوز هذا الانبهار سريعًا لدقة الموقف، وتحرّك بسرعة وأمسك ذراعها وانطلقا معًا يركضان تجاه أقرب النوافذ مرّة أخرى، وبعد أن درس الاتجاهات جيّدًا، عالج مزلاج إحدى النوافذ وفتحه، وساعدها على الخروج منها، وتبعها سريعًا قبل أن ينجح باقي الجنود في فتح الباب مرّة أخرى، وهبطا في الحديقة المُحيطة بالمبنى، وتواريا خلف أقرب الأشجار، ووقفّا ليدرسا الموقف جيّدًا.

سيارات الشرطة وقوات التدخل السريع تُحيط بالمبنى من كلّ اتجاه، والقوات تنتشر في الخارج دون أدنى فرصة أو مساحة للهرب، لكنّ عقل (ليان) أخذ يدرس الموقف سريعًا ووقف يُشاهد الجنود وتحركاتهم ويدرسها من خلف الفواصل المعدنية للسور المُحيط بالمبنى، وفجأة لمح هذا الغطاء المعدني بداخل أرض الحديقة ومجاور للسور الشرقي للمبنى وفهم كنهه، إنّهُ خاص بالكابلات الأرضية الخاصة بالهاتف والإنترنت وكاميرات المراقبة.

أشارَ إلى (آية) أن تتبَّعهُ في صمت وبهدوء، تحرَّكا وهما أقرب للزحف حتَّى وصلا إلى ذلك الغطاء المعدني، ونجح (ليان) في فتحه وطلبَ من (آية) أن تناوله هاتفاها المحمول، فأخرجته من بين طيّات ملابسها وناولته إيَّاه، أشعلَ مصباحه وهو يُدخل يده داخل الغُرفة الأرضية يتفحصها، وأشارَ إلى (آية) بإتباعه، وبالفعل هبط بجسده بهدوء داخل الغُرفة مُستغلاً السُّلم المعدني المُخصَّص لعمَّال الصيانة والموضوع أسفل الغطاء المعدني، وتبعته (آية) بخفَّة وهدهوء وما أن هبطت بجسدها حتَّى وضعت الغطاء بيدها وأحكمت إغلاقه جيِّداً، ووقفت بجواره تنتظر قراره فيما يفعل.

طلبَ منها (ليان) فتح كلمة المرور الخاصَّة بهاتفها، وفتح تطبيق تحديد الاتجاهات، ليُحدِّد مكانهما بالضبط بالنسبة للشوارع الرئيسيَّة، وأيضاً فتح موقع شركة الاتصالات صاحبة الكابلات وهي شركة (بيلي فون) وقامَ بالدخول على الدعم التقني للموقع، وبحثٍّ عن أقرب أماكن التغطية بكابلات الألياف الضوئيَّة، الغرض من هذا هو معرفة خريطة توزيع الكابلات في المنطقة ومساراتها، حتَّى يُحدِّد اتجاه السير وأي أنبوبٍ يستغلُّونه والمُخصَّص لسير الكابلات بين المناطق الرئيسيَّة.

وبالفعل حدَّد اتجاه الأنبوب الرئيسي الذي يخرجهما من هذه المنطقة السكنيَّة، أنبوب متوسط الاتساع وبالكاد يكفي جسد (ليان) فأعطى حقيبة ظهره إلى (آية) التي ساعدها جسدها النحيل على التحرك بسهولة أكبر ممَّا جعله يُدخلها قبله في الأنبوب كي تستطيع النفاذ أسرع وتُساعدَه في حالة احتياجه.

انسلَّت (آية) برشاقة وخفَّة، ومن خلفها تحرَّك (ليان) ولكنَّ ببطء بسبب عضلات جسده الرياضي، واستمرَّ الوضع قُرابة النصف ساعة، وبالفعل وصلا إلى غرفة أخرى تُشبه الأولى التي تحرَّكا منها، وجلسا قليلاً لالتقاط أنفاسهما وخاصَّةً (ليان)، الذي بذلَّ مجهوداً عضلياً رهيب بسبب ضيق الأنبوب بالنسبة لجسده، وبعد بُرهة من الوقت تحرَّك (ليان) وصعدَ السُّلم المعدني وعالج مزلاج الغطاء المعدني، وفتحهُ وأخرج رأسه بهدوء، وتفحص المكان من حوله، فإذا بالشارع فارغ من المارة، خرجَ (ليان) ومدَّ يده يُساعد (آية) على الصعود، وأغلقَ الغطاء المعدني من خلفهما، وتأبَّط ذراعها ووضع حقيبة ظهره خلفه، وتحرَّكا بهدوء وكأنَّهما حبيبان يسيران معاً.

- والآن أين نذهب؟

قالتها (آية) مُتسائلة، هزَّ (ليان) كتفه بعلمة عدم المعرفة وقال لها:

- حقيقةً لا أعلم، ولكنَّ يجب أن نختفي عن الأنظار فترة حتَّى لو لعدَّة أيَّام، وأوَّلاً احتَاج إلى هاتف جديد ويكون غير رسمي أو متبع، ثانياً نحتاج إلى الاطمئنان على (مسعود)

و(نورهان)، وثالثًا يجب عليكِ التواصل مع المخابرات المصرية، لإخبارهم بالمستجدات ومعرفة خطتهم.

ظلت صامتة تستمع له وأخرجت هاتفها بعد أن استعادت منه _بعد أن استخدمه في الغرفة الأرضية، وفتحت تطبيق خاص بالمحادثات السرية، وأرسلت رسالة قصيرة، وانتظرت الرد وقد أتاها الرد سريعًا، كانت رسائل مُختصرة ولكنها تحوي الكثير من المعلومات السرية السريعة، تنظر لشاشة الهاتف، وتنظر إلى (ليان)، وأخيرًا أغلقت شاشة هاتفها ونظرت له نظرة طويلة وقالت في آسف:

معلومات كلها غير مُبشرة بالمرّة، وتابعت:

- أولًا لم يصل (مسعود) أو (نورهان) إلى قطاع غزة، مع ورود معلومات بإطلاق نار بالقرب من معبر (بيت حانون) وكذا استهداف سيارة عن طريق طائرة خاصة بقوات الاحتلال، وأيضًا أرسلت المخابرات المصرية أحد عملائها للقائك ولكنه تم القبض عليه، ولم ترد أية معلومات أخرى حتى الآن.

انتهت من كلامها وظلت صامتة تنظر له في انتظار رد فعله حول هذه المعلومات.

ولكنه ظلّ شاردًا صامتًا، يفكر في كل هذه الأمور، يكاد عقله أن ينفجر من كثرة التفكير.

الفصل الرابع

تلهث ويكاد قلبها يتوقف من كثرة دَفَاقِهِ السريعة، كانت تبذل مجهود رهيب، يفوق كُلِّ قدراتها الجسدية، فهي ذات جسد متوسط مقارنة بأغلب الفتيات اللاتي في عُمرها، ولكنها لم تكن أبدًا رياضية أو حتى تمارس عمل يستدعي أيَّ مجهود بدني، وبحكم عملها كانت إدارية طوال عمرها وحتى انضمامها للمخابرات المصرية، كانَ بوظيفة إدارية، وهو ما شجع الإدارة على استغلالها، وزرعها في المجتمع الإسرائيلي، لكونها إداريةً أولًا، ولتفوقها وذكاها ثانيًا، وأيضًا لعبقريتها في استخدام الحاسب، ولم تكن تتخيل يومًا أنها سوف توضع في مثل هذا الاختبار، وتبذل كُلَّ هذا المجهود البدني الشاق، ولكنها بحكم أصلها المصري تمتلك إرادة من حديد لا تلين أو تهزم، وهو ما اعطاها كُلَّ هذه القوة لتواصل المسير في الصحراء وحتى تحمل على كتفها جسد (مسعود) المثنى بالجراح وفاقد الوعي.

تتحرك ببطءٍ شديد ولكنها لم تمل أو تكل، وظلَّت تتوقف كُلَّ فترة لتلتقط أنفاسها وتطمئن على (مسعود) أَنَّهُ مازال على قيد الحياة.

بزغت أشعة الشمس ونشرت خيوطها، وأدركت وقتها أَنَّ المسير قد يُصبح مُستحيلًا، بحثت بنظرها في كُلِّ اتجاه تبحث عن مأوى، وعثرت على غايتها، حيثُ وجدت مجموعة من الصخور المتراكمة، تصنع تجويفًا مظللًا فيما بينها، سارت بحملها إليه، وقامت بوضع جسد (مسعود) بينَ الصخور لتقيه من أشعة الشمس التي بدأت في الانتشار، وجلست بجواره لتلتقط أنفاسها، وتستعيد بعضًا من قوتها التي فقدتها، حتى غلبها النعاس، لم تدري كم مرَّ من الوقت، ولكنها أفاقت على صوت أزيز مُحرك، لم تتبين كنه الصوت أو اتجاهه في بادئ الأمر، لكنها أطلَّت برأسها من خلف الصخور تبحث عن الصوت، وبالفعل رأت دراجة نارية قادمة من بعيدٍ باتجاه ليس بعيد نسبيًا عن موقع الصخور، ظلَّت تُتابعها بنظرها حتى اقتربت أكثر من الصخور التي تحتمي خلفها،

كان رجلًا مُلثمًا قويَّ البنيان، يرتدي زيًا عسكريًا يُشبه إلي حدٍّ بعيد أزياء المقاومة الفلسطينية، والمقاتلين والمجاهدين في قطاع غزة، خرجت مُسرعة من خلف الصخور، وجرت باتجاه الدراجة، وأخذت تُشير إلى قائدها الذي لمحها فتوقف وقام بالتحرك في اتجاهها بحذر وببطء، وما أَنَّ اقترب منها حتى هبطَ من دراجته النارية، وأشهرَ سلاحه وهو يقترب منها سيرًا على الأقدام.

ملاحها لا تدُلُّ على أصلها المصري أو العربي ولكنها صرخت قائلة:

- أنا مصريّة لا تقلق، ومعني صديق فلسطيني مُصاب.
قالتها وهي تُشير باتجاه الصخور، حركَ قائد الدراجة الناريّة نظرهُ بينَ (نورهان) ومكان
الصخور، وعادَ إليها مرّةً أخرى وسألها بلهجةٍ حازمة:
- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟
وما علاقتكِ بصوت الانفجار الذي حدثَ قرب المعبر مساء أمس؟
أجابتهُ بكلِّ ثقةٍ وحزم:
- كُنّا نهرب من دوريّة إسرائيليّة وظهرت طائرات العدو، وطاردتنا بالسيّارة حتّى أصابوها
وانفجرت، لكنّ صديقي نجحَ بالقفزِ منها وحمايتي وأُصيبَ هو من قوّة الانفجار.
ظلّ واقفًا ينظر إليها ويعقل كلامها وأخيرًا غلبتهُ نخوتهُ فخفضَ سلاحهُ جانبًا وتحركَ باتجاه
الصخور وجسد (مسعود).
اقتربَ منهُ وأخذَ يفحص نبضه وجراحه، ونظر لها وقال:
- يجب أن نحمّلهُ سريعًا إلى أقرب مشفى، حياته في خطرٍ حقيقي، لقد نزفَ كثيرًا وأصبحَ
نبضه ضعيفًا، قالها وهو ينهض ويحمل جسد (مسعود) على كتفه وكأَنَّهُ يحمل طفلًا صغيرًا
وساعدهُ على هذا جسده الممشوق وعضلاته البارزة.
نظرت لهُ (نورهان) وقالت:
- ولكنْ إلى أينَ سنذهب؟
أخبرها وهو يتجه إلى دراجته الناريّة:
- لا تقلقي، يوجد مدخل نفق قريب من هنا ونهايته بداخل القطاع، وهُنَاكَ سنجد لهُ
الرعاية الصحيّة بإذن الله.
أنهى حديثهُ وهو يضع جسد (مسعود) خلفه ويشير لنورهان أن تجلسَ خلفه، وانطلقَ
بالدراجة وخلفه (مسعود) و(نورهان) حتّى غابوا عن الأنظار.
وعقل (نورهان) يحمل سؤالًا واحدًا فقط.. هل سيصلوا إلى القطاع سالمين؟
هل؟!
- والآن ماذا نفعل؟
قالتها (آية) وهي تنظر إلى (ليان) الذي غرق في أفكاره وشرّد بعيدًا، ولكنّه أفاقَ على سؤالها،
فنظر إليها وأجاب:
- يجب أن نجد مكانًا للاختباء حتّى نستطيع أن نقومَ بتغيير ملابسنا، و نستعيد نشاطنا
ومن ثمّ نشرع في التحركَ السريع، لدينا مشكلتين؛ الأولى المندوب المصري الذي تمّ إلقاء

القبض عليه، والثانية هي (نورهان) و(مسعود) يجب إنقاذهما أو الاطمئنان عليهما وخروج نورهان خارج إسرائيل سريعاً.

أتمّ عبارته وظلّ صامتاً، فسألته (آية):

- لماذا نبدا؟

نظر في عينيها وقال:

- أعتقد أنّه يجب ألا نتأخر على تهريب المندوب المصري من بين أيديهم، كما أعتقد أنّ (مسعود) قادر على الموقف الذي هو فيه؛ إذ عاش حياته مُقاتلاً.

ظلتّ (آية) تنتظر إليه وتتأمل في ملامحه التي تكسوها الجدّة.

- حسناً، هيّا بنا، قالتها له وتحركت.

نظر لها بإندهاش وقال:

- إلى أين؟

التفتت إليه وأجابته وهي تضحك:

- آسفة لم أعتد العمل برفقة أحد، سوف نذهب إلى أحد المنازل الآمنة القريبة من هنا، لقد

طلبت الإذن أثناء المحادثة مع المخابرات المصريّة، وبالفعل تمّ السماح لنا بالذهاب إليه ونستعد لما هو قادم.

ظلّ ينظر إليها لفترة، وضحك وتابع:

- لم أرى في حياتي مثلك، غريبة أنت يا فتاة!

تبادلا الضحكات بعد هذه الجملة وسارا معاً متجاورين، وهي تتابع الطريق على تطبيق الخرائط في هاتفها المحمول، وصلا إلى المبنى المنشود، وصعدا إلى الطابق الثاني، كان المبنى يعمل بنظام المنزل الذكي (Smart Home)، وأعطيت شفرة التحكم به بالكامل وصلاحيات الوصول إلى هاتف (آية)، ومُجَرّد أنّ توقفت أمام الباب وعن طريق التطبيق قامت بفتح الباب، ومُجَرّد أنّ دلفا المنزل حتّى قامت تشغيل الإضاءة، وتفعيل المجسات وكاميرات المراقبة المحيطة بالمنزل، لترسل التنبيهات إلى هاتفها مباشرة في حالة تسجيل اقتراب أحد من المنزل، وألقت هاتفها جانباً، وألقت بنفسها على أريكة ضخمة، و(ليان) ينظر لها باستغرابٍ شديد، لم يرى بالفعل أحد مثلاً من قبل، وأخذ يتذكر ما كانا به منذ ساعة واحدة فقط، وينظر إليها وهي مُستلقية أمامه على الأريكة، بل والأدهى أنّها استغرقت في سُبّات عميق، نامت كالأطفال، ابتسم عند هذه النقطة، وتركها وذهب إلى دورة المياه، وفتح الصنبور وترك الماء ينساب على رأسه ليغسل عن عقله قبل جسده أحداث اليوم الرهيب، وما أنّ انتهى حتّى خرج إلى غرفة مجاورة وألقى بنفسه على الفراش الصغير، وغرق في سُبّاتٍ

عميق، وترك نفسه أخيراً للراحة بعدَ كُلِّ هذه الأحداثِ المُتلاحقة السريعة التي مرَّ بها في آخر فترة.

الفصل الخامس

لقد وصلت (نورهان) ومعها (مسعود) إلى قطاع غزة يا سيدي.

نطق (مراد) بهذه الكلمة، وهو يقف أمام السيد مدير المخابرات المصرية وتابع حديثه:

- لقد نجح أحد أفراد قوات المقاومة المقاتلة بالقطاع بالعثور عليهما في نقطة قريبة من الحدود مع القطاع داخل الأراضي المحتلة، ونجح عن طريق الأنفاق في نقلهما إلى داخل القطاع، ولكن حالة (مسعود) الصحية كانت تحتاج إلى تدخل سريع وعاجل وبالفعل تم نقله إلى مستشفى (بلسم) أو (بيت لاهيا) كما يسمونها، وتم التدخل الجراحي لإنقاذ حياته، وحالته الآن مستقرة، و(نورهان) بحالة جيدة، وقد نجحت في الاتصال بنا عن طريق رجال المقاومة هناك، وقد أرسلت تقريرًا بما حدث لهما باختصار أنهما قد تم استهدافهما من قبل الطيران الإسرائيلي، وأنقذ (مسعود) حياتها ولكنه أصيب بجراح خطيرة، هذا بالنسبة إلى وضع (نورهان) و(مسعود) ويجري الآن الاستعداد لنقلهما إلى الأراضي المصرية بالتنسيق مع المقاومة الفلسطينية، وأما (ليان) و(آية) فهما منذ أمس في المنزل الآمن (B12)، وفي خير حال، ولكنهما بحاجة إلى قسط من الراحة وخاصة (ليان) الذي لم يدق طعم النوم أو الراحة منذ أسبوع، وقد أرسلت (آية) ما مفاده أن (ليان) أخبرها على استعدادده للتدخل لتخليص السيد (خيري) من يد قوات الاحتلال، وهذا ما ينتويه بالفعل.

أنهى (مراد) تقريره، ووقف في صمت احترامًا لصمت مديره، الذي وقف موليًا ظهره له شاخصًا البصر من زجاج نافذته الداكن، الذي يكشف له القاهرة بمبانيها وأحيائها.

يقف السيد مدير المخابرات صامتًا، وفي عقله تدور ألف فكرة وفكرة، لقد تعقدت الأمور أكثر وأكثر، ولكنه يشعر بإنفراجة قريبة، وها هي بدأت بوادرها، بالنجاح في إخراج (نورهان) و(مسعود)، ووصول (ليان) و(آية) إلى منزل آمن، يتبقى فقط (خيري).

ظهر التأثير جليًا على ملامحه؛ إذ يُعَدُّ هو المسئول شخصيًا عن وضع (خيري) الحالي، فهو من طلب منه هذا الأمر، وهو من أقنعه بالسفر إلى إسرائيل للقاء (ليان)، ولكنه نفذ كل هذا سريعًا، لأن التفكير بهذا الشكل لن يُفيد أبدًا في مثل هذه المواقف، خرج من هذه المشاعر والتفكير سريعًا والتفت إلى (مراد) وسأله:

- أهنأك أية أخبار عن السيد (خيري)؟

هزَّ (مراد) رأسه بعلمة النفي وأجاب:

- للأسف يا سيدي، ليس هناك جديد، لكن آخر الأخبار تُفيد باحتجازه في مبنى الموساد الرئيسي، وهذا كُلُّ ما استطاع عملائنا الحصول عليه حتى الآن، بسبب ما تعرَّض له الموساد في الفترة الماضية من (ليان) وكذا (نورهان)، فتمَّ تغيير كُلِّ الإجراءات الأمنية تمامًا، وتمَّ نشر وتفعيل بروتوكولات مُختلفة تمامًا وبحرص شديد جدًا، حتى لا يحدث ما حدث مرَّة أخرى. انتهى (مراد) من حديثه، فنظرَ السيّد مدير المُخابرات نظرة طويلة، دلالة على التفكير العميق، وأخيرًا سمح له بالانصراف، واستند برأسه في مقعده، وأخذ يفكر في حال (خيري) وماذا قد يحدث له الآن؟

وتساءل بصوتٍ مسموع:

- أينَ أنتَ يا (خيري)؟

وماذا حدث لك؟

- أهلاً بك يا سيّد (خيري).

قالها السيّد (يوسي) وهو يقف على بابِ العُرفة التي يحتجز بها (خيري)، فالتفت إليه (خيري) وهو مُحكم الوثاق في مقعد معدني بالكاد يلائم جسده الضخم، ونظر للسيّد (يوسي) طويلًا، ليعلمه مَنْ يكون بحُكم عمله في المُخابرات المصريّة، فالسيّد (يوسي) هو رئيس المُخابرات الإسرائيليّة (الموساد)، ويعلمه أيضًا بسبب تلك التسمية القديمة المنسوبة إليه (الثعلب)، لكنَّ (خيري) قد تظاهرَ بالعكس، وكأنَّه لا يعلم مَنْ هو محدّثه بل ورسم البراءة على ملامح وجهه وتحدّث معه قائلاً:

- سيدي، يبدو أن هناك خلل ما أو خطأ، فأنا لا أعلم عن مَنْ تتحدّث، أنا أدعى (سليم) من أصولٍ لبنانيّة مصريّة وأعملُ في تجارة الفواكه، وبخاصّة التصدير إلى دولتكم، ولا أدري شيئًا عن ذلك المدعو (خيري)، أو ما تُخبروني به عن علاقتي بالمُخابرات المصريّة.

تعالى دوي تصفيق من السيّد (يوسي) تبعها قائلاً:

- لقد كدت أن أصدّقك بالفعل يا سيّد (خيري)، ولكن هل تعلم أن مُخابرات دولتك لم تعي التكنولوجيا بعد، قد ظنّوا أنهم يستطيعون خُداع دولة مُتقدّمة مثل إسرائيل!

يا عزيزي (خيري) نحنُ في إسرائيل لم نعدْ نعتمد على العنصر البشري كثيرًا، ولا على التكنولوجيا القديمة أيضًا، دعني أخبرك شيئًا يا صاحب الأصابع الذهبية، وتوقف عن الحديث وهو ينظر إلى (خيري) ويتسم ابتسامة خبيثة، أليس هذا هو لقبك في المُخابرات المصريّة؟

وما أن انتهى من هذه الجملة حتى انفجر ضاحكاً وتابع حديثه بعدها:
- نحن في إسرائيل نعتمد على تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، ليس الآن فقط، ولكن منذ فترة بعيدة، ولهذا تم رصدك بمجرد وصولك إلى مطار (تل أبيب)، فعن طريق هذه التكنولوجيا تم التعرف على ملامحك، وإبلاغ السيرفر الرئيسي لمجلس رئاسة الوزراء وصدر أمر لإعتقالك، لكننا تركناك كي نستطيع إسقاط كل العملاء الذين يعملون لصالح المخابرات المصرية. انتهى من كلامه وهو يرسم على ملامحه ابتسامة صفراء مقببة تدعوا من يراه إلى التقية، وظل (خيري) صامتاً دون أن يظهر أي انفعال على وجهه، ولكنه بعد فترة صمت تحدث أخيراً:

- أتعلم يا سيد (يوسي)، أم تفضل استخدام لقبك (الثعلب)؟؟
أليس هذا هو اسمك ولقبك؟!

وليكن.. قد تتحوصن في استخدام التكنولوجيا الحديثة، وقد تساعدكم وتفيدكم لفترة أو بطريقة محدودة، ولكن في النهاية يجب العودة للعامل البشري، وأعلم جيداً أنكم لم تكتشفوا شخصيتي من البداية كما تدعي؛ فلو كان الأمر كذلك لم تركتوني كل هذه المدة؟ وهذه هي عادتكم في الكذب والتدليس وليس بجديد عليكم، وأريد إخبارك أن بلدي لن تتركني أبداً، وأنا واثق تمام الثقة بعودتي سالمًا لوطني، لك حق التفأخر الآن، ولكن تذكر جيداً أن من يضحك أخيراً يضحك كثيراً.

رانت فترة من الصمت بعد جملة (خيري) الأخيرة، واختفى خلالها شبح الابتسامة عن وجه (يوسي) وتحولت ملامحه إلى الجمود والجديّة، ومال إلى الأمام حتى كاد أن يلتصق بوجه (خيري) وقال له بلهجة صارمة:

- عزيزي (خيري) تأكد أن هذا لن يحدث، طبقاً للأوراق الرسمية، لم يصل إلى إسرائيل شخصاً يدعى (خيري)، وإنما الذي وصل بالفعل هو السيد (سليم)، ورفع ساعة يده أمام وجهه وتابع قائلاً:

- والسيد (سليم) الآن في مطار (بن غوريون) يستعد لمغادرة البلاد إلى لبنان.

ورسم على وجهه ابتسامة أكثر قتامة من سابقتها وهو يتابع:

- إذاً لا وجود لك هنا رسمياً، وهذا مثبت رسمياً من جهة دولتك ومن جهة دولتنا.

وعاد إلى مقعده مبسماً، وظهر التوتر على ملامح (خيري) فقال:

- ولو، أعلم أن بلدي لن تتركني، ولعلمك الخاص قد مررت بمثل هذا الموقف من قبل، وكان بهذا المكان لو أننا بمبنى الموساد، لتعذرني فقد قام جنودك بتغطية عيوني أثناء احضاري إلى

هنا فلم أدرك أين أنا بالضبط، مهما يكن المكان فأنا واثق من خروجي منه، وبأسرع مما تتوقع أو تتخيل يا سيد (يوسي).

تعالّت ضحكة مُجلجلة من (يوسي) ونظرَ بتحدٍّ إلى (خيري) وتابع وهو يضحك:

- ما تتحدّث عنه كانَ قديمًا يا صديقي؛ إذ كانَ يُدير هذا المكان مجموعة من البُلهاء الأغبياء ليسمحوا لرجلٍ واحدٍ مهما كانتْ قُدراته وذكاؤه في الدخول والخروج حيًّا، وحتى ذلك الرجل المدعو (أشرف صبحي) وإنْ تعدّدتْ ألقابه حتّى ولو كانَ قاهرًا للمُستحيل، فقد ماتَ يا عزيزي ولم يعد له وجود، حتّى وإنْ كانَ موجودًا تأكد أنْ هذا المُستحيل بعينه يا صديقي، فالآن المكان بالكامل تحت إمّرتي أنا، وبالتأكيد تعلم جيّدًا بحُكم عملي في المخابرات مَن هو (يوسي)، فتأكد عزيزي (خيري) أنني لن أسمح لبعوضة بالدخول لهذا المبنى دونَ إذنٍ مُباشر مِنّي.. فما بالكَ بالخروج منه؟!
قاطعهُ (خيري) وهو يرسم ابتسامة ساخرة على وجهه:

- والدليل (ليان).

اختفت الابتسامة من وجه (يوسي) وتبدلت ملامحه إلى غضبٍ عارم وصرخَ في وجه (خيري):
- ذلك الشيطان الخائن، أعدك بسحقه تمامًا يا عزيزي، وأعلم أن ما ساعده هو أنّه يعمل هنا ولم يكنْ هناك مجال للشكّ به أبدًا، ولكنّ الوضع قد تغيّر يا صديقي، فالآن نعلم مَن هو، وتأكد أنّه لا يستطيع الاقتراب حتّى من على بُعدٍ أربع بلوكاتٍ سكنيّة من هذا المبنى، فما بالكَ بالخروج منه؟!
- هذا الشبل من ذاك الأسد.

قالها (خيري) بلهجةٍ ساخرة، ممّا جعل (يوسي) يستشيط غضبًا وازداد احتقان وجهه، حتّى صارَ لونه يميل للاحمر بدلًا من لونٍ وجهه الطبيعي.

- هكذا إذًا، أنتم تعلمونَ حقيقته، حسنًا.. أعشقُ اللعب بأوراقٍ مكشوفة، وتأكد يا عزيزي أنّ الوقت قد حان للقضاء على ذلك الأسطورة خاصتكم، وتابع وهو يضغط على أسنانه: - وعلى ابنه أيضًا.

قالها وضربَ بيده على سطح المنضدة المجاورة له، وانتصبَ واقفًا وأشارَ لجندي من الجنود المتواجدين بالغُرّة وقال:

- يرُحل حالًا إلى سجن (وزارة الدفاع)، ولا يُحقّق معه إلّا بإذنٍ مِنّي أنا شخصيًا، ولا يتعامل معه أيّ شخص نهائيًّا إلّا بأوامرٍ شخصيّة مُباشرة.

انتهى من حديثه ونظرَ تجاه (خيري) وخوى يرسم ابتسامة ساخرة وقال:
- وداعًا يا سيّد (خيري)، ألقاك قريبًا، فبيننا أحاديث كثيرة لم تنتهي، ولكن لا تقلق فمعنا
كُلّ الوقت، معنا كُلّ الوقت.
وداعًا يا صاحب الأصابع الذهبية.
قالها وخرجَ من غرفة التحقيق، وشفق الباب من خلفه، وترك (خيري) في حالةٍ لا يُرثى لها،
لقد نجحَ بالفعل في زرع الرعب بقلب (خيري).
أدرَكَ (خيري) أنَّه المُستحيل بعينه،
وفي ظلّ يأسه وحُزنه صرَخَ:
- أينَ أنتَ يا صديقي؟
أينَ أنتَ يا (أشرف)؟!!

الفصل السادس

تثاءبت وحاولت أن تفتحَ عينيها في كسلٍ وتراخٍ، وحزّكت ذراعيها تتمطى (تتمطع) في محاولةٍ منها لنفض الكسل وآثار النّعاس من عينيها.

استعادت فجأةً كلّ ما حدثَ ليلة أمس، اعتدلت على الأريكة، وجدت غطاءً للhashية قد وضعَ على جسدها وهي نائمة، لا تتذكر أنّها قد فعلت هذا من شدّة تعبها، هبطت من الأريكة وتحزّكت بخفةٍ مُنسلةٍ إلى الغرفة المُجاورة بعدَ أن رأت الضوء المنبعث منها. وجدت (ليان) جالسًا مُعطيًا ظهره لها، ومنهمك فيما يفعل أمام شاشة حاسوبه المحمول الذي كانَ معه في حقيبة ظهره، ولأوّل مرّة تُدرك تفاصيل جسده بالكامل.

- إنّه وسيم حقًا.. كيف لم ألاحظ هذا بالأمس؟

ردّدت هذه العبارة بصوتٍ خفيضٍ مُحدّثة نفسها، ولكنّه التفّت إليها بسرعة، وابتسمَ حينَ وجدها تقف على باب الثُرفة دونَ أن تصدر صوت، وأشارَ لها أن تأتي لتجلس على الطاولة بجواره، وبالفعلِ جلست وألقت تحيّة صباحيّة سريعة، نظر لها مُبتسمًا وقال:

- يبدو أنّك من الكسالى الذين ينامونَ حتّى الظهيرة، على العموم لقد أعددتُ بعض الفطور، هيا انهضي وانفضي هذا الكسل عنك، وبعدَ أن تحصلي على حمّامٍ مُنعش وتتناولي طعامكِ تعالي لتحدّث.

- وهل تناولتِ أنتِ إفطارك؟

قالتها له وهي تنهض من الطاولة، فأجابها ضاحكًا:

- أوشك موعد الغداء على القدوم، بالطبع قد تناولتُ إفطاري منذُ فترة.

ضحكت وذهبت لتنفيذ كلّ ما قال، لأنّها بالفعلِ في أشدّ الحاجة لانسياب المياه على جسدها، وتناولت الإفطار على عجل، وعادت وهي تلوك آخر قطعة من شطيرة كان قد أعدّها لها، وجلست بجواره وقالت مُمازحة:

- يبدو أنّك مُتعدّد المواهب، فبخلاف عبقريّتك وقدراتك البدنيّة إلا أنّك أيضًا طاهي ماهر. ضحك وهو ينظر لها، وقال:

- اتركي المزاح الآن، أماننا عمل كثير ويجب التحركُ سريعًا.

ظهر الاهتمام على ملامحها، ونظرت إلى شاشة الحاسوب التي كانت تعرض بعض التصميمات لمبنى الموساد من الداخل فسألته:

- ماذا تنوي أن تفعل بالضبط؟

أجابها وقد عادَ يتأمل الشاشة باهتمام:

- لقد كُنْتُ أخطُط لدخول المبنى، ولكنْ بعدَ تفكيرٍ عميقٍ وجدتُ أنَّه صعب بل يكاد يكون مُستحيلًا، لذا عدلتُ عن قراري.

ظَلَّت صامتةً تنتظر أنْ يُكمل حديثه، ولكنَّه لم يتكلَّم فقالت له:

- وماذا بعد؟

نظر لها وهو شارد قليلًا وقال:

- سوفَ أنتظر حتَّى يُخرجوه خارج المبنى، ببعض التفكير البسيط أدركتُ أنَّهم لا بدُّ وأنْ يُرحلوه إلى أحد السجون، وبمعرفتي بشخصية السيد (يوسي) أكاد أجزم بأنَّه سوفَ يُرحله إلي سجنٍ من اثنين لا ثالثَ لهما، الأول سجن (وزارة الدفاع)، والثاني سجن (كتسيعوت) أو سجن النقب الصحراوي شديد الحراسة، وإنْ كُنْتُ أجزم وأميل إلى أنَّه سيكون الأول، وهو ما أخطُط له بالفعل.

نظرت له في دهشة وكادت أنْ تصرخ في وجهه:

- هل تُخطط لاقتحام سجن (وزارة الدفاع)؟؟؟!!

ضحك من أسلوبها وقال:

- بالطبع لا، وهل جُننت؟

سوفَ نقوم باختطافه أثناء الترحيل.

اتسعت عيناها وصرخت بالفعل:

- بالتأكيد أنتَ مجنون، هل تعلم مقدار الحماية والأمن المحيط به أثناء ترحيله؟

إنَّه بالنسبةٍ لهم غنيمة كبيرة، إنَّه عميل مصري، ليسَ هذا فحسب؛ لقد علمت أنَّه رئيس قسم التقليد والمحاكاة والتزييف في المخابرات المصرية، بل ويُقال عنه أنَّه أسطورة في هذا المجال، فهل تعتقد أنَّ السيد (يوسي) لن يرسل على الأقل فرقتين كاملتين من القوات الخاصة لحمايته ونقله.

ضحك مرةً أخرى على تعابير وجهها وهي تتحدَّث بحدة، ثُمَّ تأسَف لها وقال:

- أعلمُ بكلِّ هذا، وآسف حقًا لأنَّني قد ضحكت، ولكن انت تتكلمين بمنتهى الحماسة والانفعال فلم أتمالك نفسي، اعذريني.

وصمت قليلًا وتابع:

- أعلمُ كلَّ هذا صدقيني، ولكن عندى خطةٌ أعتقد أنَّها سوفَ تنجح.

وشرع يشرح لها ما ينوي وما يفكر ويخطط، واتسعت عيناها هذه المرة من الدهشة؛ فما كانَ يقولُه مدهش بحقٍّ ورهيب!

توقّف ذلك الشاب بالدراجة النارية، بإحدى الشوارع الجانبية بذلك الحي الهادئ، وجلس على الدراجة وأخرج هاتفه، وأجرى اتصالاً سريعاً، وبعدَ دقيقتين كانَ (ليان) يقف أمامه ومعهُ (آية)، وبعد التحيّة بينهم تناول الشاب حقيبة كبيرة كانت خلفه على الدراجة النارية وأعطاهها لlian، تناول (ليان) الحقيبة وقال للشاب:

- شكراً لك لك يا (زياد)، كنتُ أعلم أنك لها يا صديقي.
أجابهُ (زياد) وهو يُعانقه:

- لقد أصبحتَ أخاً لنا جميعاً يا (ليان).. هل من أخبارٍ عن (مسعود)؟
ربتَ (ليان) على كتفه مطمئناً وقال:

- آخر الأخبار أن حالته مُستقرة الآن في مستشفى (بيت لاهيا) بقطاع غزة، وفي أمانٍ تام.
- حمداً لله، أتركك الآن يا صديقي، وفي انتظار لحظة التحرك متى أُعطينا الإشارة.
قالها (زياد) وهو يهبط من على الدراجة النارية ويمدّ يدهُ بمفتاحها إلى (ليان)، ليُعانقه (ليان) مرةً أخرى، وينصرف (زياد) مُترجلاً ويختفي في إحدى الأزقة الجانبية، فينظر (ليان) إلى (آية) ضاحكاً ويناولها مفاتيح الدراجة النارية مُمازحاً لها قائلاً:

- ها هي دراجة بدلاً من التي دُمرت.
تتناول منه المفتاح وتضحك، ثمّ تسأله:

- هل هذه هي الملابس الخاصة بالقوات الخاصة ؟
هز رأسه بالإيجاب، وتابع قائلاً:

- وأسلحتهم أيضاً، ونظاراتهم الواقية والخوذة والقناع، يتبقى لنا فقط أن نستولي على إحدى سياراتهم، عن طريق اختراق الحاسوب الخاص بها، وننضم إلي موكب التأمين، وهناك يبدأ الشق الثاني من الخطة، وهو الجزء الخاص بزياد ورفاقه وصناعة محاولة تهريب وهمية، وحينها فقط نندس نحنُ وسط حالة الهرج، ونُخلصهُ من بين أيديهم ونترك التغطية على هروبنا لزياد ومن معه.

- هل أنت واثق من نجاح هذه الخطة؟

قالها (آية) وهي تشعر بتوتر وخوف، أجابها مُشجعاً إيّاها:

- لنترك الأمور حين يأتي وقتها، لنفعل فقط ما علينا.

قالها وهو من داخله يتساءل:

- هل تنجح الخطة؟

هل؟

افتتح هذه البوابة سريعاً أيّها الجندي.

قالها السيد (يوسي) بمنتهى الغضب، وهو يُشير إلى جندي الحراسة المُخصص على غرفة الاحتجاز الخاصة بخيري داخل مبنى الموساد، فتلعثم الجندي وأسرَعَ لينفذ الأمر.

دخَلَ (يوسي) إلى الغرفة ويكاد يتطاير الشرر من عينيه من الغضب وصرخَ قائلاً:

- صديقك الصغير يستعدّ لتخليصك من بين يدي، ولا يعلم أنني أعدُّ له مفاجأة في انتظاره، وابتسم ابتسامة مقينة صفراء وقال:

- مفاجأة من العيار الثقيل.

وأشارَ إلى جندي الحراسة وصرخَ به:

- حُلْ وثاقه وأحضرة وتعالى خلفي.

نفذ الجندي الأمر سريعاً وأمسك (خيري) من قيوده ودفعه أمامه ليتبع السيد (يوسي)، الذي سارَ حتّى المصعد واستقلَّه الثلاثة، وهبط بهم إلى الطابق الخاص بمربأ السيارات، وتقدّم السيد (يوسي) من إحدى السيارات وأشارَ للجندي أنْ يحتلّ مقعد القيادة الخاص بها، ودفع (خيري) ليستقلّ المقعد الخلفي، والتف ليجلس بجواره، وأشارَ للجندي بالتحرك، وبالفعل انطلق الجندي بالسيارة ونظر في المرأة للسيد (يوسي) مُتسائلاً:

- إلى أين الواجبة يا سيدي؟

- إلى سجن (كتسيعوت) الصحراوي، ولقد أعطيت التعليمات للأمن المُرافق بعدم تتبعا، وكذا فتح البوابات، لتسهيل خروجنا بدون أية ترتيبات حتّى لا نلفت الأنظار، أو نُعطي فرصة لعُملاء المُخابرات المصرية، أو مُعاوني ذلك الخائن (ليان) بالشعور بما نفعل، هيّا انطلق.

قالها السيد (يوسي) وهو يتراجع للخلف بجوار (خيري)، حتّى وصلا إلى البوابة الأمنية التي بالفعل أفسحت لهم المجال، دون أيّ اعتراض وخرجت السيارة من مبنى الموساد، وسارت في الطريق السريع المؤدي إلى صحراء النقب.

- توقف هنا أيّها الجندي.

ألقى السيد (يوسي) هذا الأمر، ممّا جعلَ الجندي يدهس مكابح السيارة بكُلّ قوة، فتوقفت السيارة، واستدارَ الجندي إلى السيد (يوسي) وهو يقول:

- ما الأمر يا سيدي؟

ماذا حدث؟

فجأة تغيّرت ملامح السيد (يوسي) وأيضاً نبرة صوته، الذي أصبحَ يحمل نبرة ساخرة وقال:

- فقط سنُكمل نَحْنُ الرحلة بمفردنا.

قالها وهو بقبضة يده على مؤخرة عنق الجندي بقوة، مما جعله يرتطم بالمقود ويرتد منه وكأنه كرة قدم ارتطمت بحائط، ويسقط فاقدًا الوعي.

هبط السيد (يوسي) من المقعد الخلفي، وفتح باب السيارة الخاص بقائدها، وسحب الجندي فاقد الوعي وألقاه خارجها، واحتل مقعد القيادة وأدار المحرك وانطلق بالسيارة، ونظر في مرآة السيارة إلى المقعد الخلفي وهو يقول بصوت مخالف تمامًا لصوت السيد (يوسي):

- كَيْفَ حَالُكَ يَا صَدِيقِي؟

أرى أنَّ وزنكَ قد زادَ كثيرًا في الفترة الاخيرة.

اتسعت عيني (خبري) في دھول، أكثر مما كانت متسعة بعد كل ما حدث، وصرخ قائلاً:

- مُسْتَحِيلٌ !!!

أشهر رررررررف؟؟!!!!

في هذه اللحظة مدَّ قائد السيارة يدهُ وانتزعَ القناع الذي يحمل ملامح (يوسي) ليظهر من خلفه ملامحه الأساسية، بشعره الأشيب والتجاعيد التي حول عينيه.

ملاح من الصعب أن ينساها (خیری)،

ملاحم أعزُّ أصدقائه.. ملاحم الرجل الذي قهرَ المُستحيل!

حصار الشرّ



الفصل الأول

مدَّ يدهُ وأخرجَ النظارة ذات العدسات الداكنة من جيبِ سترته، ووضعها على عينيه انقواءً لأشعة الشمس المواجهة له أثناء القيادة، وأمسك مقود القيادة الخاص بالسيارة التي وفرتها لهما المخابرات المصرية لتسهيل المهمة له هو ورفيقته (آية) لتهريب السيد (خيري) من المبنى المحتجز به التابع للموساد، وشرح أثناء القيادة مُستعيدًا ذكريات الماضي القريب.

- توقف.

أخرجت هذه الكلمة (ليان) من بحر ذكرياته، فالتفت إلى (آية) مُتسائلًا:

- ماذا حدث؟

أجابته (آية) وهي تنظر إلى شاشة هاتفها المحمول.

إنها رسالة عاجلة من المخابرات المصرية، تُخبرنا أن نتراجع إلى المنزل الآمن، ونوقف عملية الإنقاذ، فقد تم تحرير الهدف، وهو الآن في مكان آمن .

انعقدَ حاجبا (ليان) ومطُ شفتيه في إندهاش حقيقي وهو يقول:

- تمَّ تحريره؟!

كيفَ حدثَ هذا؟!!

هزّت كتفها في إشارة لعدم المعرفة وقالت:

- الرسالة لا تُخبرنا بأية تفاصيل، ولكن علينا التراجع الآن، فالأمن الإسرائيلي وخاصة ذلك

الثعلب (يوسي) لن يسكت على ما حدث، وسوف يُشعل إسرائيل كُلها لو استطاع.

توقّف (ليان) على جانب الطريق، وهو ينظر في المرأة الجانبية للسيارة واستدارَ عائداً أدراجه

مرة أخرى إلى ذلك المنزل الآمن، وظلَّ عقله يعمل ويفكر، كيفَ حدث هذا؟ كيف؟

ولكنهُ نفذ كُل هذا سريعًا عن عقله ونظر إلى (آية) قائلاً:

- هل من تعليمات جديدة؟

أجابته:

- لا، ولكنَّ التعليمات الحالية أن نذهب إلى المنزل الآمن، وننتظر به التعليمات الجديدة

دون أن نبرح مكاننا، أو نذهب إلى أي مكان.

وأخذَ ينظر للطريق أمامه وهو يُتابع حديثه معها:

- ولكن هُناك شيء واحد فقط يجب أن نفعله قبل التوجه إلى المنزل الآمن.

رفعت حاجبيها في دهشة متسائلة:

- ما هو؟

أجابها ضاحكًا:

- أن نتناول طعام الغذاء فأنا أتصور جوعًا

تعالى ضحكتهما معًا، وهما ينطلقان بالسيارة حيث المنزل الآمن، غير عابئين بما قد يحدث.

ولم يكن أحد ليتخيل ما سوف يحدث أبدًا.

الفصل الثاني

- رسالة مُشفرة يا سيدي من السيد (خيري) .
- قالها (مراد) وهو يقف أمام مكتب سيادة مدير المُخابرات العامة المصريّة، الذي أشارَ له ليكمل حديثه بدون توقف.
- لقد أرسلَ السيد (خيري) رسالة قصيرة مفادها أنَّه الآن في المنزل الآمن على أطراف (تلّ أبيب)، وأنَّه نجح في الهرب عن طريق صديق قديم.
- نظر السيد مدير المُخابرات إلي (مراد) منتظرًا منه أن يكمل ما يقول، ولكنَّه توقف ووقف مُنتظرًا للتعليمات، ممَّا جعل السيد مدير المُخابرات يسأله:
- هذه هي الرسالة فقط يا (مراد).
- أجابهُ (مراد) بسرعة:
- نعم يا سيدي، هذه هي الرسالة فقط .
- اعتدلَ السيد مدير المُخابرات في مقعده مُريحًا رأسه للخلف، ليسمح لعقله بالتفكير فيما حدث، ومَن هو الصديق القديم الذي ذكرهُ (خيري) في رسالته؟
- وأخيرًا أشارَ إلي (مراد) أن ينصرف، وجلس هو يفكر فيما حدث، وكيف نجح (خيري) بمعونة ذلك الصديق القديم في الهرب من مبنى الموساد؟
- ومَن هو ذلك الصديق؟
- هزَّ رأسه أخيرًا مُحاولًا أن ينفذ هذه الأفكار عن عقله، ونظرَ في شاشة هاتفه المحمول التي تُشير إلى الساعة الثانية عشر ظهرًا، فتحرَّك مُسرَّعًا، ليلحق بالاحتفال الذي تُقيمهُ رئاسة الجمهورية سنويًا بمناسبة انتصارات شهر أكتوبر المجيد.
- وغادرَ مُسرَّعًا مكتبه، ومن خلفه كانت الروزنامة على الحائط تُشير إلى السادس من أكتوبر لعام ٢٠٢٣.
- حمدًا لله على سلامتك يا رفيقي.
- قالتها (نورهان) وهي تبتسم ومُنحنية على جسد (مسعود) المُسجى على الفراش الطَّبي بمستشفى (بيت لاهيا)، والذي بدأ في استعادة وعيه تدريجيًا، وفتحَ عيناه بالفعل.
- حاولَ أن يستدير ليراها لكنَّه لم يستطع؛ لوجود الخراطيم و الأسلاك المُتصلة بجسده ورأسه، فاكفَى بابتسامة منهكة، وحاولَ أن يتحدَّث، ولكن خرجت همهمات فقط.

مَمَا جَعَلَ (نورهان) تضع يدها على فمه، إشارة أن يصمت ويستريح ولا يُرهق نفسه بالحديث.

تفهم شعورها جيدًا وأدرك أنه مُصاب بشدة، فنظر إلى عينيها نظرة امتنان، فنظرت أرضًا من الخجل، وتحذّث محاولة إخفاء خجلها.

- هيا يا بطل، أمامنا عمل كثير، وقد أضعنا يومين كاملين وأنت في الغيبوبة، هيا أنت مُقاتل يا فتى ومن صفوف المقاومة، فلا يصح أبدًا أن تنام كلّ هذه الفترة.

ابتسم مرة أخرى وتحذّث بصوتٍ خفيض:

- أين نحن؟

أجابته وهي تقترب من وجهه محاولة جعله لا يبذل مجهول في الحديث:

- نحن في قطاع غزة بالفعل، لقد عثر علينا أحد عناصر المقاومة، وتمّ تهريبنا عن طريق أحد الأنفاق إلى داخل القطاع، ونحن الآن في مستشفى (بيت لاهيا) وقد قاموا باللازم لك، وخضعتَ لعمليتين جراحيتين إحداهما قامَ بها دكتور مصري خاصٌ بجراحات العمود الفقري، كان متواجدًا هنا لفترة أسبوع فقط، يأتي كلّ شهر لمدة أسبوع، مُساعدة لمستشفيات القطاع، وكان هذا من حسن حظك.

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يقول بصوتٍ خفيض:

- بل من حسن حظي وجودك بجواري، أعلم حجم المجهود الذي بذلتِه لتُنقذني، وأقدر هذا جدًا.

شكرًا لك وأعدك أنني سوف أردّ لك هذا الدين.

ترقرق الدمع بعينيها من كلماته وأشاحت بوجهها جانبًا وهي تقول:

- ليس بينَ الأصدقاء دين أو واجب يا صديقي، يجب أن لا تطيل في رقادك هذا، يجب أن نعبّر الحدود في أقرب وقتٍ إلى مصر.

قالتها وسرحت بفكرها إلى هناك، إلى مصر.. وطنها.

- مُستحيل

نطقها (خيري) والدمع يُغرّق عينيهِ وهو يرمي في عناقٍ طويلٍ مع صديقٍ عمره (أشرف صبحي)، تركهُ (أشرف) يُخرج كلّ انفعالاته وهو يربت على ظهره وأخيرًا قال مُمازحًا:

- مرحى يا صديقي، فلم أعد مثّل قوة الماضي، فأنا كهل بما يكفي الآن للمصافحة فقط، ولا أقدر على تحمّل كلّ هذه الشحوم والدهون.

قالها وضحك مِمّا جعل (خيري) يبتسم وهو يمسح دمعهُ بيدهِ كالأطفال ويقول:

- لم تتغير يا (أشرف)، مهما حدثَ ومَرَّ الزمن، تظلُّ كما أنت، وهذا أحلى ما فيكَ يا صديقي. مدَّ (أشرف) يده وأمسكَ بذراع (خيري) وقامَ بالسَّير معه حتَّى أقرب أريكة وألقى بجسدهِ عليها وأشارَ لخيري بالجلوس بجواره، وبالفعلِ جلسا مُتجاورين صامتين.
- وظلاً على هذا الوضع قُرابة النصف ساعة، وأخيراً قطع (خيري) هذا الصمت قائلاً:
- أخبرني الآن أينَ كنت طوال كُُل هذهِ الفترة يا (أشرف)؟
- ولماذا لم تطمئنني عليك؟
- وأينَ (هدى) هل هي بخير؟؟
- تغيرت ملامح (أشرف) عندما سمع اسم (هدى) ونظر أرضاً وظلَّ على صمته فتابعَ (خيري):
- هل أصابها مكروه يا (أشرف)؟
- أجبنى بالله عليك.
- نظرَ (أشرف) إلى (خيري) ورسم ابتسامة باهتة على وجهه، وربَّت على كتفه قائلاً:
- اطمئن يا صديقي، اطمئن.
- سوفَ أخبركَ بكلِّ شيءٍ ولكنَّ ليسَ الآن، فقد عُدْتُ من أجلكَ ومن أجل (آسى).
- قالها وتجهم وجهه، وصمت كأنه يحمل أطناناً من الهموم على قلبه، فحاولَ (خيري) أن يُخفف عنه:
- (آسى) بطل يا (أشرف)، حقاً ذاك الشبل من هذا الأسد، أنت لا تعلم ماذا فعلَ طوال الفترة الماضية، لقد أنقذَ الشيخ (دياب) وابنته، بل واستطاعَ تهريبه من محبسهِ إلى مصر هو وابنته، ونجحَ أيضاً في إنقاذَ عميلة للمخابرات المصريَّة، وتهريبها إلى خارج إسرائيل، ليسَ هذا فحسب؛ بل وأشعل حرباً في كُلِّ شوارع (تل أبيب) بمفرده، إنَّه يُحارب (الموساد) بمفردهِ يا (أشرف).
- أخذَ (أشرف) يستمع إلى ما يقوله (خيري) وهو صامت تماماً لا يُبدي أيَّ انفعال أو يُقاطعُه:
- أعلمُ يا صديقي، أعلم، لقد فضَّلْتُ عدم الظهور لكنَّ الوضع يزداد سوءاً، وكانَ القبض عليك هو نقطة الحسم بالنسبة لعودتي، وهناك طلب ورجاء يا (خيري) من أخٍ وصديق.
- ظهر الاهتمام على وجه (خيري) وقامَ من مكانه وقال:
- بالطبع يا صديق العمر، تحدَّث يا رجل.
- نظرَ (أشرف) للجهة المُقابلة حتَّى لا ينظر في عَيْن (خيري) وتابعَ حديثه قائلاً:
- لا أريدُ أن يعلمَ أحد بظهوري أو عودتي أبداً، وخاضةً (آسى).
- سقطَ فك (خيري) من الدهشة واتسعت عيناه عندَ سماع ما قاله (أشرف) وهتف:
- ماذا؟

ألم تُخبر (آسى) أو تُقابله؟!

هزّ (أشرف) رأسه في أسفٍ وقال:

- لا يا (خيري)، لن أجعله يراني ولن أراه.

وهنا ارتقى (خيري) مرةً أخرى بجسده الضخم على الأريكة، وهو لا يعي ما قاله (أشرف)،
وأخذ يردد:

- لماذا؟

لماذا؟

وظلّ سؤاله بلا جواب.

الفصل الثالث

جلس على مقعدٍ صغيرٍ بتلك الشرفة في ذلك المنزل الآمن، وأخذَ ينظر إلى نهر (يكون) المارَّ بينَ العديد من البنايات الفاخرة في (تل أبيب) وسرَّحَ بخياله في الأحداث في الفترة القصيرة الماضية، لم يكن يتخيَّل أو يُفكر في هذا التطور الرهيب الذي حدث في حياته، وكيف تحوَّل من مواطن يهودي إسرائيلي إلى إنسان آخر تمامًا.

منذ البداية يشعر بالغربة وعدم الانتماء لهذا المجتمع، ويعلم أنَّه غريب عن كُلِّ هذا، لكنَّ تسلسل حياته منذُ صِغره وحتى دخوله الجامعة وتفوقه، ومن بعدها اختياره للعمل بالموساد، كُلُّها أمور لم تثير أبدًا لديه أيَّ شك في أصوله، لكنَّه من داخله يعلم أنَّه مختلف، لم يستطع أبدًا ولو في أيَّة مناسبة أن يختلط مع أقرانه وزملائه، لم يكن يشعر بأيِّ ألفة أو حنين أبدًا، فجأة تذكر هذه المعلومات، واحتلت صورة (أشرف صبحي) مُخيِّلته، لم يكن يتخيَّل قط أن يأتي هذا اليوم أبدًا، هل كان مخدوعًا كُلِّ هذه الفترة؟ ولم تتركه أباه؟

لماذا سمح لابنهِ الوحيد على حدِّ علمه أن يعيش في مجتمع مخالف لدينه وعقيدته وفكره، بل أيضًا مجتمع يعتبر كُلِّ ما هو عربي أو مسلم عدوً، كيف يتخلَّى الأب عن ابنه بهذا الشكل، وهل بالفعل رجل المخابرات المصري (أشرف صبحي) هو أبيه الحقيقي، لقد راوده الشك كثيرًا في حقيقة هذا الأمر، فكما قرأ وعَلِمَ من الأعداء النسبيَّة قبلَ الأصدقاء فإنَّ رجل بمواصفات وشهامة (أشرف) لن يتركه أبدًا، كاد عقله أن يشتعل من كثرة التفكير، لم يشعر بأية تقف خلفه حتى نبهته لوجودها قائلة:

- هل يُمكنك إشراكي معك بالتفكير؟

ابتسم حينما شعر بوجودها وأشارَ لها بالجلوس بجواره على مقعد مجاور، فتابعت حديثها قائلة له وهي تجلس:

- فيما تفكر، وما هو الموضوع الذي قد طَيَّرَ النوم من عينيك وجعلك تجلس حتى قُرابة شروق الشَّمس في الشرفة.

اتسعت ابتسامته من حديثها، ونظر إلى وجهها وعيناها، لأوَّل مرَّة من معرفته بها يُدقق في تفاصيل وجهها، كانت صاحبة ملامح هادئة، تشعر معها بالارتياح، يكفيك أن تنظر في وجهها لتشعر بالطمأنينة، وكان من المُستحيل أن تتوقع أبدًا أنَّ من تجلس أمامك هي فتاة مُقاتلة، بل أيضًا تعمل لصالح المخابرات المصرية!

- أخذَ يتفرّس في ملامحها لفترة طويلة ممّا جعله يشعر بالاحراج ودفعه للاسترداد في الحديث:
- لا مُجرّد أمور عائليّة، ولكنها قديمة قليلاً، يُمكنك القول بأنّها من قرابة ربع القرن.
 - قالها وضحك ممّا جعلها تبتسم لضحكاته وقالت:
 - يبدو أنّها أكبر من سنوات عمرنا نفسها.
 - صمتا لفترة طويلة بعد هذه الجملة، فلم يَكُن للحديث بينهما طريق، وفجأة وقف (ليان) في مكانه، ونظر تجاه نقطة مضيئة في السماء، ممّا جعل (آية) تقف أيضًا وتنظر تجاهه إلى ما ينظر، وتساءلت:
 - ما هذا؟
 - انعقد حاجبا (ليان) وأجابها:
 - أعتقد أنّها لن تكون ليلة هائلة على (تلّ أبيب).
 - وصمت لفترة قصيرة ثمّ تابع:
 - وأعتقد على إسرائيل كلّها.
 - فقد كان مباشرة وفي السماء، ظهرت العديد من النقاط المضيئة، بل المئات، ثمّ أصبحت بالألف، وأحالت ظلام هذه الليلة إلى نهار..
 - إضاءة تبعث الرعب.
 - لقد بدأ الهجوم المتوقّع يا سيّدي.
 - قالها (مراد) هاتفياً وهو يُجري اتصالاً هاتفياً طارئ مع السيّد مدير المخابرات العامّة
 - وصمت قليلاً، ليتّرك الفرصة لسيادة المدير يستجمع افكاره، إذ كان نائماً ولكنه أعطى تعليماته لمراد بأن يتصل به في أيّ وقت غير عابئ بالتوقيت.
 - كما توقع خبرائنا بناءً على المعلومات التي جمعها رجالنا في الفترة الأخيرة.
 - قالها السيّد مدير المخابرات، وهو ينظر في ساعة يده التي تُشير عقاربها إلى الرابعة والنصف صباحاً بتوقيت القاهرة، وتابع حديثه لمراد قائلاً:
 - حسنًا يا (مراد) أخبر رجالنا في القطاع أنّ يكونوا على أهبة الاستعداد، ويُفضّل التحرك السريع لإخراج (نورهان)، ومحاولة نقل (مسعود) أيضًا لو حالته الصحية تسمح بنقله.
 - وصمت قليلاً مستجمعًا أفكاره وتابع:
 - وخلال ساعة من الآن أخبر مسؤولي الأركان وأفرع القوات عن من جديد من معلومات، وآخر المستجدات، ونستعد لاجتماع طارئ، وسوف أتولّى أنا شخصيًا إعلام سيادة الرئيس بالمُستجدات وانتظر منه التعليمات.

وأغلق الهاتف وتوقف طويلاً مُفكِّراً، في تطور الأحداث، وأخذَ يُفكر فيما سوف تُؤول إليه الأمور في الساعات القادمة، كانَ يُدرك جيّداً حجم ما سوف يحدث.

يُدرك جيّداً أنَّ هذه بداية حرب حقيقية،

حرب سوف تكون قادرة على إعادة توزيع موازين القوى في المنطقة، بل إعادة تشكيل وترسيم الحدود أيضاً، حرب بلا هواده.. حرب بلا رحمة.

- اللعنة.

صرخَ (يوسي) بهذه الكلمة، وهو يقف بداخل مبنى الموساد، ويكاد ينفجر وجهه من شدة الغضب، وصرخ مرةً أخرى قائلاً:

- كيف يحدث هذا؟

هل يُعقل في هذا الزمن؟

رجلاً واحداً يدخل مبنى الموساد ويقوم بإخراج سجين منه مُنتهى السهولة والبساطة دون أن يعترضه أحد.

قادة الحراسة المسؤولين عن تأمين المبنى وحراسته يقفون أمامه مُنكسي الرؤوس، فلم يَكُن أحد يتخيّل أبداً أن يحدث مثل هذا الأمر، وخاصةً مع طبيعة المبنى وقوة وحجم الحراسة المُحيطة به.

- لم يَكُن غريباً يا سيّد (يوسي)، إذ لم يَكُن باستطاعة أحد من الجنود والقوات أن يعترضه، لقد كانَ أنت!

قالها قائد قوات الحراسة وصمت بعدها مباشرة، ممّا جعل (يوسي) يصرخ مرةً أخرى:

- وهذا هو الغريب بل المُستحيل بعينه،

لقد تمّت سرقة السيارة من داخل الجراج الخاصّ بالسيّارات الحكوميّة، في المربع السكني الخاصّ بالوزراء ورجال الدولة، ليس هذا فحسب؛ ولكن يأتي أحدهم متنكراً في شخصيتي، ويدخل المبنى بسرعة، ويأخذ السجين ويرحل به أمام أعين كلّ رجال الأمن وكاميرات المراقبة المربوطة بالخادم الرئيسي للدولة، ومرتبط أيضاً بالذكاء الاصطناعي.

كيف هذا؟

كيف؟

ونظر لرجاله مرةً أخرى وعيناهُ تكاد يتطاير منها الشرر وقال:

- وهل خدعكم لهذه الدرجة؟

ألم يوجد أحد منكم قد ساورهُ الشكّ ولو للحظة في ذلك الشخص؟

هزّوا رؤوسهم بالنفي، فلم يَكُنْ منهم مَنْ يستطيع أن يقول أنّه قد شكّ للحظة واحدة في شخصية ذلك الرجل، ببساطة لأنّ والدته (يوسي) نفسها لم تكن تستطيع أن تُفرّق بينهما. فجأةً تعالت طرقات على باب المكتب الخاصّ بالسيد (يوسي) فأعطى الإذن لصاحب الطرقات بالدخول.

كانَ أحد رجال قسم الرصد والمعلومات، يقف وهو يلهث من فرط الانفعال والمجهود، فيما يبدو أنّه قد قطع المسافة من القطاع الخاصّ بالرصد إلى مكتب السيد (يوسي) عدوّاً، ممّا جعل (يوسي) يُشير له أن يأتي بما عنده بسرعة.

- هجوم صاروخي كبير يا سيدي.

قالها بأنفاس متهدّجة متقطعة، وتابع بسرعة:

- آلاف الصواريخ تنهال على سماء إسرائيل يا سيدي، ويبدو أنّ منظومة الدفاع غير قادرة على صدّ هذا الهجوم المفاجئ.

اتسعت عينَا السيد (يوسي) وصرخَ به في انفعال:

- من أين هذه الصواريخ؟

- من القطاع يا سيدي، من قطاع (غزة)

قالها الرجل التابع لقطاع الرصد، وصمت بعدها تمامًا.

تحركَ (يوسي) اختطف سماعة هاتف مكتبه وأجرى اتصالاً برقمٍ قصير. وما أنْ أثاره صوت محدّثه حتّى قال:

- نعم سيادة الوزير، علمت بالتفاصيل، لقد اتصلت بك لأعلم حجم الكارثة واطمئن منك على عمل منظومة الدفاع الخاصة بنا.

رانت فترة صمت كانَ (يوسي) يستمع خلالها لصوت الطرف الآخر، وملامح وجهه تتغيّر مع ما يسمع، فمن الواضح أنّ الأخبار التي يستمع إليها غير مُريحة بالمرّة.

وضَعَ (يوسي) سماعة الهاتف، والتفتَ ينظر إلى رجاله، وأمرهم بالانصراف، ووقفَ شارد متجهّم الوجه يُفكر فيما حدث ويحدث، وسوف يحدث.

فما مرّ به خلال هذه الأيام الماضية لم ولن يتخيّل أبدًا أن يمرّ به أبدًا.

الفصل الرابع

- لماذا تصمت هكذا يا صديقي؟
 قالها (خيري) مُحدثًا (أشرف)، الذي يقف أمام نافذة ذلك المنزل الآمن، يُشاهد آلاف النقاط المضيئة في السماء، ويُدرك تمامًا كنهها، بل يُدرك جيدًا ما سوف يحدث بعدها.
 التف إلى (خيري) وهو يتنهد قائلاً:
 - سوف يتغيّر الوضع تمامًا يا صديقي، يجب أن نتحرك سريعًا، يجب أن نرحل قبل أن يُصاب هذا المجتمع بالجنون المعتاد بعد مثل هذه الأمور.
 - إلى أين نذهب؟
 قالها (خيري) مُتسائلًا فنظر له (أشرف) وهو يفكر وقال:
 - الحلّ الأمثل الآن هو التوجه إلى (الضفة الغربية) ولكننا لن نذهب إلى هناك يا صديقي، بل سنذهب إلى (قطاع غزة) فلن يتوقع أحد أبدًا أن نذهب في اتجاه النيران، وأيضًا فرصة العبور للأراضي المصريّة أقرب وأسهل.
 هيّا تواصل مع الإدارة، وأبلغهم أنك في طريقك إلى (قطاع غزة)، ولا تُخبرهم بشيءٍ عن وجودي، ولن أتركك يا صديقي إلّا على الحدود المصريّة.
 وبالفعل أخرج (خيري) الهاتف المؤمن الذي كان معدّ في المنزل الآمن، وأرسل رسالة مُشفرة إلى الإدارة، وما هي إلّا دقائق قليلة حتّى أتاه الردّ بالموافقة، ولكن بتعليمات لخطّ السير وإرشادات لاحتمالية تفاقم الوضع داخل القطاع، وأيضًا خارج القطاع المُحيط بحدود (غلاف غزة) خلال الساعات القادمة.
 ومُجرد أن ألقى نصّ الرسالة على مسامع (أشرف)، حتّى تحركّا وخرجا من ذلك المنزل الآمن، وركب (أشرف) سيارة فاخرة قد أعدها مُسبقًا للهرب بعد أن تخلص من المُجنّد واستقلّها هو و(خيري)، وانطلقا عبرين الطرقات الشّبه خالية في هذا الوقت المبكر جدًّا من الصباح، وفجأة تعلي صوت صافرات الإنذار يشقّ عنان السماء.
 وتوات الانفجارات في كلّ مكان، و(أشرف) ينطلق بالسيارة بمهارة وسرعة مُتفادياً الانفجارات والشظايا التي أصبحت في كلّ مكان، وبجواره (خيري) يُمسك بمقعده في السيارة وهو يُحكم إغلاق حزام الأمان، فمن الواضح تمامًا فشل منظومة الدفاع في القيام بعملها، وسقوط آلاف الصواريخ التي أصابت الكثير من الأهداف المُحدّد لها مُسبقًا، وأخيرًا وصلا إلى الطريق السريع المؤدي إلى مدينة (أشدود) وضغط (أشرف) أكثر وأكثر على دواسة الوقود

وانطلق بأقصى سرعة تسمح بها السيارة، مُحاولاً أن يطوي المسافة سريعاً قبل أن يتفاقم الوضع أكثر.

- أتت التعليمات.

قالتها (آبة) وهي تلقي الهاتف من يدها إلى المنضدة المُقابلة لها وتنهض من مكانها، وتضع أغراضها في حقيبة ظهرها وهي تتحدّث مع (ليان).

- يجب علينا التحرك سريعاً، فالتعليمات تقول أنه يجب أن نصل إلى قطاع غزة في أقرب وقت؛ لأنّ الوضع سيُصبح خطيراً، والأولوية الحفاظ على حياتنا، ومُساعدة (نورهان) و(مسعود) على الخروج من القطاع إلى الحدود المصريّة.

تحرك (ليان) مُسرّعاً يضع حاسوبه المحمول وباقي أغراضه في حقيبة ظهره، وارتدى سترة وتحركاً معاً وخرجا من المنزل الآمن.

بدأت الصواريخ تُصيب الأهداف من حولهما، وتعالى دوي صافرات الإنذار في كلّ مكان. تحرك (ليان) تجاه السيارة المُعدّة لتهريب (خيري) لكنّ (آبة) أوقفته قائلة:

- انتظر، من الصعب الهرب بسيارة رسميّة في مثل هذه الظروف، الأفضل أن نتحرك بوسيلة مواصلات خفيفة الحركة.

قالتها، وهي تبتسم ابتسامة ذات مغزى، وتتحرّك إلى رُكنٍ قصيٍّ أسفل المبنى؛ حيثُ كانت تقف دراجة ناريّة وأشارت له، ممّا جعله يضحك وقال:

- يا للنساء!

تحركا وامتطت الدراجة الناريّة بمهارة، وحذى حذوها، وانطلقت بخفّة وسرعة، مُختفئة الشوارع بسرعة، وهي تتفادى الانفجارات التي أصبحت بكُلّ مكان تقريباً، حتّى استطاعت الخروج إلى الطريق السريع، وأطلقت العنان للدراجة الناريّة التي كانت تنهب الأرض نهباً في سباقٍ مع الزمن.

- تطورات رهيبية يا سيّدي.

قالها أحد قادة الاستعلامات للسيّد (يوسي)، ولم ينتظر ردّاً منه بل أكمل حديثه قائلاً:

- بدأت المقاومة الفلسطينية عملية هجوم بري، واستطاعت اختراق عدّة نقاط بطول (غلاف غزة) بل أيضاً الاستيلاء على ثلاث نقاط حصينة تابعة لجيش الدفاع، ليس هذا فحسب؛ بل هناك بعض الاسقاطات بطائرات شراعية بدائيّة الصنع نجح بها أفراد المقاومة في الهجوم على أكثر من مستوطنة إسرائيليّة مُجاورة للحدود، مع انطلاق الآلاف من الدراجات الناريّة من عدّة نقاط إلى داخل إسرائيل نفسها، إنّه هجوم شامل يا سيّدي لم يحدث من قبل ولم يكن يتخيّله أحد البتّة.

أخذَ (يوسي) يستمع وهو صامت تمامًا، ولكنَّ وجهه يحمرُّ بسبب بياض بشرته التي ورثها من أصول أمه البولندية، حتَّى أوشكَ وجهه على الانفجار، وتحركَ ونظر إلى شاشة عملاقة تتوسط مكتبة يظهر عليها خريطة (قطاع غزة) والمناطق المحيطة به بالكامل عن طريق القمر الصناعي، لم يَكُن يتخيَّل أو يحلم حتَّى في أسوأ كوابيسه بمثل هذا اليوم، وشعر أنَّه يحلم.

أخذَ يُشاهد عدَّة نقاط حمراء تنتشر بطول (غلاف غزة)، كانتْ هي رصد من الأقمار الصناعية لتحرك الدرجات والآليات بدائية الصنع الخاصة بالمقاومة، وانتشارها بطول الحدود مع القطاع، هرع مرة أخرى على الهاتف الموضوع على مكتبه، واختطف السَّماعة وأجرى اتصالاً بوزير الدفاع الإسرائيلي، ودارَ بينهما نقاش مُحتمَم.

- سيادة وزير الدفاع هل لي بسؤال؟

أينَ قواتنا الآن؟

وأينَ قوات التدخل السريع؟

والقوات الخاصة؟

هل يُعقل أن يحدث كلُّ هذا وجيشنا لم يتحرك خطوة واحدة حتَّى هذه اللحظة؟
تحركَ يا سيادة الوزير سريعًا، أنتَ الوحيد المخوَّل لك تحريك القوات في أي وقت.
صمت مُستمعًا لوزير الدفاع، وبعدها أغلقَ السَّماعة بقوة مُحتمدًا غاضبًا وصرخ:
يا للخونة!

يظنون أنَّهم أحكم الحكماء، وهم بالحقيقة مجموعة من الأغبياء تولَّوا مقاليد الحكم.
لن يغفر لنا التاريخ ما حدث في هذا اليوم أبدًا، إنَّه أسوء يوم مرَّ على دولة إسرائيل مُنذُ خمسين عامًا، مُنذُ يوم الهزيمة من المصريين اللعناء.
وضربَ بقبضته على سطح المكتب وصرخ:
- اللعنة، اللعنة.

قالها وعيناهُ تتقدَّ بنيران الغضب، حتَّى كاد أن يحرقَ الماثلين أمامه من شدَّة غضبه، فهو يُدرك جيّدًا أيَّ هزيمة قد لحقت بهم.. هزيمة لن تُغفر أبدًا.

الفصل الخامس

- توقفاً.
- صرخ المُلثم حامل السلاح وهو يوقف الدراجة النارية التي تقودها (آية) وخلفها (ليان)، والتي اقتربت من الحدود مع القطاع، وفجأة ظهر ثلاث ملثمين حاملين الأسلحة في وجهيهما، ممّا جعلها تتوقف حتّى لا تُثير غضبهم في هذه الأجواء المحمومة.
- هبطت من الدراجة النارية وهي تخلع خوذةها التي كانت تخفي وجهها وتحدث مع أقربهم لها.
- هيا يا زلمة، نحنُ إخوانكم من القطاع، كنّا بمهمة في الأرض المُحتلة وعُدنا لمُساعدتكم. نظر لها المُلثم في شكّ وقال لها:
- من وين أنت؟ وأيّ مليشيا تتبعين؟ واستدار موجهًا حديثه إلى (ليان):
- وأنت يا زلمة اخلع خوذةك.
- شعر (ليان) بالتوتر عندما طلب منه أن يخلع خوذة، ولكن لم يكن هناك بداً إلا أن يمتثل لأمره، وبالفعل خلع خوذة ومجرد أن فعل، حتّى سادت حالة من الهرج، وأشهرخوا أسلحتهم في وجهيهما وصرخوا بهم أن ينبطحا أرضاً؛ إذ أن ملامح (ليان) تكشف شخصيته.
- أشارت (آية) بيدها للملثمين الثلاثة أن يهدأوا وقالت:
- تمهل يا خوي، أنا فلسطينيّة أبا عن جدّ، وهذا مُعاون لنا في صفوف العدو، أنا من عائلة (شعيب) بالقطاع، وأخدم بساريّة (جهاد جبريل)، وأعمل مُساعد للمخابرات المصريّة في الأراضي المُحتلة.
- كان مُجرد ذكر اسم كتائب (جهاد جبريل) قد ساعد في تخفيف التوتر قليلاً، إذ هي من أهم الكتائب المولودة من رحم (حركة فتح)، فتوقف المُلثمون عن ترهيبهما بالأسلحة وتقدّم أحدهم من (آية) قائلاً:
- وليكن يا أختاه، من هو قائدك العام؟
- اطمئنت (آية) عند هذه النقطة، فأعطته كافة البيانات، فرفع جهاز اللاسلكي الذي يضعه في حزامه وأجرى حديثاً سريعاً وهو يبتعد قليلاً عنهما، مرّت دقيقتان حتّى عاد إليهما مرّة أخرى، وفك الوشاح الذي يُخفي به وجهه وابتسم قائلاً:
- معدرةٌ يا إخوة، فأنتما تعلمان أننا الآن في حالة حرب، مرحباً بكما في أرض العزة (غزة).

وأشارَ لهما أن يستمرا في طريقيهما، وهو يأمر مَن معه أن يُفسحوا لهم الطريق.
شكرتهم (آية) وامتطت دراجتها النارية مرةً أخرى وهي تُلقي لهم التحيةً وانطلقت إلى داخل القطاع.

تنفَس (ليان) الصعداء أخيراً، فلم يَكُن يتخيَّل أن يمر هذا الموقف بكُل هذه السهولة واليسر، ولكنَّهُ نفِض كُل هذا عن عقله، وهو يعبر السياج الذي يفصل حياته السابقة عن ما هو في انتظاره.. إذ كانت تنتظره حياة جديدة وخطيرة.

انتفضت (نورهان) التي قد غلبها النعاس على ذلك المقعد المجاور لفراش (مسعود) في مستشفى (بيت لاهيا) بعد سماع دوي الانفجارات المُتتالية، والتي هزّت جدران المستشفى، ممّا جعلها تجفل وترتعب، وخرجت من باب الغرفة للرواق الخارجي.

حالة من الهرج والمرج تسود المكان، وكُل فرد يهرول ويجري في اتجاه، فحاولت أن توقف أحد المسؤولين عن التمريض متسائلة عما يحدث، وما هذه الانفجارات العنيفة؟
- جيش الاحتلال بدأ الردّ، وطيران العدو الصهيوني يقصف الآن المناطق المحيطة كُلّها من المستشفى، وخاصّة شمال قطاع (غزة) بالكامل.

قالها لها المُمرض وتركها بعدها وهرع يجري مرةً أخرى.

وقفت (نورهان) لا تدري ماذا تفعل؟

وإلى أين تذهب؟

ولكنّها لن تترك (مسعود) وخاصّة بعد سقوطه في غيبوبة مرةً أخرى، فحاولت أن تُطمئن نفسها قائلة:

- بالتأكيد لن يقصفوا مشفى بالتأكيد.

ولكن مع ازدياد حدّة أصوات الانفجارات بالخارج، شعرت بالتوتر أكثر، وفجأة بدأت الجدران بالاهتزاز، وشاهدت الأدخنة تتصاعد من بعض المناطق بالمشفى، وهُنا أدركت مدى خطئها، فذلك العدو الغاشم مَن قتل الأطفال قديماً وجرت على يديه مئات المذابح البشعة، لن يتوان أبداً عن قصف المشفى مِمَّن فيه.

لم تجد بداً من التحرك السريع، كان جسد (مسعود) مُتصلاً ببعض الخراطيم التي تمُدُّه بالسوائل اللازمة، والمرتبطة بحامل بجوار الفراش، وبعض الأسلاك التي تنقل إشاراته الحيويّة إلى أجهزة المتابعة، فقامت بفصل هذه الأسلاك، ورفعَت الحامل الخاص بالمحاليل الطبيّة بالكامل ووضعتهُ بجوار جسد (مسعود).

وقامتُ بفتح قفل عجلات الفراش الطبي الذي يمنعه من التحرك، ممّا جعله حرّ الحركة تمامًا، وقامت بدفعه أمامها بجسد (مسعود) الراقد عليه، حتّى خرجت به إلى الرواق الرئيسي الذي كاد أن يخلو من البشر، فقد هربَ كُلّ المتواجدين بهذا القطاع من المشفى تقريبًا، وظلّت تجري بالفراش حتّى وصلت إلى المصعد الخاصّ بنقل الحالات الحرجة بين طوابق المشفى، وضغطت زر استدعائه وبالفعل فُتِحَ الباب، فقامت بدفع الفراش إلى داخل المصعد ثُمَّ بإغلاقه وضغطت زر الطابق الأرضي.

مرّت اللحظات بطيئة وكأنّها سنوات، وأخيرًا توقف المصعد، وسمعت صوت الصافرة المعلن توقفه في الدور المُحدّد، ولكنّ قبل أن يُفَتَحَ الباب، دوى صوت انفجار رهيب، ارتجّ له المصعد وكأنّه لعبة بينَ يد طفلٍ صغير!

انقطعت الكهرباء، شعرت باهتزاز عنيف، وانهاالت الأتربة من كُلّ مكان، وحدثت هزّة عنيفة وبعدها هوى المصعد بالكامل في هوة سحيقة، وارتطم بالأرض على نحوٍ عنيف، ممّا جعلها ترتطم بالأرض في عنف، ويسقط جسد (مسعود) فوقها، وصمت كُلّ شيء. شعرت وكأنّها دفنت حيّة!

حاولت أن تصرخ، أن تستنجد ولكنّ دونَ مُجيب؛ فلم يجيبها إلّا الصمت المطبق.. صمت القبور!

الفصل السادس

اكتمل المجلس المُصغر الطارئ، الذي يجتمع فقط في حالات الطوارئ القصوى، وكان آخر الحاضرين السيّد مُدير المُخابرات العامّة المصريّة، الذي اعتذر عن التأخّر بسبب وصول معلومات جديدة من الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة.

ومُجرّد أن جلسَ نظَرَ تجاه السيّد رئيس الجمهوريّة طالبًا الإذن بالتحدّث. فأشارَ له السيّد الرئيس بالكلام:

- لقد وردت معلومات حالًا تُفيد أنّ الكيان الصهيوني يُعدّ عملية برية شاملة، أكبر حشد للجنود مُنذُ خمسين عامًا، ليس هذا فحسب؛ بل طبقًا للمعلومات من مصادرها في جيش الدفاع الإسرائيلي فإنّ المُخطّط الآن الذي هم بصدد تنفيذه هو مُخطّط الإخلاء القديم، الذي طالما حاول العدو الصهيوني تنفيذه ولكنّه لم ينجح فيه مُطلقًا. وصمّت قليلًا وهو يُقلّب بعض الأوراق أمامه وتابع:

- وطبقًا للمُخطّطات التي أرسلت لنا من عملائنا داخل جهاز (الشاباك)، ذلك الجهاز المُتخصص في مُحاربة أفراد المُقاومة الفلسطينيّة، والتخلّص من قادتها وأفرادها، فإنّ الخطة قد أعدت وجاري تنفيذها بالفعل في التوغّل البري من شمال قطاع غزّة، والضغط على السكّان للنزوح إلى الجنوب تجاه الأراضي المصريّة، وحتى يتفاهم الوضع تمامًا فلا يجد إخواننا الفلسطينيين إلّا اختراق الحدود المصريّة، وبهذا يكون نجح العدو الصهيوني في احتلال القطاع بالكامل، والتخلّص من مشكلة المقاومة المستمرة.

أخذ السيّد الرئيس يستمع إلى كلام السيّد رئيس المُخابرات المصريّة وينصت له تمامًا، ومُجرّد أن انتهى من حديثه، التفت إلى السيّد وزير الدفاع مُتسائلًا:

- كيف تستعدّ قواتنا على الحدود يا سيادة الوزير؟

أجاب السيّد وزير الدفاع مباشرة:

- لقد أعدت العُدّة بالفعل يا سيدي، وتمّ زيادة أعداد الجنود بطول الحدود بالكامل، وأيضًا تمّ تأمين معبر (رفح) بالكامل ووضع سواتر أسمنتية لحماية المعبر من القذف العشوائي الذي يقوم به العدو الصهيوني، وجاري الآن تفعيل منظومة خاصّة للكشف عن محاولات التسلّل أو تخطّي الحواجز الحدودية مُرتبطة بالقمر الصناعي المصري الجيولوجي مباشرة، ويتمّ التنسيق مع الجانب الفلسطيني، لتأمين المعبر من الجانب الآخر لأنّه يعتبر الأمل الوحيد لوصول المُساعدات لأشقائنا هناك.

وَمُجَرَّدُ أَنْ اِنْتَهَى مِنْ حَدِيثِهِ، حَتَّى اسْتَدَارَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ إِلَى السَّيِّدِ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ وَقَالَ:
- مَنَاسِبَةُ الْمَعُونَاتِ، كَيْفَ هُوَ الْوَضْعُ الْآنَ وَمَا هِيَ اسْتِعْدَادَاتُنَا الْخَاصَّةُ بِالْإِمْدَادَاتِ وَالْمَعُونَاتِ
لِلْجَانِبِ الْفِلَسْطِينِيِّ؟

أَجَابَ السَّيِّدُ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ:

- لَقَدْ تَمَّ بِالْفِعْلِ يَا سَيِّدِي، فَتَحَ خَطٌّ مُبَاشِرٌ لِلْإِمْدَادَاتِ الْضَرُورِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ بَلْ أَيْضًا
مَسْتَلْزِمَاتٍ طَبِئَةً، وَجَارِي الْآنَ إِقَامَةُ مَسْتَشْفَى مِيدَانِي بِجَوَارِ الْمَعْبَرِ مُبَاشَرَةً لِاسْتِقْبَالِ الْحَالَاتِ
الْخَطِيرَةِ وَالْحَرَجَةِ، لَكِنَّ الْجَانِبَ الْإِسْرَائِيلِيَّ أَبْلَغْنَا اعْتِرَاضَهُ عَلَى هَذِهِ الْمُسَاعَدَاتِ، وَكَذَا
الْجَانِبَ الْأَمْرِيكِيَّ وَلَكِنْ كَمَا تَعْلَمُ سَيَادَتُكَ أَنَّ السِّيَاسَةَ ذَاتَ أَمَدٍ طَوِيلٍ، فَأَتْنَاءَ الْمُنَاقَشَةِ
وَالْتَفَاوُضِ نَجَحْنَا بِالْفِعْلِ فِي إِرسَالِ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْمُسَاعَدَاتِ لِأَشْقَائِنَا فِي الْجَانِبِ الْفِلَسْطِينِيِّ،
وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَجْتَمِعُ مَدْنُوبٌ مِنَ الْخَارِجِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ مَعَ السَّيِّدِ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ لِبَحْثِ
الْأَمْرِ، وَلَكِنْ لَا تَتَقَلَّقْ سَيِّدِي الرَّئِيسُ فَالْأُمُورُ حَتَّى الْآنَ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ.

قَالَهَا وَأَنْهَى حَدِيثَهُ، وَأَشَارَ لَهُمُ السَّيِّدُ رَئِيسُ الْجُمْهُورِيَّةِ بِالْانْصِرَافِ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَى السَّيِّدِ
مُدِيرِ الْمَخَابِرَاتِ الْعَامَّةِ بِالْإِنْتِظَارِ، وَبِالْفِعْلِ مُجَرَّدُ خُرُوجِ السَّادَةِ الْوُزَرَاءِ، اقْتَرَبَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ
مِنَ السَّيِّدِ مُدِيرِ الْمَخَابِرَاتِ وَقَالَ:

- فِي اعْتِقَادِكَ إِلَى مَا سَوْفَ تَوُولُ الْأُمُورُ؟

أَجَابَهُ السَّيِّدُ مُدِيرِ الْمَخَابِرَاتِ:

- أَعْتَقِدُ يَا سَيِّدِي أَنَّ مِنَ السَّابِقِ لَأَوَانِهِ التَّكْهَنُ بِمَا سَوْفَ يَحْدُثُ مُسْتَقْبَلًا وَلَكِنْ مَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَوْكِدَهُ أَنْ إِسْرَائِيلَ تُخَطِّطُ لِحَرْبٍ إِبَادَةٍ شَامِلَةٍ، حَرْبٍ تُنْهِي عَلَى الْمَقَاوِمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ
بِالْكَامِلِ، بَلْ يُمَكِّنُنِي الْقَوْلُ بِأَنَّهَا حَرْبٌ قَدْ تُنْهِي عَلَى قِطَاعِ غَزَّةِ كُلِّهِ وَلِلْأَبَدِ.
قَالَهَا وَسَادَ الصَّمْتُ تَمَامًا بَيْنَهُمَا صَمْتُ أَسْوَدَ كَثِيبٍ.

تَوَقَّفَتْ سَيَّارَةٌ (أَشْرَفَ) أَمَامَ إِحْدَى النِّقَاطِ السِّيَاحِيَّةِ الْحُدُودِيَّةِ بَيْنَ قِطَاعِ غَزَّةِ وَإِحْدَى
الْمَسْتَوْطِنَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُ، وَهَبَطَ (أَشْرَفَ) وَأَشَارَ لَخَيْرِي بِاتِّبَاعِهِ، وَبِالْفِعْلِ تَرَجَّلَ
(خَيْرِي) وَسَارَا مَعًا حَتَّى وَصَلَا إِلَى السَّلَكِ الشَّائِكِ الْحُدُودِيِّ، وَقَدْ أَحْضَرَ (أَشْرَفَ) مِنَ السَّيَّارَةِ
أَدَاةَ لِقْطَعِ السَّلَكِ وَشَرَعَ فِي قِطْعِهِ، بَيْنَمَا (خَيْرِي) يَقِفُ صَامِتًا وَيَنْظُرُ إِلَى صَدِيقِ عُمْرِهِ
وَضَحَكَ.

مِمَّا جَعَلَ (أَشْرَفَ) يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ مُتَسَائِلًا عَنْ سَبَبِ مَا يُضْحِكُهُ، فَأَجَابَهُ (خَيْرِي):

- لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْأَيَّامَ الْخَوَالِيَّ يَا صَدِيقِي، تَذَكَّرْتُكَ فِي شَبَابِكَ، وَكَيْفَ كُنْتَ تَقَاتِلُ، وَتَذَكَّرْتُ
(هَدَى)، وَصَمْتُ (خَيْرِي) عِنْدَ هَذِهِ النِّقْطَةِ وَظَهَرَ التَّأَثُّرُ عَلَى مَلَامِحِهِ، أَشَاحَ (أَشْرَفَ) بِوَجْهِهِ
بَعِيدًا كَيْ لَا يَسْمَعَ لِمَشَاعَرِهِ بِالظُّهُورِ.

ظلًا صامتين لفترة حتى عادَ (أشرف) مرةً أخرى وشرعَ يكمل ما بدأ.
لم تَمْضِ فترة طويلة حتى استطاعَ أن يقومَ بعمل فتحة في السلك الشائك تكفي لمرورهما منه، وأشار لخيري بالمرورِ أولًا، وبالفعل مرَّ (خيري) وتبعه (أشرف)، وسارا معًا حتى وصلا إلى طريقٍ سريع، فتساءل خيري:
- والآن إلى أين؟
أجابه (أشرف):

- هذه هي مهمتك الآن، أرسل رسالة إلى المخابرات المصرية تخبرهم بأنك بالفعل داخل القطاع وانتظر التعليمات، ولكن لحين وصول التعليمات، يمكننا أن نسير في اتجاه الجنوب، ففي كل الأحوال هو اتجاهنا.

ولم يكمل عبارته حتى سمع صوت مُحرك يقترب، فأشارَ لخيري أن يصمت وأمسكه من يده، ووقفًا خلف جدارٍ قريبٍ لإحدى المنازل، وأخرجَ (أشرف) رأسه لينظر تجاه الصوت، كانت دراجة نارية يمتطيها اثنانِ بملابس سوداء ويعتمران خوذة مضاءة للصدمات الخاصة بالدراجات النارية تخفي ملامحهما تمامًا، وكأنهما قد عبرا الحدود تَوًّا، تابعهما (أشرف) بنظرة، مُتَظَرِّفًا أن يبتعدا حتى يستطيع الخروج من مكمنه هو و(خيري)، ولكن فجأة حدث ما لم يتوقعه أحد، فقد ظهرت إحدى المدرعات الإسرائيلية تخترق السياج الحدودي وتسير مُسرعةً باتجاه الدراجة النارية، ويعتليها أحد الجنود ويقوم بتوجيه مدفعه الأول تجاه الدراجة النارية ويطلق وإبلاً من النيران قادر على تمزيقها براكبيها إربًا.

قد حدث الأمر سريعًا جدًّا، ولكن يبدو أن قائد الدراجة النارية على قدر عالٍ من الإحترافية والمهارة؛ فقد ناوَرَ في آخر لحظة وانطلق فجأة إلى جهة اليسار مما جعل الطلقات تُخطئه، ونُصِيب الأرض مكانه، وفهم قائد الدراجة طبيعة عدوه، فانطلق في خطٍ مُتَعَرِّجٍ مُتَخَذًا طريق بين بعض المباني المهذمة مُستغلًا الحُطام كعائق يمنع أن تتبعه المدرعة.

وعلى ما يبدو أن قائد المدرعة كانَ بارعًا هو الآخر، واستطاع أن يصمد خلفه، ويسمح للجندي الذي يعتلي المدرعة بإطلاق النار مرةً أخرى، وفي هذه الاثناء كان (شرف) و(خيري) خلف الجدار يُتابعان ما يحدث.

حاولَ قائد الدراجة النارية القفز من أعلى بعض الأكوام الترابية المتواجدة من أثر قصف الطيران الإسرائيلي، ولكن حدث ما لم يتوقعه، فقد ارتطمت الدراجة النارية بإحدى الكتل الأسمنتية البارزة وسقطت براكبيها.

لم يُصابا بأذى بسبب ملابس وخوذات الحماية، وتحركَ الراكب الخلفي في سرعةٍ واقتربَ من زميله قائد الدراجة وأمسكه وجذبه مُبتعدًا عن مجال المدرعة ونيرانها، وعندَ هذه

اللحظة قفزَ من المدرعة خمسة جنود مُدججين بالسلاح، وانطلقوا في أثر الاثنين، وهُم يُطلقون نيرانهم بغزارة تجاههما.

وهنا التفت الاثنان لمواجهة الجنود بعد أن اكتشفا أنهما قد حوصرا في إحدى الأزقة الجانبية المسدودة بسبب تهدم المنازل، وانطلق أحدهم وهو الأضخم جُسمانيًا إلى جهة اليمين والآخر في جهة اليسار في تناسقٍ ممّا ساعد على تشتت الجنود للحظة، كان الأضخم قد وصل بالفعل إلى أقرب الجنود وعاجلهُ بلكمةٍ كالقنبلة في فكه، جعلتهُ يسقط أرضًا، وقفز ليركل السلاح من يد جندي آخر في نفس الوقت قفز المُقاتل الآخر صاحب الجسد الأنحف، وطار في الهواء وركل أقرب جندي له بقدميه ممّا فأسقطه أرضًا، وسارع ليلتفت إلى جندي آخر، ولكن توازنه اختل أثناء التفافه بسبب وعورة الأرض، ممّا جعله يسقط هو الآخر، وهنا كان جندي آخر من جنود جيش الاحتلال قد قفز على المُقاتل الذي سقط أرضًا وأمسكه من رقبته من الخلف مُحاولًا أن يدك عنقه، ممّا جعل الخوذة تسقط عن رأسه وظهرت ملامحه فإذ بها فتاة جميلة رقيقة، وهنا فقط أدرك (أشرف) أنه يجب أن يتدخل.

فمن ملامح الفتاة وشعرها حالك السواد، أدرك أنها عربية، وقبل أن يتحرك، تحرك المُقاتل الآخر، وخلع هو الآخر خوذته وربماها بعيدًا، وانطلق في اتجاه الفتاة والجندي لإنقاذها، واتسعت عينا (أشرف) في ذهول؛ إذ كان المُقاتل هو آخر شخص يتوقع رؤيته هنا في هذا التوقيت والمكان.. (آسر) ابنه.

وفجأة استدار الجنذب المتبقي وأطلق سلاحه تجاه (آسر) وابل من الطلقات، كان من الصعب أن يتفادها من هذه المسافة القصيرة.

حاول أن يقفز بعيدًا، لكن الطلقات كانت أسرع، واتسعت عينا (أشرف) وصرخ باسم (آسر)! وفي نفس اللحظة أصابت الطلقات هدفها، واخترقت ذلك الجسد، الذي سقط وخرّ صريعًا دون حراك.

المواجهة



الفصل الأول

فتح باب المكتب الخاص بالسيد مدير المخابرات المصرية، ودخل منه ويتبعه (مراد)، وجلس السيد مدير المخابرات خلف مكتبه، وأشار لمراد بالجلوس، ثم سأله:

- هل من أخبار جديدة؟

هز (مراد) رأسه نفيًا، وتابع قائلاً:

- لا جديد يا سيدي منذ آخر تقرير بمستجدات الوضع منذ ساعة، والذي أشار إلى أن (ليان) و(آية) بالفعل داخل أراضي قطاع غزة، وما تمّ تأكيده هو وصول السيد (خيري) أيضًا إلى داخل القطاع، ولكن مع بداية القصف الإسرائيلي على شمال القطاع انقطعت الأخبار والاتصالات مع رجالنا هناك، وكذا (نورهان) و(مسعود) لم تصلنا أية أخبار عنهما حتى الآن يا سيدي.

صمت السيد مدير المخابرات بعد كلام (مراد)، وظل صامتًا يفكر في الوضع كله وما آلت إليه الأمور في الساعات الأخيرة، وأشار لمراد بالانصراف وأراح ظهره في المقعد أكثر وسرح بخیاله يتذكر بداية الأحداث.

أفاق السيد مدير المخابرات من شروده واعتدل في مقعده، ونظر إلى شاشة حاسوبه، وفتح ملف خاص بأخر مستجدات الوضع، لكن عقله ظل منشغلًا بما يحدث هناك في القطاع.

عاش حياته كلها يكره سفك الدماء، كَانَ يشعر بمرارة وألم شديد عندما يُجبر في لحظةٍ على قتل أي إنسان، حتى ولو كَانَ للدفاع عن حياته الشخصية.

لكنه هذه المرة يُدافع عن ابنه الوحيد (آسر)، لم يشعر بنفسه أو ما حدث، فكل شيء حدث بسرعة رهيبية، كَانَ الجندي الإسرائيلي يوجه بندقيته الآلية صوب (ليان)، ويضغط الزناد والأخير يهرب بعد أن أسقط ثلاثة جنود، وهنا تحرك (أشرف) بسرعة رهيبية لم تتأثر بعامل الزمن، وأخرج مسدسه من غمده أسفل إبطه الأيسر، وأطلق رصاصة واحدة.

كانت كافية ليسقط الجندي الإسرائيلي بعدها صريعاً دون أن ينطق، وقبل أن تنطلق رصاصة واحدة من بندقيته الآلية.

ومع دوي الرصاصة وسقوط الجندي، التفت (ليان) و(آية) معاً تجاه مكان انطلاقها، ووقع بصرهم على (أشرف) ومعه (خيري).

كَانَ هذا الجندي هو آخر الجنود، والبقية كانت فاقدين وعيهم أرضاً، أشار (أشرف) إلى (ليان) و(آية) بالاقتراب منهما خلف المباني المتهمة.

وبالفعل تحركا معاً بسرعة حتى وصلا إلى مكان (أشرف) و(خيري) وتوارى خلف أحد الجدران المتهمة، وانتظرا لبعض الوقت حتى يتأكدا أن ليس هناك جنود آخرين، وأشار لهما (أشرف) بيده لإتباعه، وسار موازياً للمباني المتهمة وخلفاه حتى ابتعدا قليلاً عن موقع المعركة التي دارت بينهما وبين الجنود.

رأى (أشرف) إحدى المنازل التي تعرضت للقصف ولكنه كان مازال يحتفظ بكيانه، فأشار لهما بالدخول إليه.

وما أن دخلا حتى أغلق بابه خلفهما واقترب من إحدى النوافذ ينظر إلى الخارج ليستكشف الوضع.

وعاد إليهما وفي هذه اللحظة اقتربت (آية) من (خيري) متسائلة:

- مَنْ أنتم؟ ولم ساعدتمونا.

أجابها (خيري) وهو يمد يده مصافحاً:

- (خيري أحمد) من المخابرات العامة المصرية، وأنت (آية) أليس كذلك؟

هزّت رأسها وأجابته:

- أنت المندوب الذي كَانَ من المفترض أن نتقابل، ولكنك تعرضت للإعتقال من قبل الموساد. أجابها:

- أجل، وتابع وهو ينظر إلى (أشرف) قائلاً:

- وهذا سيادة العميد (...)

- قاطعه (أشرف) مُكَمَّلًا حديثه:
- العميد (أحمد صدقي) المُخبرات العامة المصريّة، ونظرَ تجاه (ليان) وقال:
- وأنتَ (ليان) أليسَ كذلك؟
- هزّ (ليان) رأسه بالإيجاب وهو يتفحص ملامح (أشرف)، وشعر وكأنّه يعرفه من قبل، ملامحه ليستَ بالغريبة عليه، فمدّ يده مُصافحًا:
- توقف الزمن بالنسبة لأشرف مشاعر غريبة وكثيرة مرّت به:
- ولكنّه أخيرًا مدّ يده مُصافحًا هو الآخر.
- شعرَ بيد (ليان) بينَ يديه لأوّل مرّة، ثمّنى لو احتضنه بينَ ذراعيه وأخبره أنّه أباه، لكنّه فضّل الصمت.
- تلاقت أعينهما لثوانٍ وقد انتابهما شعور غريب؛ إذ شعر (ليان) بالألفة، وشعر (أشرف) بالحنين.
- أخرجتهما عبرات (خيري) من هذه المشاعر، التفتَ ثلاثتهم إليه فشعرَ بالحرج وتأسّف لهم قائلاً:
- معذرةً، فقد تعرّضتَ إلى ضغوط نفسيّة كثيرة آخر ثمانية وأربعون ساعة، فكنتُ بحاجةٍ إلى إخراج كلّ هذه الانفعالات.
- ترك (أشرف) يد (ليان) وتحركَ تجاه (خيري)، وربّتَ على كتفه وهو ينظر في عينيه قائلاً:
- تشجع يا صديقي، فما زالَ أماننا الكثير حتّى نعود إلى أرض الوطن.
- والتفتَ إليهم كلّهم وتابعَ حديثه:
- والآن يجب أن نتحرّك معًا ولكنّ وفق خطة، فالتحرّك العشوائي الآن لن يكونَ مُفيدًا أبدًا وخاصةً مع بداية القصف الإسرائيلي لقطاع غزة.
- وأشارَ لهم بالجلوس حولَ منضدة صغيرة في إحدى الأركان وجلسَ معهم وتابعَ حديثه قائلاً:
- أوّلًا يجب أن ننقذ زميلتكم (نورهان) ومعها (مسعود)، فقد انقطعت أخبارهم وفقًا للمعلومات التي وصلت إلى السيّد (خيري) مؤخرًا، وبعدها نتحرّك جميعًا إلى جنوب القطاع، تجاه معبر رفح، ومن هناك ستتولّى السلطات المصريّة مهمّة عبورنا إلى الأراضي المصريّة.
- وأتمّ حديثه وأخرج هاتفه المحمول، وفتحَ تطبيق الخرائط، وقام بعرض خريطة للمنطقة عليهم وأشارَ إلى نقطة مُحدّدة وهي مستشفى (بيت لاهيا) وقالَ لهم:
- هذه هي وجهتنا الآن.
- سنتحرّك معًا في خطّ واحد خلف بعضنا البعض، ليسَ هناك أيّ تحرّكات عشوائية لأيّ سبب، أوّل الخطّ ساكون أنا، يليني السيّد (خيري) ثمّ (آية) وأخيرًا (ليان).

قالها ونظر إلى (ليان) وقال:

- ستتولى أنت حماية المؤخرة.

وعادَ ونظرَ لهم جميعاً وقال:

- الوضع صعب جداً، فالعدو الآن في حالة هياج كامل مثل الأسد الجريح، وسوف يتحرك

بتخبط وعشوائية، وسيواجه ضربات كثيفة إلى عدة أماكن بالقطاع، ويجب أن نستغل هذه

الفرصة من التخبط بين قوات العدو في التحرك قبل أن يستعيد رباطة جأشه، وتابع:

- هيا على بركة الله.

تحركوا جميعاً مُغادرين المنزل، وساروا وفقاً للخطة باتجاه مكان (نورهان) و(مسعود)..

ولكنهم كانوا غير مُدركين ما بانتظارهم،

وحجم الخطر المحيط بهم.. خطر قاتل!

الفصل الثالث

ظلام حالك، هداً كُل شيءٍ تمامًا بعدَ أنْ انهالت الأتربة على المصعد، الذي صمد تحت أطنان من الرُكام من مبنى المستشفى، حاولت التحركُ بهدوءٍ حتّى لا تتسبب في أيّ تحركٍ لجسم المصعد، أو سقوط المزيد من الأتربة والرُكام عليهما.

اقتربت من جسد (مسعود) الموضوع على الفراش المُتحرك الخاصّ بالمشفى، وأخذت تتفحصه وتتأكد من مؤشراتِه الحيويّة، كانتْ أنفاسه مُنتظمة وكذا دَقّات قلبه، ظلّت تنفض الأتربة عن جسده المُسجى، وقامتْ بتثبيتته جيّدًا في الحوامل الجانبية للفراش.

أخرجت هاتفها المحمول من جيِب بنطالها الخلفي، وبالطبع لم تَكُنْ هُناكَ تغطية بعدَ القصف؛ بسبب أطنان الركام وجسم المصعد المعدني.

كانت الساعة بشاشة هاتفها تُشير إلى الثامنة مساءً أيّ أنّها في هذا الوضع مُنذُ ما يقرب من عشر ساعات، ظهرَ الجذع على ملامحها، وأدركت فداحة الأمر.

إلى متى تستطيع أنْ تصمد في هذا القبر المعدني؟

تردّد هذا السؤال في عقلها، وندرت إلى جسد (مسعود) وقالت بصوتٍ مسموع:

- إلى متى ستصمد أنتِ يا صديقي؟

اقتربت من جدران المصعد وأضاءت كَشَاف هاتفها المحمول، وظلّت تتفحصها شبر شبر ولكنّ دونَ أمل.

اقتربت من درفتي باب المصعد، وحاولت أنْ تحرّكهما جانبًا ولكنّ دونَ جدوى، فالمصعد انقطع عنه التيار الكهربائي تمامًا، وضغط الركام على جسم المصعد فجعلَ من المُستحيل أنْ تنجح في فتح الباب.

- يبدو أنّها النهاية.

قالتها وارتمت أرضًا في يأس، وتساقطت عبراتها لتُغرّق وجهها.

فلأول مرّة تشعر باليأس التام، وشعرت بمذاقٍ مريرٍ بحلقها..مذاق الهزيمة المُرة.

تحركَ الأربعة بهدوءٍ وسط رُكام وخطام المنازل، كانَ يتقدّمهم (أشرف) وخلفه (خيري) تليه (آية) وفي المؤخرة (ليان) لحماية المؤخرة.

وصلوا أخيرًا إلى قرب المنطقة التي تعرّضت للقصف وكانَ بها المشفى.

وقفوا جميعًا صامتين من بشاعة المنظر؛ إذ تهدّم نصف المشفى تمامًا، وأغلب المنازل والمباني المُحيطة به.

كَانَ هُنَاكَ بَعْضًا مِنْ رِجَالِ الْحِمَايَةِ الْمَدْنِيَّةِ يَقُومُونَ بِالْبَحْثِ عَنْ نَاجِينَ أَسْفَلَ الْأَنْقَاضِ.
اِقْتَرَبَتْ (آيَة) مِنْ أَحَدِهِمْ وَسَأَلَتْهُ قَائِلَةً:

- هَلْ مِنْ نَاجِينَ؟

هَزَّ رَأْسُهُ بِالنَّفْيِ وَقَالَ:

- لِلْأَسَفِ حَتَّى الْآنَ لَمْ نَعثرْ عَلَى أَيِّ نَاجِينَ.. جُثَّتْ فَقَطْ!

وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَنطَقَةِ قَرِيْبَةٍ تَرَاوَجَتْ بِهَا الْأَجْسَامُ الَّتِي انْتَشَلُوهَا مِنْ أَسْفَلَ الْأَنْقَاضِ، وَكُلَّ جُثْمَانٍ مَلْفُوفٍ فِي قِمَاشٍ أَبْيَضٍ يُعْلَقُهُ بِالْكَامِلِ.

عَادَتْ (آيَة) إِلَيْهِمْ وَشَرَحَتْ لَهُمْ مَا قَالَ:

- فَتَحَرَّكُوا تَجَاهَ الْجُثْمَانِ الْمَتْرَاصَةِ، وَاقْتَرَبْ (لِيَان) وَشَرَعَ فِي فَتْحِ جُثْمَانٍ جُثْمَانٍ وَيَتَفَحَّصُ مَلَامِحَهُمْ، كَانَتْ مَشَاهِدٌ تَعْتَصِرُ قَلْبَهُ، وَلَكِنَّهُ مَعَ كُلِّ جُثْمَانٍ يَكْشِفُ وَجْهَهُ، يَتَعَالَى الْأَمَلُ بِدَاخِلِهِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ بِأَنَّهُمْ مَازَالُوا أَحْيَاءَ،

وَعَادَ إِلَى بَاقِي الْفَرِيقِ، وَهَزَّ رَأْسُهُ بِالنَّفْيِ وَهُوَ يَقُولُ:

- لَيْسُوا مِنْ ضَمَنِ الضَّحَايَا، هُنَاكَ أَمَلٌ إِنَّهُمْ مَازَالُوا هُنَاكَ أَسْفَلَ الْأَنْقَاضِ أَحْيَاءَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

أَمْسَكَ (أَشْرَف) ذَقْنَهُ مُفَكِّرًا فِيمَا يَقُولُ (أَسْر) وَنَظَرَ بَعِيْنَهُ تَجَاهَ الْحُطَامِ وَالرَّكَامِ، كَانَ يَقُومُ بِفَحْصِ الْأَمْرِ جَيِّدًا فِي عَقْلِهِ وَنَظَرَ إِلَى سَاعَةِ يَدِهِ وَقَالَ:

- يَسْتَحْسِنُ أَنْ تَحَرَّكَ سَرِيعًا وَنَسَاعِدَ رِجَالَ الْإِنْقَازِ، فَقَدْ مَرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ جَدًّا عَلَى وُجُودِهِمْ أَسْفَلَ أَنْقَاضِ الْمَشْفَى، وَكُلُّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ تَقِلُ فُرْصَ الْعَثُورِ عَلَيْهِمْ أَحْيَاءَ.

وَمَا أَنْ أَنْهَى حَدِيثَهُ حَتَّى تَحَرَّكُوا جَمِيعًا، وَشَرَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسَاعِدُ رِجَالَ الْحِمَايَةِ الْمَدْنِيَّةِ فِي عَمَلِيَةِ الْبَحْثِ تَحْتَ الْأَنْقَاضِ، يَتَمُّ الْعَمَلُ بِهَدْوٍ وَبِدُونِ مُعْدَّاتٍ ثَقِيلَةٍ، فَالْأَعْمَالُ تَتَمُّ يَدَوِيًّا خَوْفًا مِنْ رِصْدِ قُوَّاتِ الْعَدُوِّ الصَّهْيَوْنِيِّ لَهُمْ وَاسْتَهْدَافِهِمْ، مَرَّتْ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ دُونَ جَدْوَى.

كَادَ الْيَاسُ يَدْبُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ عَقْلَ (لِيَان) يَعْمَلُ سَرِيعًا، يَحَاوِلُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ حُلُولٍ لِهَذِهِ الْمَشْكَلَةِ.

وَبِالْفَعْلِ فَجَاءَ تَوَقُّفٌ وَنَظَرَ تَجَاهَ (آيَة) وَقَالَ:

- أَعْتَقِدُ أَنَّي قَدْ أَجَدْتُ حَلًّا لِتَحْدِيدِ مَكَانِهِمْ بِدَقَّةٍ.

تَوَقَّفُوا عَنِ الْعَمَلِ وَاقْتَرَبُوا مِنْهُ مُسَائِلِينَ عَمَّا يُفَكِّرُ بِهِ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَدَّثْ بَلْ أَخْرَجَ هَاتِفَهُ الْمَحْمُولَ، وَشَرَعَ يَعْمَلُ بِأَصَابِعِهِ عَلَى شَاشَتِهِ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ (آيَة) وَسَأَلَتْهُ:

- مَاذَا تُفَكِّرُ؟ وَمَاذَا تَفْعَلُ؟

نظرَ إليها وقال:

- الهواتف الحديثة تمتلك خاصيّة للتواصل تُسمّى (NFC) أو اتصال المدى القريب، وهي تعتمد على التلامس لنقل البيانات.
نظرت له بحيرة وقالت:

- وكيف لك أن تستخدمها بدون تلامس مع هاتف آخر، ابتسم وأجابها:
- التلامس فقط يا صديقتي عند بدء نقل البيانات أو الملفات، لكنّ البحث عن هاتف آخر يُمكن من مسافة أكبر من عشرة أمتار وحتى في وجود حواجز.
نظرت له في انبهار، لم يترك لها فرصة بل تقدّم من إحدى البقاع المُتهدّمة من المشفى، وشرع يحرك هاتفه يمينًا ويسارًا وثلاثتهم يتابعون ما يقوم به.
مرت حوالي عشر دقائق وهو يتحرك في اتجاه ثابت: كي يتأكد أنّه لم يترك مساحة من الانقراض إلا وقد فحصها تمامًا.

وفجأة رفع رأسه وأشار إليهم قائلاً:

- أعتقد أنني عثرت على إشارة لوجود هاتف محمول أسفل هذه المنطقة وعلى عمق مترين تقريبًا.

تحركوا جميعًا ومعهم رجال الإنقاذ وشرعوا في رفع الركام عن المنطقة، وبالفعل ظهرَ جسم المصعد المعدني أسفل الأنقاض التي نجحوا في إزالتها.
تقدّم (ليان) من جسم المصعد المعدني، وقام بالنقر ثلاث مرّات مُتتالية على سطحه المعدني، وألصق بعده أذنه على سطحه وأخذ يستمع جيّدًا وهو يُشير لمن حوله بالهدوء، وأعاد الكرة مرّة أخرى بتتابع نقرات مختلف، وفي هذه اللحظة ابتسم (أشرف) فقد فهم ما يفعل، أنّه يستخدم شفرة (موريس) عن طريق النقر على سطح المصعد المعدني.
وأخيرًا اعتدل (ليان) وقال لهم:

- إنها (نورهان) ومعها (مسعود) ولكنّه في غيبوبة، وهي مُنهكة القوى تمامًا لكنّهما بخير.
أنهى حديثه وشرعوا جميعًا في قطع السطح المعدني باستخدام بعض المُعدّات اليدويّة البدائيّة، وبالفعل نجحوا في صنع ثقبٍ متوسط يكفي لعبور الهواء، ومدّ (ليان) يده داخل الثقب الذي صنّعه وهو يحمل هاتفه بين يديه، وأشعل الكشاف الخاص به، ورأها تميل بجذعها على جسد (مسعود) لتحميّه من الأتربة التي تساقطت بفعلِ مُحاولاتهم لثقب السطح المعدني للمصعد.

وأعطى أحد رجال الإنقاذ إلى (ليان) بعض الأقمشة البيضاء لتستخدمها (نورهان) وتُغطي نفسها وجسد (مسعود) بها؛ لتقيهما من الأتربة والرمال التي تتساقط عليهم مع كُل حركة أو اهتزاز، وشرعوا في إكمال عملهم بتوسيع الفتحة التي صنعوها كي يتمكنوا من إخراجهما. مرَّ الوقت ونجحوا أخيرًا في توسيع الفتحة ليستطيعوا إخراجهما منها، ومدَّ (ليان) يدهُ إلى (نورهان) لثُمسك به وتعلّق بذراعه، وبالفعل أمسكت بيديه وقامَ (ليان) برفعها وساعدهُ في هذا جسدها النحيل.

خرجت (نورهان) وألقت نفسها أرضًا، وهي لا تُصدق أنَّها قد نجت، واقتربت منها (آية) تُساعدها على أن تلتقط أنفاسها وتُهدئ من روعها، وفي نفس الوقت هبط احد رجال الإنقاذ، والذي هو أنحف المتواجدين وأخفهم وزنًا، وثُمسك ببعض الحبال، وقامَ برفع جسد (مسعود) بعد أن أحكم الحبل حول جسده وتعاون الباقيين خارجًا على اصعاده، ونجحوا في إخراجهم، ولم يكد يلامس جسده الأرض حتى دوى صوت أزيز حولهم.

أزيز أدركوا كنهه سريعًا، أزيز طائرات الاستطلاع الخاصة بالكيان الصهيوني! وفجأة ظهرت الطائرة فوقهم مباشرة،

وتحرّك خيط الليزر في مُقدّمتها حتى سقطَ على الأرض تحت أقدامهم، وقبل أن يتحرّك أحدهم، انطلق صاروخ تجاههم.. صاروخ قاتل.

الفصل الرابع

تعالى صوت الطرقات على باب غرفة المكتب الخاص بالسيد مدير المخابرات، كان السيد مدير المخابرات مُنهمكاً في مُطالعة شاشة حاسوبه يُتابع التقارير التي ترد من كُل مكان، والخاصة بالحرب على قطاع غزة، اعتدلَ ونظر وأشار للطارق بالدخول. كان مدير مكتبه الخاص (مراد)، يحمل تقريراً جديداً لا يحتمل التأخير. - لقد تمّ التواصل مع رجالنا بالقطاع يا سيدي، والمعلومات الواردة حتى الآن لا تُطمئن أبداً، صمت قليلاً وتابع:

- تمّ رصد تحرك كبير جداً لقوات العدو، بطول الحدود الشماليّة لقطاع غزة، وأيضاً الحدود الشرقيّة الخاصّة بغلاف غزة، ليس هذا فحسب؛ بل تمّ تحريك حاملة طائرات أمريكية والتي كانت قابعة في البحر الأبيض المتوسط قُرب مضيق جبل طارق إلى الحدود البحريّة للقطاع، وكذا عدد من القطع البحريّة الإسرائيليّة.

قال هذا ووقف صامتاً، انتظاراً لتعليمات السيد مدير المخابرات، الذي ظلّ صامتاً هو الآخر، ويُفكر بدوره في كُل ما أتى في التقرير، وأخيراً قال لمراد:

- إذاً كما توقع الخبراء، هي حرب إبادة، وخاصة بعد الدعم الأمريكي لمُخططاتهم. - حسناً، هل من أخبار عن رجالنا هناك؟

هزّ (مراد) رأسه وأجاب:

- حتى الآن لا يا سيدي، لم ترد أيّة معلومات جديدة.

ضمّ السيد مدير المخابرات كفيه أمام وجهه مُفكراً، وأشار لمراد بالانصراف، وهو يُفكر في كُل ما حدث، ووضع رجاله هناك الآن في القطاع.

كان يُدرك جيداً حجم الخطر المُحيط بهم، وما ينوي العدو الصهيوني فعله بكامل القطاع، حاول جاهداً أن يعتصر ذهنه للبحث عن حلول توقف هذه الحرب الدمويّة، أو على الأقل تمنع سقوط آلاف بل الملايين من الأبرياء.

ولكنّه لم يستطع أن يصل إلى حلّ، فترك الأمر برُمته وعادَ مرّة أخرى إلى شاشة حاسوبه، ونظر إلى الصورة التي تنصدر الملف الذي يُطالعه، صورة لشاب صغير في العمر،

وسيم الملامح.. صورة (ليان).

لم يتحرك أحد منهم، كانت المفاجأة رهيبية، وانطلق صاروخ أصاب هدفه تماماً، ولكن لم ينطلق الصاروخ من الطائرة بل إليها، فقد انطلق صاروخ صغير المحمول على الكتف، من

خلف إحدى المنازل المُتهَدِّمة تجاه الطائرة، وأصابها وحولها إلى أشلاء مُتناثرة، ممَّا جعلهم يحمون وجوههم من الشظايا المُتطايرة من حُطامها، ونظر الجميع تجاه مصدر انطلاق الصاروخ، وظهر اثنين من جنود المقاومة الفلسطينية بملابسهم السوداء والقناع الأسود الذي يُخفي ملامحهم، وتقدَّما منهما ليطمئنا عليهما وأشار أحدهما إليهم قائلاً:

- هل انتم بخير، هيَّا لنتحرَّك سريعًا فما حدث للمُسيِّرة الخاصَّة بالعدوِّ قد وصلَ صداهُ سريعًا؛ إذ يتمُّ التحكُّم بها عن طريق أحد الأفراد الجالسين خلف شاشة حاسوب متصل بها، وما هي إلَّا دقائق قليلة حتَّى نجد درزاة كاملة من جنود الصهاينة تُحيط بالمكان بالكامل، وتقلِّبه رأسًا على عقب.

تحرَّكوا جميعًا بسرعة وتحركًا معهما رجال الحماية المدنيَّة الذين كانوا في الموقع وتعاونوا جميعًا في حمل جسد (مسعود) على محافة طَبيَّة خفيفة، وأمسكت (آية) بجسد (نورهان) تُساعدُها على التحرك، وانطلقوا جميعًا بين حُطام المنازل المُتهَدِّمة، وساروا يتبعوا جنود المقاومة الذين كانوا يسيرون بخفَّة ورشاقة بين الحطام، وكأنَّهم قد اعتادوا الأمر تمامًا بحيثُ أصبحت حياتهم على نفس المنوال بين الحطام.

وبالفعل لم تضي دقائق قليلة إلَّا وانطلق تجاههم وابل من الطلقات، ممَّا جعلهم يختبئون خلف إحدى المنازل المُتهَدِّمة؛ انتقاءً للرصاص المُتطاير حولهم، وهُنا أشارَ (أشرف) بحركةٍ لا يفهما إلَّا الجنود إلى جنود المقاومة بما تُفيد أنَّ يتفحصا قوات العدوِّ، ويرصدا تحركاته وعدده ومُعَدَّاته، وأدرك الجنديان أنَّه جندي أو مقاتل سابق أو أحد الرُتب العسكريَّة الكبيرة بإحدى الجيوش العربيَّة، وبالفعل تحرَّكا معًا، أحدهما ذهب يسارًا والآخر إلى جهة اليمين، وعادا بعد حوالي خمس دقائق بكُلِّ ما استطاعوا رصده من قوات العدوِّ. إنَّهم فرقة مكوَّنة من عشر جنود مُشاة، ومعهم قائدُهم يجلس في مُدرعة تتبعهم ويعلوها مدفع ثقيل.

كانَ (أشرف) يستمع لهم باهتمام، وأمسكَ بإحدى العصي المُلقاة أرضًا وقام برسم كروي للمكان على الأرض وقال:

- حسَّنًا، لدينا حوالي ثلاث عشر جندي للعدوِّ بحساب قائد المُدرعة، والأهم هو التخلص من المدفع الثقيل، ونظر تجاه (خيري) قائلاً:

- أنت تتولَّى حماية (نورهان) و(مسعود) ومعك رجال الحماية المدنيَّة، عليكم التحرك مباشرة وبسرعة في اتجاه الجنوب مُجرَّد أنَّ نشتبك مع الجنود، والتفت إلى (ليان) و(آية) وقال بلهجةٍ عسكريَّة حازمة، أمَّا أنتما فتتولَّيا الجهة اليُسرى من هذا المنزل الذي نحتمي به، وأشارَ للجنديين الفلسطينيين:

- وأنتما الجهة اليمنى، ولكن لا تتحركاً إلا مع إشارة مني.
قالها وتحرك سرياً بخفة لا تتناسب أبداً مع سنوات عمره التي تجاوزت الستين، وتسلق
أحد كتل الركام المتناثرة واختفى عن أنظارهم، وتحرك كل واحد منهم إلى موضع الإتفاق،
وظلوا صامتين انتظاراً لإشارة (أشرف).

قد وصل (أشرف) إلى نقطة قريبة من مركز الجنود الإسرائيليين، فتوارى خلف جزء من منزل
مُتهدم، وأخرج رأسه قليلاً لفحص المنطقة عن قرب.

كان جنود جيش الاحتلال يفحصون المنطقة بالكامل وهم يتحركون في شكل قوس، منعاً
لعمليات الصيد والقنص للجنود، وأدرك (أشرف) أنه لا بُدَّ وأن يبدأ من إحدى الأطراف،
وسرياً قرَّر أن يبدأ بأول الجنود من جهة اليسار بعيداً عن المدرعة.

وبالفعل انسلَّ بهدوءٍ حتى اقترب من أول الجنود، واقترب منه حتى أصبح خلفه تماماً، كان
بإمكانه أن يقضي عليه أو يُباغته من الخلف، لكنَّهُ لم يترق على هذا وليس من مُعتقداته،
يقف خلف الجندي مباشرة، وربت يده على كتفه ممَّا جعل الجندي يلتفت له بغتة
فعاجله بلكمة كالقنبلة في فكه، أسقطته دون أن يُصدر صوتاً، وتلقَّاه على ذراعه حتى لا
يسقط، وقام بسحبهِ خلف أحد الكتل الأسمنتية، وأخذ سلاحه وخرج من مخبئه وصرخ:
- الآن.

ومع صرخته التفت إليه جنود جيش الاحتلال ووجهوا أسلحتهم إليه، وانطلقت الرصاصات
في كل اتجاه، وظهر المقاتلين الفلسطينيين من خلفهم وكذا (ليان) و(آية) من الجهة الأخرى.
تحرك (خيبري) و(نورهان) ورجال الحماية المدنية مُسرعين باتجاه الجنوب في نفس اللحظة
حاملين جسد (مسعود).

وحدث ما أراد (أشرف) تماماً، فقد حدثت بلبلة وتشُّت بين جنود جيش الاحتلال، واستغلُّوا
هـم هذا التشُّت والتخبط، فما كان من (أشرف) إلا أن أسرع بتصويب السلاح الآلي، الذي
أخذه من الجندي الذي أفقده الوعي تجاه المدرعة وخاصة الجندي المُتحكم في المدفع
الثقيل، وأطلق رصاصة واحدة كانت كافية أن تُفقده حياته ويسقط بنصف جسده مُتدلياً
على المدفع.

وانطلق (أشرف) مُسرِعاً تجاه المدرعة، في نفس اللحظة باغت (ليان) أحد الجنود وركله ركلة
عنيفة في رأسه، وقبل أن يهبط أرضاً استدار ولكم جندي آخر في فكه، جعلته يتراجع متزناً
للخلف، أمَّا (آية) فقد انطلقت مُسرعة تجاه أحد الجنود وقفزت بقدميها معاً في إحدى
حركات رياضة الكونغفو الشهيرة، وارتطمت بصدره ممَّا جعله يفقد توازنه ويسقط على
زميل له.

قامَ المقاتلين الفلسطينيين بمهاجمة الجنود ودار بينهم صراع مرير، حتَّى نجح أحد المقاتلين في انتزاع سلاح أحد الجنود، وأطلق نيرانه تجاه الباقيين من الجنود الإسرائيليين. في نفس اللحظة وصلَ (أشرف) إلى المدرعة، وفتحَ بابها عنوةً وأمسكَ بقائد القوات وسحبهُ خارجًا، وهو يلكمهُ في فكهِ لكمةً أفقدتهُ نصف أسنانه الأماميةً وأفقدتهُ الوعي أيضًا، ورفع سلاحه في وجه الجندي الذي يقود المدرعة، والذي استسلم تمامًا ورفع ذراعيه عاليًا، وهبط من المدرعة وجثى على رُكبتيه، ونظر (أشرف) خلفه ليرى ماذا قد تمّ. فوجد كُلّ جنود جيش الاحتلال على الأرض قتلى، و(ليان) و(آية) والمقاتلين ينزعون من أجسادهم الأسلحة والذخائر، فنظر تجاه المُجنّد المُتبقّي وقال: - معذرةً، قالها وهو يضرب بظهر سلاحه الآلي أسفل رقبتِهِ ممّا جعلهُ يسقط فاقداً وعيه، وهتَفَ بهم (أشرف) أن يتحرّكوا سريعًا. وبالفعل ساروا جميعًا متبعين خط سير (خيري) وباقي مَن معه. كانَ (أشرف) يُدرك جيّدًا أنّها مسألة وقت، وأنّ الوقت ليس في صالحهم أبدًا.

الفصل الخامس

- هل يُمكن أن أسألك لماذا رفضت أن نستقلّ المدرعة بعد أن تخلصنا من جنود جيش الاحتلال، على الأقلّ كان يُمكنها أن تختصر مسافة كبيرة، بدلاً من التحرك على الأقدام؟
نطق هذه الجملة (خيري) موجّهاً حديثه إلى (أشرف)، والذي اقترب من أذن (خيري) قائلاً:
- لو كُنّا استقلّناها ما استطعنا أن نطلّ بها أكثر من خمس دقائق يا صديقي.
وتابع حديثه وسط نظرات عدم فهم من (خيري)، فابتسم (أشرف) وتابع:
- أوّلًا كلّ المُعدّات الحديثة مربوطة بالقمر الصناعي، وبمجرد تحرّك بدون علم القيادة أو حسب خطّ سيرها المُحدّد، سوف يتمّ أبطالها أو تدميرها بمنّ فيها، فجيّش العدو الصهيوني لن يسمح بسقوط مُعدّة حديثة في أيدي أعدائه، ثانيًا وهو المُقاومة الفلسطينية يا صديقي، لو تحرّكنا تجاه الجنوب بهذه المدرعة لكانَ تمّ قصفها من قبل قوات المُقاومة الفلسطينية مباشرة، وحتىّ قبل أن نتوغّل لمسافة كيلومتر واحد في أراضي القطاع، هل علمت الآن لماذا رفضت أن نتحرّك بها ولو لمترٍ واحد.
أخذ (خيري) ينظر له فاغراً فاه، فقد أدرك الآن فقط حقيقة ما قاله (أشرف)، وأدرك أنّه على صواب، فابتسم على استحياء وقال:
- لن نتوقف أبداً يا (أشرف) عن إبهاري بكائك ورجاحة تفكيرك، حسناً، لنكمل المسير على الأقدام.
كانوا يسيرون في مجموعاتٍ ثلاثة، مقدمة وبها (أشرف) و(خيري)، ومؤخرة وبها (ليان) و(آية)، وبالمُنتصف (نورهان) وأعضاء الحماية المدنية والمقاتلين الفلسطينيين وجسد (مسعود) فاقد الوعي محمولاً على المحافة الطيّبة.
وفجأة أشار (أشرف) بيده اليمنى بعلامة التوقف، ويده اليسرى وضعها على فمه بإشارة لهم بالصمت تماماً، وتحركّ بهدوءٍ إلى إحدى البيوت الصغيرة المُتهدّمة، وأطلّ برأسه ينظر خلفه، كانَ تمركز عسكري لقوات الاحتلال، وضعت مُعدّاتها وتمركزت كنقطة حصينة لهم في هذه المنطقة، حاولَ حصر القوة بالكامل ولكنّه كانَ صعباً أن يرى كلّ الجنود والمُعدّات من تلك المسافة، فعادَ إلى باقي المجموعة وشرح لهم ما رأى بصوتٍ خفيض.
أشارَ له (ليان) أن يتركّ له هذه المهمة ولم يمهّلهم وقت للاعتراض، وتحركّ بخفّة وتسلّق سور صغير برشاقة ومنه إلى إحدى النوافذ العلويّة لمنزلٍ قد خلى من ساكنيه، اتخذ (ليان) ركن قصي في شرفة المنزل ورفع يده وهو يحمل هاتفه المحمول، وقامَ بضبطه على وضع التصوير

فائق الجودة مع زاوية رؤية عريضة، وظلّ على هذا الوضع قرابة الدقيقتين وبعدها خفض يده، وأعاد تشغيل ما سجله الهاتف، وابتسم حينما أدرك نجاح خطته، وعادَ أدراجه سريعاً للبقية.

أخذَ (أشرف) ينظر إلى (ليان) وهو عائد وتلمع في عينيه نظر فخر وحُب. خرجَ من شرودهِ على صوت (ليان) وهو يعرض عليه ما سجله الهاتف، تناول الهاتف منه، وقام بفحص مقطع الفيديو أكثر من مرّة، وأخيراً أشارَ للبقيةً بالاقتراب، وشرعَ يشرح لهم حجم التمرکز الخاصّ بقوات العدو.

- يمتلكونَ الأسلحة الشخصية التي قد استولوا عليها بعد القضاء على جنود جيش الاحتلال بجوار الحدود، وهُنا قاطعه أحد المقاتلين الفلسطينيين.

- مملِك أيضاً عبوتين ناسفتين، والخاصّة بالتعامل مع الدبابات أو المدرعات. أجابه (أشرف):

- أعتقد سوفَ نحتاج إليهم، والآن أنصتوا لي جيّداً، فما أفكر به يحتاج إلى أن يقوم كُل فردٍ منّا بدوره بمنتهى الإتقان.

وشرع يشرح لهم خطته بالتفصيل، كان ذلك التمرکز يتكوّن من دبابتين وحوالي عشرون جندياً، ومدفع صغير متنقل على عجلات وهو خاصّ بالتعامل مع السيارات والدراجات النارية.

كانتِ الخطة باختصار هي تدمير إحدى الدبابات القرية، والتي لو تعطلت عن الحركة فبذلك يكون قد تمّ سدّ الطريق والمنفذ الوحيد لباقي التمرکز في الخروج من تلك الرقعة، وعندها أشارت (آية) بيدها مُقاطعة، فأعطاه (أشرف) الإذن بالكلام.

- أعتقد أنني أستطيع إيقافها.

نظر لها الجميع بشك، فمع جسدها النحيل الضئيل من الصعب عليهم أن يثقوا في قدراتها، لكنّ (أشرف) كانَ له رأي آخر، فنظر إلى عينيها وإلى نظرة التحدي والثبات على الموقف بهما وقال:

- حسناً لك هذا.

ارتسمت ابتسامة نصر على وجهها، وشرع (أشرف) في سرد باقي التفاصيل، كانتِ الخطة تعتمد على تمرکز كُل فردٍ في نقطة بعيدة عن الباقيين، وبمُجرد أن تتجح (آية) في تعطيل الدبابة تبدأ عملية القنص، وإطلاق النيران من أربعة أماكن مختلفة، وهذا للمساعدة أكثر في تشتيت قوات العدو والتخبط فيما بينهم، ونظر لهم قائلاً:

- على بركة الله.

وتحرك الجميع، اتخذ (ليان) موقعًا مرتفعًا وهو يُمسك بسلاح آلي، وكذا (أشرف) في نقطة بعيدة نسبيًا، وكذلك المقاتلين الفلسطينيين، وتحرك باقي الأفراد ومعهم جسد (مسعود) إلى أبعد نقطة عن أرض المعركة المحتملة، واتخذوا من منزل نصف مُهتَم سائرًا لهم. تحركت (آية) وقد أخذت من الإسعافات الخاصة بأحد رجال الحماية المدنية، بعض الشاش الطبي، وقداحة بخلاف مسدس شخصي صغير، وتحركت بخفة قطً إلى أقرب نقطة من الدبابة، وما أن اقتربت من أقصى نقطة يُمكنها الوصول إليها على قدميها، استلقت أرضًا وقامت بالزحف حتى وصلت بالفعل إلى جسم الدبابة، سحبت جسدها برشاقة أسفل الدبابة كي تتواري عن الأنظار.

ابتمت وقالت (ميركا) مشيرة إلى نوع الدبابة الإسرائيلية الصنع، فقد كانت تعلم جيدًا تصميم هذه الدبابة وتحفظه عن ظهر قلب، فقد تعلمت منذ نعومة أظافرها أن تدرس كل تسليح ومعدات العدو الصهيوني من أجل هذه اللحظة.

قد تم تعديل الدبابة (ميركا) بإضافة صفائح معدنية للحماية وعدم الوصول إلى النقاط الحيوية بها، ولكنها كانت تعلم كل هذا، وتعلم أن مُحركها في الأمام عكس أغلب الدبابات، وتعلم أيضًا أن خزانات الوقود في الخلف أسفل الصفائح المعدنية، ومدّت يدها وظلت تبحث بمؤخرة الدبابة في مكان علمته مُسبقًا، حتى نجحت في فتح خزان الوقود الخاص بها، وشرعت في إدخال الشاش الطبي الذي أحضرته معها حتى لامس الوقود، وتركت باقي المهمة (للخاصية الشعرية) وبالفعل إنساب الوقود خارجًا من خزانه عبر أنسجة الشاش الطبي، فقامت بفرد باقي لفافة الشاش إلى أبعد مسافة ممكنة، ولم تمضي دقائق قليلة إلّا وقد أصبح الوقود يُغطي الشاش بالكامل، وهنا أشعلت القداحة التي أخذتها ووضعتها على طرف الشاش الطبي، الذي اشتعل بسرعة رهيبية وتحركت النيران بسرعة تجاه خزان الوقود، وأيضًا (آية) أسرعت مُبتعدة بمنتهى السرعة.

ودوى انفجار رهيب هز أرجاء المنطقة بالكامل، وسادت حالة من الهرج والمرج بين أفراد جنود جيش الاحتلال، وهنا أطلق باقي الفريق نيرانه، واشتعلت الحرب بغتة.. حرب بلا هوادة.

الفصل السادس

موقف صعب لا يُمكن بمقياس العقل أو المنطق أن يكونَ في صالح رجالنا، ولكن منذ متى و المنطق أو العقل هو المقياس بين الشجاعة والمقاومة والدفاع عن الحق أمام الكيان الصهيوني وحنوده!

انطلقت الرصاصات في كل صوب واتجاه، أربع مقاتلين بتسليح خفيف ضد فرقة من جنود الاحتلال مُدججين بكامل أسلحتهم، وأيضًا دبابتين ومدفع، وهنا يظهر المعدن الحقيقي للرجال.

مع بداية الانفجار وانطلاق الرصاصات، وحدث ما توقعه (أشرف) تمامًا؛ إذ حدثت حالة من الهرج والمرج والتخبط بين جنود جيش الاحتلال، وساعد هذا في أن ينجح رجالنا في تصفية نصفهم تقريبًا قبل حتى أن يُدركوا ما حدث.

ولكن مع الاستمرارية في القتال نجح بعض الجنود في أن يتداركوا المفاجأة واستطاعوا التمرُّز خلف سواثر تقيهم نيران رجالنا، وهدأت حِدَّة القتال بسبب التمرُّز من قِبَل جنود جيش الاحتلال.

لم يكن هذا التمرُّز في صالح (أشرف) والآخرين، وأدرك هو هذا، وقبل أن يتحرك أو يُغيّر من الخطّة، فوجئ بتحرُّك المدفع الخاصّ بالدبابة البعيدة، وتغيّر إحداثيّات الإطلاق الخاصّة بها، واتسعت عيناه فقد وعى ما تنوى فعله الدبابة المُتقنة.

وفجأة وفي وسط كُلِّ هذا، تعالى صراخ من قِبَلِ أحد الجنديين الفلسطينيين الآخر:
- (يااااااااااا الآن).

وقَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ أَحَدُ الْمُغْزَى أَوْ السَّبَبِ مِنْ هَذَا النِّدَاءِ، تَحَرَّكَ الْآخَرُ وَقَفَزَ مِنْ أَعْلَى الْجِدَارِ الْمُتَهْتَمُ الَّذِي يَحْتَمِي بِهِ، وَعَلَّقَ سِلَاحَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَانْطَلَقَ فِي وَسْطِ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ رَاكِبًا بِاتِّجَاهِ الدَّبَابَةِ، وَلَكِنْ فِي خُطِّ سَبْرِ مُتَعَرِّجٍ لَا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِاقْتِنَاصِهِ.

كانت المفاجأة من نصيب جنود جيش الاحتلال، وبالفعل قطع المسافة بسرعة رهيبية، وهو يخرج العبوة الناسفة المعلقة بـسُتْرَتِه العسكرية، وينزع فتيل الأمان الخاص بها، ويقفز في الهواء ففزة أسطورية، اتسعت معها عيون الجميع وتوقف الزمن للحظات، قبل أن يهبط على مقدمة الدبابة، وهو يصرخ:

- اللّٰهُ أَكْبَرُ.

قالها وهو يضرب مُقدّمة الدّبابة بالعوبة الناسفة، ودوى انفجار رهيب مرّق جسد الطاهر إلى أشلاء صغيرة من الصعب جمعها وتناثرت دماؤه الزكيّة لمسافة شاسعة، ومعها تدمر مدفع الدّبابة تمامًا وتعطلت هي الأخرى.

وخيم الصمت على أرض المعركة، ولم يقطعه إلا الجندي الفلسطيني المتبقي وهو يركض هو الآخر باتجاه المدفع الصغير، واعتلاه مُستغلًا عامل المفاجأة لجنود جيش الاحتلال ممّا فعله زميله ولحظة استشهاده، وقام بتوجيه الدفع إلى مكان اختباء جنود جيش الاحتلال، وأطلق لطلاقه العنان، كانَ (أشرف) أو من استطاع أن يخرج من الصدمة ممّا حدث، وصرخ:

- (ليان)، (آية) الآن.

لم يكونا بحاجة إلى هذا النداء، فلم يكمل عبارته حتّى انطلقت الرصاصات من بنادقهم الآليّة تحصد الباقين من جنود الاحتلال مع رصاصات المُقاتل الفلسطيني الأخير، الذي يجلس على ظهر المدفع الآلي المتحرك وكأنّه فارس عربي على صهوة جواده في وسط ساحة المعركة، ولكنّ للقدر رأي آخر؛ فجأة انطلقت عدّة رصاصات من أحد جنود جيش الاحتلال كان قد انسَل من مكمنه خلسة واستطاع الوصول خلف المُقاتل الفلسطيني، وأطلق رصاصات مدفعه الآلي لتخترق جسد المُقاتل الفلسطيني، ليسقط مضرّجًا في دمايه وهو ينطق الشهادة.

صرخت (آية) وخرجت من مكمنها وهي تصوّب سلاحها تجاه ذلك الجندي الإسرائيلي، وتطلق رصاصاتها هي الأخرى، ليسقط صريعًا.

ووقفت (آية) بعدها تنظر حولها، وانهمر الدمع من عينيها على المُقاتلين اللذين خضبت دماهما الطاهرة أرض المعركة، واستطاعا أن يقضيا لوحدهما بمُساعدة (أشرف) ومن معه على فرقة كاملة لقوات الاحتلال.

اقترب منها (ليان) وربّت على كتفها، وشدّ على ساعدها مُحاولًا أن يهدئ من انفعالاتها. كانَ ذلك الجندي هو آخر الجنود الأحياء في قوات الاحتلال، وتقَدّم (أشرف) منهم وقال:

- يجب أن نتحرك سريعًا حتّى لا تضيع تضحية هؤلاء الأبطال هدرًا، يجب أن نصل بأقصى سرعة إلى معبر (رفح) ونلحق بالسيد (خيري) و (نورهان) و(مسعود).

مسحت (آية) دمعها الذي غطي وجهها، وسارت في اتجاه الحدود، وخلفها (ليان) وتبعه (أشرف) الذي استدار وألقى نظرة أخيرة على جسد المُقاتل الفلسطيني وهو يقول:

- ليرحمك الله.

قالها وأسرع للحاق بهم أجمعين، ومن داخله أدرك أن المعركة لم تنتهي، وأن النصر حقًا لقريب جدًا.

الفصل السابع

عادَ (خيري) إلى الجمع بعدَ أنْ تحدّثَ إلى أحدِ مسئولِي معبرِ رفعِ وقال:

- لقد تفهم المسئولون الوضعَ ويتّم الآنَ الاتصالُ بالجانبِ المصريِ للتنسيقِ لعبورنا إلى الأراضيِ المصريّةِ.

- أنا لن أذهبَ معكم.

التفتَ الجميعُ إلى (ليان) بعدَ أنْ قالَ هذهَ الجُملةَ، وارتسمتِ الدهشةُ على ملامحِ الجميعِ، فاقتربتَ منه (نورهان) وقد اكتسَى وجهها بالذهول:

- ماذا؟!

لن تأتِي، أبعَدَ كُلِّ ما حدثَ؟

نظرَ إليها وإلى الدمعِ الذي تكوّنَ بمقلتيها:

- صدّقيني هذا أفضلُ لي على الأقل.

سقطتِ دمعةٌ حبيسةٌ حاولتِ جاهدةٌ أنْ تمنعها وقالتِ بصوتٍ مُتهذّبٍ:

- كيف هذا؟

أنتَ مصري ابن مصري، مكانك في بلد أبينا وأجدادك.

نظرَ (ليان) للأرضِ وظلَّ صامتًا لفترةٍ وأخيرًا قال:

- أعلمُ هذا، لكنني سأظلُّ من أمِّ إسرائيليّةٍ إلى الأبدِ يا (نورهان)، أعلمُ أنّني لستِ إسرائيليّةً، لم أشعر أبدًا بأيّ انتماءٍ لهذا الوطنِ المزعومِ، وأيضًا لستِ يهوديّةً، لقد توقفتِ تمامًا عن ممارسةِ الشعائرِ الدينيّةِ مُنذُ فترةٍ، بل أيضًا شرعتِ في تعلُّمِ الشعائرِ الإسلاميّةِ وأمارستها في الخفاءِ في هذا المجتمعِ.

وصمتَ قليلًا وترقّقَ الدمعُ بعينيهِ وتابعَ:

- لكنّ هُناكَ لن أكونَ مصريًّا خالصًا على الأقلِ في المجتمعِ المصريِ، دائمًا ما سيتذكّرُ النّاسُ أمّي، لهذا أفضلُ أنْ أبقى هُنا، وأقاتلِ العدوَّ من داخله، فلا أعتقدُ أنّ هُناكَ أحدٌ يستطيعُ أنْ يفهمَ هذا المجتمعَ أكثرَ مِنّي.

وارتسمتِ ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفّتيهِ وهو يقول:

- فأنا ابنه!

خيّمَ الصمتُ على الجميعِ ولم يقطعهُ إلّا صوتُ (آية) قائلةً:

- وأنا معك.

- نظرَ لها (ليان) لها في دهشة، فتابعت:
- ولن تجد أفضل مِنِّي لمُساعدتك، فأنا أحفظ هذا المجتمع عن ظهرِ قلب، وأعتقد أنَّ اثنان أفضل من واحد، أليس كذلك؟
- نظرَ لها (ليان) نظرة امتنان، ولأوّل مرّة يُدرك جمال وروعة عيناها، شعرت بالخجل لنظراته فحوّلت وجهها بعيدًا على استحياء.
- تقدّم (أشرف) من (ليان) ومدّ يده مُصافحًا وتلاقت أيديهما، وقبضَ (أشرف) على يدِ (ليان) بقوة وقال:
- حقًّا تشرفْتُ بلقائك يا بُنيّ، واعلم جيّدًا أنَّ أباك فخورٌ بك.
- أبي؟؟
- قالها (ليان) في دهشة.
- هل تعلم مَنْ هو أبي؟
- هزَّ (أشرف) رأسه وقال:
- أجل يا بُنيّ، لقد كانَ أبوكَ صديق شخصي لي.
- كان!!
- نطقها (ليان) في جزع:
- هل تقصد أنَّه؟
- هزَّ (أشرف) رأسه قائلًا:
- لا أحد يعلم يا ولدي، لا أحد، ولكنّ ما أعلمه جيّدًا أنَّه بالتأكيد فخور بك.
- انحدرت دمعة من عينِ (ليان) قد حاول كتمانها لكنّها انحدرت على وجنته دونَ رغبةٍ منه، فاستدار راحلًا وهو يقول:
- إلى اللقاء.
- قالها وانصرف مباشرةً وتبعته (آية) فأسرعت وأمسكت بيده، وسارا معًا مبتعدين.
- لماذا فعلت هذا؟
- لماذا لم تُخبره؟
- نطقها (خيري) والدمع يكاد يُغرّق وجهه .
- التفت (أشرف) إلى صديق عُمُرِه ومدّ يده يمسح دمعهُ وقال:
- هذا أفضل لهُ يا صديقي، إنَّه ذكي وأدرك ما سوف تؤول إليه الأمور لاحقًا، وبالفعل هو أفضل مَنْ يقاتل هناك داخل أرض العدو.
- ولكن هل تترك ابنك هكذا؟

- ألا تشعر بالخوف على حياته؟
أتركه يُحارب دولة كاملة بمفرده؟
قالها (خيري) بانفعال فشدَّ (أشرف) على يده وقال:
- ليس وحدهُ يا (خيري)، ليس وحده، فاللَّهُ معه، وبعدَ أن رأيتُهُ في ساحة المعركة، فأنا لا أخاف عليه، هو لها بإذن الله.
- في هذه اللحظة تعالَى صوت النداء الآلي مُشيرًا لهم بالتوجه إلى البوابة الخاصة بالعبور للأراضي المصريّة، فتحرّكت (نورهان) والدمع يُغرّق وجهها، وتبعها المُسعفين يحملونَ جسد (مسعود) على محافة طبيّة، فأشارَ (خيري) إلى (أشرف) وقال:
- هيّا بنا.
- اذهب أنت يا (خيري).
كادَ (خيري) أن يسقط أرضًا بسبب توقفه المفاجئ نتيجة الجُملة التي نطقها (أشرف)، والتفت إليه وهو فاغرا فاه.
- ماذا؟؟
- اقترب منه (أشرف) ووضع يده على كتفه ناظرًا في عينيه وقال:
- يجب أن أعود لها يا (خيري)، لا أستطيع أن أتركها بمفردها، والأفضل للجميع أن أكونَ مُختفيًا أو الأفضل أن أكونَ ميتًا.
- ولكن...
نطقها (خيري) وهو لا يجد ما يقول من هول الصدمة.
فأمسك (أشرف) بيده وصافحه وعانقه وهو يقول له:
- سوفَ نلتقي يا صديقي، أعدك سوفَ نلتقي.
- قالها وانصرف مُسرّعًا في اتجاه القطاع نفسه، ولم يترك له فرصة للكلام أو الحديث، ظلَّ (خيري) واقفًا لفترة وأخيرًا تحرّك تجاه الأراضي المصريّة والدمع ينهمر من عينيه وقال بصوتٍ ضعيف:
- إلى اللقاء.
- إلى اللقاء يا صديق العمر.
- وعلى مسافة قريبة توقف (أشرف) ينظر إلى (خيري) وهو يعبر للأراضي المصريّة، والتفت إلى الجبهة الأخرى، ورأى (ليان) و(آية) وهما يعودان إدراجهما تجاه الأراضي المحتلّة.
- إلى اللقاء يا (ليان).. إلى اللقاء يا ولدي.

المهمة



الفصل الأول

- لقد نجحت قوات الاحتلال في إلقاء القبض على (أبو رياض) وبعض من رجال المقاومة داخل القطاع.

قالها هذا الشاب الذي يحمل رتبة ملازم أول في المخابرات الحربية المصرية، ويدعى (ياسر)، وهو يقف أمام قائده المباشر داخل مبنى المخابرات الحربية بمحافظة شمال سيناء بمصر. ممّا جعل قائدة يتراجع في مقعده وقد انعقد حاجباً في قلبي وتوتر وقال:
- وهل يوجد أية معلومات أخرى عنهم؟ أو إلى أين تمّ ترحيلهم؟ أو إلى أيّ من السجون؟ أجابه (ياسر):

- حتى الآن لا توجد معلومات يا سيدي، ولكنّ المؤكّد أنّه قد تمّ إلقاء القبض عليهم، ومعهم كامل أجهزة الاتصالات وكذا حاسوبه الشخصي، وهذه معلومة مؤكّدة من مصادرنا بداخل القطاع.

ظهر التوتر أكثر على ملامح قائده، ونهض من مقعده في انفعال واضح وهو يقول:
- هذه الأخبار يجب أن تصل إلى السيد مدير جهاز المخابرات الحربية مباشرة وبسرعة. قالها وهو يخرج من مكتبه مُسرّعاً، لتنفيذ ما قاله وبسرعة، إذ يدرك أنّ لكلّ دقيقة ثمنها، وهذه المعلومات ثمنها باهظ وبشدة.

جلس السيد مدير المخابرات العامة المصرية وبجواره السيد مدير المخابرات الحربية على المائدة المستديرة الصغيرة، المُعدّة للاجتماعات المهمة الصغيرة بداخل مبنى المخابرات العامة المصرية.

يحضر هذا الاجتماع (مراد) مساعد ومدير مكتب السيد مدير المخابرات العامة وكذا الضابط (ياسر) وقائده المباشر بعد أن سافرا مباشرة للقاهرة للحضور مع السيد مدير المخابرات الحربية.

وبعد أن رحب السيد مدير المخابرات العامة بالجميع وخاصة السيد مدير المخابرات الحربية، جلسوا جميعاً حول المائدة المستديرة وبدأ السيد مدير المخابرات العامة موجّها حديثه للسيد مدير المخابرات الحربية.

- لقد اطلعت على التقرير الإلكتروني المشفر الذي أرسلته لي يا سيادة اللواء، أثناء قدومي لهذا الاجتماع، لكنّ أحتاج إلى شرح أكثر كي نستطيع أن نكون على دراية كاملة بكلّ أوجه العملية.

قالها واعتدل في مقعده وترك الفرصة للسيد مدير المخابرات الحربية الذي تحدث مباشرة دلالة على أهمية الأمر.

- حسناً، بدأ الأمر قبل يوم السابع من أكتوبر بثلاثة أيام أي في مساء الثالث من أكتوبر وقبل عملية طوفان الأقصى، كنّا على تواصل مع السيد (نور الدين الهاشمي) والمعروف كنية (أبو رياض)، وهو أحد أهم قيادات المقاومة الفلسطينية داخل قطاع غزة، وبالطبع تمّ إمداد فصائل المقاومة بكامل صور الأقمار الاصطناعية الاستخباراتية وكافة المعلومات عن غلاف غزة، وأيضاً المعلومات الكاملة عن أضعف النقاط الحدودية مع الأراضي المحتلة، وتمّ التنسيق الكامل مع قيادات المقاومة الفلسطينية، وإرسال كافة المعلومات العسكرية المتاحة لنا.

توقف السيد مدير المخابرات الحربية عن الكلام، وترك فرصة لتصل الصورة كاملة للسيد مدير المخابرات العامة الذي قال بدوره:

- اعلم يا سيادة اللواء، لقد تمّ التنسيق بين الإدارتين تمامًا قبل عملية إمداد المقاومة الفلسطينية بالمعلومات بناءً على توجيهات الرئاسة.

فتابع السيد اللواء الحديث قائلاً:

- بالضبط، ولكن ما حدث منذ ساعتين تقريباً، قد يتسبب في وضع مصر في موقف صعب سياسياً، وخاصة في ظلّ توقيع إتفاقية سلام مع دولة الاحتلال، وهو ما قد يخلّ ببنودها، وهو إمداد المقاومة الفلسطينية بمعلومات استخباراتية مهمة.

قاطعهُ السيد مدير المخابرات العامة متسائلاً:

- وكيف يمكنهم إثبات أمر كهذا؟

تراجع السيد اللواء مدير المخابرات الحربية في مقعده وقام بتشبيك أصابعه أمامه وقال:

- للأسف تمّ القبض على (أبو رياض) وبعضاً من رجال المقاومة.

مطّ السيد مدير المخابرات العامة شفّتيه وتابع:

- وليكن، هذا لا يثبت تورطنا في أيّ من هذه الأمور، وحتى لو تحدّث (أبو رياض) وإن كنت أشك في حدوث هذا؛ إذ هو رجل مقاتل وعلى استعداد أن يُضحي بحياته نفسها ولا يشي بأصدقائه.

تابع السيد اللواء حديثه ردّاً على هذه النقطة

بالفعل يا سيدي هو كذلك، ولكن نقطة القلق هو أنّه تمّ مصادرة جميع أجهزة الاتصالات، ليس هذا فحسب؛ بل جهاز الحاسوب المحمول الخاص بالتواصل مع قيادة الاستخبارات الحربية المصرية ويحوي كلّ التفاصيل والبيانات المرسلّة إلى المقاومة، بالطبع الحاسوب

مشفر ومؤمن ولكنها مسألة وقت فحسب، حتى يستطيع خبراء العدو أن ينجحوا في فك التشفير والوصول إلى المعلومات المخزنة على ذاكرة الحاسوب.

رانت فترة من الصمت بعد حديث السيد مدير المخابرات الحربية، كان خلالها يفكر السيد مدير المخابرات العامة، وهو يمسك ذقنه بيده وأخيراً تحدث قائلاً:

- حقاً الوضع صعب، وهذا قد يتسبب في وضع سياسي مُخرج للدولة المصرية، وقد يتسبب في تدمير العلاقات مع دول غربية كثيرة، وأيضاً يمكن أن يتسبب في عدم استقرار المنطقة بالكامل لسنوات طويلة.

وتابع حديثه وهو ينظر في ساعة يده:

- والتوقيت بالفعل صعب جداً، ومن الصعب إرسال أحد رجالنا الآن، ولكن اعتقد أن هناك حل، وحل سريع.

تهللت أسارير السيد اللواء مدير المخابرات الحربية وسأله في انفعال:

- حقاً؟

كيف هذا؟

ابتسم السيد مدير المخابرات العامة وهو ينظر تجاه (مراد) وأجاب:

- لنا صديق هناك في دولة الاحتلال وهو الأجدر والأنسب لتلك المهمة.

ابتسم (مراد) فقد فهم بماذا يفكر السيد مدير المخابرات العامة.

وأدرك بالفعل أنه المناسب لهذه المهمة

المُستحيلة.

الفصل الثاني

فتحت (آية) عيناها في المنزل الآمن، الذي نجت المخابرات العامة المصرية في توفيره لهم مؤقتًا بداخل تلك المنطقة القريبة من قطاع غزة داخل الأراضي المحتلة، بل أيضًا اقامت بتوفير هوية مزيفة لها ولليان.

نهضت من الفراش وخرجت بحثًا عنه، كانت الإضاءة في غرفة المكتب مُضاءة والباب غير مغلق، اقتربت من الغرفة ونظرت من خلال فرج الباب، فوجدته يقف موليًا ظهره لها، كان يُصلي، سرت كشعريرة في جسدها، فلأول مرة تراه يُصلي؛ إذ لم يتحدث معها في هذه الأمور، ولكنها لاحظت أنه يختلي بنفسه خمس مرات يوميًا، كانت تُدرك أنه بالفعل يُصلي، ولكنها لم يشأ أن يتحدث معها في هذه الأمور، واحترمت هي هذه النقطة، ولم تتحدث معه فيها مُطلقًا، وهي الآن تراه يقف في خشوع تام على سجادة صغيرة مخصصة للصلاة، وفي اتجاهٍ صحيح للقبلة، ووضع جسدي صحيح تمامًا وكأنه ولدٌ مُسلمًا!

أوشك أن ينتهي من الصلاة، فتحرّكت مبتعدة بسرعة كي لا تتسبب له في أي إحراج، وعادت إلى غرفتها مرة أخرى، وانتظرت لبضع دقائق، وخرجت مرة أخرى متظاهرة بأنها قد نهضت حالًا من الفراش، واتجهت إلى غرفة المكتب مرة أخرى، وطرقت الباب بهدوء، فإذا به يجلس أمام شاشة حاسوبه المحمول، نظر تجاه الباب وابتسم وأشار لها بالدخول:

- دخلت الغرفة وهي تُلقي تحية الصباح، فبادلها التحية وهو يبتسم قائلاً:
- المرة القادمة حاولي أن تكوني أكثر هدوءًا عندما تقتربي من باب الغرفة، قالها وضحك بصوتٍ مرتفع، ممّا جعل وجهها يحمرّ خجلًا وهمت بالنهوض خارج الغرفة، ولكنها أمسك بيدها وقال:

- أمزح معك فقط، ولا أقصد أن أتسبب لك في أي إحراج.
ابتسمت رغمًا عنها، وعادت وجلست مرة أخرى على المقعد المقابل له:

- هل تناولت إفطارك؟

فأجابها بالنفي.

- انتظرتكِ كي نتناولهُ معًا.

نهضت وهي تقول:

- حسنًا، سوف أعدّ لنا إفطارًا خفيفًا.

لم تكذ تُنهي عبارتها وقبل أن تُغادر تعالى صوت تنبيه من الحاسوب، مُشيرًا إلى وصول رسالة جديدة، هرعًا معًا إلى شاشة الحاسوب وبسرعة تحرك (ليان) وقامَ بفتح الرسالة، كانت رسالة مشفرة مما جعله يفتح تطبيق آخر خاص بالتشفير وقامَ بنسخ محتوى الرسالة إليه وانتظر لثوان قليلة حتى تمَّ فك الشفرة وظهرت الرسالة، رسالة طويلة نسبيًا، قرأها (ليان) و(آية) سريعًا.

لكنهما ظلًا فترة يُحدّقان بالشاشة بغير فهم، فما كانت تحمله الرسالة هو أمر غريب تمامًا، وهو أمر إسناد لمهمة لهما، وهما من غير العاملين بالمخابرات المصرية، وكذا ليسا من العملاء الميدانيين المختصين.

تطلب الأمر منهما عدّة دقائق كي يستوعبا الأمر، فالرسالة تحمل أمر مُباشر لهما بالتحرك سريعًا، لإستعادة الحاسوب المحمول أو تدميره مهما تكلف الأمر، لم تكن الرسالة تحوي أيّة معلومات إضافية أو تفاصيل يُمكنها أن تُساعدهما في المُهمة التي أوكلت لهما.

ظلّ (ليان) صامتًا يُفكر في فحوى الرسالة والمُهمة المطلوبة، فالمطلوب منهما يُعتبر المُستحيل بحدّ ذاته، كانَ عليهما أن يعثرا على المكان الذي سيتمّ إرسال الحاسوب إليه لفحصه، واستخراج المعلومات التي يحتويها، واقتحام المكان والعثور على الحاسوب والحصول عليه أو محو بياناته أو تدميره تمامًا في أسرع وقت.

- هذا الأمر مُستحيل تمامًا.

قالتها (آية) وهي تنظر إلى (ليان)، الذي ظلّ صامتًا يُحدّق في شاشة الحاسوب، وأخيرًا التفت إليها وقال:

- ليس مُستحيلًا تمامًا.

اتسعت عيناها في دهشة، واقتربت منه قائلة:

- هل أنت في وعيك؟

هل تُدرك ما هو المطلوب؟

إسرائيل في حالة حرب، الكلّ في حالة تأهب، ليس هذا فقط، من أين لنا أن نعلم مكان ذلك الحاسوب، وأيّ جهة هي التي ستتولّى استخراج المعلومات منه، ولو فرضنا بالفعل أن توصلنا إلى كلّ تلك المعلومات، كيف سننجح أن ندخل إلى ذلك المكان، بل أيضًا نخرج بجهاز الحاسوب أو على الأقل نقوم بتدميره.

كُلّ هذا في أسرع وقت!!!

واعتدلت للخلف مرّة أخرى، وتابعت:

- هل تُدرك حجم الصعوبة التي بها الموضوع؟

- ابتسم وهو يسترخي في مقعده أكثر ويضع إحدى قدميه على الأخرى دلالة على الثقة:
- ولكنه غير مُستحيل يا عزيزتي.
اتسعت عيناه أكثر من الدهشة، فتابع هو:
- لنقوم بتقسيم المهمة إلى عدة نقاط، أولها العثور على الحاسوب ومكان فحصه، ثانيًا دراسة المكان جيدًا والاحتياطات الأمنية المحيطة به، ثالثًا دراسة العاملين بهذا المكان.
كان يتحدث بمنتهى الهدوء والثقة، وكأنه يشرح لها مخططاته لنزهة لطيفة، وأتبع حديثه بأن اعتدل أمام شاشة حاسوبه وشرع في البحث.
يتحدث وهو يعمل على شاشة الحاسوب.
- يجب أولًا أن نُحدّد أين يُمكن أن يذهب المعتقلين، وأي سجن سوف يتم إيداعهم فيه.
تساءلت (آية):
- ومماذا قد يُفيد هذا؟
ابتسم وهو يتابع البحث:
- يجب أولًا أن يتم إيداع المساجين ومعهم ما تم إمساكه من مُتعلّقات وأحراز إلى السجن المُخصّص لهم، وبعدها يتم خروج تلك المُتعلّقات والأحراز إلى جهة الفحص.
هذه المعلومة أعتقد سهل الحصول عليها، عن طريق الموقع الرسمي المُختص بالتنسيق بين قوات الجيش والشرطة الإسرائيلية.
قالها وهو بالفعل يقوم بفتح صفحة الدخول لقوات الشرطة والخاصة بعمليات التنسيق، وشرع في فتح منفذ لإختراق الخادم الرئيسي للموقع والولوج إلى البيانات المخزنة عليه، كانت أصابعه تعمل بمهارة وإحترافية شديدة وكأنه عازف ماهر يعزف مقطوعة موسيقية يحفظها عن ظهر قلب، ولم تمضي دقائق قليلة إلّا ولمعت في عينيه نظرة ظفر.
ونظر إليها وقال:
- طبقًا للسجلات الخاصة بموقع الشرطة وتنسيقاتها مع قوات الجيش الاسرائيلي، في تمام الساعة السابعة صباحًا قامت قوات شرطية بسيارة كبيرة بالتحرك تجاه غلاف غزة، وتسلّمت شحنة من القوات العسكرية، وطبقًا لخط السير فتم تسليم الشحنة الساعة التاسعة والنصف صباحًا إلى سجن نفحة شديد الحراسة، والذي يبعد مسافة مائة كيلومتر عن قطاع غزة، وأيضًا مسافة مائتي كيلومتر تقريبًا عن القدس.
نظر في ساعة يده والتي تُشير إلى الساعة الحادية عشر والنصف صباحًا وقال:
- لو تحرّكنا الآن مباشرة يُمكن أن نصل قبل الساعة الواحدة ظهرًا.
كانت تنظر إليه في إندهاش ولا تتحدّث، فنظر إليها وقال:

- هل أنت بخير؟
ضحكت وقالت له:
- لا، فقط لا استوعب ما تقول، هل تنوي أن تهاجم سجن؟
وليس أي سجن بل سجن شديد الحراسة أيضًا؟
كانت تنظر له في ذهول، فابتسم وهو يتناول سترته ويرتديها وتابع قائلاً:
- ومن قال أنه لا بُدَّ أن نهاجم السجن نفسه؟
أقرب مختبر للفحص في القدس، وطبقًا للتحركات، لم تخرج أي سيارة حتى الآن من سجن
نفحة تجاه القدس، إذًا مازال الحاسوب هناك، ولا بُدَّ أن يخرج إلى الفحص فيجب أن نسرع.
تستمع له في انبهار، وتنظر إلى ملامحه التي تكسوها الجدبة، وتابع هو:
- يكفي فقط يا عزيزتي أن ننجح في السيطرة على السيارة التي تحتوي على الحاسوب
والمعدات.
- أخذ يتحدث ويشرح لها الموضوع، وكأنه يتحدث عن نزهة صباحية بسيطة في أجواء
مشمسة، فأمسكت يده بانفعال وكادت أن تصرخ:
- هل أنت في كامل قواك العقلية؟
هل تخطط أن تسيطر على سيارة مصفحة بها مجموعة من جنود الحراسة على أهبة
الاستعداد وبكامل تسليحهم، ونحن فردان فقط ولا نملك أية أسلحة تقريبًا؟
ضحك بصوت عالٍ واقترب من وجهها وقال بهدوء وهو يبتسم:
- أولًا واحد ونصف فقط يا عزيزتي، ثانيًا من قال أننا لا نملك أسلحة؟
إننا نملك سلاح رهيب لا يمتلكه أحد غيرنا.
كانت تقف فائرة فاهًا في ذهول وتساءلت:
- أين هذا السلاح؟
أجابها وهو يشير بيده إلى رأسه:
- هذا يا صديقتي.. سلاح العقل.
قالها واستدار ليخادر ولحقت به بسرعة، وهي تقول بصوت خفيض:
- وهو ما أحببتك من أجله.
وانطلقا لتنفيذ المهمة.. المهمة المستحيلة.

الفصل الثالث

وقفَ المُجَنَّد الصهيوني يُراقب الطريق الضيّق المؤدّي إلى ذلك الباب الخلفي لأحد ممرّات سجن نفحة، وهو ينفث دُخان لُفافة التبغ التي يشربها خِلسة بعيدًا؛ إذ من الممنوع منعًا باتًا أن يترك مكانه أثناء فترة الخدمة، وخاصّة في هذا التوقيت بسبب الحرب القائمة والمُشتعلة، لكنّه كاد أن يُجنّ من قِلّة النيكوتين في دمه، ممّا جعله يتسلّل إلى ذلك المكان في هدوء، مُحاولًا الحصول على بعض الوقت للتدخين.

- لو رآكَ القائد لوضعكَ بالسجن الحربي جزاء ما تفعل الآن يا (جاكوب).

التفتَ (جاكوب) مُسرّعًا للخلف تجاه مصدر هذه العبارة، وزفرَ في ارتياح وهو يقول:

- أنتَ يا (راوؤل) لقد أفزعتني يا صاح، لقد تخيلت للحظة أنّكَ القائد.

ضحك (راوؤل) وهو يقترب منه ويربت على كتفه قائلاً:

- لو كنت القائد يا صديقي لكنتَ سجينًا بالفعل الآن، هيّا، كنت أبحث عنك، لقد صدرت لنا الأوامر بالتحرك إلى المختبر التكنولوجي التابع (للموساد) في (أورشليم) على متن الحافلة رقم (٥١٨) مع باقي أفراد الوحدة لتأمين الشحنة.

ألقى (جاكوب) لُفافة التبغ وضغط عليها بقدمه مُطوّلًا، ليتأكد أنّها قد فقدت كلّ أثر للاشتعال، ونظر لصديقه وقال:

- وما هي الشحنة هذه ك المرة؟

أرجو ألا تكونَ قنابل ومُتفجرات مثل آخر مرة، فلم أدّق النوم لمدة ثلاثة أيّام متتالية بعدها من شدّة الخوف أثناء نقلنا لتلك المُتفجرات التي عثروا عليها داخل قطاع غزة.

أشارَ له (راوؤل) بإتباعه وقال:

- لا أعتقد يا صديقي، فتلك المرة أسهل بكثير لأنّها مُعدّات اتصال وأجهزة حاسوب فقط، فالأمر برؤمته لن يستغرق أكثر من ساعتين فقط، وهو وقت الرحلة ذهابًا وإيابًا، يُمكنك اعتبارها نزهة صغيرة يا صديقي.

قالها وتبادلًا الضحكات، وهما يسيران عائدين إلى باقي الفرقة ليستعدا لنقل تلك الشحنة إلى معمل الفحص الخاصّ بها، كانا يسيران بتراخٍ وهدوء فالأمر بالنسبة لهما يُعدّ مُجرّد نزهة صغيرة بالفعل.

لكنّ هذه المرة لن تكونَ كذلك.. أبدًا.

لقد وصلت رسالة مشفرة يا سيّدي من الأراضي المُحتلّة.

قالها (مراد) وهو يقف أمام السيّد مدير المخابرات العامة الجالس خلف مكتبه الضخم، والذي رفعَ عينيه عن الملف الذي يُطالعهُ بيدهِ وسألهُ:

- هل تحمل أيّ أخبار جيدة؟

هزّ (مراد) رأسه وهو يقول:

- لا أعتقد يا سيّدي، فقط ردّاً على الرسالة المشفرة التي قمنا بإرسالها إلى (آية) و(ليان)، لقد أرسلنا أنّهما قد استلما التعليمات وتحركا بالفعل لتنفيذ الأوامر، هذا هو كلّ ما قاما بإرساله حتّى الآن.

مطّ السيّد مدير المخابرات العامة شفّتيه، وأشار له قائلاً:

- حسناً يا (مراد)، اذهب أنت الآن، وقمّ باطلاعي على كلّ المُستجدات في حالة وصول أيّة معلومات جديدة.

قالها وعادَ مرّةً أخرى ينظر إلى الأوراق التي يُطالعها، ولكنّه عادَ مرّةً أخرى ونظرَ إلى (مراد)، الذي لم يُغادر وظلّ واقفاً فقال له:

- ماذا هناك يا (مراد)؟

هل هناك ما تُريد إخباري به؟

تردّد (مراد) قليلاً فتابع السيّد مدير المخابرات كلامه قائلاً:

- تحدّث يا (مراد)، هل هناك ما تودّ إخباري به؟

أجابهُ (مراد) بعد فترة من الصمت:

- الحقيقة نعم يا سيّدي.

هناك بعض النقاط لم أستطيع أن أتجاوزها، وحاولت مراراً وتكراراً أن أنفذ فقط التعليمات التي تقوم سيادتكم بإسنادها لي، ولكنّ هناك بعض النقاط كنت أريدُ إيضاحها.

قال هذه العبارة وظلّ صامتاً فابتسم السيّد مدير المخابرات العامة وقال:

- (ليان)؟

أليس كذلك؟

هزّ (مراد) رأسه بالإيجاب وقال:

- أجل يا سيّدي، كيف تولّيه هذه الثقة وهو يهودي؛ ليس هذا فحسب، بل وإسرائيلي أيضاً؟!

اتسعت ابتسامة السيّد مدير المخابرات وأشارَ إلى (مراد) بالجلوس أمامه، تردّد (مراد) قليلاً ولكنّه أطاع الأمر في النهاية، وجلس على المقعد المواجه لمكتب السيّد مدير المخابرات مباشرة، الذي تحدّث بدوره قائلاً:

- معك كُلُّ الحقِّ يا (مراد) فيما تقول، ولكنْ لنعودَ إلى الأمر من بدايته، وكيفْ أنقذَ (زينة) وأبيها الشيخ (دياب)، ونجحَ في إخراجهما من الأراضي المُحتلَّة إلى الأراضي المصريَّة؟! وبعدها كادَ أَنْ يُضَحِّيَ بحياته لِإنقاذِ العميلة المصريَّة هُناك (نورهان)، وعضو المقاومة الفلسطينيَّة (مسعود) وكذا السيّد (خيري)، كما نجحَ أيضًا في إنقاذهم جميعًا وأرجعهم سالمين إلى الأراضي المصريَّة، ليسَ هذا فحسب؛ بل نجحَ في إختراق الخادم الرئيسي للموساد، وأشعلَ حربًا في شوارع إسرائيل كُلِّها بمعاونة العميلة (آية)، فهل بعدَ كُلِّ هذا تشكُّ في إنتمائه وميوله؟؟؟

حسنًا، لن نقول انتماء، ولكنْ على الأقل دوافعه وخاصَّة بعدَ أَنْ عَلِمَ حقيقة أباه. قالها وصمت وهو يرسم ابتسامة هادئة على وجهه، وأشارَ مرَّةً أُخرى لمراد بالانصراف وهو يقول:

- اطمئن يا (مراد).. اطمئن، وهبًا اذهب إلى مكتبك وأخبرني بِكُلِّ المُستجدات. انصرفَ (مراد) مباشرة بعدَ هذه الجملة، تاركًا خلفه السيّد مدير المُخابرات شاخص البصر تجاه نافذة مكتبه وهو يقول:

- اطمئن يا (مراد) فذاك الشبل من ذلك الأسد.. اطمئن.

قالها وهو يتذكَّر الأحداث الماضية بِكُلِّ تفاصيلها ويبتسم.

الفصل الرابع

- لقد مللتُ هذه الوظيفة.

قالها (جاكوب) وهو جالس بجوار صديقه ورفيقه (راوؤل) في السيارة المصفحة الخاصة بنقل العتاد والجنود بين السجون، وبعد أن اصطف آخر جندي في مقعده تحركت الحافلة بهم، كانوا ستة جنود مُصطفين صفين متواجهين على جانبي الشاحنة، وتابَعَ بصوتٍ خفيض: - لا أحداث جديدة، ولا أي تغيير في أوضاعنا المعيشية أو المادية، حقًا إنني أفكر جديدًا بترك هذا العمل الممل والبحث عن أي عمل آخر، يُمكن أن يُساعدني على كسر هذا الروتين والرتابة القاتلة.

- أخفِض صوتك يا صديقي، فلو سمعَ أحد ما تقول لجلست بجوار زوجتك في المنزل اعتبارًا من الغد، فأنْتَ تعلم طبيعة هذا المجتمع الذي نعيش فيه، والذي لا يُبقي على أحد، فظاهريًا ترانا باقي الشعوب ككتلة واحدة وكيان مُتماسك ولكن الحقيقة خلاف هذا تمامًا. نحنُ كقطيع من الضباع ينهش كُل واحد أخاه إن استطاع، فنحنُ أقرب إلى المئمة فرقة ونحيا حياة كُلها طبقية وصراعات وتمييز بكُل شكل ولون وعرق، حتى أبناء المذهب الواحد يتميزون عن أقرانهم بنسبهم.

صمتَ (راوؤل) بعدَ هذه العبارة التي قالها لصديقه (جاكوب) وظلَّ صامتين لفترة، حتى قطعَ هذا الصمت صوت قائد المركبة مُتحدثًا من خلال سماعتها الخاصة المُدمجة في الزي العسكري لهما، يُخبرهما بتعديل خط السير، حيثُ كانَ المفروض السير في طريق رقم (أربعون) السريع، ولكن نظرًا لبعض الإصلاحات فيه، تمَّ تحديث خط سير الرحلة على الحاسوب، لذا سوف نسلك طريق (مائتين وأربعة) لمسافة عشرين كيلو متر فقط، ومن بعدها نتخذ طريق (مائتان وأربعة وعشرون) لنعود مرةً أخرى للطريق الرئيسي، وعاد الصمت ليُخيم على الجميع مرةً أخرى، فنظر (جاكوب) إلى صديقه (راوؤل) والدهشة تكسو ملامحه.

- غريب هذا الأمر!!

أليس كذلك؟

تقريبًا أوّل مرة يحدث هذا؟

مطّ (راوؤل) شفّتيه قائلاً

- لا أعتقد هذا يا صديقي، قد تكون إصلاحات ضرورية أو مُفاجأة.

قاطعه (جاكوب) قائلاً:

- ومُنذ متى يحدث هذا؟

وخاصة في الطرق الموثمة التي يستخدمها الجيش والشرطة؟!

ضحك (راوؤل) ونظر إلى صديقه ومال على أذنه قائلاً:

- اهدأ يا صديقي، وماذا قد يحدث؟

كثرة الأفلام الأمريكية التي تُشاهدها قد أثرت على عقلك، فنحن في مهمة بسيطة لتوصيل

بعض المضبوطات إلى جهة الفحص فقط، فماذا قد يحدث؟

وهل تعتقد أن هناك أية جهة أو أي أحد يستطيع أن يواجه فرقة من الحراسات لقوات

الدفاع الإسرائيلية يا صديقي؟!

نظر له (جاكوب) وقال أخيراً:

- معك كُل الحق، لا أحد يستطيع.

قالها واسترخى في مقعده أكثر وأكثر.

أغلق (ليان) شاشة حاسوبه المحمول ووضعها في حقيبة ظهره ونظرَ تجاه (آية) وقال:

- حسناً، لقد تمَّ تغيير خط سير الرحلة بالفعل، وتمَّ تحريك الشاحنة إلى طريق (ماتين

وأربعة) والآن حان دورك يا صديقتي العزيزة.

ابتسمت (آية) التي كانت ترتدي زي رجال شرطة المرور لدولة الاحتلال، ووضعت الخوذة

الخاصة بها وهي تقول:

- لا تقلق يا صديقي، فأنا لها بإذن الله.

وامتطت دراجتها النارية التي قامت بتركيب لوحات خاصة بشرطة المرور، أحضرها لها أحد

الشباب المناضلين مع هذا الزي، كانا قد حصلا عليه من الهجوم على أحد الأكمنة المروية

الخاصة بدولة الاحتلال.

وانطلقت بعد هذه الجملة مباشرة، لتصل للنقطة المتفق عليها قبل وصول الشاحنة، وتحركَ

هو الآخر في هذه السيارة، التي كانا قد عادا بها من أثناء العودة من قطاع غزة إلى داخل

الأراضي المحتلة.

وانطلقت بدراجتها بمهارة فائقة تنهب الأرض نهياً، وبسرعة كبيرة حتَّى وصلت إلى منتصف

الطريق، وتحديداً النقطة المتفق عليها وقامت بإيقاف الدراجة النارية جانباً، ووضعت أقماع

مروية بغرض إغلاق الطريق، ووقفت تنتظر مرور الشاحنة.

ترتدي الزي الشرطي وكذا عوينات شمسية تُعطيها مظهر رهيب، يضيفي جمالاً على جمالها،

ولم تضي مدة طويلة حتَّى لاحت الشاحنة في الأفق، تقدّمت من منتصف الطريق وأشارت

لها بعضى الشارة المروريّة بالتوقف، وبالفعل توقفت الشاحنة تمامًا، واقتربت من النافذة المجاورة للسائق وبلغت عبريّة سليمة تمامًا.

- عمت صباحًا يا سيّدي.

أجابها السائق بتحيّة برأسه فقط، فتابعت حديثها:

- أرجو منك تَوْخّي الحذر فعلى مسافة كيلو متر من هنا يوجد بعض الإصلاحات بالطريق أيضًا، فتشبهوا جيّدًا بالسيارة في حالة وجود جنود آخرين معك.

هزّ السائق رأسه وشكرها وتحركّ بالسيارة، وفي جزء من الثانية وبحركة بدت وكأنّها عفويّة، التفت خلف السيارة قبل التحركّ وألصقت بها جهاز بحجم صندوق صغير، كأنّ خلف ظهرها مثبت في ملابسها بحيث لا يراه إلاّ مَنْ يقف خلفها، وابتسمت وهي تُشاهد الشاحنة تبتعد.

في هذه الأثناء كانَ السائق يُعطي تعليماته للجنود بالإمساك جيّدًا في الأذرع المعدنيّة بالشاحنة في الخلف؛ لمرورهم في منطقة غير مُمهدة.

أثناء هذا أخرجت (آية) جهاز لاسلكي صغير من طيّات ثيابها، وانتظرت حتّى وصلت الشاحنة إلى مسافة مُعيّنة وقالت:

- الآن.

ومُجرّد أنْ قالتها حتّى حدثَ صوت قرقعة، وكأنّه تفريغ شحنة كهربائيّة عملاقة، ولم يمضي على قولها هذه الكلمة ثوانٍ معدودة إلاّ وتوقفت الشاحنة تمامًا.

ضحكت ضحكة طفوليّة وامتنعت الدراجة الناريّة، وانطلقت مُسرعة تجاه الشاحنة التي كانت توقفت تمامًا، ويُخيّم عليها الصمت.. صمت رهيب ومُमित.

الفصل الخامس

- سيدي، هُناك أمر هام للغاية.
- قالها (باروخ) متوترًا وهو يقف أمام مكتب السيد (يوسي)، الذي أشار له بالدخول وقال له:
- هات ما عندك يا (باروخ).
- تردّد (باروخ) قليلاً ثمّ أجاب:
- لقد تمّ رصد اختراق للسيفر الخاصّ بالتنسيق بين قوّات الشرطة وقوّات جيش الدفاع، ليس هذا فحسب؛ بل وتمّ تغيير خطّ سير إحدى الشاحنات الخاصّة بنقل المحتجزين والمضبوطات من الطريق الرئيسي رقم (أربعون) إلى الطريق الفرعي رقم (مائتان وأربعة). مطّ السيد (يوسي) شفّتيه في تعجب واستهجان:
- ولماذا؟
- ماذا قد تريح أو تستفيد أيّة جهة من هذا العمل؟
- هل السيارة كانت تحمل أيّ سجناء مثلاً؟
- هزّ (باروخ) رأسه بالنفي، وقال:
- لا يا سيدي، فقط بعض المضبوطات في طريقها للفحص في المعمل الخاضع للموساد في (أورشليم)، وقمنا بفحص كافة سجلات الرحلة، وعملية القبض على مالكي تلك الأغراض ولكنّ كلّ الأمور الأخرى طبيعية تمامًا، وحتىّ طبيعة الأغراض عاديّة جدًّا ولا تحتوي شيء يثير القلق.
- تراجع السيد (يوسي) قليلًا في مقعده مُفكرًا وأخيرًا قال:
- أعطني بسرعة قائمة بالمحتجزين وأين تمّ القبض عليهم، وقائمة تفصيليّة بالمضبوطات.
- أجابهُ (باروخ) سريعًا:
- لقد أرسلت بالفعل هذه القوائم إلى جهاز الحاسوب الخاصّ بسيادتك قبل القدوم مباشرة إلى هنا.
- لم يُهمله (يوسي) فرصة ليكمل حديثه، بل شرع في تصفح الملفات على حاسوبه، ولم تمضي دقيقتان حتّى نظر إلى (باروخ) وعلى ملامحه ظهر الغضب وصرخ به:
- أرسل تحذير سريع لتلك الحافلة، وأرسل فرقتين أو ثلاثة بأقصى سرعة لتأمين الشاحنة في الحال.

ظَهَرَ الجَزَعُ عَلَى وَجْهِ (باروخ) وَازْدَرَدَ لَعَابُهُ بِصُعُوبَةٍ وَهُوَ يَسْأَلُ السَّيِّدَ (يُوسَى):
- مَاذَا حَدَثَ يَا سَيِّدِي؟

صَرَخَ بِهِ (يُوسَى):

- إِنَّهَا الْمَخَابِرَاتُ الْمِصْرِيَّةُ أَتِيهَا الْأَحْمَقُ، تِلْكَ الْأَغْرَاضُ خَاصَّةً بِالْمَدْعُو (أَبُو رِيَاض) الْمُنَاضِلِ الْفِلَسْطِينِي بِقِطَاعِ غَزَّةَ، وَالَّذِي نَجَحْنَا بِإِلْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ هُوَ وَبَعْضُ مَنْ رَجَالَ الْمَقَاوِمَةِ هُنَاكَ الْيَوْمَ صَبَاحًا، وَهُوَ حَلْقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْمَخَابِرَاتِ وَالْحُكُومَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمُقَاتِلِينَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ، وَمَنْ ضَمَّنَ تِلْكَ الْأَغْرَاضَ حَاسُوبُهُ الشَّخْصِي الَّذِي بِالتَّأَكِيدِ يَحْتَوِي عَلَى مَعْلُومَاتٍ تُدِينُ الْحُكُومَةَ الْمِصْرِيَّةَ، وَتُثَبِّتُ تَوَرُّطَهَا فِي مَسَاعِدَةِ الْمَقَاوِمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ، وَهُوَ مَا جَعَلَ الْمَخَابِرَاتِ الْمِصْرِيَّةَ تَتَحَرَّكُ سَرِيعًا لَمَنْعِ وَصُولِ ذَلِكَ الْحَاسُوبِ إِلَى مَعَامِلِ الْفَحْصِ بِأَيِّ ثَمَنٍ.

هَيَّا تَحَرَّكْ سَرِيعًا لِتَنْفِذَ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ.

غَادَرَ (باروخ) مُسْرِعًا مَكْتَبَ السَّيِّدِ (يُوسَى) الَّذِي احْمَرَّ وَجْهُهُ مِنَ الْغَيْظِ، وَكَادَ أَنْ يَنْفَجِرَ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ، وَصَرَخَ وَضَرَبَ سَطْحَ الْمَكْتَبِ بِيَدِهِ بِقُوَّةٍ.

- مَازَلْتُ تُدْهَشُنِي بِطَرِيقَةِ تَفْكِيرِكَ وَتَنْفِذِكَ الْأُمُورِ.

نَطَقَتْهَا (آيَةُ) وَهِيَ تَقِفُ مَعَ (لِيَان) أَمَامَ الشَّاحِنَةِ الَّتِي يُخَيِّمُ عَلَيْهَا الصَّمْتُ، وَلَا يَبْدُو عَلَيْهَا أَيُّ أَثَرٍ لِلْحَيَاةِ.

مِمَّا جَعَلَهُ يَضْحَكُ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ:

- هَيَّا، لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتُ طَوِيلٍ، يَجِبُ أَنْ نَتَحَرَّكْ سَرِيعًا قَبْلَ أَنْ يَفِيقَ الْجُنُودُ مِنْ أَثَرِ الصَّدْمَةِ الْكَهْرِبَائِيَّةِ.

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي إِعْجَابٍ وَقَالَتْ:

- تَتَحَدَّثُ وَكَأَنَّهُ أَمْرٌ بَسِيطٌ، بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَخْبَرْنِي يَا صَاحِبَ كَيْفَ فَعَلْتَهَا؟

نَظَرَ إِلَيْهَا وَلَمَّاحَهَا الطَّفُولِيَّةَ وَنَظَرَةً عَيْنِيهَا، الَّتِي طَالَمَا حَاوَلَ كَثِيرًا أَنْ يَتَفَادَاهَا؛ إِذْ كَانَ يَشْعُرُ بِهَا تَخْتَرِقُ جَسَدَهُ وَعَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، خَرَجَ مِنْ شُرُودِهِ سَرِيعًا وَقَالَ:

- حَسَنًا، سَوْفَ أَخْبَرُكَ سَرِيعًا، أَوَّلًا بَعْدَ أَنْ نَجْحَنَا فِي تَغْيِيرِ خُطِّ سَيْرِ الرِّحْلَةِ إِلَى ذَلِكَ الطَّرِيقِ الْجَانِبِيِّ، تَبْقَى فَقَطْ أَمْرٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ الْعَثُورُ عَلَى نَقْطَةِ بَهَا الطَّرِيقِ غَيْرِ مُمَهَّدَةٍ تَمَامًا، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ سِوَى الْوَلُوجِ إِلَى الْخَادِمِ الْخَاصِّ بِهَيْئَةِ الطَّرِيقِ الْخَاصَّةِ بِدَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ، وَالْبَحْثُ عَنِ الْبَلَاغَاتِ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَبِالْفَعْلِ كَانَتْ تِلْكَ الْمَنْطَقَةُ قَدْ تَمَّ الْإِبْلَاغُ عَنْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْأُسْبُوعَ الْمَاضِي بِوُجُودِ مَشَاكِلَ فِي الطَّرِيقِ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ بِهِ بَعْضُ التَّنَوُّاتِ وَالْحَفْرِ فِي تِلْكَ الْمَنْطَقَةِ.

قاطعتهُ مُتسائلة:

- ولماذا قد تُفقد معلومات مثل هذه؟

ضحك وأجاب:

- هذه هي المعلومة المهمة المطلوبة، فالجهاز الذي نجحتِ أنتِ في زرعهِ ببدن الشاحنة يطلق شحنة كهربائية عالية الجهد، تكفي لإفقاد فيل وعيه وكذلك في حرق حاسوب السيارة تمامًا وجعلها تتوقف عن الحركة، ولكنْ كانَتْ هناك مشكلة واحدة، وهي الزي العسكري الخاص بالمُجندين، فالزي العسكري وخاصة الحذاء يحميهم من مثل هذه الصدمات الكهربائية، فكانَ لا بُدَّ وأن يتم الاتصال جسديًا بينهم وبينَ بدن الشاحنة، ولا بُدَّ من المرور بمنطقة غير مُمهدة تمامًا، مما يستوجب أن يتمسك كُل فردٍ منهم بالمقابض الحديدية المثبتة داخل السيارة؛ كي لا يسقط.

- وهو ما حدث بالفعل، وعندَ هذه النقطة تحديدًا أخبرتيني أنتِ بموقعهم فأطلقت الشحنة ونجحت الفكرة، وكلهم الآن فاقدين وعيهم تمامًا بالشاحنة، ولا يتبقى الآن إلا أن نقوم بفتح الشاحنة، والحصول على الحاسوب والمغادرة سريعًا.

هل من أسئلة أخرى؟

ابتسمت في إعجابٍ متزايد وأجابت:

- أجل، كيف ستنجح في فتح الشاحنة وكُل أقفالها الإلكترونية، وقد احترق الحاسوب الخاص بها تمامًا بفعلِ الشحنة الكهربائية العالية؟

قالتُها وهي تعقد ذراعيها أمامها في تحدٍّ، مما جعلهُ يبتسم ويقترُب منها في تحدٍّ واضحٍ وقال:

- لا تقلقي، لقد خطّطت لكل هذا.

أنهى عبارته وتحرك بالفعل، وقام بالهبوط أسفل الشاحنة من الأمام، وظلَّ يعبث بتوصيلاتها حتّى عثر على مُبتغاه، وهي الحبل الرئيسي المُرتبط بحاسوب السيارة، وقامَ بتمزيقه وإخراج بعض الأسلاك الرفيعة منه، وقامَ بإيصالها بالترتيب على بطارية السيارة حتّى سمع صوت تكة، فنظرَ لها وغمزَ بعينه قائلاً:

- لقد تمّ.

تحركَ مُسرّعًا إلى الباب الخلفي للشاحنة وفتحهُ وصعد إليها وهي تتبعه، فوجدا الجنود وقد سقطوا أرضًا بعد أن فقدوا الوعي تمامًا، وكانَتْ المضبوطات كُلّها في منتصف الشاحنة مُغلّفة ومُعبّئة في صناديق خاصة تحميها من الصدمات، فأسرعا معًا في فتح صندوق ويليهِ آخر حتّى عثرا على مُبتغاهما، فخرجا من الشاحنة مُسرعين، واتجهت هي إلى الدراجة النارية

ووضعت الحقيبة التي بها الحاسوب خلف ظهرها، وهو إلى السيارة التي أقي بها وكانت متوارية خلف إحدى التباب الرملية القريبة، وانطلقا للإبتعاد عن المنطقة تمامًا. وفجأة لاحت في الأفق طائرة عمودية تطير في اتجاه الشاحنة. كان الطريق بين صحراء شاسعة لا يوجد بها أي مكان للإختباء، فتمّ رصدهم بسهولة، وبالفعل تحركت الطائرة باتجاههما، واتخذت وضعية هجومية. وانطلقت الرصاصات تنثر الرمال من حولهما واشتعلت المعركة.

الفصل السادس

- لقد حدث بالفعل ما توقعت يا سيّد (يوسي)، وتعرّضت الحافلة إلى هجوم، وجاري الآن التعامل مع الخلية المُنفذة للهجوم من قِبَل إحدى طائراتنا الخاضعة لسلّاح الجوّ الإسرائيلي. قالها (باروخ) وهو يقف أمام السيّد (يوسي) الذي يستمع له باهتمام وقال:
- وهل توافرت أيّة معلومات عن مُنفذي الهجوم، عددهم، تسليحهم، انتمائهم؟ هزّ (باروخ) رأسه نافيّاً:
- للأسف يا سيّدي، لكنّ المؤكّد حتّى الآن أنّه لم يتمّ استخدام أيّة أسلحة في الهجوم على الحافلة، ولم يتمّ رصد أيّ التحامات سواء من قِبَل مُنفذي الهجوم، أو القوات المتواجدة بالحافلة لتأمينها.
تراجع السيّد (يوسي) في مقعده مُفكراً فيما يقول مُساعده:
- ما هو التقرير المبدئي الذي أرسله الطيّار؟ أجابه (باروخ):
- تمّ رصد دراجة ناريّة وسيارة صغيرة في موقع الهجوم على الحافلة. مال السيّد (يوسي) للأمام عند هذه النقطة وقال:
- (ليان)!!
اتسعت عينا (باروخ) عندما ذكر اسم (ليان) وقال:
- مُستحيل!!!
نظر له السيّد (يوسي) وهو يبتسم بركن فمه ببسمة ساخرة وقال:
- أكاد أجزم أنّه هو، وسوف يثبت كلامي هذا لاحقاً، والآن أرسل إشارة عاجلة بالدفع بطائرتين أخريّتين في الحال.
أريد السيطرة التامة والقضاء على أفراد هذا الهجوم، لا أريدُهم أحياء أبداً. قالها وقد تحوّلت عيناه إلى اللون الأحمر من الغضب.. أحمر بلون الدماء.
فجأة تحوّلت الصحراء إلى ساحة قتال، انطلقت الطائرة العموديّة خلف سيارة (ليان)؛ إذ كان الهدف الأسهل لها بالتأكيد، وهو ما أدركه (ليان)، فالسيارة مهما كانت سرعتها أو صغر حجمها إلا أنّها الأصعب في المناورة وخاصّة في هذه الرمال، وهو ما طمأن (ليان) في الحقيقة، لأنّه أدرك أنّه بهذا يُعطي فرصة لأيّة أن تبعد قدر المُستطاع، وبالفعل تحرّك بالسيارة مُنتهي البراعة وفي اتجاه مُخالف لاتجاه (آية)، وخلفه انطلقت المروحيّة، كان يناور مُنتهي

البراعة والحرفية في القيادة، بقدر ما تسمح له طبيعة الأرض، وقد ظهرت براعة الطيار الملاحق له بالطائرة حين استطاع أكثر من مرة أن يُصيب بدن السيارة برصاصاته، وهو ما أثار القلق في نفس (ليان) وجعله يدرك استحالة فوزه في هذه المنافسة، وفكر سريعاً وبالفعل اتخذ قراره بالمواجهة، وأمسك بذراع مكايح السدّ بالسيارة، وهو يُدير عجلة القيادة إلى أقصى اليسار، مما جعل السيارة تلتف بغتة مثيرة عاصفة رملية رهيبية وصلت إلى الطائرة المروحية، فجعلت الطيار يرتفع بالطائرة بغتة تفادياً لهذه الرمال.

وهذا ما يُريده (ليان) الذي هو الآن في مواجهه الطائرة مباشرة، وانطلق في اتجاهها بأقصى سرعة تسمح بها الرمال.

أخذ قائد الطائرة يُحاول السيطرة والعودة إلى وضعه السابق بعد أن جذب عصي التحكم للخلف، مما جعله يرتفع بغتة مُتفادياً العاصفة الرّابية التي أثارها (ليان) بسيارته، وفي نفس اللحظة ضغط (ليان) مكايح السيارة مُتوقفاً بغتة.

هبط مُسرّعاً منها أسفل الطائرة وانطلق في اتجاه الشاحنة الخاصة بقوات الشرطة، كانت قد لمعت في عقله فكرة وشرع في تنفيذها بالفعل.

ومن بعيد توقفت (آية) بالدراجة النارية واستدارت تُتابع ما يحدث، وأدركت أنه يُضحي بحياته من أجل حمايتها، ولم تقف كثيراً عند هذه النقطة بل استدارت بالدراجة النارية هي الأخرى وانطلقت في اتجاه الطائرة و (ليان) .

قد وصل (ليان) في هذه اللحظة خلف الشاحنة، واتخذ منها ساتراً يحجب مكانه عن قائد الطائرة، الذي ارتفع للأعلى قليلاً ليكشف أكبر رُقعة من الأرض أسفله، وتوقف عن إطلاق النيران خوفاً على حياة زملائه في الشاحنة، فلم يكن يعلم أنهم أحياء أم أموات؟

تسلّل (ليان) إلى الباب الخلفي للشاحنة؛ حيث الجنود فاقدى الوعي ومعداتهم، تفحص المعدات جيّداً وتناول لفة من الحبال المُخصّصة للتسلّق أو التقييد أو جَرّ المُعدات، وأمسك إحدى حقائق نقل المضبوطات وربط طرف الحبل بها، وحملها وخرج مُنسلّاً من الشاحنة، وتسلّق جانب الشاحنة بهدوء ونظرَ إلى موضع الطائرة جيّداً، وانتظر اللحظة التي أولاً فيها قائد الطائرة ظهره بالطائرة، بحثاً عنه في الجهة المُقابله، وقفز (ليان) ليعتلي سطح الشاحنة وبحركة واحدة أطاح بالحقبة إلى الأعلى في اتجاه مروحة الذيل الخاصة بتوجيه الطائرة، وقد أصابت الحقبة هدفها ببراعة، وتعلّق الحبل بالمروحة وجذبتُه والتفّ عليها، وصدرَ من مُحركها صوت زمجرة عالية، وانفجرَ المُحرك الخلفي إلى أشلاء.

قفز (ليان) من أعلى سطح الشاحنة، وانطلقَ يعدو في اتجاه (آية) التي قد وصلت للتوّ ورأت ما فعل بالطائرة، فتوقفت حتى وصل إليها وقفز خلفها، وانطلقا معاً مُبتعدين عن

الطائرة التي أصابها الجنون، وظلّت تدور في دوائر غير مُنتظمة بسرعة رهيبية، والأدخنة تتصاعد من مُحرك الذيل المُحترق، وحاولَ قائدها السيطرة عليها ولكن هيهات، فأدرك أنّه لا مفرّ من القفز منها، وكذا القدر لم يمهله، ففي هذه اللحظة كانَتْ قد اقتربت من الأرض بشدّة واصطدمَ ذيلها بالرمال، وتناثرت الرمال بصورة عنيفة، وارتطمَ بدن الطائرة بالأرض فجأة، ودوى انفجار عنيف وتطايرت أشلائها لمسافة كبيرة.

وقد ابتعدَ (ليان) و(آية) لمسافة آمنة، فلم يصيبهما أيّ ضرر من أشلاء الطائرة المتناثرة، وتوقفت (آية) لينظرا إلى ما حدثَ للطائرة.

- شُكراً لكِ على عودتكِ من أجلي.

قالها (ليان) لها بلهجة امتنان، كانت تضع الخوذة فأخفت آثار احمرار وجنتيها من الخجل، ولكنهُ لم يترك فرصة لمشاعر الخجل أن تُسيطر عليها، فأشارَ لها بالابتعاد في الحال، لأنّ القوات في الطريق بكُلّ تأكيد، وبالفعل انطلقت وهو خلفها وحقيبة الحاسوب تضعها خلف ظهرها.

وفجأة دوى انفجار رهيب أسفل الدراجة النارية فأطاحَ بها وبراكبيها لمسافة عشرة أمتار كاملة، وجعلَ الدراجة نفسها تهشّم تماماً، نتيجة صاروخ موجه من طائرة عمودية أخرى لاحت في الأفق.

طارَ جسد (ليان) لمسافة كبيرة، وسقطَ أعلى ربوة من الرمال حمت جسده قليلاً وبذات الوقت توارى عن الأنظار، وكُلّ عظمة من عظامه تتن من آثار الانفجار وعيناه تدور في محجريهما، ويشعر بأنّ عقله قد تحرّك من مكانه، كما شعرَ ينزف الدماء من أذنه وأنفه من قوة الانفجار، الذي أصاب الأرض أسفلهما، حاولَ أن يتحرّك ليبحث عن (آية).

رأها ساقطة أرضاً على مسافة حوالي ثلاثين متر أو أكثر بلا حراك، وعلى مقربة منها الحقيقية الخاصة بالحاسوب، حاولَ أن يتمالك نفسه ويقف، ولكنّ جسده أبى أن يستجيب، في هذه الأثناء هبطت الطائرة أرضاً وترجل منها مجموعة من الجنود، وأسرعوا باتجاه (آية).

كادَ أن يُجنّ تحاملَ على نفسه وحاولَ النهوض، لكنّ جسده رفض الاستجابة للمرة الثانية، فسقطَ أرضاً وهو يُشاهد الجنود وهم يحملون جسد (آية) والحقيبة الخاصة بالحاسوب ويعودون بها إلى الطائرة.

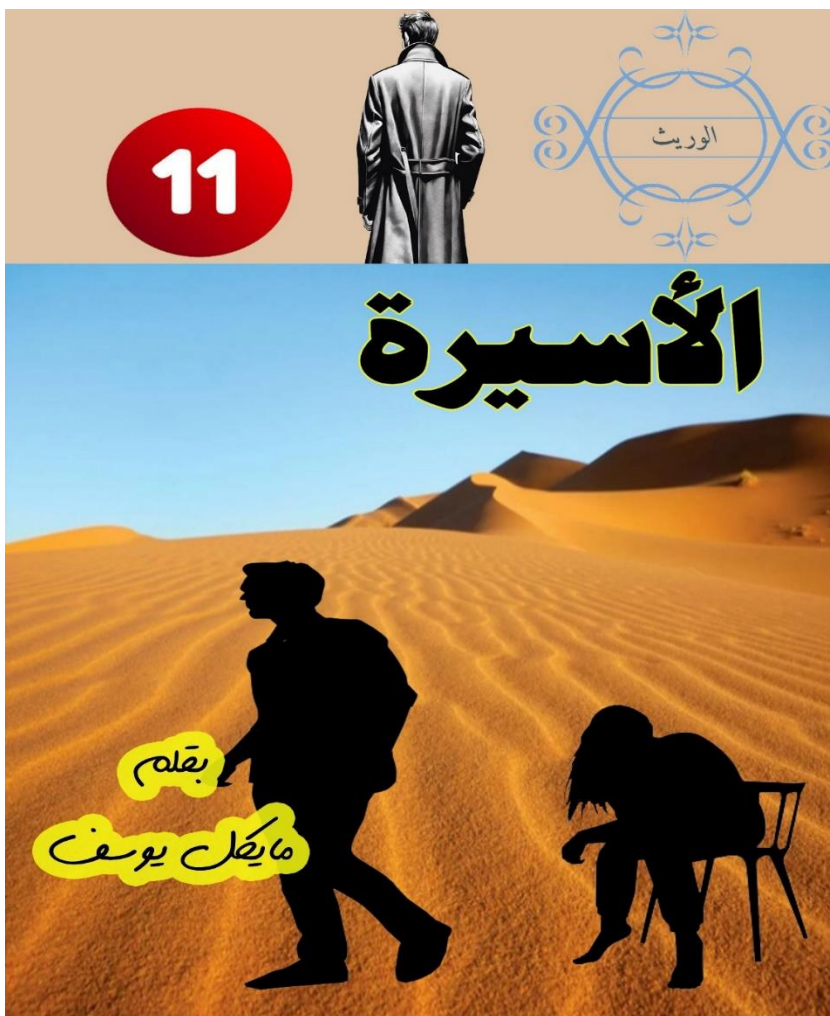
حاولَ أن يصرخ باسمها، لكنّ قواه قد خارت تماماً.

ارتفعت الطائرة وبها (آية).

حاولَ أن يقف، وحاول، ولكنهُ سقط أرضاً

وصرخَ باسمها، وكانَ هذا آخر ما فعلهُ قبلَ أن يسقط في غيبوبة عميقة، وانحدرت دمعة من عينيه التي غابَ عنهما بريق الحياة؛ دمعته كانتُ هي آخر ما استطاعَ أن يذرفها من أجل مَنْ أحبَّ.. من أجل (آية).

الأسيرة



الفصل الأول

- يبدو أنه مُصاب بشدة!

قالتها هذه الفتاة التي ترتدي ملابس صيفية رياضية خفيفة لا تتناسب مع هذه الفترة من العام، مالت أكثر على الجسد المُستجى أرضًا في منطقة ما بين الصخور، حاولت أن تستشعر أثر الحياة فيه.

قد هبطت عن دراجتها الهوائية، ولكن صديقها الذي يعتلي دراجة هو الآخر لم يُغادر مكانه، وينظر إلى ما تفعله وأخيرًا قال لها في توتر:

- اتركيه يا (شانيل)، قد يكون أحد هؤلاء الإرهابيين العرب.

هزّت رأسها نفياً وقالت:

- لا يا (دان) من الواضح من ملامحه وملابسه أنه إسرائيلي، قد يكون تعرّض إلى حادث سير وخاصة أننا بالقرب من الطريق السريع.

قاطعها (دان) قائلاً:

- وهل من تعرّض لحادث في الطريق السريع يتحرك كُُل هذه المسافة إلى جانب الطريق وبين الكُتبان الرملية والصخور؟

رفعت ذراعها ووضعتها على رأسها دلالة على التفكير، وهي تنظر إليه وقالت:

- رُبما يكون قد حاول أن يتحرك مبتعدًا عن الطريق أو أن يصل إلى مكان بعينه ولكنه فقد وعيه بسبب الحادث، وكُل هذا لا يهم الآن، يجب أن نتحرك سريعًا، فقد تكون حياته في خطر، وإن كنت أشك في حدوث هذا؛ إذ أن مؤشراتته الحيوية في حالة جيّدة، هو فقط تعرّض لصدمة أفقدته الوعي.

أنهت حديثها وهي تُشير لدان أن يأتي لمُساعدتها في رفع جسد (ليان)، الذي تحرك بدوره وساعدها في حمل الجسد المُستجى، وتعاونًا معًا لوضعه خلفها على دراجتها الرياضية، وقامت بإحكام ربطه بجسدها من الخلف، عن طريق استخدام معطف خاص بها كانت تحمله معها اتقاءً لبرودة الجو ليلاً في هذه المنطقة الصحراوية، كي لا يسقط بسبب فقده للوعي، وإن كان لا يوجد أي نزيف ظاهري أو إصابات واضحة عليه، وتحركًا، هو في المُقدمة وخلفه هي و(ليان)، يُعتبر مجهود شاق بالنسبة لها وجسدها النحيل أن تتحرك بهذا الحمل ولكنها فعلتها، لا تعلم لماذا؟

شعرت نحوه بشعورٍ غريب، لم تشعر به من قبل، رغم غيابه عن الوعي، ورغم ثيابه المتسخة وعثورهما عليه في هذه المنطقة، إلا أنها شعرت نحوه بشعورٍ غريب لم تستطع تفسيره.

كانا قد وصلا إلى المخيم الخاص بهما في الصحراء؛ إذ كانا في إجازة من أعمالهما وقررا أن يستغلونها في أعمال التخميم وقيادة الدراجات الهوائية، وإمعاناً في الاستمتاع بالطبيعة والهدوء، قررت هي و(دان) صديقها الذي يعمل معها في بنك (أوستر هاهيال)، ترك كل وسائل التكنولوجيا خلفهما حتى هواتفهما المحمولة تركوها في منازلهما، بحثاً عن الهدوء. تعاوناً معاً وحملوا جسد (ليان) وقاما بوضعه في الخيمة الصغيرة الخاصة بها، حيث رفض (دان) أن يوضع بخيمته هو لأنه يشك كثيراً في أمره.

وبالفعل قامت بوضعه في خيمتها الصغيرة، بل في منامة التخميم الخاصة بها، والمعدة للتخميم والنوم في الأجواء الصحراوية الباردة ليلاً. وقبلها تعاوناً معاً في البحث والتدقيق جيداً في كل جزء من جسده خوفاً من وجود إصابات لا يروها، أو نزييف سواء خارجي أو داخلي قد يتسبب في حدوث مضاعفات، وكان الواضح أن جسده الرياضي ساعده كثيراً على تحمل الإصابات. قامت بإحكام إغلاق منامة التخميم جيداً كي تبعد الدفء في جسده وتُساعد على استعادة وعيه.

جلست بجوار جسده المُسجى في أرضية الخيمة الصغيرة، وقامت بارتداء معطف ثقيل كانت قد أحضرته معها، وانزوت في ركنٍ صغيرٍ مُتّبقي بالخيمة، وضمت ساقها إلى صدرها في محاولة لبث الدفء في أوصالها وهي تنظر تجاه (ليان) فاقد الوعي أمامها. شردت في ملامحه طويلاً وقالت:
- مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الوسيم؟

تعالّت الطرقات على باب غرفة السيد مدير المخابرات العامة، والذي سمح لصاحبها بالدخول، فتقدّم (مراد) ووقف أمام مكتب السيد المدير مباشرة، ممّا جعل مدير المخابرات يُدرك أنّه يحمل معلومات جديدة فأشار له بالتحدّث:
- أخبار غير مُبشرة يا سيدي.
وتابع قائلاً:

- لقد وردت معلومات الآن من رجالنا هناك أنّ طائرة هاجمت المنطقة التي بها (ليان) و(آية) بعد أن نجحوا في تنفيذ المهمة بالفعل، ودار قتال عنيف وانتهى تماماً دون خسائر في قوات العدو، والمعلومات المؤكدة أنّه تمّ القبض على أحد مُنفذي العملية.

ظهر الاهتمام على وجه السيّد مدير المخابرات العامّة وسأله:

- واحد فقط؟

هزّ (مراد) رأسه بالإيجاب وهو يقول:

- أجل يا سيّدي، شخص واحد فقط، ولا توجد أيّة معلومات أخرى أو تفاصيل يُمكن أن تدلّنا على شخصه أو حالته.

أنهى عبارته وظلّ صامتاً مُنتظراً أوامر السيّد مدير المخابرات، والذي صمّت هو الآخر يُفكر في الأمر برُمته.

- سيّدي.. هل هُنّاك تعليمات جديدة؟

أفأق السيّد مدير المخابرات من شروده على هذه العبارة التي قالها (مراد) فأشار له بالانصراف قائلاً:

- لا، مُمكنك الانصراف الآن، وأطلعني على المستجدات، وأرسل هذه المعلومات إلى الخبراء لدراسة الموقف جيّداً.

انصرف (مراد) تاركاً خلفه السيّد مدير المخابرات شارداً مرّة أخرى يُفكر في حلّ هذا الموقف، ولكن يبقى السؤال:

- مَنْ الذي تمّ إلقاء القبض عليه؟

وأيّن الآخر؟

أين؟

الفصل الثاني

- ثمَّ وصول الفتاة التي تمَّ إلقاء القبض عليها إلى السجن التابع للمبنى يا سيدي.
قالها أحد الجنود إلى السيد (يوسي) وهو يقف أمام مكتبه مباشرة، والذي ظهر عليه الاهتمام
لكلام الجندي وأشار له مُقاطعًا:

- أحضرها إلى غرفة الإستجواب المُلصقة لمكتبي في الحال.
وأشارَ له بالانصراف لينفذ الأمر، وتراجع في مقعده يكاد يستشيط غضبًا، دقائق معدوداتٍ
وعاد الجندي مرةً أخرى ليخبره بأنَّ الفتاة بالفعل في الغرفة المجاورة لمكتبه مباشرة.
نهض السيد (يوسي) مُسرعًا وهرولَ إلى الغرفة الخاصة بالإستجواب وفتحها عنوة، ووقف
ينظر إلى (آية) المُكبَّلة بالأصفاد، وقد تمَّ تقيدها إلى المقعد الخاص بالإستجواب.
وما أن رآته حتَّى ارتسمت ابتسامة ساخرة على ركن شفيتها، إذ تعلم شخصيته جيّدًا وتعلم
مَن هو.

وهو ما جعله يقترب منها أكثر قائلاً:
- من الواضح أنَّك تعلمين مَن أنا جيّدًا، فهذا يدل على أنَّك بالفعل تابعة للمخابرات المصريّة،
وهذه البداية مُبشرة وتُسهّل الأمور كثيرًا.
نظرت له وهي ترسم دهشة مُصطنعة على وجهها وقالت:
- المخابرات المصريّة، وما علاقتي أنا بالمخابرات المصريّة؟
أدرك أنها ليست بالشخصيّة السهلة، فاقترب منها أكثر حتَّى كاد أن يلمسَ وجهها وهو يجذُّ
على أسنانه غاضبًا:

- يبدو أنَّك لا تُدركين حقيقة الأمر جيّدًا يا فتاة، أنَّك بداخل مبنى (الموساد)، والذي يقف
أمامك الآن هو رئيس هذا المبنى، وأنَّك لن تُغادري هذا المبنى إلّا بعد أن تُخبريني بكلِّ
التفاصيل التي أحتاجها، وأدق التفاصيل، وأعدك بعدها أن تقضي ما تبقى من عمرك في
أرقى السجون الإسرائيليّة، وأنَّ تُعاملي مُعاملة خاصّة.

ضحكت (آية) بطريقة ساخرة وقالت في تهكم:

- وما الذي يجبرني على أن أخبرك بأي شيء؟
أنا فلسطينيّة يا زلمة، أنا سليمة مقاتلين، أنا مُحاربة ابنة مُحاربين، فهل تتوقع أن ما نقوله
قد تهتز له ولو شعرة واحدة من شعري.

تحوّل لون بشره (يوسي) الأبيض فجأة إلى الأحمر من الغيظ ولم يتمالك نفسه، وفجأة صفعها بكل ما أوتي من قوة، صفة قوية اهتز لها كيائها بالكامل، وتسببت في قطع بشفتها السفلى وانساب خيط من الدماء من ركن فمها.

وقد دارت لها عيني (آية) في محجريهما من قوتها، وكادت أن تفقد وعيها، ولكنها تماكنت نفسها ورفعت رأسها في غضب واضح وقاومت دمة كادت أن تفلت من مقلتيها، وقالت وهي تجذ على أسنانها في غضب:

- أهذا كلّ ما تستطيع فعله؟

تصفع فتاة ومقيّدة أيضًا، هذا هو طبع الخسة والنذالة في كلّ بني جنسك، ولكن أعدك بردّ الصفة لك يومًا.

لم يمهّلها أن تكمل عبارتها وأمسكها من شعرها، وجذبها إليه وهو يصرخ:

- هل تجربين على تهديدي أيّتها العاهرة.

صرخت (آية) من الألم، فلم يعبأ بها وبألمها وصرخ مُناديًا إلى أحد جنوده وأعطاه أوامره:

- أرسل إلى السيّد (يورين)، وأخبره أنني أريدُ اعتراف مُفصل خلال ساعة من الآن من هذه الفتاة.

أنهى عبارته ونظر تجاه (آية) وقال بلهجة ساخرة:

- وإن كنت أعتقد أنكِ بجسدك الهزيل هذا لن يستغرق الأمر مع (يورين) أكثر من نصف ساعة فقط، وأعدك بأنك لن تنسي هذه المُقابلة ما حييت، فلا أحد يَنسُ أبدًا لقاءه مع (يورين) المتوحش.

قالها وتعالّت عقيرته بالضحك وغادرَ الغرفة، تاركًا (آية) خلفه وهي مُمتقعة الوجه وتنزف من ركن فمها.

وأخيرًا تركت العنان لدمعها ينسدل على وجنتيها؛ ليُخفف من الألم الذي يعصف بها وبروحها.

لم تكن لتسمح لأحد أن يرى دمعها أبدًا، وخاصّة الحقيّر (يوسي)، ونكست رأسها في ألم وهي تُهمهم:

- أينَ أنت؟

أينَ أنت يا (ليان)؟

أنا بحاجة إليك، أنقذني من هؤلاء الوحوش..

قالتها وأجهشت في البكاء.

فتح عيناه بغتة لعدّة دقائق غير قادر على استيعاب أين هو؟

وماذا حدث؟

حاولَ أَنْ يستجمع شتات فكره وهو ثابت لا يتحرك، فتذكَّر كُلَّ ما حدث، الانفجار، وسقوطه بينَ الصخور، والجنود وهم يُلْقُونَ القبض على (آية) وحقيبة الحاسوب، وتوقَّفَ هُنا.. (آية)، يجب أَنْ يُنقذها.

اعتدلَ فجأة عندما تذكر هذه النقطة، وصرخ باسمها:

- (آية)

فجأة تحرَّكت (شانيل) وقد استغرقت بالنوم بجواره، فقد فزعت على صوت صرخته وأخذت تنظر إليه.

حاولَ أَنْ يتحرك ولكنه شعر بألم رهيب في كامل جسده، فأسرعت هي لتُساعد كي لا يسقط، وقامت بإسناده حتى عادَ مرَّةً أخرى ليرتاح في المنامة الخاصة بها، وقالت له:

- أرجوك ارتاح وحاول ألا تتحرك كثيراً، يبدو أنَّك قد تعرَّضت لحادث كبير، فثيابك تدل على هذا وكذا فقدك للوعي كُلَّ هذه المدة رغم بنيتك العضلية وجسديك المفتول، وهذا يدل على أَنَّ الحادث كانَ كبيراً ولكن نحمد الله لعدم وجود كسور أو نزيف.

أخذَ ينظر إليها يحاول أَنْ يستوعب ما تقول، ولكنه يشعر بألم رهيب في رأسه وطنين أكبر في أذنيه، وأدركَ أَنَّهُ تعرَّض لارتجاج عنيف من أثر الانفجار، فحاولَ أَنْ يُغلق عينيه حتى يستعيد تركيزه وصفاء ذهنه.

قامت (شانيل) بإحكام المنامة عليه حتى يسري الدفء في جسده، فقد حلَّ المساء وانخفضت درجات الحرارة كثيراً وخاصة أَنَّهُم في منطقة صحراوية خاوية تماماً.

حاولَ التركيز لكنَّ الألم الرهيب الذي يشعر به في رأسه يكاد يفتك به، شعرت به فبحثت عن صندوق الإسعافات الأولية المُخصَّص للتخييم، والذي لا يفارق مُعدَّاتها وقامت بإعطائه أحد الأقراص المُسكنة، فنظر إليها في شك فأخبرته بأنَّه لتسكين ما يشعر به من ألم، فتناوله منها وقامَ بابتلاعه، وعاد مرَّةً أخرى ليضع رأسه على الوسادة الصغيرة مُحاولاً أَنْ يترك فرصة للمسكن أَنْ يأتي مفعوله فيُخفف من آلامه،

ولكنَّ هُناك ألم أكبر يعصف به، ألم العجز، فقد عجزَ عن إنقاذ مَنْ يُحب.

حاولَ أَنْ ينام، ولكنها ظلت في خياله

تُناديه أَنْ يُنقذها، وغرقَ في سُباتٍ عميقٍ من كثرة ألمه، ولكنه صرَّحَ باسمها.. (آية).

الفصل الثالث

- أَلْفَ حَمْدَ لِلّٰهِ عَلَى السَّلَامَةِ يَا بَطْلَ.
- قالها شابٌ قويُّ البنية، والذي يرتدي بذلةً كلاسيكيةً أضافت له أناقةً، وهو يقف أمام الفراش الطَّيِّبِ في المستشفى التابع للقوات المسلَّحة.
- حاولَ (مسعود) أن يعتدلَّ في الفراش، لكنَّهُ لم يستطع؛ لضعف جسده، وطول فترة الغيبوبة التي تعرَّضَ لها مُنْذُ الانفجار، الذي تسبَّبَ له في الإصابات الشديدة التي لحقت به، ممَّا دفع الشابَّ أن يقتربَ منه ويُمسك بيدهِ ويُساعدُهُ أن يعتدلَّ في الفراش، وما أن اعتدلَّ بالفعل حتَّى قامَ الشابُّ بإمساك مقعد مجاور للفراش وجلس عليه وهو يقول:
- لا تتحمل على جسدك يا صديقي، كُلُّ شيءٍ يأتي في وقته، واعتدلَّ في مجلسهِ وهو يقوم بفتح أزرة البذلة، التي يرتديها ليتخذ وضعية أكثر راحة وتابَعَ حديثه وهو يمدُّ يدهُ مُصافِحًا الرائد (وليد سعيد) من المخابرات العامة المصريَّة:
- أخبرني كيف حالكَ الآن؟
- وهل تحتاج شيئًا؟
- ابتسمَ (مسعود) ممتنًّا وقال:
- شُكْرًا لَكُمْ، صدقًا قولًا يكفي كُلَّ هذا الاهتمام وحُسن المعاملة والرعاية والاهتمام من جانب المُحيطين، أشعر وكأنَّني في بيتي وبين أهلي حقًّا.
- قاطعهُ الرائد (وليد):
- وهذه هي الحقيقة، فأنتَ بينَ أهلِكَ وذويك، نحنُ إخوة، دَمْنَا واحد وقضيتنا واحدة.
- دعنا من كُلِّ هذا، أخبرني الآن، هل يمكن أن نتناقش قليلًا في بعض التفاصيل خلال الفترة الماضية قبلَ أنْ تعبر الحدود المصريَّة.
- ظهر الاهتمام على وجه (مسعود) وقال:
- بالطبع يا سيِّدي، بالطبع.
- اعتدلَّ الرائد (وليد) وأراحَ ظهره للخلف وهو يتابع:
- (ليان)؟
- قالها وصمت، يقرأ تعابير وجهه، الذي ابتسم مُجرَّد ذكر هذا الاسم وقال:
- أجل، قد فهمت.

حسنًا، سوفَ أتحدّث بمنتهى الحياديّة والصراحة المطلقة، أنّت تعلم يا سيّدي أنّ القضية الفلسطينية، وخاصّة بالنسبة لأبنائها هي قضية حياة أو موت، ولا تحتل أيّ تهاون أو تنازل، ونحنُ هناك في فلسطين المحتلّة لا نقبل بأيّ حلول وسط، إمّا الأرض أو الموت، وأنّا من تلاميذ (الشيخ دياب)، وأنتم أدري به و بوطنيته ودفاعه عن القضية.

هزّ الرائد (وليد) رأسه:

- بالطبع، بالطبع، هذا لا جدال فيه، أكمل.

تابع (مسعود) حديثه:

- وهذه النقطة بالذات هي محور الأحداث، فما حدث مع (زينة) ومن بعدها الشيخ (دياب) نفسه، ودفاعه عن (ليان) واعتباره ابنًا له لم يُنجبه، كان سببًا في التقرب والتعامل معه، والحق يُقال أنّ (ليان) نفسه هو شخصيّة غريبة عجيبة، عندما تتعامل معه لا تشعر أبدًا أنّه يهودي أو إسرائيلي، بل على العكس تمامًا، تجده فلسطيني عربي مسلم، وهذا بناءً على تعامله الشخصي معه وما فعله من أجلي شخصيًا، وفوق كلّ هذا هو شخصيّة عبقرية على قدر كبير جدًا من الذكاء وحسن التصرف، كما يمتلك مواهب كثيرة جدًا بخلاف مرونته وقوّته وشجاعته.

صمت قليلًا ليهدأ وتابع:

- باختصار شديد هو مُقاتل لا يُشقّ له غبار، وأثبت بالفعل أنّ الإنتماء للقضيّة ليس بالميلاد بل بالإيمان بها.

أخذ (مسعود) يتحدّث مُنتهى الحماسة والجديّة، ممّا جعل الرائد (وليد) يُتابعه في صمت، ومُجرّد أنّ انتهى (مسعود) من حديثه تكلم هو قائلاً:

- أعلمُ كلّ هذا، وأنا لسْتُ في شكٍّ منه أو خلاف، بل لديّ من المعلومات التي تؤكد ما تقوله، ولكنّ أنا بصدد السؤال عن شق آخر في شخصيته.

تحوّلت ملامح (مسعود) إلى الدهشة وتساءل:

- أيّ جانب؟

مالَ الرائد (وليد) للأمام وقال:

- من حكم عِشرتكَ معه الفترة الماضية والأحداث التي مرّرها بها معًا، هل تعتقد أنّه شخص جدير بالاعتماد عليه؟

وهل يمكن أن يتخلّى عن رفيقه في المهام؟

دون تردّد وانتظار أجاب (مسعود) بسرعة:

- بكلّ تأكيد يُمكن الاعتماد عليه ومُستحيل يتخلّى عن رفيقه أبدًا.

تابعَ الرائد (وليد) مُستطردًا:

- حتى لو حياته هو شخصيًا في المقابل؟

صمتَ (مسعود) لفترة ثُمَّ أجاب بثقة:

- حتى لو المقابل حياته شخصيًا، أجل، (ليان) لا يتخلى أبدًا عن رفاقه.. أبدًا.

يقف على شاطئ البحر، تُحيط به المياه من كُل اتجاه، نظرَ للسماء كانت الشمس تتوسطها

وترسل أشعتها الحارقة، يشعر بلفحها يكاد يحرق جسده بالكامل.

وفجأة رآها في وسط المياه ترتدي ثوبًا أبيضًا طويلًا، تسير بين الأمواج المتلاطمة بانسيابية

وهدوء.

- (آية).

تعالَت دقات قلبه، لقد عثر عليها أخيرًا، هتَفَ باسمها، استدارت إليه وابتسمت ابتسامه

كادت تأسر قلبه.

وفجأة ظهرت سمكة قرش من خلفها بزعنفتها الشهيرة تقترب منها بسرعة رهيبه، ظهر

الجزع على ملامحه، حاولَ أن يصرخ لتنتبه، ولكنَّ صوته أُنْ يَخرج من حنجرتِه.

تحركَ مُسرعًا للحاق بها، ولكنَّ ساقه أبت هي الأخرى، وكأنَّها تحوَّلت إلى عمودين من

الخرسانة المُسلَّحة مثبتة في قواعدِها، يُجاهد للتحرك ولكنَّ هيهات.

ظلَّ يُحاول ويُحاول والقرش يقترب أكثر وأكثر، حاولَ الصراخ، وحاول:

- آآآآآآآآآآآآ.

فجأة انتفضَ من رقادِه، وجدَ نفسه مازال في منامه التخيم، وجواره (شانيل) نائمة في وضعية

غير مُريحة بالمرّة بسبب ضيق الخيمة، قد تكوَّمت على نفسها في وضعيةٍ تُشبه الرضيع

ونامت وتركت له منامة التخيم.

ظلَّ في صمتٍ لفترة يستعيد صفاء ذهنه، دقائق معدوداتٍ وكانَ قد استعادَ كُل تفكيره

وذاكرياته، وتذكَّرها.

تحركَ مُسرعًا وبهدوءٍ خرجَ من الخيمة دونَ أن يُصدرَ أي صوت، وجدَ الظلام شديد الحِلْكة

في هذه المنطقة بين الصخور، لم يكن هناك سوى خيمتين صغيرتين واحدة خاصة بالفتاة

التي كانت بجواره ولا يعلم من هي، ولكنَّه توقع أنها هي من أنقذته وخيمة أخرى قريبة.

حاولَ تحديد مكانه ولكنَّ لم يستطع، ابتعدَ في هدوء وسارَ مسافة حتى ابتعدَ تمامًا عن

المكان، وتوقَّف حينما شعر أنَّه ابتعدَ مسافة كافية.

حاولَ تحديد مكانه واتجاهه؛ قام بالثبات لتحديد اتجاه الرياح، ونظرَ للسماء فرأى القمر

غائبًا فساعدهُ هذا على رؤية النجوم جيّدًا.

وقام بتحديد الشمال، ومن اتجاه الرياح أدرك أنه ليس ببعيدٍ عن مكان الهجوم، وقام بتحديد الشمال وفقاً لحساباته كي يصل إلى أقرب طريق سريع للعودة. تحرك سيراً على الأقدام ويعلم جيداً حجم ما هو مقبلاً عليه، والمخاطر والعقبات وخاصة أنه لا يملك أية وسائل للمساعدة حتى هاتفه المحمول أو حاسوبه، ويقف في منتصف صحراء شاسعة دون وسيلة نقل أو مواصلات. قد اتخذ قراره ولن يتراجع عنه أبداً، وهو إنقاذ (آية)، مهما كلفه الأمر؛ حتى لو على حساب حياته هو شخصياً، فهي أهم. عند هذه النقطة أسرع في سيره، فقد سيطرت على عقله بالكامل، ولا يفكر إلا بها، فقط هي.. (آية).

الفصل الرابع

أغلق باب المنزل الآمن خلفه بهدوء، وارتدى بأكمله ثقل جسده على أقرب أريكة، فبعد مسيرة أكثر من ثلاث ساعات استغرقها سيراً على قدميه لأقرب طريق مأهول، وأخيراً استقل سيارة عابرة ليصل إلى المنزل الآمن، برغم الألم الذي لا يُحتمل والإرهاق إلا أنه لم يقف للحظة، وتحرك بسرعة لأنه يُدرك جيداً أن لكل دقيقة ثمنها.

وبالفعل قام بفتح حاسوبه المحمول وإرسال تقرير مختصر بالأحداث إلى أحد المواقع الإلكترونية المشفرة التابعة للمخابرات العامة المصرية، وطلب إمداده بأيّة معلومات ممكنة لمكان احتجاز (آية).

أغلق شاشة حاسوبه واتجه للحصول على حمام ساخن؛ ليُجدد نشاطه ويُساعده على المواصله وترك الماء ينساب على رأسه لفترة، ومُجرد أن انتهى قام بتناول شطيرة كانت مُعدة مسبقاً في المُبرد وتذكرها.

سرح في خواطره وتذكر ماذا كانت تفعل معه؟!

انحدرت دمعة على وجنته، فجأة تعالي صوت الإشعارات في حاسوبه، أخرج نفسه من الذكريات وتحرك مُسرّعاً وفتح شاشته، فإذا بها رسالة من المخابرات المصرية.

شرع في فك شيفرتها بسرعة، وبعد دقيقتين ظهر فحواها، واتسعت عيناه في رعب، فما رآه يُعتبر أشدّ قسوة من أسوأ كابوس مرّ به في حياته، فقد أخبرته المعلومات المُرسلة بأنّ هناك سيارة خاصة بنقل المحتجزين قد تحركت باتجاه المبنى الرئيسي للموساد تحت حراسة مُشدّدة، وبناءً على معلوماتٍ من مصادر بالمبنى نفسه فالمحتجز فتاة، ليس هذا فحسب؛ بل تمّ احتجازها بأمر مباشر من السيّد (يوسي) وفي إحدى الغرف المُجاورة لمكتبه مباشرة.

هنا توقف (ليان) لفترة يُحاول أن يستوعب هذه المعلومات، فقد كانت معلومات مرعبة بحق.

لقد أصبح الأمر مُستحيلاً، فالمطلوب منه الآن هو دخول مبنى (الموساد) الذي كان يعمل به سابقاً، وإخراج (آية) منه تحت أعين الجميع وفي ظلّ هذه الأجواء آل متوترة، أضحي الأمر مُستحيلاً.

صمت (ليان) لفترة مُستغرق في التفكير، يُعيد تقييم الأمر برُمته، وأمسك حاسوبه المحمول وأخذت أصابعه تعمل بمنتهى السرعة والحرفيّة الشديدة.

مرّت أكثر من نصف ساعة وهو يعمل بلا كلل أو ملل، وأخيراً ترك حاسوبه جانباً، وقام مُسرّعاً وارتندي بعض الملابس الرياضيّة الخفيفة؛ لتُساعدهُ على سهولة التحرك والمناورة. وما أن انتهى حتّى أمسك هاتف (آية) الخاصّ بها، والذي تركته في المنزل الآمن قبل أن يتوجّها لتنفيذ المهمة، صورتها تتوسط شاشته وهي باسمه الثغر، ابتسامة كادت أن تسلب لُبّه.

همس وكأنّه يُخاطبها:

- أنا قادمٌ إليك، لن أتركك أبداً في يد ذلك الشيطان، ولكنّ أولاً لا بدّ وأنّ أنفذ المهمة المطلوبة.

قالها وغادَرَ المنزل مُسرّعاً، يحمل حقيبة ظهر صغيرة بها بعض المُعدّات، التي قد يحتاجها وحاسب محمول صغير الحجم، وانطلق ليكمل مهمته الأولى. وهو يعلم أنّها أصبحت في حُكم المُستحيل.. وقد تكون الأخيرة.

- ما يحدث استهانة باسمي وتاريخي كلّهُ.

قالها هذا العملاق الضخم، صاحب الملامح الكريهة والمُخيفة، وهو ينظر إلى (آية) بجسدها الضئيل، والمحكم وثاقها إلى المقعد المواجه له.

- هل طلبتم حضورى على وجه السرعة من سجن (جلبوع) أثناء العمل على استخراج معلومات مهمة من بعض المخبرين الفلسطينيين، لكي أحضر هنا لاستخراج معلومات من هذه الفتاة الصغيرة؟!

ابتسمت (آية) في سُخرية وهي تقول:

- يبدو أنّهم لم يُحسنوا الاختيار لمن يستطيع القيام بهذه المهمة، وأرسلوا في طلب (شريك) ليقوم بدور هزلي في إحدى أفلام الأنيميشن القصيرة.

وقف العملاق ينظر لها في بلاهة غير قادر على استيعاب ما تقول، إذ كانّ بالفعل أقرب وصف له، هو ما أطلقته عليه _للشخصيّة الكرتونيّة لغول أخضر اللون يمتلك جسد ضخم وعقل طائر صغير، كانتْ هيئته وحدها كفيلة في موقف مختلف أن تكون مدعاة للسخرية والضحك.

لكنّ (آية) في موقف لا تُحسد عليه، وأخيراً جدّ العملاق على أسنانه وزمجر قائلاً:

- لا أحد يهزأ بيورين أبداً.

ابتسمت (آية) ابتسامة ساخرة وقالت:

- أحبّ أن أعرفك بنفسى، أدعى (لا أحد).

كانت هذه الجملة هي القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة للعملاق، فصرخ غاضباً وقد تحولت عيناه إلى اللون الأحمر القاني:

- لقد حكمت على نفسك بالموت أيُّها الحقيرة، أرجو أن أرى وجهك وابتسامتك الساخرة هذه بعد أن أنتهي منك.

وتابع قائلاً وهو يقترب من وجهها، ويكاد الزبد يتساقط من بين شذقيه:

- لكنني أعدك يا صغيرتي أن تتوسلي إليَّ أن أقتلك، لتحصلي على الراحة.

انتهى من عبارته وشرع في فتح حقيبته التي كان يحملها، وأخرج منها العديد من الأدوات الخاصة بالتعذيب غريبة الشكل.

وأمسك ما يشبه الكماشة الصغيرة، ورفعها أمام وجهه وهو يقول ساخراً:

- لنبدأ أولاً بأظافرك الجميلة هذه، سوف أريحك من تعب الإعتناء بها يا صغيرتي.

أمسك بكف يدها اليسرى وأطبق عليه بكفه العملاق، وهو يضحك في هستريا وقال:

- لنبدأ بالبنصر فهو أصغرهم وأشدَّهم ألمًا.

أنهى جملته وهو ينفذ ما قال، وهو يطلق ضحكة عالية وحشيّة.

ومعها انطلقت صرخة من حنجرة (آية) تحمل الكثير من الألم، وتناثرت الدماء.

محور الخطر



الفصل الأول

اندفع (مراد) مُسرّعاً إلى مكتب السيّد مدير المخابرات المصريّة، وطُرق الباب طرقات سريعة دليلاً على أهميّة الأمر، وفتح الباب مُسرّعاً مُجرّد أن حصل على الإذن بالدخول:

- رسالة من (ليان) يا سيّدي.
قالها وتكاد أنفاسه تتهدّج من فرط الحماسة والاندفاع، ممّا جعل السيّد مدير المخابرات العامّة يوليه اهتمامه ويُشير إليه بالتحدّث سريعاً، وبالفعل تابع (مراد) حديثه:
- هي رسالة مُقتضبة قصيرة يا سيّدي، فقط جاري العمل على ثلاث محاور.
هذا هو فحوى الرسالة فقط.

أنهى (مراد) جُمْلته وظلّ صامتاً مُنتظراً تعليمات أو أوامر السيّد مدير المخابرات، الذي تراجع بظهره للخلف مُفكّراً.

أفاق السيّد المدير من شروده ونظر تجاه (مراد) وابتسم قائلاً:
- يبدو أن ذاك الشبل من ذلك الأسد، فما هو قرر أن يخوض الحرب في ثلاث جبهات في آنٍ واحد.

وقف (مراد) حائرًا لم يستطع أن يفهم ماذا يقصد السيّد المدير، الذي أدرك بدوره أن (مراد) لم يستوعب مضمون الرسالة، فابتسم له وهو يقول:

- لقد قرّر (ليان) أن يُحرّر (أبو رياض)، ويستعيد الحاسوب الخاصّ به أو يدمره ويُنقذ (آية) أيضًا، هذه هي الثلاث محاور.

اتسعت عينا (مراد) في ذهول، فما أخبره به السيّد مدير المخابرات يُعتبر مُستحيلًا، ممّا جعله يغمغم قائلاً:

- لكنّ هذا مُستحيل!
اتسعت ابتسامة السيّد المدير وقال:

- حقًا وهو لها، من شابه أباه فما ظلم.
واعتمد في مجلسه مُستكملاً حديثه:

- لقد كان أباه قاهر المُستحيل حقًا، لم يفشل يومًا في أيّ مهمة أسندت إليه مهما كانت.

أذهب الآن يا (مراد) وأرسل إلى رجالنا هناك أن يكونوا على أهبة الاستعداد، ويحاولون قدر المُستطاع جمع المعلومات، التي قد تُفيد (ليان) في مهمته.

تحرك (مراد) لتنفيذ الأمر، تاركًا خلفه السيّد مدير المخابرات شاردًا يفكر في الأمر برُمته.
- ماذا تنوي أن تفعل يا (ليان)؟
هذا هو المُستحيل بعينه.. حقًا مُستحيل.

الفصل الثاني

الزمان: الساعة الثانية بعد مُنتصف الليل.

المكان: السور الجنوبي المحيط بسجن (نفحة) شديد الحراسة.

توقفت دراجة نارية، وهبطَ منها شابٌ يرتدي حُلّة رياضية سوداء بالكامل، وحذاء رياضي بنفس اللون، ويغطي رأسه بقناع مصنوع من القماش حالك السواد به ثقبين للعينين والأنف؛ ليسمح بسهولة التنفّس.

تحركَ بخفّةٍ حتّى اقتربَ من السور الخارجي للسجن، وتوقف عند نقطة مُعيّنة وكأنّه يُدرك إحداثياتها سلفًا، واقتربَ من الأرض حتّى جثى على رُكبتيه، بجوار عمود معدني يخرج من الأرض ويمتدّ بارتفاع السور، وفي نهايته تنتصب كاميرا مُراقبة وعدد من أجهزة الإستشعار الخاصة بإستشعار الحركة على كامل السور الخاصّ بالسجن.

قامَ الشابُ بإخراج معول صغير، وشرعَ بالحفر أسفل العمود المعدني، ولم تمضي دقيقتين حتّى اصطدمَ طرف المعول بجسم معدني، أكملَ الحفر بيديه حتّى وصلَ إلى صندوق معدني مُحكم الغلق بقفل صغير.

دقائق معدوداتٍ وكانَ قد نجحَ في كسر هذا القفل، وفتحَ الصندوق المعدني والذي كان يحتوي على جهاز صغير، يحتوي على شاشة صغيرة وإشارات ضوئية صغيرة، وهو عبارة عن جهاز إستشعار حركة المسئول عن هذه الجزئية من السور.

أخرجَ الشابُ من حقيبة صغيرة على ظهره حاسوب صغير، وقام بتوصيلة عن طريق كبل قصير بهذا المُستشعر، وأخذَ يعبث بأزرار الحاسوب وانتظر دقائق أخرى وهو يتابع الشاشة أمامه، والبيانات التي تُتابع عليها.

وأخيرًا صدرت صفارة قصيرة خافتة من جهاز الإستشعار الحركي، وخمدت الإضاءة منه تمامًا، وهنا نزع الشابُ الكابل المتصل بالحاسوب المحمول، ووضع كُل الأغراض في حقيبة ظهره، وأخرجَ قاطع أسلاك صغير الحجم، وشرعَ في قص الأسلاك الشائكة المُحيطة بسور السجن. وانتهى بعد أن صنع قطع في الأسلاك الشائكة، بحجم فتحة تتناسب مع جسده النحيل نسبيًا، وبرشاقة وخفّةٍ عبرَ من الفتحة وأصبحَ داخل أرض السجن بالفعل.

انزوى جانبًا خلف إحدى المباني القريبة، وأخرجَ نظارة إلكترونية ووضعها على عينيه وفعلَ وضع الرؤية الليلية.

يعلم تمامًا أنه مُجرّد تفعيل وضع الرؤية الليلية فهو لن يرى الطرق فقط، ولكن عن سوف تكشف له النظارة أيضًا أماكن الكاميرات الخاصة بالمراقبة؛ وهذه حقيقة علمية فأغلب كاميرات المراقبة تُصدر ليلاً أشعة تحت الحمراء، تُساعدنا على كشف الأماكن في الظلام الدامس، مما يجعلها تظهر مُتوهجة الإضاءة أمام أي عدسة كاميرا أو نظارة خاصة بالرؤية الليلية ولكن لا تراها العين المُجرّدة.

وبالفعل استطاع رصد أماكن كاميرات المراقبة وحركتها المنتظمة، والتي تُغطي الطريق إلى مبنى السجن الرئيسي.

وقف مُنتظرًا التوقيت الذي قام بحسابه للزمن الفاصل بين حركة كاميرات المراقبة، ثم تحرك في توقيت مثالي تمامًا وأخذ بالعدو حتى وصل إلى باب جانبي خاص بمبنى السجن، وتوقف وأخرج هاتفه المحمول وألصقه بالوحدة الإلكترونية الخاصة بالتحكّم بالباب، فأخذ الباب يُفتح عن طريق البطاقات المُمغنطة المدعومة بخاصية التلامس.

قام بفتح تطبيق خاص باختراق مثل هذه البطاقات، وصدر صوت التّكة الخاصة برتاج الباب والذي يدل على فتحه، وقف ينظر حوله للمرّة الأخيرة وانسلّ إلى داخل المبنى بهدوء.

الزمان: الساعة الثانية بعد مُنتصف الليل (نفس التوقيت).

المكان: مبنى الفحص الفني بمدينة القدس التابع للموساد.

وقف الشاب صاحب الخُلة الرياضية السوداء، أعلى البناية المُقابلة لمبنى الفحص، وأخرج نظارة مُقربة إلكترونية تعمل بأشعة الليزر الغير مرئي، وقام بتوجيهها إلى السطح الخاص بمبنى الفحص فظهرت أمام عينيه المسافة بالأمتار بالضبط.

ترك النظارة جانبًا، وأخرج من حقيبته ظهره بندقيّة تطلق حربة معدنيّة، تُشبه البندقيّة الخاصة بصيد الأسماك في الأعماق، ووجهها نحو النقطة التي حدّدها مُسبقًا عن طريق النظارة، وأطلق البندقيّة وانطلقت الحربة قاطعة كلّ هذه المسافة يتزيلها حبل رفيع، لكنّه قويّ جدًا بحيث يُمكنه أن يحمل جسد إنسان متوسط البنين.

وبالفعل وصل طرف الحربة إلى وجهتها، وهي شُرْفَة بالطابق الثاني بمبنى الفحص الفني، ومُجرّد أن ارتطمت بالجدار، حتّى خرج منها نتوءات معدنيّة ساعدت في تثبيتها بالجدار أكثر، جذبها أكثر من مرّة بقوة ليتأكد أنها مُحكمة التثبيت، وقام بربط الطرف الآخر منها في الجدار، الذي يستند إليه بالمبنى المُقابل، وأخرج من حقيبته صغيرة يحملها أداة صغيرة خاصة بريضة التسليّ، وشبكها بالحبل الرفيع المُمتد بين البنائيتين وتعلّق بها جيّدًا، واندفع إلى طرف المبنى الذي يقف عليه، حتّى تجاوزَ طرف المبنى وانطلق جسده يسبح في الهواء بين البنائيتين، وهو يُمسك بالأداة بكلتا يديه قاطعًا المسافة بسرعة حتّى وصل إلى الشُرْفَة

المقصودة، فقفرَ بخفّةٍ ورشاقةٍ واستقرَّ في أرضيتها، وعادَ ونظرَ من سور الشُرْفة إلى الطريق ليتأكد أنَّ أحدًا لم يراه.

وما أنَّ اطمئنَّ حتّى اقتربَ من النافذة الزجاجيّة التي تحتلّ المدخل بالكامل، ومزَرَ يده عليها حتّى وصلَ إلى الحافة السفليّة منها، وقامَ بإخراج هاتفه الجوّال وأوصلَ به قطعة صغيرة تُشبه السّماعَة الصغيرة، وقامَ بتثبيتها في طرف الإطار المعدني للنافذة، وشرعت أصابعه تعمل على الهاتف الجوّال بسرعةٍ وأمسكَ الهاتف بيده.

اقتربَ من الأرض وأدارَ ظهره للنافذة الزجاجيّة، ووضعَ يده الأخرى أمام وجهه ليحميه، وما هي إلّا ثوانٍ قليلة حتّى صدر صوت صفيّر قصير، وتبيّعه انفجار مكتوم تحوّل بعده زجاج النافذة إلى قطع صغيرة للغاية.

أدركَ جيّدًا أنَّ هذا الزجاج شبه مُصفّح ومُعالج حراريًا، فمن الصعب بل من المُستحيل اختراقه، وهُنا يأتي دور العلم، لكُلّ مادّة في الكون تردّد مُعيّن، إنَّ استطعتَ أن تصلَ لهذا التردّد يُمكنك أن تتسبّب في كسر الروابط بين جُزيئاته، وأضعف مكان في الزجاج المُصفّح هو أطرافه وخاصّة التي تتحمّل وزنه، وبالفعلِ وضعَ السّماعَة الدقيقة والخاصّة بتحمّل تردّد عادي، وجعلَ هاتفه المحمول عن طريق تطبيق خاص أن يُطلق ذبذبات بتردّد أعلى من (٥٥٠ هرتز)، وهو التردّد الذي يبدأ عنده تحطّم الزجاج، وقد كان.

تحركَ سريعًا وأزاح بقايا الزجاج جانبًا، ودلفَ إلى داخل المكان عن طريق النافذة، التي أصبحت مفتوحة تمامًا.

الزمان: الساعة الثانية بعد مُنتصف الليل (نفس التوقيت).

المكان: مبنى (الموساد) بمُقاطعة (رامات هشارون).

توقفت السيارة خلف المبنى، وهبطَ منها الشابّ صاحب الملابس الرياضيّة السوداء، ويضع قُبعة سوداء اللون تُخفي ملامحه، وسارَ مُترجلًا حتّى وصلَ إلى إحدى البوابات الأمنيّة الخارجيّة، وتوقف وألقى التحيّة على رجل الأمن المتواجد، الذي نظر إليه في توجسٍ وريبة بسبب تأخر الوقت؛ حيث أنّه توقّعت لا يأتي به أيّ موظف ولايعبر من هذه البوابة.

اقتربَ من جهاز الفحص المتواجد بجوار البوابة، وأخرجَ هويّته المُمغنطة ومَرَّها على شاشة الجهاز، وانتظر حتّى ظهر ضوء أخضر، دليل على السماح له بالدخول، وابتسم وهو يمرّ من البوابة والتفت إلى رجل الأمن وقال:

- معذرةً يا صديقي، لقد تركت بعض الأغراض الخاصّة في مكتبي الخاص، ولم أُنْذِرُ إلّا في هذا الوقت المُتأخّر.

هزَّ رجل الأمن رأسه مُتفهِّمًا، وتابعَ الشابَّ السيرَ داخلَ أروقةِ المبنى، الذي من الواضح أنَّه يحفظه عن ظهر قلب.

أخذَ يسيرَ مُتجنِّبًا كاميراتَ المراقبة، وكأنَّه مَن وضعها في أمكنتها!

اقتربَ من بابٍ أحدِ المصاعد وتوقَّفَ في انتظار وصول المصعد، وفي نفس التوقيت دَقَّ هاتف بوابة الأمن، اختطف ضابط الأمن المسؤول السَّاعة مُجيبًا، أمره رئيسه المباشِر أن يُغلق البوابة في الحال، ويمنع خروج أيِّ إنسان وخاصَّة هذا الذي عبرَ منها الآن.

وضعَ ضابط الأمن سَّاعة الهاتف، وشرعَ في تنفيذ الأوامر، وأغلقَ البوابة نهائيًّا وضغطَ زِر الإنذار العام.

تعالَت صفارات الإنذار تدوي في المبنى بالكامل، ومعهُ شرعت كُلُّ المداخل والمخارج في الإغلاق الذاتي، وكذا كُلُّ النوافذ الخاصَّة بالأدوار الأولى تُغلقُ تمامًا بسواثر وقضبان معدنيَّة. في هذه اللحظة رفعَ الشابَّ عينيه إلى الكاميرا المواجهة له، وابتسمَ وهو يُخرج يده من جيِّبِ معطفه، يحمل هاتفًا محمولًا واتسعت ابتسامته وهو يضغطُ بإبهامه على شاشته. ومع ضغطته حلَّ الظلام بالكامل، وكانَ آخر ما ظهرَ على شاشات المراقبة وجهه وهو يبتسم.. وجه (ليان).

الفصل الثالث

الزمان: قبل هذه الأحداث بخميس ساعات.

المكان: أطراف الحي العربي بمدينة القدس.

- أخي (ليان).

قالها (زياد) وهو يفتح يديه مُعانقًا (ليان)، تعانقا لدقيقتين تقريبًا، وأخيرًا قال له:

- أين كنت طوال هذه الفترة؟

وأني ريح طيبة أنت بك إلى هنا، الحق أقول أنني لم أصدق المرسول الذي أخبرني أنك هنا.

ابتسم (ليان) وتحدث مُغمغمًا:

- أنا بحاجة لمُساعدتك (زياد).

تبدلت ملامح (زياد) وتحولت إلى الجدية وهو يتساءل:

- هل أنت بخير يا صديقي، أخبرني؟

هز (ليان) رأسه وقال:

- أنا بخير اطمئن، ولكن هنا آخرون ليسوا كذلك.

أخذ (زياد) ينظر له مُحاولًا أن يفهم:

- تكلم يا رجل، من الذي في خطر؟

تابع (ليان):

- (آية) يا (زياد)، (آية) في خطرٍ بالغ.

انعقد حاجبا (زياد) وقال:

- (آية)!!

ولكنها فتاة مقاتلة، من الصعب أن تقع في خطر.

نكس (ليان) رأسه في حزنٍ قائلًا:

- لكنه قد حدث يا (زياد)، هذا ما حدث

ومد يده وأمسك بساعد (زياد) وهو يقول:

- سوف أشرح لك كل شيء ولكن يجب أن نتحرك بسرعة، فلنل دقيقة منها.

ربت (زياد) على يده وهو يقول:

- اطمئن يا (ليان) كلنا معك، لن نتركك أو نترك (آية).

هز (ليان) رأسه وهو يبتسم في امتنانٍ وقال:

- وهذا ما أتوقعه منك يا صديقي.
وتابع حديثه وهو مُسك بكتف (زياد) قائلاً:
- أنصت إليّ جيّداً فيما سأقوله لك، أريد اثنين من الشباب لديهما خبرة في التعامل مع التكنولوجيا جيّداً ويمتلكان مهارات جسدية عالية نسبياً.
انعقدّ حاجبا (زياد) دلالة على التفكير وابتسم قائلاً:
- لا تقلق، ما تبحث عنه موجود بالفعل يا صديقي، ولكن أخبرني لماذا تحتاج إلى هؤلاء الشباب؟
تنهّد (ليان) وقال:
- هذه قصة طويلة جداً يا صديقي، ولكن سوف أشرح لك باختصار.
وأخذ يسرد له الأحداث منذ البداية حتى هذه اللحظة بإيجاز سريع، وحتى اللحظة التي تمّ إلقاء القبض فيها على (آية)، وفقده الوعي ووقوفه أمامه الآن.
ثمّ تابع قائلاً:
- والآن أصبح هناك ثلاث محاور للعملية، أولهم تحرير (أبو رياض)، وثانيهم استعادة الحاسب المحمول من مقرّ الفحص الفني.
وصمّت قليلاً وظهر الحُزن والألم على نبرات صوته وغمغم قائلاً:
- وثالثهم تحرير (آية)، وهو ما سوف أتولاه أنا شخصياً لسببين؛ إذ أنني الوحيد تقريباً الذي يحفظ مبنى (الموساد) من الداخل، والآخر هو عدم توقعهم أبداً عودتي مرةً أخرى إلى هناك، وأكاد أجزم أنهم لم يقوموا بإيقاف بطاقتي الإلكترونية أو التصريح الأمني الخاص بي حتى الآن، لن يخطر على بال أيّ منهم أن أعود مرةً أخرى إلى داخل المبنى تحت أيّ وضع أو لأيّ سبب.
صمّت (زياد) لفترة ولكنه قال أخيراً:
- لكنّ ما تقوله مُستحيل، وخاصّة الشق الأخير والخاص بك، أنت تشبه من يُلقي بنفسه في جُـب الأسود، على أمل أن الأسود نائمة.
هذا درب من الخيال، ويعدّ انتحاراً يا صديقي.
نكس (ليان) رأسه وقال بصوتٍ خفيض:
- لن أتركها يا (زياد)، مُستحيل أن أتخلّى عنها مهما حدث.
رانت عليهما فترة طويلة من الصمت، قطعها تحرّك (زياد) وهو يقول:
- انتظرنِي هنا، سوف أذهب لإحضار الشباب، لنشرع في العمل سريعاً، لنُجزّ هذه المهمة، ولتخليص (آية)، فنحن أيضاً لن نتخلّى عنها أو عنك يا صديقي.

قالها وتحرك بسرعة، تاركا خلفه (ليان) وضربات قلبه تتسارع، وصورتها تحتل كل خياله وعقله.. صورة (آية).

سار الشاب صاحب الملابس السوداء الرياضية بهدوء في الممر الطويل الخاص بسجن (نفحة) المؤدي إلى غرف النزلاء تحت التحقيقات، حتى توقف أمام غرفة بعينها، ونظر بين القضبان المعدنية الخاصة بها إلى ذلك الجسد المكوم على فراش صغير، كان لرجل في العقد الخامس من عمره يغط في النوم.

اقترب من باب الزنزانة المعدني وجلس أرضا على ركبتيه حتى أصبح في مستوى الرتاج الإلكتروني الخاص بالزنزانة، وأخرج هاتفه المحمول وألقاه بالرتاج الإلكتروني، وقام بفتح إحدى التطبيقات الخاصة المرتبطة بخادم عملاق خاص بإجراء العمليات الحسابية وتوليد الأرقام السريّة بسرعة رهيبه، وتركه يقوم بعمله في صبر وهدوء، وبعد بضعة دقائق تعالى صوت تكّة خفيفة وأضاء الرتاج بلون أخضر؛ دلالة على قبوله الرمز الذي تم إدخاله.

فتح الشاب الباب بهدوء وانسل داخل الزنزانة، واقترب من الفراش والجسد المكوم فوقه، وأخذ يربت على كتفه بهدوء كي لا يصدر أي صوت أو يتسبب في إفزع النائم، وبالفعل تحرك الجسد النائم بهدوء ونظر تجاه الشاب، الذي أشار له بوضع إصبعه على فمه فيما معناه أن يصمت ولا يتحدث، وأشار إليه إشارة خاصة أن يتبعه في هدوء.

تحرك الرجل الراقد على الفراش، والذي هو (أبو رياض)، الذي تبع الشاب بمنتهى الهدوء والخفة، حتى عادا إلى الممر الذي أتى منه.

أخذ يتبع الشاب ويُطيعه فيما يُعليه عليه من تعليمات، حتى وصلا إلى الباب الذي قد دخل منه الشاب، والمطل على الساحة الخارجية للسجن، فأشار الشاب إلى (أبو رياض) وقال:
- اتبع خطواتي جيّداً وبنفس التوقيت لتبتعد تماماً عن مسار كاميرات المراقبة وتحركاتها.
وأشار بيده إلى ركن بعيد عند السور، وهو نفس المكان الذي نجح في الدخول منه وقال:
- هذه النقطة هي التي يجب أن نصل إليها، هيا بنا.

أنهى حديثه وتحركا معاً بالفعل في تناسق وتناغم تام، وكأنهما قد تمّ تدريبهما سوياً على هذا العمل لسنوات، كانا يسيران معاً ويتوقفان معاً، وينبطحا أرضاً أو يستندا إلى أقرب جدار سوياً وفي توقيت واحد تقريباً.

نجحا أخيراً في الوصول إلى هذا الجزء من السور، والذي قد عبر منه الشاب إلى داخل السجن، وعبرا من الفجوة التي كان قد صنعها عبر السلك الشائك وانسلّا خارجاً، أخذ يزحفان معاً لمسافة حوالي خمسين متراً، واعتدلا أخيراً وأمسك الشاب بساعد (أبو رياض)، وأسرع في السير

حتّى وصلا إلى دراجة ناريّة كانت خلف إحدى التّباب الرمليّة، وقفز الشابّ وامتطّاها وأشار له بالركوب خلفه.
قفز (أبو رياض) خلفه بخفّة وسرعة، وانطلق الشابّ بالدراجة ينهب الرمال، ويعلن نجاح الشق الأول من المهمّة، وهو تحرير (أبو رياض).

الفصل الرابع

تحرك الشاب بخفة وهدهد سائرًا في الممرات الخاصة بمكتب الفحص الفني، وهو يُدرك وجود كاميرات مراقبة داخل المكان مُخصصة بالرؤية الليلية وأيضًا كواشف الحركة، وقد أمسك هاتفه الجوّال في راحة يده، وأخذ يتبع المخطط الذي كان قد أرسله له (ليان) والخاص بأنظمة المراقبة والأمن، وقد وصل في هذه اللحظة إلى الخزانة التي يتم تخزين ما يتم فحصه.

خزانات معدنية تعمل بأرقام سرية عن طريق أزرار، وليست ذكية حديثة كالتي تحتوي على حاسوب دقيق، فابتسم من خلف القناع الذي يرتديه، وتحرك بهدوء مرة أخرى طبقًا لخريطة المكان التي معه على هاتفه المحمول، حتى وصل إلى لوحة الكهرباء الرئيسية، وقام بإنزال القواطع الرئيسية للوحة الأم للكهرباء، بحيث تعمل هذه الخزانات على البطاريات الصغيرة الاحتياطية المتواجدة بها في حالة انقطاع التيار الكهربائي، ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه أبدًا؛ لقد انطلقت صافرات الإنذار بالمكان كله، أدرك فداحة ما قام به، ولكنه تحرك سريعًا وقام بسحب إحدى الكابلات الخاصة بالشبكات، وقام بقطعه بيده وإصالة باللوحة الأم الخاصة بتوزيع الكهرباء، وأمسك الطرف الآخر واتجه به إلى الغرفة الخاصة بالخزانات، وقام بلامسة الطرف الذي بيده بجسم الخزانات المترابطة معًا وتشكل جدار كامل. وقد حدث ما توقعه بالفعل، وصدر صوت قرقرة مكتوم، وبعدها مباشرة توالى صوت تكات متتالية دليل على فتح الخزن بالكامل.

شرع في فحص محتويات الخزانات واحدة تلو الأخرى، حتى عثر على غايته، حقيبة سوداء تحوي الحاسب المحمول، وضعها على ظهره وتحرك مُهرولاً، واتجه إلى النافذة التي كان قد أتى منها، وأخذ معه عدة كابلات خاصة بالشبكات، وقام بربطها مع شكال به حبل متين يتحمل جسده، وقام بتثبيتته في الإطار المعدني الخاص بالنافذة المحطمة، وتبدل مُسرعًا حتى وصل إلى نافذة الطابق الثالث أسفل الطابق الذي كان به مباشرة، وضرب بقدمه الزجاج، وتحطم مباشرة؛ إذ كان زجاج عادي بخلاف زجاج مكتب الفحص الفني، وتأرجح حتى سقط داخل نافذة الطابق الثالث المكسورة، كانت غرفة مكتب عادية، وخالية في هذا التوقيت وهذا من حسن حظّه، أسرع الخُطى خارجًا إلى الزُدهة الرئيسية، ومنها إلى الباب غير الموصد بالمفتاح، فأسرع إلى الخارج ومنه إلى مخرج الطوارئ الخاص بالعقار.

وأخذ يقفز الدرج مُسرّعًا حتّى وصلَ إلى مَخرج الطوارئ أسفل العقار، فتحةُ وخرجَ مُهرولًا إلى الشارع الخلفي.

ولكنَّهُ لم يكد يصل إلى مَخرج الشارع الخلفي، حتّى تعالى صوت سيارات الشرطة، وهتاف رجال الشرطة له بالأُ يتحرّك.

ولكنَّهُ لم يأبه لهم وأسرّع يجري وهو يحمل الحقيبة السوداء على ظهره، وتعالَت الهتافات التحذيرية أكثر، وهو يُسرّع أكثر وأكثر، وفجأة ارتطمت بالأرض جوارهُ إحدى الطلقات، وتبعها سيل من الطلقات، حاول أن يجري في مسارٍ مُتعرّج، ومن خلفه تنطلق الطلقات بغزارة.

وفجأة شعر بألم رهيبٍ في ظهره، حتّى أنّه قد سقطَ من قوّة الصدمة والألم ولم يتوقف، بل أسرع ينهض وتحامل على نفسه، وانطلق مرّةً أخرى، وشعر بعمودٍ من النّار يخرق ساقه اليمنى، وآخر يمر بجوار أذنه اليسرى مُحدثًا طنين رهيب كاد أن يُصيبه بالصمم، وبرغم كلّ هذا لم يتوقف.

كادت قواه أن تخور، شعر أنّها النهاية؛ إذ يشعر بسائلٍ دافئٍ يُغرّق ظهره بالكامل، تعالت دقات قلبه أكثر في محاولةٍ أخيرة من قلبه ليضخ ما تبقى من دماءٍ في جسده إلى باقي الأعضاء، لم يمهلهُ القدر وشعر بعمودٍ من النيران يخرق مُنتصف ظهره، وهُنا أدرك أنّها النهاية، وفي محاولةٍ أخيرة انعطَف في أحد الأُزقة الجانبية، ومن خلفه تبعهُ رجال الشرطة يلاحقونه، وبالفعل وجدوه مُلقًى على الأرض غارق في بركة من الدماء بعد أن فقدت عيناه بريقها، وقد خمدت أنفاسه إلى الأبد، ماتَ مُمسكًا بحقيبة سوداء، يتشبّث بها وكأنّها آخر أمل له بالحياة.

أحاط رجال الشرطة الإسرائيليّين بجسده الطاهر، كانوا مازالوا يشهرون أسلحتهم تجاه الجسد المُسجى، وكأنّه رغم استشهاده ما زال يبعث في قلوبهم الرعب! اقتربَ ضابط أمن مطار (بن غوريون) من زميله ومال على أذنه قائلاً:

- يبدو أنّها شخصيّة هامّة يا (روبن).

طائرة خاصّة في هذا التوقيت، وكلّ هذه الحراسات الخاصّة، يكفي الفرد منهم ليدخل في حربٍ صغيرة بمفرده.

رفع (روبن) حاجبيه في دهشة وقال:

- حقًا الأمر غريب يا (إسحاق)، يبدو أنّها شخصيّة مُهمّة قادمة على متن طائرة خاصّة في رحلةٍ من الولايات المُتحدة الأمريكيّة، لكنّ الأغرب كونها رحلة غير مُدرجة، فبالرغم من كلّ

هذه الحراسات إلا أنه لم يتم إبلاغنا حتى بفتح قاعة كبار الزوار ولم يأتي أي مسئول للاستقبال، أو حتى يتم إبلاغنا على الأقل.

مط (إسحاق) شفتيه وهو يشير لزميله كي ينظر أمامه وقال:

- انظر يا صديقي، ها هي الشخصية الغامضة قادمة.

نظر (روبن) فاذا بها سيّدة في نهاية العقد الخامس من العمر، ترتدي نظارة شمسيّة برغم أن الوقت قد تجاوز الثانية صباحًا، على الرغم من سنوات عُمرها التي اقتربت من الستين، إلا أن عبق ما كانت تملكه من جمال أخاذ مازال يفوح منها إلى الآن!

اقتربت منهم وقد أحاط بها رجال الحراسات الخاصّة بها، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت جواز سفر أحمر اللون يحمل شعار النسر الأمريكي الشهير، ممّا جعل (روبن) يفتح فاه من الدهشة وتلعثم قائلاً:

- آسف يا سيّدي لم يُخبرنا أحد بقدوم شخصيّة دبلوماسية في هذا الوقت، كي نستعدّ للاستقبال.

أشارت إليه بطرف يدها التي تمسك سيجار رفيع فيما معناه لا يهم، وقالت:

- أكمل اجراءاتك، لم أخبر أحدًا بقدومي.

لمعت قطرات العرق بسبب التوتر على جبينه، وهو يقوم بختم جواز السفر ويُعطيه إيّاها، وقال مُبتسمًا:

- مرحبًا بك في إسرائيل سيّدة (جروف).

ابتسمت بركن فمها وتحركت، ومن خلفها تحرك رجال الحراسة يُحيطون بها، حتى خرجت من المطار، اقتربت من سيارة فارهة سوداء بالكامل تنتظرها، وقام أحد الحُرّاس بفتح الباب لها، ومُجرد أن اتخذت مجلسها في السيارة حتى أشارت للسائق بالانطلاق. سرحت بخيالها وهي تنظر من زجاج السيارة المعتم، واستعادت ذكريات الماضي بكّل ما فيه.

أخرجها من ذكرياتها صوت السائق وهو يقول:

- لقد وصلنا للعنوان الذي أخبرتيني به يا سيّدي.

قام أحد الحُرّاس الذين كانوا يتبعونها في سيارة أخرى بفتح الباب لها، وترجلت من السيارة وأشارت إلى واحد منهم فقط أن يتبعها، والباقي ينتظرونها في السيارة.

تقدّمت من مدخل أحد العقارات، وتوقفت للحظات وكأنّها تستعيد تفاصيل وذكريات كثيرة، وصعدت إلى الطابق الأوّل وتوقفت أمام أحد الأبواب وقامت بضغط زر الجرس

الخاصّ به، تعالى وقع أقدام بطئية ومرّت دقيقة وبعدها فُتِحَ الباب، فنظرت إلى مَنْ قامَ بفتح الباب، وابتسمت وقالت:

- كيفَ حالكِ يا تمارا؟

صدرت صرخة مكتومة مليئة بالدهشة من (تمارا) وهي تقول:

- مُستحيل!!!

(سيبيل)؟

(سيبيل جروهار)؟؟!!

اقتربت السيّدة من الباب المفتوح، وهي تبسم وتضغط على اسنانها قائلة:

- أجل يا (تمارا).. (سيبيل).

كيفَ حالكِ؟

مرّت فترة طويلة مُنذُ آخر لقاء.

عودة الأفعى



الفصل الأول

- |||||۵۰.

انطلقت صرخة ألم تشق السكون في الغرفة العازلة للصوت بمبنى (الموساد)، من هذه الفتاة ضئيلة الجسد والمفيدة إلى المقعد الذي يتوسط الغرفة، يقف أمامها عملاق ضخم الجثة وممسك بيده إحدى المعدات الخاصة بالتعذيب وتتقاطر منها الدماء.

لم تكن هذه الفتاة سوى (آية)، وهذا العملاق هو (يورين)، الوحش الآدمي الذي استعان به السيد (يوسي) لتعذيبها واستخراج المعلومات منها.

قد ظهرت علامات الألم والإرهاق جلية على ملامحها، لكنها ظلت مُتماسكة، تكتم صرخاتها وعبراتها قدر المُستطاع، عاشت حياتها مُقاتلة، أبت أن تذرف دمعها أمام أعدائها؛ كي لا تُشعروهم بالظفر.

أخذت تجذُّ على أسنانها من شدة ما تشعر به من ألم، تجلس منكسة الرأس تكاد تسقط أرضاً لولا الأصفاد التي تُكبِّلها إلى المقعد، تسقط قطرات الدماء الساخنة من يدها اليسرى، لتصنَع بركة قائمة أسفل المقعد الذي تجلس عليه.

قد خارت قواها بالكامل، وأوشكت أن تفقد وعيها من شدة الألم، وكذا بسبب هذه الدماء التي نزفتها.

وفجأة تذكّرتُهُ.. (ليان)، نطقت باسمه بصوتٍ هامس:

- أَيْنَ أَنْتَ؟

قالتها وكأنها ترجوه أن يأتي، كانت تستغيث به.

خرجت (آية) من ذكرياتها على صفة هزت كيائها بالكامل من يد العملاق (يورين)، وأتبعها أن أمسك يدها اليسرى مرة أخرى وهو يقترب من وجهها قائلاً:

- يبدو أنك ذات إرادة قوية حقًا، حسنًا، لرى إرادتك بعد أن أقوم بخلع الظفر الثالث.

قالها وهو يُمْسِكُ بيدها بقوة ويقترب بالأداة مرةً أخرى.

وانطلقت منها صرخة تحوي كَلَّ أُلها المكبوت.

صرخة أخرجت معها كَلَّ مشاعرها ودمعها.

الفصل الثاني

تخللت نسمة الهواء الصيفية بينَ شعرها وهي تقف في شرفة الشقة التي تقيم بها على النيل مباشرة، ومعها سقطت دمعة من عينها، دمعة ألم وحُزن على فراقه. رغم أنها لحظات قليلة قضياها معًا، ولكنها لم تنسَ واحدة منهنَّ، لا تعلم كيف تعلّقت به لهذه الدرجة في فترة بسيطة؟

- أمازلتِ تُفكرينَ بهِ؟

صكت هذه العبارة مسامعها وأخرجتها من تفكيرها، التفتت للخلف وابتسمت، وأسرعت وألقت نفسها بينَ ذراعي أبيها الشيخ (دياب)، فأخذ يربت على رأسها بحنان، وتابع حديثه هامسًا مواسيًا:

- حاولي أن تنسينَ الأمر برؤمته، تجاوزه.

دفت وجهها بصدرة محاولة أن تخفي الدمع الذي تكوّن بمقلتيها، تدفن وجهها في محاولة أن تدفن مشاعرها نفسها، ولكن هيامها يظهر أكثر كلما حاولت أن تخفيه. حاول الشيخ (دياب) أن يُغيّر دفة الحديث، ليُخرجها من هذا الحُزن المسيطر عليها وعلى تفكيرها.

- لقد تلقيت اتصالًا من (زياد).

كانت صامته وكأن الأمر لا يعينها فتابع:

- لقد اتصل به (ليان).

هنا فقط تراجعت بسرعة كمن لدغه عقرب حينما ذكر اسمه، ونظرت له بذهول، فتابع وهو مبتسم:

- لقد طلب من (زياد) أن يُساعده في أمرٍ ما، بالطبع لم يستطع أن يُخبرني به؛ خشية أن تكون المحادثة مراقبة أو مختصة.

ولكنه طمأنني على أحوالهم جميعًا وهم بخير، قاطعته بلهفة:

- و(ليان)؟؟

ضحك حينما نطقت اسمه بهذه الطريقة المتلهفة، وقال وهو يُمسك بيدها ويضغط عليها برفق:

- بخير يا ابنتي، بخير.

مَنْ مثل (ليان) لا خوف عليه أبداً.

ابتسمت للمرة الأولى، وقالت والسعادة ترتسم على ملامحها:

- ليحفظه الله.

يااااااه، لا تعلم يا أبي حجم السعادة التي أشعر بها الآن، وهذا الشعور العارم الذي يختلج قلبي.

وفي وسط هذا الإحساس بالسعادة، ابتعدت عن حزن أبيها وكادت أن تقفز من فرط سعادتها، ممّا جعله يقترب منها مرة أخرى ويحتضنها وهو يربت على رأسها بيدٍ حانية وهو يغمغم:

- ليحفظه الله يا ابنتي، ويحفظكِ أنتِ أيضاً.

وتابع وهو يشخص ببصره بعيداً:

- يعلم الله شعوري تجاه (ليان)، إنني أدعو له في كل صلاة أن يحفظه الله ويحميه ويُساعده على ما هو عازمٌ عليه.

قالها وهو من داخله لا يشعر أبداً بالراحة،

بل لديه شعور بالقلق، يزداد ويزداد.

وقف مدير قطاع الشرطة الإسرائيلية أمام جثة الشاب الفلسطيني المُسجى أرضاً وقد فارق الحياة، وأشار إلى رجال المعمل الجنائي بفحص مُتعلقاته، وخاصة الحقيبة السوداء التي يحملها على ظهره.

شرع رجال المعمل الجنائي في فحص مُتعلقاته بالكامل واستخراج كُل ما يحمله، وبعدَ دقيقةٍ واحدة تحرك أحدهم إلى مدير القطاع، الذي كان قد تحرك ليُعطي تعليماته إلى رجال الشرطة الآخرين، الذين يقومون بفحص المبنى الخاص بالفحص الفني.

- معذرة سيدي القائد.

التفت إليه مدير القطاع متسائلاً، فتحدّث الضابط وعلى وجهه علامات الدهشة:

- لقد قمنا بفحص الحقيبة التي كان يحملها ذلك المُتطرف الفلسطيني، ولكنها خاوية تماماً يا سيدي، ولا يوجد بها شيء.

ظهرت الدهشة على وجه مدير القطاع وغمغم قائلاً:

- مُستحيل؛ فإدارة الفحص أخبرتنا أنه قد قامَ بسرقة جهاز حاسوب محمول، كان متواجداً بإحدى الخزائن مكتب الفحص الفني، وحاول أحدهم سرقته منذُ يومين، ويبدو أنه يحوي

معلومات هامة جداً، ويُحاول هؤلاء الإرهابيين أن يحصلوا عليه، فكيف هذا؟

التفت إلى أحد الضباط الذين يعملون تحت إمرته وقال:

- أبلغ الرجال بإعادة فحص المكان بالكامل ابتداءً من الإدارة بالأعلى، وكلّ مكان مرّ به قبل أن يصل إلى تلك المنطقة وتنتج قواتنا في التخلّص منه، فبال تأكيد أنّه لم يُقابل أحد أبداً، وطبقاً لتفريغات كاميرات المراقبة للأماكن المحيطة بالمربع السكني بالكامل، وأيضاً الخاصة بمكتب الفحص الفني، فقد كان المٌخرب مُنفرداً وليس معه أحد سواء كان في انتظاره أو كان معه أثناء اقتحامه للمكتب.

أنهى حديثه مع هذا الضابط، وأسرع إلى المبنى الذي يحوي مكتب الفحص الفني، وصعد إلى الطابق الذي يحوي المكتب المنشود، أخذ يسرع الخطى ومُجرّد دخوله للمكان سادت حالة من التوتر بين أفراد قوات الشرطة وكذا رجال المعمل الجنائي.

فهو ليس بضابط عادي برتبة عادية، إذ يعتبر مدير قطاع الشرطة في المقاطعة بالكامل، وقد انتقل إليه التوتر هو الآخر، وأخذ يُعطي أوامره بفحص المكان بالكامل، شبر شبر دون أن يترك ولو سنتيمتر واحد، وبالفعل تحوّل المكان بالكامل إلى خلية نحل، ولكن دون جدوى إطلاقاً، فلم يتم العثور على أي أثر للحاسب المحمول.

مما ضاعف من توتر الموقف وجعل الضباط المتواجدين في حيرة كبيرة، كان مدير القطاع قد تحوّل لون بشرته من الأبيض إلى الأحمر من كثرة الغضب الذي يشعر به، هبط للطابق الثالث حيث هرب الشاب الفلسطيني وكسر النافذة واقتحم المكتب، وخرج منه لمخرج الطوارئ الخاص بالعقار.

وبالفعل شرع رجاله بفحص المكان بالكامل ولكن أيضاً دون جدوى.

مما جعله يقف في مُنتصف المكان حائرًا.. لا يدري ما حدث؟

أو كيف حدث؟؟

وظلّ عقله يسأل ألف سؤال ولكن دون إجابة .. أين ذهب الحاسوب؟؟؟

ومتى أخفاه الفتى الفلسطيني؟

أين؟؟

وظلّ السؤال يتردد.. ولكن دون إجابة.

الفصل الثالث

- مُستحيل!!

نطقتها (تمارا) وهي مُتسعة العينين في دهشة حقيقية تنظر إلى (سييل) التي تقف أمامها، ممّا جعل تلك الأخيرة تبتسم ابتسامة نصر، وهي ترى ملامح الدهشة والرُعب مُرتسمة على وجه (تمارا)، وقالت وهي تقترب منها:

- كنت تعتقدي مثل الآخرين أنّي قد مت؟

واقتربت أكثر من وجهها حتّى كادت أنفاسها أن تضرب وجه الأخيرة، وقالت وهي تضغط على أسنانها:

- من الصعب التخلص من (سييل).. بل هو المُستحيل ذاته.

(سييل جروهار) لا تموت بمثل هذه السهولة.

(تمارا) تملكها الرُعب، فالذي تراه الآن كانّ بالنسبة لها أشدّ كوابيسها فزعًا، بل كانّ المُستحيل في حدّ ذاته، فبعد فترة حوالي سبعة عشر عامًا من كلّ الأخبار المؤكدة لمقتلها، سواء من (الموساد) نفسه أو من المساعدين المباشرين لها، والدّين كانوا على تواصلٍ دائم مع (تمارا)، وتذكّرت كيف أعدّت (سييل) العدة لمثل هذا الموقف، والهوية الأخرى التي تركتها لابنها باسم (ليان)، والتي عاش بها طوال عمره، وأيضًا التاريخ السابق لحياة والدبه والحسابات البنكية التي تتولّى مصاريفه الدراسية ومصروفاته وكذا راتبها، والذي لم يكن بإمكان أيّ شخص حتّى هي أن يتحكم بأيّ شيء، وحتّى مع التضخم العالمي وزيادة حجم الإنفاق كان موضوع في الحسابان بودائع أخرى تُصرف تبعًا دون تدخل من أحد، وكيف تركت برنامج قوي لتعليم وتنمية مهارات (ليان) يُشرف عليه خبراء يصلهم راتبهم كلّ أوّل شهر بنفس الطريقة، بل وأيضًا تعيين مُشرفين لمتابعة البرنامج وطريقة تنفيذه وكذا نتائجه في كلّ مرحلة، سواء التدريبات البدنية أو تعلّم اللغات أو مهارات وتنمية عقله، والأعجب هو أنّه دون أن يشعر ابنها أو أيّ أحد بوجود كلّ هؤلاء الخبراء حول الطفل، بل إنّ كلّ خبير منهم لم يكن يعلم بوجود آخرين، ولكن تذكّرت أمرًا مهمًّا وقتها، وهو حين طُلب منها كتابة تقرير شامل كلّ شهر تقريبًا تصف فيه كلّ ما حدث خلال الشهر مع (ليان)، وُترسله إلى بريد إلكتروني ثابت ولا تنتظر ردًا، وكان مطالب منها في التقرير معرفة كلّ ما حدث ابتداءً من تغذية الطفل وحتّى سلوكه بين أقرانه في المدرسة أو النادي، وأيضًا كافّة الملاحظات البسيطة في عاداته أو أفعاله، جال كلّ هذا ببالها في لحظاتٍ وهي تقف أمام (سييل).

- لقد أدركت الموضوع ببراعة بالفعل.
- نطقَت هذه الجملة موجهة حديثها إلى (سيبيل)، ممَّا جعلَ الأخيرة تبتسم بركن شفتيها الأيمن دلالة على السخرية وتقول:
- كُلُّ شيءٍ قد أعدَّ له بدِّقة، وبالفعل نجحتُ في كُلِّ ما أربو له من البداية، واستطعت أنْ أصنع المُستحيل، صنعْتُ شابًّا ذكيًّا مُقاتلاً عبقرِيًّا في التكنولوجيا، باختصار صنعْتُ النُّسخة المعدلة والأذكى والمُتطورة من أبيه.
- مُقاتِل مُتكامِل ذكي خبير بالتكنولوجيا، وأيضًا يملك مهارات جسدية فائقة، وكذا تنمية ردود أفعاله وسرعة استجابته، وكُلُّ هذا دونَ أنْ يشعر ولا يشعر أحد من المُحيطين به.
- قد استدارت تنظر بعيدًا وهي تسهب في الحديث والشرح عن خُطتها، ولكنها عادت ونظرت مرَّةً أخرى إلى (تمارا)، وقد تغيَّرت ملامحها تمامًا حتَّى أنْ الرُعْب قد دبَّ في قلب الأخيرة، فقالت (سيبيل):
- وحاولت أن لا أزرعَ به نقطة الانتماء حتَّى إلى إسرائيل، ولم أكن أعلم أنني على خطأ، بل لم أعتقد أبدًا أن الأمر سينقلب تمامًا.
- مُستحيل أن يضيع مجهود تلك السنوات، في صنْع مُقاتِل لا يُشَقُّ له غبار، وفي النهاية أمنحه لأعدائي وأعداء بني جلدتي حتَّى وإنْ كُنْتُ على غير وفاقٍ معهم ومع إدارتهم.
- لا يُمكن أنْ أصنع عدوي بيدي، مُستحيل.
- قالتها وهي تضرب براحه يدها بعنفٍ على طاولةٍ أمامها، وصرخت في انفعال:
- أينَ الخطأ؟
- هل كان لا بُدَّ وأنْ أزرعَ به روح الانتماء إلى وطنه الأم؟
- أينَ الخطأ فيما حدث؟
- وفجأة التفتت إلى (تمارا) ونظرات الغضب تملأ عينيها، ويكاد الشرر يتقاذف منها، وصرخت بها:
- بالتأكيد أنتِ السبب؟
- ظهرت نظرات الجزع والخوف على وجه (تمارا) وصرخت بخوفٍ:
- أنا؟!!!
- وما علاقتي أنا بما قد حدث؟
- لقد قُمتَ بالفعل بتنفيذ كُلِّ تعليماتك على مدار السنوات ومُنتهى الدِّقة، وكُنْتُ أُرسل إليك التقارير بصفةٍ دوريةٍ ولم أقصر يومًا في كُلِّ طلباتك وأوامرك.

أخذت تتحدّث والرّعب يتملّك كلّ ذرّة بكيانها، لكنّ هذا الرّعب لم تهتزّ له شعرة واحدة في رأس (سيبيل)، والتي تقف أمامها وتنظر إلى الرعب والجزع على وجهها، وهي تنفث دُخان لُفافة التبغ الرفيعة التي تحملها بين أصابعها، وفجأة نظرت إلى احد الرجال المُرافقين لها وهزّت رأسها.

ومُجَرّد أن أعطته تعليماته، أخرج مُسدسًا من أسفلِ سُترته وبدون أدنى تردّد أطلق النّارَ على رأس (تمارا) دونَ أن يجفل له جفن!

تناثرت الدّماء في كلّ مكان، وعلى الرغم من هذا إلّا أنّه لم يؤثّر البتّة في (سيبيل)، ومُنتهى الهدوء استدارت وغادرت المكان بكُلّ هدوء، ومن خلفها رجال حراستها، وانصرفت وهي تُفكر في (ليان)، وكيف تُعيده مرّة أخرى عن الطريق الذي اتخذه؟

أو إيقافه تمامًا، أو التخلّص منه إن اقتضى الأمر.. ولكنّها لن تسمح أبدًا للمصريين أن ينتصروا.

الفصل الرابع

كُلُّ شيءٍ مُعَدَّ بِدَقَّةٍ بالغة، والعامل الأهمُّ هو التوقيت، فُبمجرد دخول (ليان) إلى مبنى (الموساد) تَمَّ ضبط التوقيت بينهُ وبينَ (زياد) المتواجد خارج المبنى، بل على أطراف المنطقة نفسها عند غرفة مُحولات الطاقة المسؤولة عن كُلِّ هذه المنطقة السكنية، ليسَ هذا فحسب؛ بل تواجد أحد الرجال التابعينَ للمقاومة الفلسطينية بالقربِ من إحدى العُرف الأرضية، التي تُشبه البالوعات الخاصة بالصرف الصحي، وقمرَ بها الوصلات الكهربائية المُغذية لمبنى (الموساد) من موقع بديل للتيار الكهربائي الاحتياطي.

تَمَّ التنفيذ بِمُنْتَهَى الدَقَّة، كما تَمَّ فصل التيار الرئيسي والاحتياطي بنفسِ التوقيت بالضبط، ولم يَتَبَقِ سوى المُولد الاحتياطي وهو داخل المبنى ذاته، وهذه هي مهمة (ليان)، أدركَ أنَّ أمامهُ حوالي سبع دقائق، قَبْلَ أَنْ يَقومَ المُولد الاحتياطي بالعمل ويعود التيار الكهربائي لكامل المبنى.

تحرَّكَ (ليان) بسرعة وظلَّ يركض بينَ أروقة المبنى التي يحفظها عن ظهرِ قلب، وبالفعلِ نجحَ في الوصولِ إلى عُرْفَةِ المُولد الاحتياطي بالمبنى دونَ أَنْ يواجهَ أيَّة عقيات تقريبًا، فلم يَكُنْ يتخيَّل أحدٌ أَنْ يتمَّ فصل مصدر التيار الرئيسي والاحتياطي معًا بذاتِ التوقيت. مرَّت ثلاث دقائق و (ليان) يقف أمام الممرِّ الذي بنهايته تقع الغرفة التي تحوي المُولد الكهربائي الاحتياطي.

وتناولَ إحدى الأسطوانات الخاصة بإطفاء الحرائق والمُنْتشرة بالرواق، وضربَ بها الصندوق الزجاجي الذي يحوي فأسًا معدنية، والتي يستخدمها رجال مكافحة الحرائق في كسر الأبواب والنوافذ أثناء الحرائق الكبيرة، وشرعَ في ضربِ الباب الخاصِّ بغرفة المُولد ضربات سريعة مُتلاحقة على رتاجه وبالفعلِ فتح الباب من كثرة الضربات، دخلَ (ليان) وهو ينظرُ في ساعة يده، فوجدَ أمامهُ دقيقة واحدة فقط قَبْلَ أَنْ يعمل المُولد الاحتياطي، ويعود التيار الكهربائي إلى كامل المبنى.

وبسرعةٍ استدارَ إلى وجِدَةِ الحاسوب المُرتبطة بالمُولد، وأخذتُ أصابعهُ تعمل بسرعة على لوحة المفاتيح الخاصة به، بدأ يتصَبَّب عرقًا وهو يعمل بِمُنْتَهَى السرعة على لوحة المفاتيح، يُسابق الزمن وفجأة صدر صوت يُشبه دوران المُحرك، وتعالى هدير المُولد مُعلنًا بدء العمل ومعها ضربَ (ليان) زِرَ الإدخال بلوحة المفاتيح.

استمرّ المُولد بالعمل فعليًا، ولكن لم يحدث أيّ تغيير، فلم تعود الإضاءة أو حتى تعمل أجهزة الإنذار وكاميرات المراقبة، وابتسم (ليان) وتحرك إلى خارج الغرفة، ووجهه يحمل ابتسامة ظافرة تدلّ على نجاحه فيما يفعل.

أدرك أنّه من المستحيل إيقاف عمل المُولد الاحتياطي أبدًا إلا عن طريق تفجيره فقط، وهو الأمر الذي يُمكن أن يتسبب في انهيار المبنى ككلّ، وهو ما لا يُحبّذه على الأقل حتى يخرج هو و (آية) منه، لهذا فكّر سريعًا وتوصل إلى حلّ عبقري عن طريق الحاسوب المُتّحكم في المُولد الكهربائي وعمله بالكامل، حوّل كلّ مسارات الطاقة إلى التبريد ليصل بالمكان إلى درجة الصفر المئوي، ممّا استدعى أن يقوم الحاسوب بإيقاف كلّ المصادر الأخرى التي تستهلك تيار كهربائي، والمُرتبطة به مثل الإضاءة وكاميرات المراقبة وأجهزة الإستشعار، وحوّل كامل طاقته إلى وحدة التكييف المركزي للمبنى بالكامل؛ ليصلّ إلى درجة الحرارة المطلوبة وهي الصفر المئوي، وبالفعل نجحت الخطة وقام (ليان) بتشغيل الحاسوب بعدها قبل أن ينصرف. قد غرق مبنى (الموساد) بالكامل في ظلام دامس، ولم يستطع أحد أن يفهم ما الأمر أو ما الذي حدث بالضبط؟

فقد حدثت كلّ الأمور سريعًا، وكذا غياب الرؤية وتوقف كاميرات المراقبة وأجهزة الإستشعار والإنذار جعل الكلّ وكأنّهم عميان!

لم يستطع أحد أن يتعامل بحكمة مع الموقف ككلّ؛ إذ لم يتوقع أحد أن يحدث كلّ هذا، وهو ما قد خطّط له (ليان) بذلك.. عامل المفاجأة.

وبالفعل نجح فيما يصبو إليه، هروّل صاعدًا إلى الطابق الخاص؛ حيث غُرف الاحتجاز والاستجواب وكذا مكتب السيّد (يوسي)، أخذ يتحرّك بثقة وسرعة اكتسبها من طوال فترة عمله داخل المبنى.

قد وصل إلى الطابق الثالث؛ حيث غُرف الاحتجاز، ومازال يحمل الفأس المعدنية بين يديه، إذ كانت هي سلاحه الوحيد الذي استطاع أن يحصل عليه داخل المبنى.

أخذ يمرّ بأبواب الغرف باب يليه الآخر، ويضع أذنه بهدوء مُنصتًا يُحاول أن يسمع الأصوات داخل الغرفة، حتى توقف أمام باب إحدى الغرف أدرك أنّها تحوي بداخلها أحد الأشخاص، ولكنّه لم يتعرّف هل (آية) بهذه الغرفة أم لا؟

وقف بثباتٍ أمام باب الغرفة، وقام بطرق الباب وانتظر حتى سمع صوت رتاج الباب وشاهد الباب وهو يفتح.

وظهر من خلفه عملاق ضخم يرتدي بالطو أبيض، شبيه بالعاملين في المجالات الطبية وتظهر عليه آثار دماء.

لم ينتظر (ليان) كثيرًا وأسرَعَ يقول له بلهجة أَمْرَة:
- السيّد (يوسي) يأمرُك بإخراج الأسيرة سريعًا إلى إحدى عُرف الاحتجاز السُفلية المُؤمّنة؛
خشية أن تنجح في الهرب مُستغلّة انقطاع التيار الكهربائي.
هزّ العملاق رأسه في حيرةٍ وهو يقول:
- لم أتلَقِ مثل هذه التعليمات من قبل، لكنّ الموقف كُلّه غريب، وخاصّة انقطاع التيار
الكهربائي كُلّ الفترة وحتىّ دونَ أن يعمل المُولّد الاحتياطي.
أنهى عبارته ونظرَ إلى (ليان) في صمت، ثُمَّ قال:
- انتظر قليلًا، سوف أحاول الاتصال بمكتب السيّد (يوسي)؛ كي أتلَقِ منه التعليمات مباشرة.
واستدار عائِدًا إلى داخل الغرفة موليًا ظهره إلى (ليان)، الذي يضع الفأس المعدنية خلف
ظهره مُستغلًا الظلام، ومدّ رأسه قليلًا يحاول أن ينظر داخل الغرفة، مُستغلًا الضوء الأحمر
البسيط الذي يَشع من كِشافات الطوارئ البسيطة المُنتشرة، والتي تعمل بالشحن ولا يتدخل
أحد في عملها، إذ تعمل مباشرة بمُجرّد توقف التيار الكهربائي.
رأها مُقيّدة إلى المقعد المعدني، منكسة الرأس شبه فاقدة الوعي، تملكته مشاعر حيّاشة، لم
يشعر بنفسه إلّا وهو يدخل الغرفة مُسرّعًا، ويهوي بكلّ ما أُوتِيَ من قوّة بظهر الفأس التي
يحملها على رأس العملاق (يورين)، ضربة من قوّتها كفيّلة أن تُسقط فيلًا في غيبوبة عميقة.
لقد كانَ (ليان) يكره أن يُهاجم شخصًا من الخلف، لكنّه ونظرًا للفرق بين القُدّرات الجسديّة
بينه وبينَ هذا العملاق أدرك أنّه لن ينتصر بسهولة، فكانَ لا بُدَّ وأن يُباغتَه بمثل هذه
الضربة، ولكنّها لم تنجح كما خطّط لها؛ فقد تلَقى العملاق الضربة وكاد أن يسقط أرضًا،
ولكنّه تمالك نفسه بسرعة وأطلق زمجرة شرسة واستدار يواجهه (ليان)، كاد الذهول أن
يتملك الأخير، فلم يَكُن يتخيّل كيف لإنسان أن يتلقّى مثل هذه الضربة ويظلّ واقفًا على
قدميه!
لكنّه تدارك الأمر سريعًا وقفزَ في الهواء، وركله ركلة قويّة في وجهه بإحدى حركات (الكونغ
فو) الشهيرة، لم تؤثر بتاتًا في هذا الجدار الصلب الذي يقف أمامه.
هبط (ليان) واقفًا وهو يفكر كيف يُمكن التغلّب على مثل هذا الكائن؟
لم يُهلِه (يورين) فرصة للتفكير، ولكنّ هجمَ عليه وأطبّق على جسده بذراعيه الكبيرتين
وظلّ يضغط على صدره وظهره ويعتصره، شعر (ليان) بألم رهيب في عظام صدره وظهره،
لم يتخيّل أبدًا أن هُناك مَنْ هو بمثل هذه القوّة.
بدأ الخدر يتسلّل إلى وعي (ليان) نتيجة الضغط على رتنيّه، وأدرك أنّه خاسر لا مَحالة في
هذا الصراع، لذا تحرّك سريعًا وهوى برأسه على أنف العملاق بكلّ ما أُوتِيَ من قوّة، وكررها

مرّات سريعة مُتتالية حتّى شعر بارتخاءٍ بسيطٍ في الذراعين المُحيطتانِ بخصره، فضربَ برُكبتِهِ اليمُنَى بينَ ساقيه ضربةً موجهة، جعلتَ العملاق يئنُ من الألم وفلّت (ليان)، الذي لم يترك فرصةً لَهُ فبمُجرّد أنْ تركهُ وهبطَ أرضًا تحرّكَ بسرعة، بينما (يورين) مُنحني قليلًا من الألم الرهيب الذي لحقَ بِهِ جرّاء ضربة (ليان) لَهُ بينَ ساقِيهِ، ممّا أتاحَ فرصةً للأخير أنْ يكيّلَ لَهُ لَكمتانِ مُتتاليتانِ وضعَ بهما كامل قوّته، وبالفعلِ سقطَ العملاق أرضًا وهو يغور كالثور وفقد وعيه.

أخذَ (ليان) يلهثُ من فرط الانفعال والمجهود الذي بذلَهُ للتخلّص من هذا الثور البشري، ونظرَ تجاه (آية) المُقيّدة في المقعد المعدني واقتربَ منها، وأمسكَ رأسها وأبعدَ خصلات شعرها التي تُغطي وجهها، وهي فاقدة الوعي فأسرَعَ يَفك وثاقها حتّى وقعت عيناهُ على يدها اليسرى التي تغطيها الدماء، وصعدتِ الدماءُ إلى رأسِهِ سريعًا في غضب. في هذه اللحظة بدأت تستعيد وعيها، فتأوهت ونادت باسمه، ممّا جعلهُ يُحيط رأسها بذراعيهِ ويضمّها إلى صدره قائلاً:
- أنا هُنا، لن أتركُكِ أبداً.

رفعتَ عينها إليه حتّى تلاقت نظراتهما، وابتسمت رغم ألمها وقالت:
- أعلمُ هذا، أعلم.

حلَّ وثاقها بالكامل، وبحثَ سريعًا في هذه الإضاءة الخافتة حتّى عثرَ على صندوق إسعافات صغير، قامَ بتضميد يدها سريعًا كي يُوقف نزف الدماء منها، كانت تتألم بشدّة ومع كُلّ آهة ألم تصدر منها، كانت تتمرّق لها نياط قلبه معها.

ساعدتها على الوقوف ليتحرّكا بسرعة، ولكنّه نظرَ للعملاق الساقط أرضًا وقال:
- انتظري، هُناك مهمّة باقية، وأمسكُ الفأس التي قد أتى بها، وتحرّكْ تجاه (يورين) ورفعها وكادَ أنْ يهوي بها بكُلّ ما أُوتيَ من قوّة على يده؛ جرّاءَ لَهُ على ما فعله بيد (آية).
قد أوقفتُهُ صرختها، وأسرعت وألقت نفسها أمامهُ حائلاً بينهُ وبينَ العملاق فاقد الوعي، وهي تقول:
- أرجوك لا تفعل هذا.

نَحَنُ غيرهم يا (ليان)، إنْ فعلتَ هذا نكونَ أشبه بهم بحقارتهم ودمويّتهم، لكنّا لسنا مثلهم.

وقف ينظر إليها وإلى عينيها، وبالفعلِ ألقي الفأس جانبًا وأسرعَ يحملها كطفلةٍ صغيرة بينَ ذراعيه، وأسرعَ للخروج من الغرفة إلى الرُدهة الرئيسيّة وهو يحملها، بينما هي في هذه

اللحظة تنظر إليه وإلى وجهه الوسيم، أحاطت رأسه بذراعيها وابتسمت، وفجأة عادت برأسها للخلف وتساءلت:

- ما هذه البرودة الشديدة في الجو.
ضحك وهو يقول:

- هذه قصة كبيرة، نخرج من هنا أولاً وأرويها لك.
أخذ يتحرك سريعاً في اتجاه مخرج الطوارئ، وفي ذهنه خريطة المكان بالكامل يحفظها عن ظهر قلب، يتحرك بمنتهى السرعة والمهارة، وفجأة عادت الإضاءة تغمر المكان بالكامل، وانطلقت صافرات الإنذار تدوي وتصم الأذان، وشرعت بوابات الأمن في الإغلاق تلقائياً.
توقف (ليان) وسقط قلبه بين قدميه؛ فقد أدرك أنه فشل.. فشل تماماً.

الصراع الدموي



الفصل الأول

- أغنياااااااا.

ولو أردتَ أنْ تُرسمَ لوحةً فنيّةً تصوّر توقّف الزمن فجأة، لمّا وجدتَ أفضل من هذه اللحظة، (ليان) يحمل (آية) بينَ ذراعيهِ شبهَ فاقدَةِ الوعي، وهو يُسرّع للخروج من مبنى (الموساد) المظلم تمامًا، وفجأة عادت الإضاءة تغمر المكان بالكامل، توقّف (ليان) وتجمّد الزمن بالفعل، أخذتِ (آية) تسترجع ما مرّ به في الأيام القليلة الماضية، وهي بينَ اليقظة والغيوبة. وهنا استسلمت للغيوبة التي تُحيط بعقلها، وأظلمت الدُنيا من حولها.

صرخَ السيدُ (يوسي) بهذه الكلمة وهو في قمة غضبه وسخطه، يقف أمام البوابة الرئيسيّة للمبنى (الموساد) من الخارج و المبنى بأكمّله غارق في ظلام دامس، يقف وسط قوَّات التدخُّل السريع التي تلتف بالكامل حولَ المبنى، ولم يستطع أحد الدخول مُجرّد انقطاع الكهرباء، وانطلاق صافرات الإنذار، وأغلقت جميع البوابات والنوافذ والمداخل والمخارج؛ لئلا تستطيع بعوضة أن تدخل أو تخرج من المبنى، والأدهى هو عدم استجابة الحاسوب الرئيسي للمبنى، ممَّا جعله يستشيط غضبًا أكثر ويصرخ بالمُهندسين والفنيين الخاصين بالتحكم بالمبنى.

يقف أمامه كبيرهم وهو منكس الرأس، يتلقى كُلُّ هذا الانفعال من السيد (يوسي) دون أن يفتح فيه، صمتٌ لفترة حتَّى صرخَ به فجأة مُطالِبًا إيَّاه بشرح الوضع بالتفصيل، ممَّا جعله يتلعثم وهو يغمغم قائلاً:

- الوضع غريب بالفعل يا سيدي!

الخدّام الرئيسي لا يستجيب للأوامر، ليسَ هذا فحسب؛ بل وتستهلك كُلُّ موارده تمامًا في تنفيذ سلسلة من التعليمات، لم تتمكن حتى الآن من الوصول إليها أو الاطلاع عليها أو حتى إيقافها، والأكثر غرابة أنَّ المُولّد الاحتياطي يعمل بالفعل بعدَ قطع خطوط الإمداد الرئيسي للكهرباء والفرعيّة أيضًا؛ نتيجة نفس غُرَف المُحوّلات في أقرب نقاط مُحيطَة للمبنى، ولكنّ الظلام يعمّ المبنى بالكامل، دونَ أنْ ينجح المُولّد الكهربائي في استعادة الإضاءة.

تحوّلت بشرة السيّد (يوسي) إلى اللون الأحمر من الغضب الشديد، الذي يُسيطر عليه وكاد أن يصرخ بانفعال، ولكنّه تمالك نفسه وهو يقول ويضغط على أسنانه موجها حديثه لكبير المهندسين:

- كَيْفَ هَذَا؟

هل تُريدُ إخباري بأنَّ شخصًا واحدًا وعقلًا واحدًا فقط، استطاع ان يسيطر على الخادم الرئيسي لمبنى (الموساد) بالكامل، ليس هذا فحسب؛ ولكنَّهُ قد تفوَّقَ على خيرة العقول في دولة إسرائيل بالكامل؟

ازدردَ كبير المهندسين لُعباهُ بصعوبة، وصمتَ ممَّا جعلَ السيّد (يوسي) ينفجر في وجهه صارخًا:

- أجبني، أقسمُ بالتوراة أنْ تُحاسبوا جميعًا ويتمّ محاكمتكم محاكمات عسكرية، أنتم لا تستحقونَ هذه الوظائف، ولا الرواتب الباهظة التي تتقاضونها.

امتقعَ وجه كبير المهندسين، وتلعثمَ وهو يقول في خفوتٍ:

- لقد نجحَ رجالنا في استعادة بعض الإضاءة الأساسية، عن طريق التوصيل المباشر من خارج المبنى مع مُولد احتياطي آخر مُتحرك، وهذا بفصل بعض الكابلات من عُرف الصيانة الخارجية تحت الأرض، وربطها بطريقة مُباشرة مع المُولد الاحتياطي الخارجي، وجارٍ الآن العمل على فتح بعض البوابات الخارجية وتجاوز نظام الإغلاق عن طريق حاسوب المبنى. صمتَ قليلًا مُنتظرًا ردَّ فعل من السيّد (يوسي)، الذي ينظر إليه نظرة اشمئزاز ومن ثمّ تابع قائلاً:

- أعدك أنَّهُ في مدة لا تتجاوز العشرونَ دقيقة، ستكون قوّاتنا بداخل المبنى، وتُسيطر عليه سيطرة كاملة.

قاطعهُ السيّد (يوسي) مُحتدًا:

- عشرونَ دقيقة!!؟

هل تعلم ما يُمكن حدوثه خلال هذه المدة؟؟
ازدرد كبير المهندسين لُعباهُ مرّةً أخرى، الذي قد جفَّ تمامًا وتحوّل حلقه إلى الجفاف، وكأنَّهُ يعبر صحراء قاحلة مُنذُ يومين على الأقل، وغمغم قائلاً:
- لا أعلمُ يا سيّدي، ولكنّ أتمنّى ألا يحدث شيء.

- أتمنّى!

أخذ السيّد (يوسي) ينظر إليه وغمغم هو أيضًا قائلاً:

- أتمنّى أنا الآخر.. أتمنّى.

الفصل الثاني

تجمّد (ليان) في مكانه تمامًا، فلم يكن يتوقع أن تعود الإضاءة بسرعة، إذا كان يُدرك جيّدًا تصميمات المبنى بل يكاد يحفظها عن ظهر قلب، ويُدرك صعوبة أن ينجح المهندسين في السيطرة واستعادة التحكم في الخادم الخاص بالمبنى بهذه السرعة.

يحمل (آية) بين ذراعيه وقد فقدت الوعي تمامًا، ولكنّه لم يفقد رباطة جأشه بل تحرّك سريعًا، ووضع جسد (آية) بهدوء أرضًا وحرص على ألا تتعرّض لأي إيذاء وهي كذلك، واتّجه مباشرة إلى أقرب منفذ للتكييف المركزي، ووضع يديه قبالة فتحاته ليستشعر الهواء الخارج منه، وابتسم بركن فمه، فقد أدرك ما حدث.

قد ازداد دفع الهواء وأيضًا برودته، ممّا جعله يُدرك أن بعض الأحمال قد تمّ تخفيفها عن الخادم الخاص بتوزيع الكهرباء، ممّا جعله يزيد من مرور التيار أكثر إلى التكييف المركزي، ليقوم بالمهمة المطلوبة وهي الوصول إلى درجة حرارة الصفر المئوي.

ومنهُ استنتج أنهم حتّى الآن لم ينجحوا في استعادة السيطرة على الحاسوب، وكلّ ما نجحوا به هو قطع خطوط التوصيل الخارجيّة الخاصّة بإضاءة أجزاء من المبنى، وتوصيلها بمصدر للتيار وليكن مُولّد كهربائي متحرّك، نظر في ساعة يده فأدرك أنّه مازال معه خمسة عشر دقيقة، كي يستطيعوا القيام بفتح منفذ أو أحد البوابات أو المداخل الخاصّة بالمبنى.

عادَ مُسرّعًا إلى جسد (آية) المُسجى أرضًا، وحملها بين ذراعيه كغفلةٍ صغيرة، وهبط مسرعًا الدرج الرئيسي حتّى وصل إلى الطابق الأرضي، توقف يستعيد خريطة المبنى بعقله بسرعة، وتوقف ونظرَ تجاه إحدى الغرف في ممرٍّ جانبي وتوجه إليها مُسرّعًا بحمله الذي بين ذراعيه. ومُجرد أن وصل إلى هناك حتّى فتح خزانة داخل الغرفة، تحتوي على ملابس خاصّة برجال الإطفاء والدفاع المدني، وأخرج منها ملابس تُناسب قياسه وقياس جسد (آية) الضئيل، وقام بوضع الملابس عليها دون أن يخلع ما ترتديه، وارتنى هو أيضًا نفس الملابس الخاصّة برجال الإطفاء، ونظرَ في ساعة يده كان أمامه أقل من ثلاث دقائق، وضع جسد (آية) على مقعد قريب وتحرك لخارج الغرفة حتّى وصل إلى البهو الرئيسي للطابق الأرضي، وهو يُخرج من طيّات ثيابه وأسفل حزامه شريحتين طويلتين بمادّة أشبه بالصلصال بحرص شديد، وقام بدمجهم معًا حتّى تأكد أنهما أصبحا كتلة واحدة، وقام بخلع ساعة يده وتثبيتها بهذه المادّة، مادّة (C4) شديدة الانفجار، ولكن لا تكتمل إلّا بعد خلط العنصرين الخاصين بها لتصبح جاهزة للتفجير، وبالفعل تحرّك بحرص حتّى وصل إلى أحد الأعمدة الرئيسيّة بالبهو.

قامَ بزرع المادّة المتفجرة به، وضغطَ أزرار ساعته وقامَ بضبطها لتُحدث الشرر الخاصّ بالتفجير، ولكنّ ليسَ بضبط توقيت التفجير وإمّا باستقبال إشارة من هاتفه المحمول، وتحركَ عائداً مرّةً أُخرى إلى غرفة الدفاع المدني ومُعَدّات الإطفاء التي تركَ (آية) بها، ثُمَّ قامَ بتجميع كُلِّ محتويات الغرفة، وصنَعَ منها ساتراً كبيراً لاحتماء خلفه هو و(آية)؛ اتقاءً للتفجير المزمع أنْ يقومَ به، وجلسَ خلف الساتر وفي يده هاتفه المحمول، ولمَ ينتظر طويلاً، فقد تناهى إلى مسامعه صوت بوابة ضخمة تتحرك وتبعها صوت العديد من الأقدام، ومن خطواتها الثقيلة أدركَ أنّهم جنود قوات خاصّة يرتدون الأحذية الضخمة والخاصّة بهم، أمسكَ هاتفه وضغطَ زر الإرسال، وهو يضع جسده فوق جسد (آية) المُسجى أرضاً ليحميها بجسده من أيّ أثر للانفجار، وبالفعل حدث الانفجار.. انفجار رهيب، ارتجّ له المبنى بالكامل، وتعالّت ألسنة اللهب والأدخنة في كُلِّ مكان، وسادت حالة من الفوضى خارج المبنى، أسرعَ بحمل جسد (آية) مرّةً أُخرى بعدَ أنْ أرخى الخوذة الخاصّة برجال الإطفاء على وجهه؛ لتُخفي ملامحه وكذا على رأس (آية)، وتحركَ وكأنّه يحمل زميله المُصاب في الانفجار، ونجحت خطّته وبالفعل لمَ يعترض طريقه أحد، واستطاعَ أنْ يجتاز بينَ حالة الفوضى المنتشرة بالجسد الذي يحمله، حتّى ابتعدَ لمسافة كافية، وانعطفَ في أحد الأزقة الجانبية، حيثُ كانَتْ هُناكَ سيارة تُشبه سيارة الإسعاف في انتظاره، ومُجرّد أنْ صعدَ بجسد (آية) الذي يحمله حتّى انطلقت مُسرعة، وهي تُطلق الصافرة المميّزة بسيارات الإسعاف دليل أنّها تحمل حالة طارئة، وغابت في الأفق، وهي تحمل بداخلها (ليان) و(آية).

الفصل الثالث

- لقد نجح في الهرب من مبنى (الموساد) هو وزميلته هذه الفتاة الفلسطينية. قالها هذا الرجل ضخم الجثة، والذي يرتدي بذلة لم تنجح في إخفاء حجم كتلته العضلية أسفلها، للسيدة الجالسة أمامه والتي تضع ساق على ساق، وتضع بين شفتيها سيجارة رفيعة جداً وممسكها بأطراف أناملها، ممّا أعطاها صورة أرستقراطية من الصعب تكرارها في هذا العصر، مع لمحة من الجمال الأخاذ برغم سنوات عمرها التي شارفت على نهاية الخمسينيات.

خرجت من شرودها ونظرت لهذا العملاق وقالت:

- كُنْتُ أعلم أنّ هذا سيحدث، فهم أغبياء، وهو أصبح قوّة لا يُستهان بها. ظلّت صامتة لفترة، كانت تُفكر، وخلال هذه الفترة يقف العملاق ضخم الجثة صامت تماماً احتراماً لصمتها، ولم تطول فترة الصمت كثيراً فقد نظرت له فجأة، وهي تبتسم ابتسامة برّكن شفتيها تحمل نوايا خبيثة وقالت:

- هم بالفعل أغبياء، لكنّ هذا لا يمنع أنّ تُساعدهم قليلاً. وأخذت نفساً عميقاً من السيجارة التي بين أصابعها، وأطلقت دُخانها في سقف الغرفة وهي تقول:

- يجب أنّ أقابل السيّد (يوسي) سريعاً.

قالت عبارتها وهي تنظر إليه وأشارت برأسها ليذهب وينفذ ما قالت، وبالفعل تحرّك ضخم الجثة سريعاً لينفذ ما قالت:

- أمّا هي فقد أمسكت هاتفها المحمول، وظلّت تعبث أصابعها بشاشته حتّى توقفت أمام صورة بعينها، ظلّت تُدقق فيها لفترة من الصمت وغمغمت بصوتٍ منخفضٍ قائلة:

- كان يجب أنّ أتخلّص منك.

أعلم أنّ تأخري هذا سوف يُكلّفني الكثير، ولكن سأتدارك هذا الخطأ سريعاً لأقتلك، سأفعل ما كان يجب حدوثه منذُ زمن بعيد، يجب أنّ تموت.. يجب.

قالتها وقامت وتوجهت إلى نافذة الغرفة، ومن خلفها شاشة هاتفها المحمول تحتلها صورة لشابٍ في مُقبل العمر.. صورة (ليان).

- حمقى.

صرخَ بها السيّد (يوسي)، وهو يكاد أن ينفجر من كثرة الغضب، الذي يُسيطر عليه مُنذُ الصباح وخاصّة بعدَ هذا الانفجار، الذي تسبب في تخريب الطابق الأرضي بالكامل لمبنى (الموساد)، وأسفرَ عن العديد من الإصابات بينَ رجال القوات الخاصّة، وأيضًا رجال الدفاع المدني والحريق وتابَعَ وهو يصرخ بشكلٍ هستيري:
- هذا المكان يُدار بمجموعة من الحمقى.

رجل واحد؟!

كُلّ هذا بسبب رجل واحد؟ أيعقل هذا؟!

أيّن الخبراء؟

أيّن أكثر العقليّات عبقرية في هذا البلد؟

أخذَ يصرخ في وجه قادة المبنى، وأيضًا قادة القوات الخاصّة سواء الخاصّة بعملية المُداهمة والاحتحام، أو الخاصين بقوات التأمين والحماية، وهُم يقفونَ أمامهُ منكسين الرؤوس، لا يجرؤون على المواجهة بعد ما حدث.

لقد نجحَ شابٌ صغير في مُقْتبل العُمر أن يدخل أكثر المباني تأمينًا في إسرائيل، وأن يخرج منه مُنتهي السهولة دونَ أن يُصيبه أيّ مكروه، ليس هذا فحسب؛ بل لقد فعلها مرتان، نجحَ في الدخول والخروج مرتين على مرأى ومسمع منّا جميعًا.

وكأنّه يقول لنا أنكم مجموعة من الحمقى من كبيركم لصغيركم.

حاولَ قائد أمن المبنى أن يتحدّث فقال:

- ليس شابٌ عاديًا، إنّه مُدربٌ على أعلى مُستوى، ويمتلك ذكاء ومهارات غير عادية بالمرّة.

قاطعهُ السيّد (يوسي) صارخًا:

- هذا كما يقول العرب (عذر أقبح من ذنب)، فما تقوله الآن يُمكن أن يتسبب في مُحاكمتهم جميعًا مُحاكمات عسكرية، ففكرة أنّه مدرب على أعلى مُستوى، يجعل منه أقرب للجاسوس المزروع، ليس هذا فحسب؛ بل نجحَ في السيطرة على المبنى بالكامل بكُلّ مُعدّاته وحواسيبه العملاقة لخدمته الشخصية، لقد حاربنا بأسلحتنا والأدهى أنّه انتصر، ونجحَ في كُلّ ما كان يصبو إليه.

صمتَ بعدَ هذه الجُملة وتوجه إلى مقعد مكتبه حيثُ أنهُم كانوا يجتمعون به، وارمى بثقل جسده كُله على مقعده، والتفت إلى (باروخ) الذي يقف في ركن الغرفة صامتًا مُنتظرًا نهاية الاجتماع، وأشار له السيّد (يوسي) بالاقتراب وقال:

- أبلغ كُلّ القيادات الآن بهذه التعليمات الجديدة، أولًا: يتم إيقاف العمل بكُلّ أجهزة الحاسوب الحالية، وكذا نظام التشغيل الخاص بها، ويتم عمل شبكة حديث بالكامل، وهذا

عن طريق مهندسين يتم اختيارهم بعناية من الجامعات الإسرائيلية، ويتم عزلهم تمامًا عن كل وسائل التواصل والاتصال أثناء فترة العمل بالمبنى حتى يتم عمل المنظومة الجديدة، ونواة النظام الحديث تكون مغايرة تمامًا، وتكون نواة غير مفتوحة المصدر، ولا تكون من تطوير أي شركة غير إسرائيلية حتى وإن كانت أمريكية، لن نسمح لأحد أبدًا أن يمتلك الأكواد الرئيسية لنظام تشغيلنا أو حمايتنا مهما كان.

ثانيًا: يتم تغيير كامل طاقم التأمين الخارجي والداخلي للمبنى، وتغيير منظومة التأمين بالكامل وربطها هي وكاميرات المراقبة، وكروت الدخول وكروت الصلاحيات بنظام (الذكاء الاصطناعي)، وتغذيته بكل المعلومات والصور المتاحة عن هذا المدعو (ليان)، وكل من كان يساعد أو عاونه، سيتم تتبعهم ورصدهم لو حاول أحدهم الاقتراب من مسافة أربعة بلوكات سكنية على الأقل.

ثالثًا: فتح تحقيق موسع يشمل كل قادة الأفرع الرئيسية للمبنى، وانتداب رجال آخرين من جهاز (أمان) بصفة مؤقتة لحين الانتهاء من التحقيقات.

قالها وهو ينظر إلى قادة الأفرع الذين يقفون أمامه، وقد اتسعت عيونهم من شدة الذعر، وهو لا يكتث لهم، بل أشار إليهم أن الاجتماع قد انتهى، وانصرفوا جميعًا تاركين خلفهم السيد (يوسي) وحيدًا ينظر إلى شاشة حاسوبه، الذي عاد للعمل وتوسطه صورة واحدة فقط.. صورة (ليان).

الفصل الرابع

- لقد فعلتها، حقًا لم أتوقع أنا شخصيًا أو أي فرد من الإدارة هذا النجاح، وخاصة بعد أن تعقدت الأمور تمامًا.

قائل العبارة هو رجل في مُنتصف العقد الرابع، يرتدي بذلة سوداء موجهًا حديثه إلى الشاب الوسيم الواقف أمامه.. (ليان).

جلس الرجل صاحب البذلة السوداء في سيارته، بأحد أشهر ميادين مدينة (تل أبيب)، حتّى فتح باب السيارة بجواره، وجلس (ليان) ودارَ بينهما هذا الحديث.

وبعدها أخرج (ليان) جهاز حاسوب محمول من الحقيبة التي يحملها، وقام بتسليمه إلى الرجل وهو يقول:

- نحمدُ الله أن العملية بالكامل تمّت بنجاح، لولا ستر الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - لتحوّلت هذه المهمة إلى النهاية بالنسبة للجميع.

ظلّ الرجل ينظر طويلًا في صمّتٍ وأخيرًا قال:

- حقًا من شابه أباه فما ظلم.

هل تُدرك ماذا فعلت؟

لقد اقتحمت مبنى (الموساد) نفسه وخرجت سالمًا، ليس هذا فحسب؛ بل نجحت في تهريب سجين من سجن شديد الحراسة، وأيضًا استوليت على دليل اتهام قد يسبب أزمة دولية من أحد أهمّ مراكز الفحص لدى العدو الصهيوني، وقد أنقذت زميلتك واستطعت الهرب بها من تحت أنف الجميع.

ما فعلته يُعدُّ من المُستحيلات!!

ولكنّ هناك نقطة مهمة لم نستطع أن نفهمها أو يتوقعها الخبراء.

ابتسم (ليان) وقال:

- أعلمُ هذا، أين تمّ إخفاء الحاسوب؟

وكيفية استعادته؟

ضحك الرجل الوقور وهو يقول:

- أجل، هي هذه النقطة.

صمّت (ليان) وكأنّه يستعيد ذكريات مؤلمة وأخيرًا قال:

- حسنًا سوف أشرح لك كلّ التفاصيل.

قالها وأسند رأسه للخلف مُتكئًا على مسند الرأس في السيارة، وشرع يروي ما حدث.

أدرك الشاب (باسل) أنه خاسر لا محالة في هذه المطاردة، فبعد أن نجح في الاستيلاء على الحاسوب المحمول وانطلقت صافرات الإنذار عن طريق خطأ منه، كان لا بد وأن يتحرك سريعاً، ويعلم أنه لا يستطيع أن يهرب والحاسوب معه، خوفاً من أن تنجح قوات العدو الصهيوني في أسره أو قتله، وبهذا تكون فشلت المهمة بسقوط الحاسوب مرة أخرى بين أيديهم، وهو يدرك أهمية حماية هذا الحاسوب، ويخفيه جيداً حتى ولو كلفه هذا حياته. تحرك سريعاً ونجح في الهبوط إلى نافذة الطابق السفلي لنفس المبنى، والذي كان أحد المكاتب المغلقة، فحاول أن يجد مكاناً يصلح لإخفاء الحاسوب، ولكنه أدرك أن قوات الاحتلال عن طريق الخبراء سوف تكتشف أي مكان قد ولج إليه، أو حاول أن يستخدمه لإخفاء الحاسوب، فخرج مسرعاً من ذلك المكتب إلى الركضة الرئيسية في المبنى، والتي تحوي سلم خروج الطوارئ والمصاعد وأبواب مكاتب أخرى، ولكنها تحتوي على شيء آخر كان بالنسبة له هو أكثر مكان آمن يمكن أن يخفي به الحاسوب، وقبل أن يخرج من المكتب الذي هو به أخذ شيئين مهمين لتنفيذ خطته؛ أولهما إحدى الأكياس البلاستيكية محكمة الغلق، والخاصة بالتخلص من النفايات، وأخذ قلم خاص للكتابة على السبورة البيضاء المتواجدة في غرفة الاجتماع الملحقة بالمكتب، وأثناء هروبه أخرج الحاسوب ووضعه في الكيس الخاص بالتخلص من النفايات وأحكم إغلاقه جيداً، واقترب من فتحة التخلص من النفايات الموجودة في كل طابق بالمبنى، وهي عبارة عن أنبوب يتم وضع أكياس النفايات به، وهذا الأنبوب مربوط أسفل العقار بصندوق كبير، تأتي سيارة التخلص من النفايات بصورة يومية لتفريغه، وبالفعل ألقي الحاسوب به، وهبط من مخرج الطوارئ مسرعاً إلى الزقاق الخلفي، حيث يوجد صندوق التخلص من النفايات، واقترب من الصندوق وكتب عبارة واحدة.

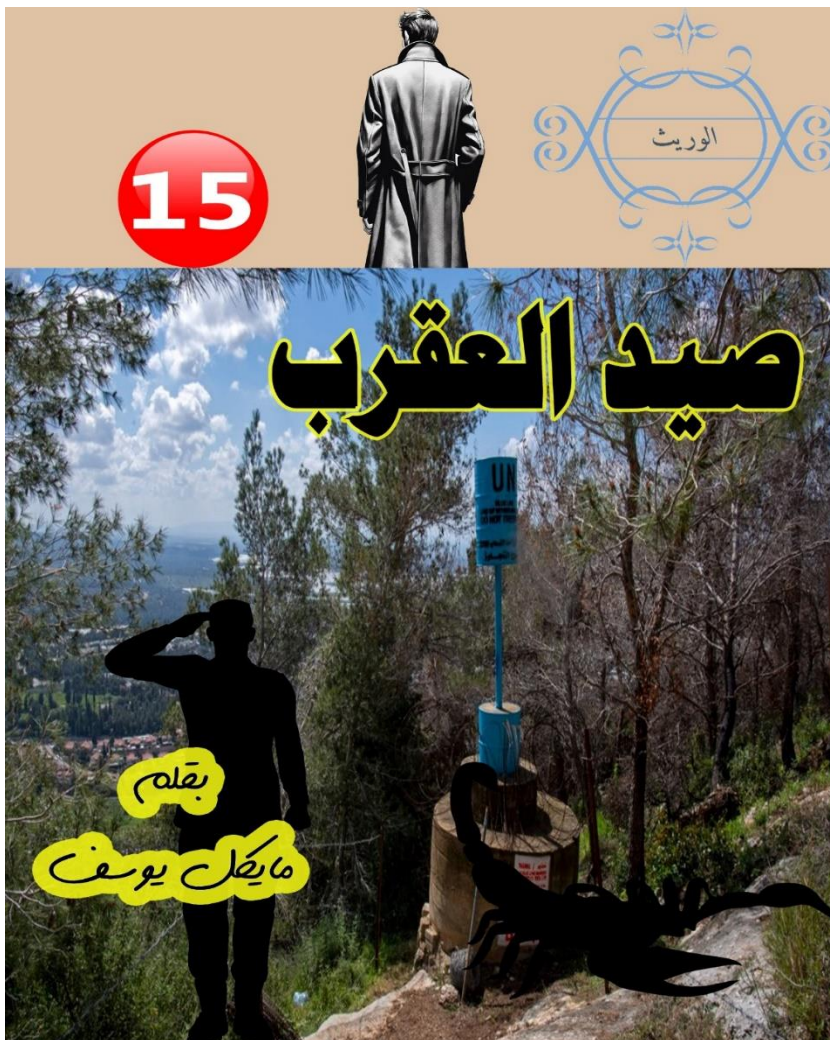
"هذا هو المكان المثالي لدولة الاحتلال... باسل".

وبالطبع لم يتوقع أحد أبداً أنه قد قام بهذه الخطوة، ولم يكلف أحد نفسه أن يبحث في صندوق النفايات، وبالفعل نجحت الخطوة، وحدث ما توقعه (باسل) لقد استشهد، ولكن دماءه لم تضيع هباءً.

وقد نجح زميله الذي كان معه، والمستوول عن رصد (باسل) دون تدخل فيما يفعل، إلا مساعدته في النهاية على الهرب، نجح في أن يفهم الرسالة التي كتبها الشهيد (باسل)، وتحرك سريعاً دون أن يقترب من المكان حتى لا يثير الشبهات، واستطاع هو وزملاءه في الاستيلاء على إحدى السيارات الخاصة بتفريغ صناديق النفايات، ونقل النفايات إلى أماكن التخلص منها، وأفرغوا الصندوق بالفعل في سياراتهم ومجرد ابتعادهم قليلاً، أفرغوا المحتويات بالكامل وعثروا على الحاسوب، وها هو الآن بين يديك.

- قطعت عليه دهشته وهي تقترب من وجهه أكثر وقالت:
- ماذا حدث للموساد يا (يوسي)؟
- شابٌ واحد يفعل بكم كُلّ هذا؟
- تعالت أمارت الدهشة أكثر على وجهه وصرخ:
- كيف علمت هذا؟
- بالطبع هذه هي طريقة عملك القذر، زراعة جواسيس في وطنك ومُخابراته.
- أطلقت ضحكة ساخرة عالية وتابعت:
- كما أنت، مثال حيّ للغباء.
- تحوّل وجهه إلى اللون الأحمر القاني، وكادَ أنْ ينفجر في وجهها، ولكنها لم تُعطهِ الفرصة وتابعت:
- أنا أعلم كُلّ ما حدث بالتفصيل، ولا أخفيك سرًا أنني قد أكون المُتسبِّب فيه بطريقةٍ أو بأخرى.
- سيطرت الدهشة مرّة أخرى على ملامحه، ولكنها تابعت:
- لا وقت لهذا الآن.
- أنصت إليّ جيّدًا.
- (ليان)، أنت لا تعلم مَنْ هو.
- قاطعها صارخًا:
- بل أعلم تاريخه كُلّه، وأعلم كُلّ تفصيلة في حياته.
- ابتسمت في سُخرية:
- ألم أقل لك.. غبي.
- (ليان) هو ابن الشيطان المصري (أشرف صبحي).
- اتسعت عينا (يوسي) في دهشةٍ ممزوجة بالرعب وفغرَ فاه، فتابعت:
- ليس هذا فحسب؛ بل هو ابني أنا أيضًا، ابن (سيبيل جروهار).
- وهنا فقد (يوسي) التحكم بالكامل في ملامح وجهه، فما سمعه الآن يفوق أبشع كوابيسه، كَمَن تعرّض لصدمةٍ عصبيةٍ شديدة، ويحتاج إلى صفة تُعيدهُ إلى أرض الواقع مرّة أخرى، وقد كان، فقد تابعت (سيبيل) قائلة:
- ولهذا أتيتُ إليك، كي أساعدك على التخلّص منه إلى الأبد!!!
- قالتها وقد تحوّلت ملامحها الملائكية الجميلة إلى ملامح شيطانٍ مرِيد.

صيد العقرب



الفصل الأول

تعالَت وتيرة الزحام في الشارع الحيوي من مدينة (تَلْ أَيْيب)، قد شارفت الساعة على الثامنة صباحًا، وهو الموعد الذي تبدأ فيه الحركة المعتادة للمارّة والازدحام. تحركَ هذا الشاب صاحب الشعر الأشقر والذقن الخفيفة الصفراء، واقتربَ من أحد المقاعد الشاغرة لمقهى صغير يتوسط الطريق. يرتدي عوينات شمسيّة صغيرة تُخفي عينيّه، ومُجرّد أن جلسَ أشارَ للنادل الذي حضر مُسرعا لتلبية أوامره.

طلبَ قدحًا من القهوة، وجلس باسترخاءٍ وهو يُتابع ساعة يده بينَ الحين والآخر. أخذَ يُتابع المارّة عن كثبٍ ويتفحصهم جميعًا، لم يدوم انتظاره طويلًا، اقتربت منه فتاة في منتصف العشرينات، ترتدي بذلة رسميّة تدلّ على عملها في العلاقات العامّة، أو الاستقبال في إحدى الشركات الكبرى أو مُعدّدة الجنسيّات.

وفجأة التوى كاحلها أثناء سيرها بحركة عفويّة؛ بسبب كعب حذاءها الرفيع والعالي، فما كان منها إلّا أن حاولت تمالك نفسها قبل أن تسقط، واستندت على كتف هذا الشاب، الذي أمسكَ يدها بدوره كي لا تسقط.

ظهرَ المشهد عفويًا لكلّ من يراه، ولكنّه لم يكن كذلك بالنسبة للشاب، الذي انتهى بسرعة من قدح القهوة الذي أمامه مُجرّد أن ذهبت الفتاة، وهي تبتسم له شاكرة إيّاه على مُساعدتها.

تحركَ مُسرعا في اتجاه مُخالف لاتجاه الفتاة، بعد أن تركَ عدد من (الشيكلات) على المنضدة ثمّنًا لقدح القهوة.

وبعدَ عدّة خطواتٍ في شارعٍ جانبيّ صغير، فتحَ يده وأخرج قصاصة ورقية صغيرة، قد دسّتها الفتاة في يده وهو يُساعدُها، وقرأ التعليمات التي فيها ووضعها في جيبِ سُترته وتحركَ بهدوء.

قصاصة ورقية تحوي موعد ومكان يتوجب عليه الذهاب إليه، تحركَ بسرعة؛ إذ أن الموعد كان قد اقترب، ومُجرّد أن وصلَ إلى المكان، حتّى وقف لثوانٍ مُحاولًا التأكّد إن كان أحدًا يتبعه أم لا.

دخل إلى هذا المتجر، متجر مختص ببيع مُعدّات الصيد، تُديره سيّدة عجوز على مشارف السبعين من عُمرها تقريبًا، ما إنْ رَأَتْهُ حتّى أشارتْ لهُ بالدخولِ إلى إحدى العُرفِ الصغيرة في نهاية المتجر، وبالفعلِ قامَ بتنفيذ تعليماتها، وتحركَ إلى العُرفة وأغلقَ بابها الصغير خلفه. وما أنْ فعَلَ هذا حتّى سطعت إضاءة خافتة بسيطة بالكاد تكسر حاجز الظلام بالغرفة، لتسمح للمتواجدين أن يدركوا المساحات، والأشياء الموجودة بالغرفة، ولكنها لا تسمح بأكثر من هذا.

استدارَ إلى مصدر هذه الإضاءة، فإذا به مصباح صغير يتوسط منضدةٍ منتصف الغرفة، وتجلس على حافتها نفس الفتاة التي تعثرت، والتي بدورها أشارتْ لهُ أن يجلسَ في مقعدٍ مُقابلٍ لها.

تحركَ بهدوءٍ وجلسَ على المقعد، وبادرت الفتاة بالحديث قائلة، وهي تمدّ يدها للمُصافحة: - كيفَ حالك يا (ليان)؟

مدّ (ليان) يدهُ في المُقابل، وبعدَ أن تصافحا تابعت الفتاة حديثها:

- النقيب (منى الجويلي) مُخابرات عامّة مصريّة، أعلمُ أنّك الآن في فترة استقرار وهُدوءٍ حتّى تهدأ الأمور، والصخب الحادث مُنذ المهمة السابقة، ولكن حدثت أمور جديدة، وقد رأت الإدارة أنّك أجدر شخص للمهمة القادمة.

اعتدلَ (ليان) في مجلسه وقد ظهر الاهتمام على ملامحه، وتابعت هي حديثها:

- كيفَ حال (آية) الآن؟

تحدّثَ (ليان) لأوّل مرّة مُنذ بداية اللقاء وقال:

- بخيرٍ والحمدُ لِلّهِ، تحسنت تمامًا، واستعادت القُدرة على التحكم في يدها بشكلٍ كامل، وتعافت من كُلّ الإصابات تقريبًا.

- جيّد، لأننا في حاجةٍ إليها أيضًا في هذه المهمة.

قالتها النقيب (منى)، وتابعت دونَ أن تنتظر منه أن يتحدّث أو يُقاطعها، وهي تُخرج هاتفها المحمول من جيبِ سُرّتها، وتضعه نصب عينيه.

- بالطبع تعلم (الخط الأزرق)؟

قامَ بهزّ رأسه بعلامة الإيجاب، دونَ أن ينطق بكلمةٍ واحدة، فتابعت هي:

- حسنًا، كما تعلم هي منطقة آمنة بينَ الحدود الإسرائيلية اللبنانية، تبلغ مساحتها المائة وعشرون كيلو متر تقريبًا، قامت الأمم المتحدة بانتداب قوات متعددة الجنسيات إليها، من جميع أنحاء العالم تقريبًا، وتتغيّر باستمرار كافة عناصرها، عدا خمسة ضباط فقط، هم الأعلى رتبة وأساس القوات متعددة الجنسيات، والقادة لها في تلك النقطة.

ولكن قد لوحظَ في الفترة الأخيرة أنَّ هناك تسريب في المعلومات الأمنية، التي تخصَّ الجانب اللبناني إلى الجانب الإسرائيلي، ليسَ هذا فحسب؛ ولكنَّ تمَّ استهداف أكثر من نقطة في الجنوب اللبناني، تعتبر مناطق تَمركز ونقاط حصينة للمقاومة والجيش اللبناني، ولا يُمكن أبدًا معرفة تلك الأماكن بهذه الدقة من الجانب الإسرائيلي، إلَّا عن طريق جاسوس داخل الأراضي اللبنانية نفسها، أو بداخل (الخط الأزرق) نفسه.

تراجعت في مقعدها أكثر وتابعت:

- وما أنَّ الجانب اللبناني قام بتغيير جميع أفراد القوات المتواجدة في تلك التمرّكات، لثلاث مرّاتٍ مُتتالية مع تسريب معلومات كاذبة مُختلفة، لمُحاولة الإيقاع بأيّ جاسوس مُحتمل لديهم، لكنَّ مُحاولاتهم قد باءت بالفشل، وبالفعل تأكّدوا من عدم وجود عميل أو جاسوس داخل أراضيهم، لم يتبقَّ إلَّا (الخط الأزرق)، وما أنَّ كَلَّ الجنود هم من جنسيّات مُختلفة، ويتمّ تغييرهم عشوائيًا ولا يبقى أحد لمدة أكثر من ثلاثة أسابيع داخل (الخط الأزرق)، وهي كامل مدة خدمته بذلك القطاع، لم يتبقَّ لنا إلَّا الخمسة ضباط كبار المُستدمين. أخذَ (ليان) يستمع إلى كَلَّ كلمة تنطقها النقيب (منى) في صمت، ولكنَّ صمته لم يدوم طويلًا فقاطعتها مُحدّثًا.

- ولكنَّ هناك سؤال يحول برأسي؟

أشارتْ له أنَّ يتكلّم فتابع:

- ما علاقة المُخابرات المصريّة بما يحدث في داخل (الخط الأزرق)؟
أعتقد أنَّ هذا الشان لا يخص مصر بأيّ شكل.

ابتسمت ومالت للأمام وتابعت:

- لقد توقّع الخبراء هذا السؤال منك، حسنًا، سوف أخبرك.. تقوم المُخابرات المصريّة والقوات المُسلّحة، بمُساعدة الجيش النظامي اللبناني في حربه ضد العدو الصهيوني منذُ سنوات، ليسَ هذا فحسب؛ بل هناك بعض مُقاتلينا يقومونَ بعملياتٍ مُشتركة مع رجال الجيش اللبناني، وبعضها داخل الأراضي المُحتلّة.

وصمّمت قليلًا فنظر لها (ليان) بتفحصٍ وقال:

- أعتقد أنَّ هناك سبب آخر، بخلاف هذا السبب.

عادت الابتسامة مرّة أخرى إلى وجهها، وتحوّلت إلى ضحكة خرجت من فمها، حاولت أن تكتمها قدر المستطاع، وأخيرًا قالت:

- أنت ذكي بالفعل كما أخبروني عنك، يبدو أنَّ الخبراء عندهم حقّ تمامًا في اختيارك لمثل هذه المهمة.

أخذت تنقر بأصابعها على الطاولة وهي تتحدّث، وهو يُراقبها في هدوءٍ مُحفَظاً بابتسامته، فتوقفت عن النقر ونهضت من مقعدها، وابتعدت عدّة خطوات وأولتّه ظهرها وتابعت:

- بالفعل هناك سببٌ آخر، الخمسة ضباط الدائمين في (الخط الأزرق) هم من جنسيّاتٍ مُختلفة، ربّما لا تجمعهم قارّة واحدة.. هناك سبب كبير لتدخل المُخابرات المصريّة.

صمتت لعدّة دقائق وتابعت:

- أحد هؤلاء الضباط هو ضابط بالجيش المصري يا (ليان).

قالتها وran صمت رهيب.. صمت قاتل.

الفصل الثاني

- تمّ اللقاء الآن.
- قالها (مراد) وهو يقف أمام مكتب السيّد مدير المخابرات العامّة المصريّة، الذي اعتدلّ في مقعده مهتمّاً بهذه الأخبار وقال:
- زهل رجالنا يتابعون اللقاء ويقومون بحمايتهم؟
- أشارَ (مراد) برأسه علامة الإيجاب وقال:
- أجل يا سيّدي، كلّ رجالنا في موقعهم الآن، المتابعة والدراسة وأيضاً التأمين، ورجال التدخل في حالة حدوث أيّ خطأ.
- تراجَعَ السيّد مدير المخابرات في مقعده وهو يتنهد قائلاً:
- حسناً، حسناً، كان من المُفترض أن يتحرّك (مراد) منصرفاً بعد أن أخبر السيّد مدير المخابرات بالمعلومات، التي قد طلب اخباره بها مباشرة مُجرّد حدوثها، لكنّه تأخر قليلاً فأدرك السيّد مدير المخابرات أن هناك ما يؤدّ أن يقوله، فأشارَ له بالجلوس والتحدّث.
- هات ما عندك يا (مراد).
- تقدّم (مراد) وجلس في المقعد قبالة مكتب السيّد مدير المخابرات، وقال وهو ينظر أرضاً:
- معذرة سيّدي، ولكنّ أليس من الأفضل إرسال أحد رجالنا من الإدارة، بدلاً من الاستعانة بطرف خارجي.
- تنهد السيّد المدير العامّ وقال:
- هذا ليس قرار شخصي يا (مراد)، بل هو قرار من الخبراء وبعد عدّة اجتماعات، ومناقشات دامت أكثر من اثنين وسبعين ساعة.
- كان اختيار (ليان) لهذه المهمّة هو أفضل الحلول المقترحة لعدّة أسباب.
- أولها: ملامحه ولغته وشخصيته فهو إسرائيليّ تماماً حتّى النخاع.
- ثانيّاً: إنّهُ ليس من أبناء الجهاز.
- ثالثاً: لن يتوقع العدو الصهيوني أبداً تلك الخطّة.
- وصمّت قليلاً ثمّ تابع قائلاً:
- وأهمّ نقطة أنّه غير معروف تماماً لأيّ من القادة الخمسة، وأيضاً لسيادة العقيد (أبو العزم) القائد المصري من ضمن قادة القوات متعدّدة الجنسيّات.

أخَذَ (مراد) يستمع له حتّى وصلَ إلى هذه النقطة فاتسعت عيناهُ وقال:

- وهل سيادة العقيد من ضمن المُشْتَبْهة فيهم؟

هزَّ سيادة المُدير العامَّ رأسه بالنفي قائلاً:

- لا، لا، أبداً.

ولكن حتّى يكون التحقيق حيادي بالكامل وضعنا كُلّ الاحتمالات، وتمَّ التخطيط والتنسيق مع الجانب اللبناني بالكامل، دونَ عِلْمِ أيّة جهة أو أيّ أحد، والمكتب الفني بقيادة السيّد (خيري) قامَ بالفعل بصُنع هويّة عسكريّة إسرائيليّة جديدة لليان، بشخصية أخرى باعتباره أحد الجنود المُشاركين في قوات حفظ السّلام بالفعل.

توقّف (مراد) عندَ هذه النقطة وغمغم مُتسائلاً:

- وكيف هذا؟

أم تكتشف إسرائيل ما حدث؟

ابتسم السيّد مدير المخابرات وتابع قائلاً:

- لا تقلق، فبالفعل يوجد مُجنّد اسرئيلي بنفس البيانات وهو متوجه غداً مساءً إلى لبنان، للإلتحاق بقوات حفظ السّلام هناك، ويأتي دور أشقائنا اللبنانيين في احتجازه بمكانٍ سرّي، حتّى عودة (ليان) من مهمته وانتهاء الأمر تماماً.

وسوفَ يتمّ تبرير هذا لاحقاً أنّها إحدى الميليشيات المُنفصلة التي تكره العدو الصهيوني، قامت باختطاف المُجنّد وبالطبع الحكومة اللبنانيّة سوفَ تُنكر أيّة علاقة بما حدث للمُجنّد، أو مِن انتحل صفته أو احتلّ موقعه داخل (الخط الأزرق).

وبالطبع يجب أن تتمّ المُهمّة في مدّة أقصاها ثمانية وأربعون ساعة على الأكثر، لأنّه وطبقاً للبروتوكول المعمول به في دولة الاحتلال، يجب أن يُرسل المُجنّد المُلتحق بقوات خارجيّة رسالة إلى القيادة الإسرائيليّة في مدّة أقصاها ثمانية وأربعون ساعة فقط، من وصوله إلى نقطة الخدمة التابعة لقوات حفظ السّلام.

وبهذا تُصبح أقصى مدّة للمهمّة هي الثمانية وأربعون ساعة فقط، مُنذُ أن تطأ قدم (ليان) أرض (الخط الأزرق)، والآن اذهب وتابع الموقف جيّداً، وأخبرني بكلّ المُستجدات أوّلاً بأول. تحركَ (مراد) مباشرة لتنفيذ أوامر السيّد مدير المخابرات العامّة، تاركاً الأخير يُفكر في الساعات القادمة وما قد يحدث بها.

- هذه هي الأوراق الخاصّة بمهمتك هناك، ومُنذُ اللحظة التي تطأ قدماك الأراضي اللبنانيّة، ستكون (راف توراي-جيدون يعازر)، أو العريف (جيدون يعازر) مُجنّد بجيش الدفاع، ومُلتحق بقوات حفظ السّلام لمدة عام.

أعطته الأوراق، أخذ يتفحصها بعين خبيرة، كانت الأوراق حقيقية تمامًا، أخرج هاتفه وقام بفتح الإعدادات الخاصة بالاتصال عن قرب، ومرر الهوية العسكرية التي أعطتها له (منى) على الهاتف، فظهرت كامل بياناتها على شاشة الهاتف، وكلها مطابقة للهوية نفسها بين يديه.

فابتسم للإتقان الذي تمّ به تزييف الأوراق، برغم صعوبة الحصول على الخامات، وكذا التشفير الإلكتروني للهوية التي تدعي إسرائيل استحالة كسره أو نسخه، وقتها أدرك أنّ المجتمع الإسرائيلي ما هو إلا عبارة عن مجموعة من الأكاذيب والبروباجندا الاعلانية فقط، ولكن في حقيقته هو مجتمع هشّ مضمحل غير متماسك أو مترابط.

وضع الأوراق في حقيبة ظهره، وسألها

متى التحرك؟

نظرت في ساعة يدها وأجابت:

- بعد ٢٥ دقيقة من الآن، سيتحرك مركب صغير مُحرك من شاطئ (تل أبيب) وبالأخص من الميناء السياحي، سيسير موازيا لشاطئ البحر الأبيض حتى يصل إلى أطراف الحدود بين لبنان وإسرائيل، وهناك سوف تأخذ من القارب ملابس خاصة السباحة، وتعبّر من المياه حتى مدينة (الناقورة) اللبنانية، وبمجرد أن تصل ستجد ضابط من المخابرات اللبنانية في انتظارك، وسوف يذهب بك إلى أحد المنازل الآمنة، وتحصل على ملابس الجندي الإسرائيلي الحقيقي ومُتعلقاته الشخصية بالكامل، وتواصل الطريق إلى الكتبية الحدودية الخاصة بقوات حفظ السلام، كل هذا خلال ثماني ساعات تقريبًا بدءًا من الآن.

وصمتت قليلًا، ثم تابعت:

- كل هذا يعتبر الجزء الأسهل من العملية.

ارتفع حاجباه في دهشة وسألها:

- كل هذا الأسهل؟

وما الأصعب إذًا؟

ازدردت أعابها وتابعت:

- بمجرد أن تصل، ليس أمامك إلا ثمانية وأربعين ساعة فقط لتنتهي مهمتك، وتستطيع أن تعرف شخصية الجاسوس وكذا الوسائل التي يستخدمها.

وبعدها يجب أن تغادر، إذ هناك خطر على حياتك بعد مرور ثمانية وأربعين ساعة، وأيضًا خطر على المهمة كلها وقد تتعرض للفشل وانكشاف الأمر.

أنهت هذه الجملة وظلّت صامتة، فسألها وهو يتحرك مُنصرفًا:

- وبالنسبة للضابط المصري؟

ما اسمه؟

أجابته وهي تبتسم في إعجاب:

- العقيد (محمد أبو العزم) والشهرة (أبو العزم) فقط، ولا يوجد شخص من الخمسة خارج الشبّهات أو محلّ ثقة، وهو ما سوف تكتشفه أنت وتحدّد شخصيّة الجاسوس.

أشار لها بيده من خلف ظهره مودعًا؛ إذ كان بالفعل قد ابتعد وخرج من باب المكان إلى الطريق، وهو ينظر في ساعة يده، التي تُشير إلى أن أمامه حوالي ٢٢ دقيقة فقط، ليصل إلى المرفأ السّياحي.

وانطلق مُسرعا إلى مهمته الجديدة والمستحيلة.

الفصل الثالث

انطلق المركب الصغير ذو المحرك الواحد بسرعة كبيرة، حتى تكاد تظنه يطير على سطح المياه، وعلى متنه (ليان) وقائده الذي لم يتبادل كلمة واحدة مع (ليان) منذ أن ركب المركب، عدا عبارة التعارف المتفق عليها والتي أعطتها له (منى)، قبل أن ينصرف في قصاصة صغيرة، وتحتوي أيضاً على عبارات التعارف في الجانب اللبناني حينما يصل، وبالطبع وجب عليه حفظها عن ظهر قلب، ثم يتخلص منها سريعاً عن طريق الحرق، وبالفعل قد تخلص منها قبل أن يستقل المركب، كان ممسكاً بهاتفه المحمول، ومن خلال إحدى التطبيقات المشفرة النهايات تماماً، أخذ يرسل (آية) ويخبرها بكل التفاصيل كي تُدرك وضعه، وتكون على دراية أين هو وتطمئن عليه.

وأيضاً لتكون على أهبة الإستعداد في حالة إن حدث أمر طارئ يستدعي أن تشاركه المهمة، ومجرد أن انتهى من مُراسلتها، حتى أغلق الهاتف كي لا يتم رصده أثناء عبور المنطقة الحدودية، وقام بوضعه مع الأوراق الخاصة بالمهمة في إحدى الحافظات البلاستيكية محكمة الإغلاق، والخاصة بحفظ الأغراض تحت الماء وحتى أعماق سحيقة لفترات طويلة، وقام بإحكام إغلاقه، وشرع في ارتداء ملابس السباحة التي كانت متواجدة على ظهر المركب، ولم تمضي نصف ساعة أخرى حتى توقف المركب عن الحركة، وأشار السائق إلى (ليان) إشارة بيده أنه حان الوقت وهذا هو المكان، وبالفعل لم يتردد (ليان) للحظة، وقفز من على ظهر المركب بعد أن قام بتثبيت الحافظة البلاستيكية في الحزام الخاص بملابس السباحة، وانطلق يسبح بسرعة تجاه نقطة اللقاء، واجتاز الحدود وظل يسبح لأكثر من أربعين دقيقة كاملة، وتوقف ينظر في ساعة يده المضادة للماء، وضغط على شاشتها فاصبحت بوصلة للاتجاهات، ونظر باتجاه الشاطئ حيث أشار مؤشر البوصلة، وتحرك سابحاً حتى وصل إلى الشاطئ.

ومجرد أن وصل إلى تلك النقطة النائية والخالية من البشر، حتى ارتقى أرضاً يلهث ويحاول أن يلتقط أنفاسه، التي تهدجت من كثرة السباحة والمجهود العضلي المبدول، وقد أغلق عينيه تماماً محاولاً الاسترخاء وصدره يعلو ويهبط في سرعةٍ لإلتقاط أنفاسه. وفجأة سمع حركة خلفه، حاول الاعتدال ولكنه فوجئ بفوهة مسدس مصوبة إلى رأسه، ومن خلفها ضابط بزي عسكري خاص بالقوات اللبنانية وهو يصرخ به، ألا يتحرك من مكانه أبداً.

تجمّد (ليان) في مكانه ثابتًا تمامًا، وقد حلّ الظلام فلم يتبيّن بالفعل هل الضابط المواجه له بمفرده أم هو على رأس قوة.

أخذ عقله يعمل سريعًا ويفكر في كلّ الاحتمالات، وفجأة جال بخاطرهِ أن يقول العبارات السريّة المتفق عليها، فقال بصوتٍ خفيض وباللغة العربيّة:

- من الصعب الإمساك بذئبٍ منفرد بعيدًا عن دياره.

تعالى صوت ضحكة حاول صاحبها أن يكتمها في الظلام، الذي بدأ يُغلف المكان وهو يقول:

- يُمكن هذا لو كان قد أتى طواعية.

وبعدها أرى الضابط اللبناني سلاحه، واقترب من (ليان) الذي أرى أعصابه هو الآخر، ربت الضابط على كتف (ليان) وهو يقول:

- مرحب خبي، لقد وصلت مُبكّرًا حوالي ساعة عن الموعد المُقدّر، لهذا لم أتوقع أن تكون أنت.

وتابع وهو يمدّ له يده مُصافحًا:

- أخاك الضابط (نقولا) من قوات حرس الحدود اللبنانيّة، وأنا هون بُناء على الإتفاق والخطّة الموضوعية بين المخابرات اللبنانيّة والمخابرات المصريّة، ولتوصيلك إلى الكتيبة الخاصّة بقوات حفظ السّلام في الخط الأزرق، وأيضًا مُتابعة سير العمليّة عن قُربٍ حتّى تتمّ بإذن الله، وأعود بك إلى طريق العودة مرةً أخرى، وبعدها أطلق صراح ذلك الجندي الصهيوني المُحتجَز. مدّ (ليان) يده مُصافحًا وبعد أن تمّ التعارف سريعًا، سارا معًا متجاورين حتّى وصلا إلى إحدى سيارات الدفع الرّباعي الخاصّة بقوات حرس الحدود اللبنانيّة، ومُجرد أن استقرّا بها حتّى انطلق الضابط (نقولا) يذهب الأرض بين العديد من الصخور، والهضاب الصغيرة مُحاولًا تفادي الطّرق العامّة والمساحات المكشوفة قدر الإمكان.

حتّى توقف (نقولا) عند سفح إحدى المُنحدرات المكشوفة، وأشار إلى (ليان) أن يتبعه، وتحرك وهو يحمل نظارة مُقربة مزودة بعدساتٍ للأشعة دون الحمراء، وأيضًا حاسوب مُدمج لتقريب الصورة بطريقةٍ رقميّةٍ حديثة، واقترب من سفح المُنحدر واستلقى أرضًا وتبعه (ليان)، كانا قد انبطحا أرضًا تمامًا، ووضع (نقولا) النظارة على عينيه وأخذ يتفحص المنطقة بالكامل، حتّى توقف عند نقطة بعينها، وأعطى النظارة إلى (ليان) وهو يُشير له إلى تلك النقطة، اخذ (ليان) النظارة ونظر فيها إلى تلك النقطة، وقد وجد هناك بعض الرجال حاملي السلاح، يملأون المنطقة بالكامل ولكنهم لا يرتدون أيّة أزياء عسكريّة أو نظاميّة، وهنا اقترب (نقولا) من (ليان) وتحدّث هامسًا:

- تلك المنطقة خاضعة تحت سيطرة قوات (حزب الله)، والتعليمات التي تلقيتها أن لا نثق في أحد أبدًا، أو نُخبر أحدًا بطبيعة المهمة الموكلة إليك، فبالتالي يجب أن نجتاز تلك المنطقة دون أن يشعر بنا هؤلاء الرجال.

هزّ (ليان) رأسه مُتفهّمًا، وبالفعل تراجعوا إلى السيارة ذات الدفع الرباعي، وشرعا في تغيير ملابسهما، وارتديا ملابس مقاربة لملايس رجال (حزب الله) ووضعوا أغراضهما وملابسهما الأخرى في حقيبة ظهر لكل منهما، وتحركا ببطء حتى وصلا إلى هذا المنحدر الهابط، وأخذوا يُمسكان بالصخور هبوطًا حتى وصلا إلى أرض شبه مستوية، فقاما بالاستلقاء أرضًا، وقام (نقولا) بتحديد الاتجاهات بالضبط، وأشار إلى (ليان) أن يتحرك خلفه وهما مُستلقيان تمامًا. لقد كان الأمر صعبًا جدًا ومرهقًا نتيجة طبيعة الأرض في هذه المنطقة، إذ تُعتبر مكشوفة تمامًا بحيث لا تسمح لهما بالاعتدال أو الركض، كما أنها غير مُستوية وملئنة بالصخور والأحجار الصغيرة، التي تجعل العملية شبه مُستحيلة.

مضت ساعة وهما على نفس الوضع وطريقة التحرك، حتى لاحت لهما في الأفق أضواء تتحرك وأصوات تقترب، فأشار (نقولا) إلى (ليان) بقبضة يده المُغلقة، إشارة إلى الثبات والهدوء، وبالفعل تجمّدا في مكانهما وكأنهما جُثث لا تتحرك، بدا جليًا أنها دورية متحركة قادمة في اتجاههما للفحص، وقد صارا أقرب إلى جثتين هامدتين، ولكنّ الأقدام تقترب من موقعهما أكثر وأكثر، حتى أصبح لا مفرّ بالفعل من المواجهة.

وبالفعل وبدون أيّ تخطيط أو إيفاق، تحركا معًا في تناغم وسرعة رهيبية، تحركا وقاما من رقادهما أرضًا واتخذوا وضع قتالي شهير لرياضة (الكونغ فو).

كانت القوة عبارة عن خمسة رجال مدججين بأسلحة خفيفة، وكشافات لثنيّ لهم الطريق، وظهر أمامهم بغتة (ليان) و(نقولا) بعد أن قرّرا استغلال عامل المفاجأة، وبدأت حرب حرب قوامها رجلان بدون أسلحة؛ خوفًا من صوت إطلاق النّار ضد خمسة مدججين بكامل أسلحتهم.. ونشبت حرب دموية.

الفصل الرابع

للهولة الأولى قد تعتقد أن المعركة محسومة بالتأكيد للطرف الآخر لأسباب كثيرة، منها العدد والعتاد، طبيعة أرض المعركة نفسها، رجال (حزب الله) أيضًا هم مدربون ويُعدّون مقاتلين لا يُشَقُّ لهم غبار في هذه الساحة، ولكن هناك عامل المفاجأة!

وبالفعل كان له نصيب الأسد في هذه المعركة، إذ كانت البداية حينما قفز (ليان) مُنتصبًا من خلف آخر فرد من المجموعة المُسلّحة، ودون أدنى صوت أمسك برقبته ورأسه بكلتا يديه، وأدارها بعنف لتصدر منها نكة ليسقط بعدها جثة هامة، ولم يترك له فرصة للسقوط، بل تلقاه على ذراعيه بهدوء ووضعهُ أرضًا؛ كي لا يتسبب سقوطه في تنبيه الآخرين، وقد نجح بالفعل، وتقدّم نحو الذي يليه، وفي ذات التوقيت تقدّم (نقولا) من مقاتل آخر، وفجأة تحطّم فرع شجرة جاف أسفل قدمه، ممّا تسبّب في لفت أنظار الجميع تجاهه.

ودون أي تفكير تحرّك (ليان) و(نقولا) معًا في تناسق تام، كانت معركة قصيرة وسريعة، بدأها (نقولا) بضربة بقدمه اليمنى في معدة أوّل المُقاتلين، ودون أن ينتظر ما قد يحدث، كانت يده اليسرى تضرب فك مُقاتل آخر وتُحطمه، وفي هذه الأثناء قد قفز (ليان) طائرًا بإحدى حركات رياضة (الكونغ فو) الشهيرة، لترطم قدمه اليمنى برأس المُقاتل الثالث وألقته أرضًا دون حراك، ومُجرّد أن لامست قدماه الأرض، حتّى دار على عقبيه مُوجّهًا ضربة أخرى إلى يد المُقاتل الأخير التى تحمل السلاح، ولكن الأخير قد نجح أن يخرج من عامل المفاجأة سريعًا، ونجح في تفادي الضربة في اللحظة الأخيرة، واعتدل مُوجّهًا سلاحه تجاه (ليان) وأطلق وأبلا من النيران، ومُجرّد أن أدرك (ليان) أنّه تفادى الضربة، تحرّك سريعًا وقفز جانبًا خلف إحدى الصخور القريبة، بعيدًا عن مرمى النيران.

لكن صوت الطلقات قد شقّ عنان السماء في هذه المنطقة المُخفضة بين عدّة سفوح جبلية، ممّا جعلها كالقنابل، وبعد ثوانٍ قليلة انطلقت صافرات الإنذار في كلّ مكان بالشريط الحدودي.

في هذه اللحظة قد اختطف (نقولا) سلاح أحد المُقاتلين الذي نجح في القضاء عليهم، وأطلق النيران تجاه المُقاتل المتبقي، والذي أصيب بالفعل من النيران، ولكنه نجح في الهرب والتواري خلف إحدى التباب الرملية القريبة.

تحرّك (نقولا) إلى مكان الصخور التي خلفها (ليان) وما أن رآه حتّى سأله:

- هل أنت بخير؟

أجابهُ (ليان):

- أجد، ولكن ماذا نفعل الآن بعد أن انطلقت صافرات الإنذار؟

أشارَ (نقولا) بيده اليسرى تجاه أخدودٍ بينَ بعض الجبال وهو يقول:

- يجب أن تذهب أنت بسرعة، وأنا سوف أقوم بتغطية تحركك، ومجرد أن تعبر ذلك الأخدود ستجد هناك سيارة دفع رباعي تابعة لقوات حرس الحدود اللبنانية، وبها الضابط (مجد الدين)، خذ هذه وأعطاها له وهو سوف يصل بك إلى مَبْتَغاك.

قالها وهو ينزع عن عنقه الشارة المعدنية التعريفية الخاصة به، ويضعها في يد (ليان)، الذي أدرك ما يعنيه هذا، إنه يُصَحِّي بحياته كي تنجح الخطوة، حاول أن يعترض أو يُخبره أنه معه، لكن نظرتُه الصارمة واصراره منعه.

مدَّ يده وأمسكَ بساعد (نقولا) وضغطَ عليه ليشدَّ من أزره، وانطلقَ مُسرِّعًا حيث أشارَ له. في نفس اللحظة انطلقت النيران من كُلِّ صوبٍ واتجاه؛ حيث الصخرة التي يحتمونَ بها، أخذَ (نقولا) باقي أسلحة المقاتلين الصرعى واحتُمى خلف أحد الصخور البارزة، وبإدَلِّ إطلاق النيران للتغطية على هروب (ليان).

كانتْ أصوات الطلقات متواصلة خلف (ليان)، الذي نجحَ في الوصول إلى ذلك الأخدود، وأخذَ يتسلَّق الصخور بخفةٍ وسرعةٍ ورشاقة.

لم تمضي عشرة دقائق حتَّى وصلَ إلى أعلى نقطة في الأخدود، وانطلقت كشافات مُبهرة تضرب عينيه وكادتْ أن تغطي بصره، فرفعَ يده أمامَ وجهه في حركة تلقائية، وتوقَّفَ تمامًا عن الحركة.

- انبطح أرضًا وارفع ذراعيك عاليًا.

انطلقت هذه الجملة باللغة العربية من أمامه، فامتثلَ للتعليمات وهبطَ أرضًا على رُكبتيه، وهو يرفع ذراعيه عاليًا، ويُمسك بيده اليمنى السلسلة التعريفية لنقولا، حتَّى شعرَ بيدٍ تجذبها من يده ونفس الصوت يقول:

- ربَّاهُ إنها الخاصة بنقولا!! أين هو؟

أجابَ (ليان) وهو مُغمض العينين تفاديًا للإضاءة المُبهرة المُسلطة على وجهه:

- لقد رفضَ المجيء، وظلَّ يحمي المؤخرة، ومنعَ المقاتلين من التقدُّم خلفي؛ كي لا تفشل المهمة.

قاطعهُ الصوت:

- هل اطلاق النار هذا الذي نسمعه بسببه؟

هزّ (ليان) رأسه بالإيجاب، في هذه الأثناء قد توقف إطلاق النيران تمامًا، ممّا يدل على نجاح مُقاتلي (حزب الله) في القضاء على (نقولا)، أو إلقاء القبض عليه.
تقدّم الضابط من (ليان) وأمسك بيده ليُساعدَه على النهوض، ومدّ يده مُصافحًا وهو يقول:
- الضابط (مجد الدين) من قوات حرس الحدود اللبنانية.
صافحه (ليان) قائلاً:

- لقد أخبرني عنك (نقولا)، وأخبرني أيضًا أنّك ستقوم بكُل المطلوب.
هزّ (مجد الدين) رأسه بالإيجاب، وظهّر التأثير على وجهه عندما تذكّر صديقه (نقولا)، ولكنّه أشار إلى (ليان) ليتبعه.

ركب سيارَة الدفع الرُباعي وانطلق يقودها (مجد الدين)، بينما قام (ليان) بتغيير ملابسه للمرة الأخيرة، وارتدى ملابس جنود قوات حفظ السّلام المُميّزة، ولكن بشعار قوات الاحتلال على منطقة الكتف.

ومُجرّد أن انتهى حتّى نظر له (مجد الدين) وقال:
- نحن الآن بصدد عبور البوابة الأمنيّة الخاصّة بمنطقة قوات حفظ السّلام، ومن هذه اللحظة أنت (راف توراى-جيدون اليعازر)، وأنا الضابط المسؤول عن توصيلك من الميناء الجوي العسكري، وحتّى منطقة الخدمة الخاصّة بك.
هزّ (ليان) رأسه بعلامة التفهم.

كانا قد وصلا إلى البوابة الأمنيّة، التي قد قامت بفحص أوراق السيّارة وقائدها، وأيضًا الأوراق والهويّة الخاصّة بليان، وأشار ضابط الأمن المسؤول إلى الضابط (مجد الدين) بالانصراف، وإلى (ليان) بالدخول إلى الداخل.

انطلق (مجد الدين) بالسيّارة مُبتعدًا، وتحرك جندي تابع للبوابة الأمنيّة مُصطحبًا (ليان) إلى داخل المُعسكر، والمنطقة الخاصّة بقوات حفظ السّلام.

تقدّم من مكتب خاصّ باستقبال الضباط والمُجنّدين الجُدد، وبعد أن طرق المُجنّد المصاحب لليان الباب، وسمح له بالدخول، وقفّا أمام مكتب الضابط المُختص، وقدم الجندي له أوراق (ليان)، أو الأوراق الخاصّة بالعريف (جيدون اليعازر)، والذي أمسكها وأخذ يتفحصها جيّدًا.
وقف (ليان) ثابتًا بالوقفة العسكريّة المعتادة، مُنتظرًا ما سيُمليه عليه الضابط المسؤول من مهام أو تعليمات.

ولكن فجأة تغيّرت ملامح الضابط واحمرّ وجهه، وصرخ بنبرة حادة قائلاً:

- أنت لست (جيدون اليعازر)!!

أنا أعرف (جيدون اليعازر).. من أنت؟؟؟

هنا تعالت ضربات قلب (ليان) حتّى كادَ أنْ يسمعها المُجنّد المُصاحب، وكذا الضابط المسئول.

ولأول مرة منذُ أنْ دخلَ إلى هذا المكتب رأى (ليان) الشارة التي تُزيّن كتف الضابط المسئول، شارة زرقاء قائمة، شارة خاصّة ومُميّزة، شارة تُشبه التي تُزيّن كتفه.. شارة جنود الاحتلال!

الخطر



الفصل الأول

تململت في الفراش قليلاً وأخيراً فتحت عيناها، مُحاولَة إدراك أينَ هي وكم من الوقت ظَلَّت على هذا الرقاد؟

اعتدلت بهدوءٍ مُحاولَة تجنب الألم الذي يضرب ذراعها اليسرى بالكامل وخاصة كَف يدها، والذي تغطيه الضمادات بعد ما حدثَ لها في العملية السابقة.

لم تستعيد (آية) كامل قُوّاهَا بعد، ولكنْ جروحها قد تماثلت للشفاء، ومع بعض المُساعدة من (ليان) في جلسات علاج طبيعي لذراعها بالكامل، ساعدتها على استعادة أكثر من ٨٠٪ من قُدّرتها على التحكم بيدها بالكامل.

أخذتْ تتذكّر الأحداث الماضية كَلِمَحاتٍ وومضاتٍ مُؤلمة تضرب عقلها، نفضت ذكرياتها المؤلمة، ونهضت من الفراش، ونادت باسمه بحثًا عنه.

ولكنّها أدركت عدم وجوده بالمنزل الآمن.

خرجت من غرفتها تبحث عنه، لعلّه يُصلي أو لم يسمع نداءها، ولكنّه بالفعل لم يكن مُتواجدًا.

نظرت تجاه المكتب الصغير في ركن غرفة المعيشة، والذي يحوى حاسوبه المحمول، فرأته مفتوحًا وتومض شاشته بإشعارٍ قديم رسالة.

توجهت وجلست قبالة الحاسوب، وقامت بالنقر على الإشعار لعرض الرسالة، كانت رسالة طويلة مُشفرة، ممّا تطلّب منها أن تفتح إحدى برامج التشفير الموجودة بالفعل على ذاكرة الحاسوب، ونسخت محتوى الرسالة إلى التطبيق، وقامت بإدخال الكود التعريفي الخاص بها، طبقًا لآخر تحديث تمّ إمداده لهما من قِبَل المخابرات العامة المصرية.

كانت رسالة من (ليان) يُخبرها باختصار بالمهمة الجديدة، ويطلب منها أن تستعدّ لمُساعدته عن طريق الحاسوب بخصوص بعض النقاط التي سوف يُرسلها إليها.

أسرعتْ تقرأ الرسالة بعينها بكلّ اهتمام لكُل التفاصيل.

"تمّ إرسال رسالة مُشفرة بمكان لقاء مندوب من المخابرات العامة المصرية في وسط (تلّ أبيب)، كما تمّ اللقاء والتعارف، والمهمة باختصار في داخل الشريط الحدودي بينَ دولة لبنان ودولة الاحتلال في داخل الخط الأزرق، وبينَ قوات حفظ السّلام المُتواجدة.

والمهمة باختصار هي مُحاولَة كشف عميل وجاسوس إسرائيلي مُتواجد بينَ قوات حفظ السّلام بتلك المنطقة، وبالطبع ليس من المُجنّدين؛ لأنّ فترة تجنيدهم لا تتخطى الواحد

وعشرون يومًا في تلك المنطقة فقط، ويتم إرجاعهم إلى بلادهم مرة أخرى، وبهذا لا يتبقى إلا القادة وعددهم خمسة ضباط، أحدهم ضابط برتبة عقيد بالقوات المسلحة المصرية ويُدعى (محمد أبو العزم)، وتدخل المخابرات المصرية لسببين؛ أولهما، مساعدة المخابرات والقوات اللبنانية للإيقاع بذلك الجاسوس، الذي يتسبب في خسائر رهيبه للقوات اللبنانية أيضًا لانتفاء أية شبهة، يمكن أن تطال أحد رجال القوات المسلحة المصرية.

وقد تم إعطائي أوراق ثبوتية باسم (راف توراي-جيدون اليعازر)، أو العريف (جيدون اليعازر) مُجنّد بجيش الدفاع، ومُلاحق بقوات حفظ السّلام لمدة عام، ومنطقة الخط الأزرق تحديدًا لمدة ثلاثة أسابيع، ولكن ليس أمامي سوى ثمانية وأربعين ساعة، وهي أقصى مدة للمهمة قبل أن أرسل رسالة إلى القوات الأساسية الإسرائيلية، وهي رسالة إجبارية بأكواد وصيغة غير معلومة، لإثبات التواجد والحفاظ على الجنود الإسرائيليين، وهو بروتوكول معمول به في دولة الاحتلال".

إلى هنا انتهت الرسالة، وشردت (آية) وهي تُفكر في (ليان)، وأين هو الآن؟ وهل نجح في الوصول؟؟

الفصل الثاني

- لقد وصل (ليان) بالفعل إلى (الخط الأزرق) يا سيدي.
 أنهى (مراد) بهذه الجملة وهو يقف أمام السيد مدير المخابرات العامة المصرية، وصمت منتظرًا تعليمات جديدة.
 تنهّد السيد مدير المخابرات وهو يقول:
 - حسنا، لقد بدأت المهمة بالفعل الآن.
 كاد (مراد) أن يتحرك مغادرًا ولكنه توقف قليلاً مترددًا، واستدار ونظر للسيد المدير وهو صامت.
 مما جعل السيد مدير المخابرات يدرك أنه يريد أن يقول شيئًا، ولكنه متردد فأشار له أن يتحدث.
 تكلم (مراد) وكأنه يلقي عبثًا عن كاهله.
 - هناك نقطة لا أعلم حقًا هل هي مهمة أو قد تكون مهمة.
 تنهّد السيد مدير المخابرات بنفاذ صبر وقال:
 - هات ما عندك يا (مراد)، أية معلومة مهما كانت ضئيلة قد تكون مهمة، وخاصة في مجالنا هذا.
 تابع (مراد) مباشرة بعد جملة السيد مدير المخابرات العامة.
 - لقد تمّ انتداب (راف سيرين) من جيش الاحتلال لدى الوحدة الخاصة بقوات حفظ السلام بالخط الأزرق، ويدعى (تيدل سيروف) وبالتأكيد فترة انتدابه مؤقتة لن تزيد عن ثلاثة أسابيع، لكن المقلق في الأمر أنه تمّ تعيينه لتوزيع المهام على القوات المستجدة.
 وهو الآن قد أمضى حوالي عشرة أيام من مدة خدمته بقوات حفظ السلام في منطقة الخط الأزرق.
 فجأة اعتدل السيد مدير المخابرات العامة من مجلسه، وهبّ واقفًا وهو يختطف سماعة هاتف مكتبه ويده تضرب رقم قصير وقال:
 - وكيف تترك معلومة خطيرة مثل هذه ولا تخبرني بها يا (مراد)؟
 وأكمل حديثه مع الطرف الآخر على الهاتف:
 - أريد كّل المعلومات المتاحة عن (راف سيرين تيدل سيروف)، وهو حاليًا منتدب لقوات حفظ السلام بالخط الأزرق، حالًا وبأقصى سرعة.

قالها ووضع سماعة هاتفه ونظر إلى (مراد) وقال:
- أئمة معلومة حتى لو صغيرة جدًا يمكن أن تكون خطيرة، وذات أهمية قصوى، كما يمكنها أن تُعرض العملية كلها للفشل، ليس هذا فحسب؛ بل وحياة (ليان) نفسها يمكنها أن تكون في خطر مُحدد.

قالها دون أن يدرك أنه مُحق في كل كلمة قالها..

فبالفعل (ليان) في خطر كبير.

مر شريط سريع من الذكريات أمام عيني (ليان)، لمحات من حياته كلها، وفجأة توقفت الذكريات عليها.. (آية)، احتلت صورتها مخيلته كلها.

لا يعلم لماذا صورتها هي بالذات؟

ولا يعلم ما حدث بعدها، وكأنها كانت الدافع له،

وكان عقله يُعطيه الأمل، والسبب في أن يستمر ويُحارب.

وقف أمام (راف سيرين تيدل سيروف) المسئول عن توزيع المهام في هذه الوحدة، وفجأة لمح هذا العلم المميز على كتفه، العلم الذي تربى تحت رايته طيلة عُمره السابق، والذي أصبح الآن يُسبب له ضيق صدر مُجرد أن يراه حوله في أي مكان.

أخذ عقله يعمل سريعًا، وقبل أن يتحدث (الراف سيرين)، ويُخبره أنه ليس (راف توراي-جيدون اليعازر).

قد رتب عقله الأمور جيدًا ورسم سيناريو كامل لكافة الاحتمالات المتوقعة، وكأنه من كثرة تعامله مع الحاسوب أصبح عقله يمتلك من صفاته في التحليل السريع!

مر كل هذا في أقل من ثانية واحدة، ومُجرد أن أنهى (الراف سيرين) عبارته حتى ابتسم (ليان) وقال:

- وأنا أيضًا لا أعرفك، يبدو أنك تقصد شخصًا آخر.

نظر إليه (تيدل) بشك وتابع:

- مُستحيل، اسمك الثلاثي نفس الاسم، وكذا عُمركما واحد تقريبًا، وهو أيضًا مُجنّد في جيش الدفاع الإسرائيلي في نفس الفترة، وأنا من ساعده على إنجاز أوراقه للالتحاق بجيش الدفاع.

ما زال (ليان) مُحفظًا بنفس الابتسامة وتابع قائلاً:

- سيدي القائد، حقًا لست أنا هذا الشخص، أنا من بيت (ايل) بالشّمال، وقد تمّ إلحاقى بقوات حرس الحدود ومنها منتدب إلى قوات جيش الدفاع، وبعدها إلى قوات حفظ السّلام

لفترة قصيرة المُعتادة للمُجنّدين، فهل (جيدون) الذي تتحدّث عنه ويتشابه اسمه معي من نفس المكان والتحق هو الآخر بنفس القوات؟؟

تكلّم بثقةٍ وتلقائيةٍ نجحت في زرع الشكّ في قلب (تيدل)، الذي توقف عن الحديث وظلّ ينظر إلى (ليان) وأخيراً قال:

- حسناً، سوف أبحث هذا الأمر مع القادة في جيش الدفاع، والآن فم بتسلم مهامك وأغراضك.

قالها وأشار إلى المُجنّد المُرافق له أن يتحرّكاً معاً؛ حيثُ الأماكن المُخصصة بالمبيت للجنود. أدّى (ليان) التحيّة العسكريّة واستدارَ مُغادراً غرفة المكتب، لكنّ (تيدل) أوقفهُ قائلاً:

- لا أعلم من أنت؟

ولا أعلم لماذا أنت هنا؟

ولكنّ لن أترك الموضوع دونَ بحثٍ دقيق.

استدارَ له (ليان) وهو مُحترِظٌ بنفس الابتسامة وقال:

- وهذا هو المُتوقع من أيّ جندي مُخلص في جيش الدفاع لوطنا الأمّ (إسرائيل).

أنهى عبارته واستدارَ مُغادراً، ولكنّه من داخله أدرك أن الأمر قد أضحى مسألة وقت فقط قبل أن تُكشف حقيقته.

وكانَ لا بُدَّ وأن يُسرّع في تنفيذ مهمته، والتي تقلّص وقتها أكثر وأكثر، حتّى أصبح لكلّ ثانية ثمن، وثمان باهظ للغاية.. قد يُكلّفه حياته نفسها.

الفصل الثالث

ومضت شاشة الحاسوب المحمول مع هذا الصوت المُمَيِّز الخاصّ بالإشعارات، ممّا جعلَ (آية) تقفز من مقعدها مُسرعة إليه، وتجري أصابعها على لوحة المفاتيح في سرعةٍ ومهارة. كانَ هو، فجأة تعالت دَقَات قلبها، حتّى خشيت أن يسمعها قاطني العقارات المُجاورة، فيفضحها قلبها!

رسالة مُشفرة، فقامت بفتح تطبيق خاصّ بمعالجة الرسائل المشفرة، وأدخلت الكود التعريفي الخاصّ بها، وانتظرت أن يقومَ البرنامج بعمله. - "اشتقتُ إليك".

هذه العبارة هي ما قامَ البرنامج بفك تشفيرها، احمرت وجنتاها من شدة الخجل، حتّى كادَ الدّم أن ينبثق منهما. أشاحت بوجهها بعيداً من خجلها، ولكنّها عادت ونظرت للشاشة مرةً أخرى فقد تذكّرت أنّه لا يراها.

وجرت أصابعها على لوحة المفاتيح.

- أخبرني كيفَ حالك؟ وأينَ أنتَ الآن؟

كتبت هذه العبارة وانتظرت الردّ، الذي أتاها سريعاً.

- أنا بخير والحمدُ لله، لقد وصلت إلى النقطة صفر وأعتقد أن وقت المهمة سيتقلّص جدّاً، لذا يجب أن أشرع في العمل بسرعة.

ردّت على هذه الرسالة مباشرة.

- كيفَ لي أن أساعدك؟

تابعت الرسائل التي أخذت بالورود.

- أولاً احتاجُ إلى إعطائي صلاحيّات الوصول الكامل إلى الحاسوب المحمول؛ إذ يُمكنني أن أصل منه إلى السيرفر الرئيسي الخاصّ بهذه الوحدة من قِوَات حفظ السّلام.

وسوفَ أقومُ بربط السيرفر الخاصّ برسائل الوحدة الرسميّة بالحاسوب الذي أمامك، وأريدُ منك أن تُتابعي كُُلّ الرسائل الصادرة والواردة مباشرة، وسوفَ أعمل على حدوث تأخير لتمرر الرسائل في كلا الاتجاهين أولاً على الحاسوب المحمول، ومهمتك أن تبحثي في كُُلّ الرسائل عن شيئينِ مُهمين.

أولهما، أية رسالة بها ذكر لاسم المُجنّد الذي انحلت شخصيته، وهو راف توراي (جيدون العياز)، ومنع تلك الرسائل من الوصول إلى الاتجاهين، وأيضًا بعد أن أُحدّد أسماء الخمسة قادة المتواجدين بهذا القطاع، وتحديد أماكنهم ووسائل اتصالاتهم، سوف أرسل لك العناوين الخاصة بأجهزتهم مُتابعة رسائلهم، بالتأكيد لو أحدهم هو الجاسوس المنشود، ستكون الرسائل مشفرة، وهو ما أعتمد عليك فيه، أية رسالة قد تكون محل شك أمامك أن تقومي بإعادة إرسالها إلى هاتفي المحمول.

أخذتُ تقرأ رسائله وهي تُنفذ تعليماته بدقة، وبالفعل قامت بإعطائه كافة الصلاحيات للولوج إلى الحاسوب المحمول، وشرعَ هو في التحكم الكامل به من هاتفه المحمول، كانت الشاشة أمامها تنساب عليها المعلومات بسرعة رهيبية.

حتى أنها كادت أن يُعشى عليها من سرعة البيانات المُتدفقة، أخذَ يعمل بِمُنتهى السرعة ويُحاول أن يفتح مَنفذ يستطيع من خلاله الوصول إلى المعلومات، والتحكم الكامل في جهاز الخادم الرئيسي، ولكنَّ الخادم الرئيسي يملك جدار ناري على أعلى مستوى من الأمان، ويكاد يكون من المُستحيل اختراقه أو حتى فتح أي مَنفذ به.

كُل هذه الأمور لا تفوت في عضد (ليان) بسهولة، ولم تمضي إلا دقائق قليلة حتى ظهر على شاشة الحاسوب أمامها، أنه قد نجح بالفعل في فتح مَنفذ للولوج إلى النظام الرئيسي الخاص بالخادم، وبالفعل إنهار سيل من المعلومات المُخزنة أمامها، منها العسكرية ومنها بيانات جميع الأفراد، والقادة الذين أنهموا الخدمة في القطاع أو مازالوا تحت الخدمة.

وتوقفت المعلومات على بيانات خمسة أشخاص، وهُم القادة الدائمين في منطقة الخط الأزرق،

كان أولهم وأكبرهم رتبة (لوفنتيت كولونيل)، أو عقيد (سام كندي) وهو من قوات الجيش في أمريكا الجنوبية وتحديدًا البرازيل، ويعمل في هذا القطاع منذُ سبعة أعوام، وهو قائد هذا القطاع بالكامل.

ويليه في الرتبة والمهام العقيد (محمد أبو العزم) من قادة قوات الجيش المصري، وهو يعمل في قطاع الخط الأزرق لقوات حفظ السّلام، ومنتدب إليها منذُ خمس سنوات وهو نائب قائد القطاع.

وثالثهم هو ضابط برتبة (ميجور)، أو رائد بقوات التاج البريطاني واسمه (جورج سيكلوب)، ومنتدب إلى قوات حفظ السّلام وتحديدًا قطاع الخط الأزرق منذُ عامين فقط.

ورابعهم أيضًا ضابط بقوات التاج البريطاني ويحمل رتبة (لوتيننت) أو ملازم اسمه (رمزي اس جاك)، وهو مُلحق بقوات حفظ السّلام وتحديدًا قطاع الخط الأزرق منذُ عام.

وأخيراً خامس هؤلاء القادة، وهو أصغرهم رتبة وهو (سعيد الدويك)، مُلازم أول بقوات المملكة العربية السعودية حديث العمل والانضمام بقوات حفظ السّلام، وتحديدًا الخط الأزرق مُنذُ عام واحد فقط.

أُخذتُ (آية) تُتابع المعلومات التي تظهر أمامها، وتُدوّن الضروري منها، ولكنها أدركت بالفعلِ صعوبة هذه المهمة، والتي تكاد تكون مُستحيلة.

الفصل الرابع

أخذَ (ليان) يُتابع سيل المعلومات التي تتدفق أمامه على شاشة هاتفه المحمول، عن طريق الحاسوب المحمول في المنزل الآمن مع (آية).

حاولَ أن يُحلل الخمسة شخصيات من البيانات الأساسية المتاحة أمامه وصورهم الشخصية، فيعصر أفكاره ويستجمع كُل ما درسه من تحليل الشخصيات في علم النفس، سواء الذي درسه أثناء الدراسة، أو حتى في فترة تدريبه في (الموساد) أو من خلال قراءته الشخصية.

وقد كوّن بعض الآراء الشخصية حول شخصيتين أو ثلاث من المعلومات الأساسية، من خلال صورهم الشخصية أدركَ أن العقيد (أبو العزم) هو شخصية ودودة، محبوبة بين الجميع وأنه يتميز بالطابع المصري الأصيل، إذ يتعامل على اعتبار أنه صديق للجميع.

وأيضاً شخصية الملأزم (رمزي اس جاك)، هي شخصية قاسية رغم صغر سنّه بالنسبة للجميع، لا يُشاركه أمر السنّ الصغير غير الملأزم (سعيد الدويك)، ولكنّ الملأزم (رمزي) يحمل ملامح شرسة جادة.

غرقَ تماماً في أفكاره، منزوياً بإحدى البقاع القريبة من السور الداخلي لأطراف الوحدة العسكرية، حينما شعر بحركة غريبة من خلفه،

تحركَ بهدوءٍ ووضع الهاتف في جيبِ سترته العسكرية الأمامي، وأخرجَ لفافة تبغ صغيرة كان يحملها معه لمثل هذا الموقف، وألقاها سريعاً أرضاً ووضع قدمه عليها وكأنّه يقوم بإطفائها واستدارَ مُغادراً.

ولكنّه توقف وهو يرسم الدهشة على ملامحه، إذ كان يقف أمامه أحد الضباط، أدرك من صورته التي رآها من دقائق قليلة أنّه الرائد (جروج سيكلوب)، ولكنّه بالطبع تظاهر بعدم معرفته، وتوقف واعتدلّ وقامَ بأداء التحية العسكرية لضابط يفوقه رتبة، وبعدها توقف في ثبات تام وانضباط عسكري مُنتظراً التعليمات والأوامر.

توقفَ الرائد (جروج) يتفحص ملامح (ليان)، وألقى نظرة على العلم الذي يُزيّن ذراعه ويحمل شعار دولة الاحتلال، وابتسمَ بركن فمه وقال:

- اسمك ورقمك التعريفي أيّها المُجنّد؟

أجابهُ (ليان) بلهجة عسكرية:

- راف توراي (جيدون اليعازر) مُلحق بقوات حفظ السّلام، وأحمل رقم تعريفي ٤٤٥٦ قوات شرق أوسطية.

أخَذَ الرائد (جورج) يتفحص ملامحه وتابع:

- لماذا تقف هنا أيُّها المُجَنَّد؟

تظاهرَ (ليان) بالتوتر وتلعثم قائلاً:

- معذرةً أيُّها القائد، ولكنَّ بحثُ عن رُكنٍ قصيٍّ لأشعلَ سيجارة تبغ؛ حيثُ أنَّ التدخين أصبحَ ممنوعاً في كُلِّ الأماكن العسكرية.

أخَذَ الرائد (جورج) يستمع له في صمتٍ وهو ينظر إليه، ويتفحص ملامحه جيِّداً وأخيراً قال:

- حسناً أيُّها المُجَنَّد، هذا آخر إنذار لك لمثل هذه الفِعلَة، لأنَّ الواضح أنَّكَ جديد هنا، اذهب الآن إلى المبيت الخاصِّ بالمُجَنَّدِين، لأنَّ العمل هنا يبدأ من باكر.

أدَّى (ليان) التحية العسكرية وتحركَ مُسرَّعاً لتنفيذ الأمر، ومُجرِّد أنَّ دخل إلى الغرفة المُخصَّصة له، حتَّى أخرجَ هاتفه مرَّةً أخرى وتأكَّد أنَّه مُتصل بالإنترنت في هذا الموضع، وجودة الشبكة الخاصة بالجوَّال.

وقامَ بإعادة الاتصال بالحاسب المحمول، ومنهُ أعادَ الاتصال بالخادم الرئيسي لهذه الوحدة، وقامَ باستعادة كافة المعلومات مرَّةً أخرى المُتاحة عن الرائد (جورج سيكلوب).

كانتْ كُلُّها معلومات عادية جدًّا، خاصَّةً بهِ وتدرجِه العسكري في جيش التاج البريطاني، وبعدها تاريخه وتدرجه العسكري مُنذُ انتدابه لقوات حفظ السَّلام، معلومات لا تُفيد (ليان) فيما يبحث عنه.

هُناكَ شيءٌ غريب شعر بهِ (ليان) وخاصَّةً بعدَ هذه الابتسامة، التي ارتسمت على وجه (جورج) عندما لمح علم إسرائيل على ساعد (ليان)، لم يشعر بالارتياح لنظراته.

كانَ الخادم الرئيسي الخاصُّ بهذا القطاع من قوات حفظ السَّلام، لا يحوى الكثير من المعلومات.

لذا قرَّرَ أنَّ يُقدِّم على خطوة مُتهورة، قرَّرَ أنَّ يبحث عن معلومات عن الرائد (جورج سيكلوب) في انجلترا نفسها، تحديداً في وزارة الدفاع الخاصَّة بالمملكة المُتحدة، وتحديداً الخادم الرئيسي لها.

وقد قد شرعَ في العمل على فتح مَنفذ، ليتمكن من الولوج إلى المعلومات المُخزَّنة على ذلك الخادم.

وبعدَ مدة تجاوزت النصف ساعة تقريباً، أطلقَ (ليان) صفيراً قصيراً بشفتيه دليلاً على نجاح المهمة، ورغم صعوبة الأمر هذه المرَّة؛ إذ كانَ شاقاً وليس بالهين، لكنَّهُ نجحَ في النهاية.

بدأ يبحث عن بيانات القوات البريطانية وملفاتهم، وبالفعلِ نجحَ أخيراً في العثور على مُبتغاه، ملفَّ الرائد (جورج سيكلوب) بالكامل بينَ يديه الآن، فابتسم ابتسامة ظفر، وشرعَ

يقرأ كُلَّ معلوماته، أخذَ يجري بعينيه بينَ السطور، وهو متأكد تمامًا أَنَّهُ سيعثرُ على مبتغاه في هذا الملف.

وبالفعلِ التمتعت عيناه، وابتسمَ ابتسامة ظفر؛ إذ عثرَ على المعلومة التي كان يبحث عنها، معلومات عن الآباء؛ كانَ أباهُ يُدعى السير (ألبرت سيكلوب) ويحمل لقب سير، وهو لقب رفيع المستوى في دولة إنجلترا، ولا يحصل عليه إلا عن طريق الأسرة الملكية فقط.

لكن ليس هذا ما كانَ يبحث عنه، فوالدة (جورج) هي السيِّدة (ميريت عزرا)، وهي من يهود اسكتلندا، وتزوَّجت من أبيه عام ١٩٧٥،

وهي من اليهود الأرثوذكس؛ أي أَنَّها من الطوائف المُتشدِّدة التي تنتمي قلبًا وقالبًا إلى المذهب اليهودي.

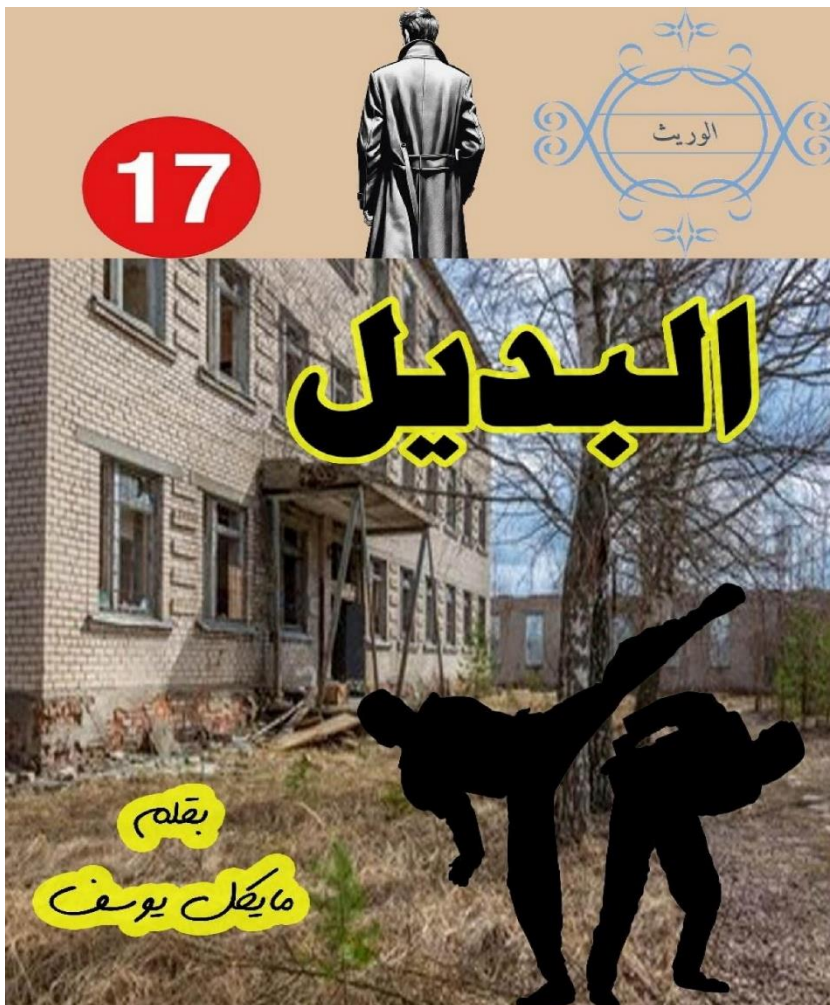
وهنا فقط اتسعت ابتسامته (ليان) وأدرك أَنَّهُ كانَ مُحققًا، وها هي جذوره اليهودية تظهر، وبالتأكيد تمَّ تجنيده عن طريق أمه للعمل لصالح دولة الاحتلال، وأَنَّهُ هو مَنْ يقوم بتسريب المعلومات لإسرائيل.

هَمَّ (ليان) بإغلاق الاتصال بالخادم الرئيسي وترك هاتفه الجوال، ليخلد إلى النعاس فقد قطع شوطًا طويلًا بالفعل، ونجحَ في خلال أول ساعة فقط في تحديد الهدف،

وتبقى فقط أن يكشفه أمام المخابرات المصرية، ويُرسل لهم ما توصلَ إليه من معلومات، وفجأة وقعت عيناه على هذه الصورة، واتسعت عيناه في دُعرٍ ورُعب، وصرخ:

- مُستحيل؛ فقد ظهرت أمامه صورة حديثة للرائد (جورج سيكلوب)، ومعها تجمَّد المشهد تمامًا؛ فالذي يظهر أمامه في الصورة، لا يَمُت بصلَة إلى الرائد (جورج سيكلوب)، الذي كانَ أمامه في أقل من ساعة.. أبدًا!!!

البديل



الفصل الأول

وقفَ (ليان) مذهولًا غير مُصدق لما يرى على شاشة هاتفه المحمول، المرتبط بحاسوبه الشخصي في ذلك المنزل الآمن، والذي قامت (آية) بمُساعدته فيه، حتى يستطيع أن يخترق الخادم الرئيسي الخاص بقيادة قوات حفظ السَّلام، ويُحاول أن يصل إلى معلومات حول الخمس قيادات المتواجدين في هذه المنطقة المُسمَّاة بالخط الأزرق، ولكنَّ عقله لم يهدأ فقرَّر أن يُقدم على خطوة متهورة، وهي اختراق السيفر الخاص بقوات التاج البريطاني نفسه، وبعدَ مدة ليست بالقليلة استطاع اختراقه، وحصلَ بالفعل على كامل المعلومات عن الميجور (جورج سيكلوب).

وكانَ في انتظاره مُفاجأة من العيار الثقيل جدًّا، فالذي تظهر صورته أمامه الآن ليس هو من رآه مُنذُ قليل أبدًا.

تعالت طرقات على باب غرفة السيّد مدير المخابرات العامّة المصريّة، أخرجته من بين أوراق الملف الذي بيّن يديه يتصفحه، وأعطى الإذن لصاحبها بالدخول.

فاذ به (مراد) مُساعده ومُدير مكتبه، الذي مُجبرّد أن دخل إلى غرفة المكتب حتى ألقى التحيّة سريعًا وقال:

- قد نجحَ رجالنا في الكشف والوصول إلى فحوى الرسالة الخاصّة بالجنود العاملين في قوات جيش الاحتلال هذا الأسبوع، والتي يجب أن يرسلوها كُلّ ثمانية وأربعين ساعة وتتغيّر أسبوعيًّا.

تراجَعَ السيّد المدير للخلف في مقعده، وأشار بيده وهو يقول:

- أرسلها بسرعة إلى (آية) لأنّه على اتصالٍ مُباشرٍ بها، طبقا للتقرير الذي أرسلته مُنذُ ساعتين تقريبًا، وأخبرها أن ترسلها له فورًا، ولكنَّ لا يقوم بإرسال الرسالة إلّا في المواعيد المُحدّدة، وبنفس طريقة الإرسال التي كشفها رجالنا.

وصمّت قليلًا ثُمَّ تابع:

- وهل يوجد أيّة معلومات جديدة سواء من (آية) في المنزل الآمن، أو من هناك حيث (ليان) أو من رجالنا حول المهمة.

أجابهُ (مراد) مباشرة:

- بالفعل أرسلت (آية) تقرير مُفصّل بالأحداث حتى الآن، وأُتيّت به للعرض على سيادتكم، وأيضًا تمَّ إرساله إلى الحاسوب الخاص بسيادتكم.

أشارَ له السيّد المدير بيده قائلاً:
- أعطني الورقي يا (مراد) لقد مللت من كثرة النظر إلى شاشة الحاسوب، واشتقت لملمس الورق بين يدي.
قالها وأخذَ يُطالع التقرير بعينٍ فاحصة، وأخيراً نظَرَ تجاه (مراد) وقال:
- يبدو أن (ليان) في وضع لا يُحسَد عليه، لقد بدأت المهمة بداية صعبة، ولكنه نجح بالفعل في تجاوز كُلِّ العقبات حتّى الآن.
ولكن من الواضح أنّه كوّن فكرةً أوليّة، وحدّد هدفَ له والدليل أنّه قامَ بالعمل على اختراق الخادم الخاصّ بقوات التاج البريطاني، يُمكن أن نُخمّن أنّه قد حصرَ شكوكه في الضابطين الإنجليز ميجور (جورج سيكلوب) ولوتينت (رمزي اس جاك)، حسنًا.
احضر كُلَّ المعلومات المُمكنة عن الاثنين وأرسل نسخة منها إلى الخبراء لدراسة كُلِّ معلومة عنهما، وأيضًا رجال القسم النفسي، أريدُ تحليل شخصيّة ذاك الضابطان جيّدًا.
أنهى حديثه وتعليماته إلى (مراد)، الذي تحرّك على الفور لتنفيذها، ومن خلفه ترك السيّد مدير المُخابرات وهو شارد يُفكّر فيما يحدث هناك.. في الخط الأزرق.

الفصل الثاني

قد تجمّد (ليان) من هول الصدمة، لم يتوقع هذا أبداً، ولكن كيف هذا؟
أعادَ فحص المعلومات مرّة أخرى وأخرى خوفاً أن يكون هناك خطأ في الملفّات، ظلّ يُراجع
كُل معلومة مُمكنة ولكنّ دون جدوى.

أعادَ فحص ملفّ (جورج) مرّة أخرى، وخاصّة الجانب الأسري له وكُل ما يخص عائلته.
الأب انجليزي أباً عن جدّ ويحمل لقب سير مُتوفي مُنذُ فترة، وأيضاً الأم كانت من اسكتلندا
يهودية، وأيضاً مُتوفية مُنذُ فترة، هنا توقف (ليان)، ولمعت فكرة في رأسه، فقام بالولوج مرّة
أخرى إلى الحاسوب الخاص بقوات التاج البريطاني، وأخذَ يبحث عن كُل ما يخص عائلة السير
(ألبرت سيكلوب) ولكنّ لم يجد ما يفيد، فقام بالبحث باسم الأب مرّة أخرى في مُحرك البحث
الشهير، وظهرت بالفعل بعض البيانات العادية جدّاً عنه، وعن حياته ووفاته هو وزوجته في
حادث سيارّة وابنهم (ديفيد)، توقّف (ليان) عند هذه المعلومة، وأخذَ يبحث عن أيّة
معلومة تخص الحادث، وبالفعل توصل إلى اسم المُستشفى التي تمّ وصول أفراد الأسرة إليها
بعدَ الحادث مُباشرة.

مستشفى تحمل اسم (القديس بيتر) بمقاطعة يوركشير، ووقع الحادث في الطريق السريع
المؤدي إلى جسر الهمبر.

لم ينتظر (ليان) وأسرعَ يبحث عن موقع المستشفى حتّى عثر عليه، ولم يستغرق وقت طويل
حتّى نجحَ في اختراق خادمه الرئيسي؛ إذ أنّه خادم غير مهم إطلاقاً، هو مُجرّد معلومات
خاصّة بالمستشفى والأطباء فقط، فلم يكن بحاجة لتأمين عالي أو إلى جدار ناري لحمايته
من الاختراق.

لقد كانَ تاريخ الحادث هو الخامس عشر من شهر أغسطس عام ٢٠٢٢ أي مُنذُ عامين
تقريباً، توقّف (ليان) أمام هذا التاريخ، وعادَ مُسرّعاً إلى ملفّ التحاق (جورج) بقوات حفظ
السّلام، والمؤرّخ بالثالث عشر من أغسطس من نفس العام، ولكنّه تسلّم مهام عمله في الثاني
عشر من ديسمبر من نفس العام، أي بعدَ ما يقرب أربعة أشهر كاملة!!!

لماذا هذا التأخير في استلام مهام عمله ووظيفته الجديدة؟

كانت الأسئلة تتلاحق في رأس (ليان)، وتُحاول يده أن تُجاري عقله في البحث، عادَ مرّة أخرى
إلى السجلات الخاصّة بالمستشفى (القديس بيتر)، حتّى وصلَ إلى التاريخ المنشود، وعثر على

غايته.. حادث سير مروّع أدّى إلى إصابة أربعة أفراد، ووصولهم في ساعة متأخرة وهم في حالة حرجة وهم:

السير / ألبرت سيكلوب.

السيدة / ميريت سيكلوب.

والابن / ديفيد سيكلوب.

والابن / (ميجور) جورج سيكلوب.

وهنا اتسعت عينا (ليان) فالملفاجاة كانت قاسية جدًّا.

الفصل الثالث

"تعرّضت أمس عائلة السير (ألبرت سيكلوب) لحادث سير مروّع، وذلك أثناء استقلال الأسرة لسيارة الابن الميجور (جورج سيكلوب)، الضابط بقوات التاج البريطاني والذي تمّ إلحاقه بقوات حفظ السّلام التابعة للأمم المتحدة، وعادَ إلى أرض الوطن ليستمتع مع أسرته بإجازة صيفية قصيرة قبل أن يُباشر مهام عمله الجديد، ولكنْ كانَ للقدر رأي آخر؛ إذ تعرّضت الأسرة لحادث سير قبلَ مسافة كيلو واحد فقط من جسر الهمبر، كانَ الميجور (جورج) هو قائد السيارة، وهي سيارَة حديثة رياضيّة يمتلكها هو شخصيًا، وهو ما أثارَ تساؤلات عديدة حولَ الحادث.. هل كانَ بفعلِ فاعل أم قضاء وقدر؟".

هكذا كانَ الخبر الذي تحدّثَ عن الحادث، الذي تعرّضت له أسرة السير (ألبرت). ظلّ يتصفح الأخبار التي تناولت الحادث وعيناهُ تجري بينَ السطور بحثًا عن كُلِّ المعلومات الممكنة، حتّى توقف عندَ معلومة أثارت انتباهه بشدّة.

"وهو سقوط الميجور (جورج سيكلوب) في غيبوبة عميقة جرّاء الحادث الذي تعرّض له هو وأسرته، وعلى إثره لقيَ باقي أفراد الأسرة بالكامل مصرعهم، والذي نجا فقط هو الميجور الشاب، ولكنه تعرّض لتشوهاتٍ كثيرة بالوجه نتيجة تطاير شظايا الزجاج الأمامي للسيارة أثناء الحادث، وأيضًا سقطَ في غيبوبة عميقة منذُ حوالي عشرة أيّام حتّى لحظة كتابة هذه السطور".

فجأة انعقدَ حاجبا (ليان) وجال خاطر غريب في رأسه، ممّا جعله يستمر في البحث عن كُلِّ الأخبار المتعلّقة بالحادث، أو بالميجور نفسه". وصول طبيب التجميل الروسي الشهير، والفريق المُعاون له لإجراء جراحة عاجلة للميجور الشاب (جورج سيكلوب)، تطوعًا من الطبيب بالكامل وعلى نفقته الشخصية، بعدَ أن تعاطفَ مع حالة ذلك الشاب وما حدثَ له ولأسرته بالكامل، وبرغم حالة الضابط الشاب والغيبوبة الساقط بها، إلّا أنّ الطبيب الروسي الشهير أجزمَ أنّها لن تعوق أبدًا عمله، وما جعله يُسرّع بها هو أن يُساعد على الأقل في تحسّن الحالة النفسيّة له عندما يفيق من غيبوبته، ويكتشف ما ألّمَ بأسرته بالكامل وما حدثَ له هو شخصيًا".

توقّف (ليان) مُفكرًا قليلًا مُحاولًا أن يربط بينَ الأحداث، وما تلاها وأدركَ أنّه بحاجة لزيارة غرفة الميجور (جورج) سرّيعًا.

وقبل أن يُغلق هاتفه ويتحرك لينفذ ما يُفكر به، ومضت في رأسه فكرة وخاطرة شرعَ سريعًا في البحث عنها، أخذَ يبحث بينَ المواقع الإخبارية الإنجليزية والروسية حتى عثرَ على مُبتغاه، خبر صغير في جريدة (السن) الإنجليزية.

"توفي الشاب (ألكسندروس فليشوف) وهو أحد العاملين بالسفارة الروسية في إنجلترا، جراءَ وعكة صحية قصيرة لم تستغرق إلا يومان تقريبًا، ويبدو أنها نتيجة مرض سابق له أدى إلى توقف عضلة القلب، بعدَ أن أصابها الخلل ولم ينجح أطباء السفارة في إنقاذ حياته، وتعمل السفارة على نقل جثمانه في تابوت دبلوماسي خاص، لتشيع جثمانه والصلاة عليه بينَ أهل والأصدقاء في روسيا".

نظرَ (ليان) إلى تاريخ الخبر وجدَّه الثامن والعشرين من أغسطس لعام ٢٠٢٢، عادَ مرةً أخرى لخبر الطبيب الروسي، كانت الجراحة التي أجراها للضابط الشاب في يوم السابع والعشرين من أغسطس عام ٢٠٢٢، أي قبلَ وفاة الشاب الروسي بيومٍ واحدٍ فقط، وهنا ابتسمَ (ليان) فقد أدرك الحقيقة كاملة، وارتسمت أمامه الخُدعة بكلِّ تفاصيلها.

لم ينتظر أكثر من هذا، فقد تحركَ سريعًا، خرجَ من باب المقرِّ المُخصص لنوم الجنود، وانسلَّ بهدوءٍ متواريًا في الظلام المحيط بالمعسكر بأكمله، وظلَّ يسير بحذرٍ حتى وصلَ إلى مكان المبيت الخاص بالضباط، وتوقَّف يفحص المكان بعينه ويرصد أماكن كاميرات المراقبة، ويصنع في عقله خريطة لزوايا الرؤية الخاصة بها، حتى يستطيع تفادي عدساتها ومجال رؤيتها، وبالفعل تحركَ بخفَّةٍ قطَّ بري يتحَيَّن اللحظة للانقضاض على فريسته.

اقتربَ من باب الغرف، وتفحص اللوحات الخاصة بهم، حتى عثرَ على مُبتغاه، الغرفة الخاصة بالميجور (جورج سيكلوب)، وجدَّ الباب موصدًا برتاج إلكتروني يعمل بالبصمة، وأيضًا لوحة أرقام احتياطية، ابتسمَ (ليان) واقتربَ من باب الغرفة، وقامَ بالصاقِ أذنه به وانتظرَ لمدة دقيقتين كاملتين، حتى اطمئنَّ أنَّ الغرفة خاوية تمامًا، ولزيادة التأكيد والحرص قامَ بالصاقِ هاتفه بباب الغرفة، وفعلَ وضع وتطبيق خاص يجعل الهاتف يعمل كمستشعرٍ للاهتزازات، وعندما اطمئنَّ أنَّه لا يوجد بالفعل إلا صوت بسيط يُشبه صوت المبرد الكهربائي بداخل الغرفة فقط، فأخرجَ كابل صغير وربطه بهاتفه في فتحة البيانات، وقامَ بربطه في فتحة صغيرة مُستترة بجانب الرتاج الإلكتروني غير ظاهرة للعين المُجرَّدة، لا تعرف مكانها إلا عين خبيرة.

وبعدَ دقيقة واحدة أصدرَ الرتاج صوت تكة خفيفة وفتَحَ الباب، انسلَّ (ليان) سريعًا وأغلقَ الباب من خلفه، ووقفَ موليًا ظهره للباب في هدوءٍ مُنتظرًا أن تعتاد عيناه الظلام ليُشرع في تفتيش الغرفة؛ للبحثِ عن ما يؤكد ظنَّه.

الفصل الرابع

وقف (ليان) يتفحص الغرفة جيّدًا بعد أن اعتادت عيناه على الظلام، بحثً أوّلًا عن إذا ما كانَتْ الغرفة تحتوي على كاميرات مُراقبة أو أجهزة استشعار، وبعدَ خمسة دقائق كاملة من الصمت وعدم الحركة، تحرّك أخيرًا بهدوءٍ ووقفَ بمنْتصف الغرفة يتفحص مُحتوياتها، غرفة بسيطة جدًّا لا تحتوي سوى على فراش صغير يكفي فرد واحد، وخزانة ملابس صغيرة ومكتب صغير وجهاز حاسوب موضوع على المكتب، وأيضًا مرآة صغيرة في ركن الغرفة، ومبرد للمياه بجوار باب الغُرف، أضحت المهمة سهلة نظرًا لأنَّ محتويات الغرفة قليلة نسبيًا، اقتربَ (ليان) من الفراش أوّلًا وبيدٍ خبيّرة، وبسرعةٍ قامَ بتفحص الفراش بالكامل ولم يجد شيء.

انتقلَ بعدها (ليان) إلى الخزانة، وأيضًا بمنتهى الحرفيّة والسرعة قامَ بتمشيّطها بالكامل، ولكنّه توقف عندها قليلًا، شعرَ أنَّهُ هناك شيء غير صحيح في الجزء السفلي منها. كانَتْ الأخشاب في نهايتها مُصمّمة بمنظور عميق، أي أنّها تميل إلى الاقتراب من بعضها البعض لتُعطي للعين رؤية أنّها أعمق، والغرض من هذا وجود درج سرّي في هذه الخزانة، وبالفعل أخذَ يتحسّس ويحرّك أصابعه مُتفحصًا كلّ جزء منها حتّى عثرَ على شقٍ صغير، أزاحه بهدوءٍ فأظهر فراغ صغير، مدَّ يدهُ يتحسّسه فعثرَ على جسم معدني بارد وبعض الأشياء الأخرى، أخرجها ليفحصها على ضوء هاتفه المحمول، فوجدها هاتف محمول من نوع حديث، يُمكنه الاتصال بالأقمار الصناعيّة، والعديد من جوازات السفر المُختلفة، أوّلها جواز سفر روسي باسم (روزيل شيفنشكوف)، ويحمل صورة الميجور (جورج)، وجواز سفر آخر بولندي يحمل صورته أيضًا، ولكن باسم مُختلف (جاكوب اتش ويليام) واتسعتَ عينا (ليان) حينما أمسكَ جواز السفر الأخير، والذي يمتاز بشعار يعلمه جيّدًا، الشمعدان الإسرائيلي؛ فقد كانَ الجواز الأخير عبارة عن جواز سفر إسرائيلي يحمل صورته مع اسم (سلويهان يعقوب).

توقّف (ليان) لفترة غير مُدرك الأمر بهذه السهولة، وأنّه قد توصّل إلى شخصية الجاسوس بهذه السرعة.

شعرَ بوجود خطأ ما، فهو لا يشعر بالراحة تجاه الميجور (جورج سيكلوب)، ولكنّه لا يشعر بأنّه هو الجاسوس المنشود، وما عثرَ عليه الآن من أدلة تؤكّد شكوكه أنّهُ جاسوس، ولكن بداخله شعور غريب أنّهُ ليس الجاسوس المنشود.

أَمَسَكَ الهاتف الحديث وقَامَ بتشغيله، ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ وَبَدَأَ الهاتف في العمل، وأَوَّلَ ملاحظة هي أَنَّ لغة الهاتف هي الروسية، والتي يُدْرِك (ليان) ما يكفي منها لفهم والاستيعاب، وَجَدَ الهاتف مَغْلَقًا بِرمز حماية، فَكَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِسرعة، فَالوقت مُتَأَخِّرٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يَعودَ (جورج) فِي آيَةٍ لَحْظَةٍ، أَغْلَقَ الدَّرَجَ السَّحَرِيَّ مَرَّةً أُخْرَى وَأَعَادَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ عدا الهاتف وجوازات السفر فَقَدَ قَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَهَا لِيَفْحَصَهَا بِغُرْفَتِهِ بِهَدْوٍ وَتَأْنِي.

وَبِالْفَعْلِ تَحَرَّكَ خَارِجًا بِهَدْوٍ شَدِيدٍ مُوَازِيًا الْأَسْوَارَ وَالْجُدْرَانَ، حَتَّى عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى غُرْفَتِهِ فِي مَبِيتِ الْجُنُودِ.

وَمُجَرَّدَ أَنْ دَخَلَ إِلَى غُرْفَتِهِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ، جَلَسَ عَلَى طَرَفِ فِرَاشِهِ وَأَمَسَكَ الْجَوَازَاتِ يَتَفَحَصُهَا مَرَّةً أُخْرَى، كَانَ الْجَوَازُ الرُّوسِي طَبِيعِيًّا تَمَامًا، وَالبُولَنْدِي لَمْ يَشْعُرْ مَعَهُ أَنَّهُ بِنَفْسِ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَلَكِنْ نَظَرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَامَلْ مَعَ هَذَا الْجَوَازِ كَثِيرًا مِنْ قَبْلِ، فَتَجَاوَزَهُ وَأَمَسَكَ الْجَوَازَ الْإِسْرَائِيلِي، وَأَخَذَ يَتَفَحَصُهُ بِعَيْنٍ خَبِيرَةٍ، وَبِحَكْمِ عَمَلِهِ فِي (الموساد) سَابِقًا، وَأَخَذَ يُرَاجِعُ عَلَامَاتِ الْأَمَانِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا وَأَخِيرًا ابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً سَاخِرَةً؛ إِذْ أَدْرَكَ أَنَّهُ جَوَازٌ مَزُورٌ، وَهُوَ مَا تَتَقَنَّ مِنْهُ فَعَلًا.

وَهُنَا تَرَكَهُ جَانِبًا وَأَمَسَكَ الهاتفَ الْمَحْمُولَ، وَقَامَ بِرَبْطِهِ سَلَكِيًّا بِهَاتِفِهِ عَنْ طَرِيقِ مَنفذِ نَقْلِ الْبَيَانَاتِ، وَقَامَ بِفَتْحِ شَاشَةِ اتِّصَالٍ مِنْ هَاتِفِهِ بِالْحَاسُوبِ الْمَحْمُولِ هُنَاكَ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي بِهِ (آيَة)، وَشَرَعَتْ أَصَابِعُهُ تَعْمَلُ سَرِيعًا، كَانَ يَقُومُ بِرَبْطِ الهاتفِ بِالْحَاسُوبِ عَنْ طَرِيقِ هَاتِفِهِ الْمَحْمُولِ كَوْسِيطٍ، وَعَنْ طَرِيقِ شَاشَةِ الْبَرْمُجَةِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي الْحَاسُوبِ، شَرَعَ فِي مُحَاوَلَاتِ تَخْطِئِ رِمَزِ الْحِمَايَةِ لِشَاشَةِ الهاتفِ، وَبِالْفَعْلِ وَفِي غَضُونِ خَمْسَةِ عَشْرِ دَقِيقَةٍ تَقْرِيبًا، اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْشِفَ رِمَزَ الْمُرُورِ لِلهَاتِفِ وَقَامَ بِفَتْحِهِ.

كَانَتْ الْمَفَاجِاتُ كَثِيرَةً عَلَى (ليان) فَالهاتف يحتوي على حياةٍ أُخْرَى لِلْمِيجُورِ (جورج)، حَيَاةٌ مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا عَنْ كَوْنِهِ ضَابِطٌ إِنْجِلِيزِي يَعْمَلُ فِي قَوَاتِ التَّاجِ الْبَرِيطَانِي، فَأَمَامُهُ صُورٌ وَمُرَاسَلَاتٌ لِشَابٍّ رُوسِي وَحَيَاةٌ كَامِلَةٌ وَأَهْلٌ وَأَصْدِقَاءٌ، قَامَ بِفَتْحِ تَطْبِيقَاتِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِي الْمَوْجُودَةِ عَلَى الهاتفِ، فَكَانَتْ كُلُّهَا تَحْمِلُ نَفْسَ الْأَسْمِ فِي جَوَازِ السَّفَرِ الرُّوسِي (رُوزِيلِ شِيفِنْشِكُوفِ) وَهُنَا أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ كَامِلَةً، وَفَهَمَ مَا حَدَثَ بِالضَبْطِ.

قَامَ مِنَ الْفَرَاشِ مُسْرِعًا وَهُوَ يَتَحَرَّكُ بِاتِّجَاهِ بَابِ غُرْفَتِهِ، شَعَرَ بِحِمَاسَةٍ بَعْدَ أَنْ كَشَفَ الْأَمْرَ، كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْغُرْفَةِ لِيَقِفَ خَارِجًا وَيُرْسِلَ مَا قَدْ نَجَحَ فِي كَشْفِهِ إِلَى (آيَة)، وَكَذَا الْإِدَارَةُ فِي مِصْرَ.

وفجأة أمسكت يد قويّة بمعصمه، التفتت بحركة سريعة إلى صاحب اليد، فإذا به الميجور (جورج)، (جورج سيكلوب)، أو بالأحرى الروسي (روزيل شيفنشكوف)، الذي يقف مُبتسمًا وقال بهدوء:

- يبدو أنّك ذكي فعلاً، ونجحت في كشف الأمر سريعًا..
وقبل أن يكمل عبارته تحرّكت يده اليسرى سريعًا مُستغلًا عامل المفاجأة، وقامَ بغرز محقن في رقبة (ليان) وأفرغ محتواه.

تحرّك (ليان) بسرعة رهيبة وضرب يده وأخرج المحقن ولكن بعد فوات الأوان، فالتفت إليه وعاجله بضربة سريعة من يده اليمنى، فتفادها (روزيل)، ببراعة وهو يميل للخلف وتحركت قدمه ليكل (ليان) في صدره، ولكن (ليان) لا يقل عنه براعة فتفادها بحركة رشيقة هو الآخر، وعاجله بضربة في منتصف قدمه التي كادت أن تصطدم بصدّره، جعلته يفقد توازنه ويسقط أرضًا، واستغل (ليان) الفرصة واندقّض عليه وعاجله بلكمة بيده اليمنى في فكه، وكاد أن يلحقها بأخرى من يده اليسرى، وفجأة شعر بدوارٍ عنيفٍ يضرب رأسه، فافلتت يده ولم تصب اللكمة هدفها، وحاول أن يعتدل ولكن لكمة ساحقة من الروسي نجحت في تكملة ما بدأه المحقن.

وسقط (ليان) دون حراك، سقط كجثة هامدة، واعتدل الروسي وهو يمسح خيط الدماء من رُكن شفّتيه، وأثار الغضب على ملامحه وهو يقول:

- لا أحد يفعل هذا (بروزيل شيفنشكوف).. ويظل حيًّا أبدًا.

الخطّة (ب)



الفصل الأول

ضباب كثيف يُغلف عقله، مُشوش الفكر قبل الرؤية، حاول أن يفتح عيناه مرارًا وتكرارًا ولكنّها أبت أن تستجيب له بسهولة، وكأنّه فقد التحكم في أعضائه، حاول أن يهدأ قليلًا، ليستعيد صفاء ذهنه والسيطرة على كامل جسده.

تذكّر من هو وما حدث، لكنّ عقله أخذ يستعيد الأحداث وما حدث له، وتذكّر أنّه وجد الميجور أمامه، وقبل أن يتحرك انغرس محقن في عنقه، ومادت به وفقد وعيه تحت أرجل الميجور أو بالأصح البديل.. (بروزيل شيفنشكوف).

عاقدة ذراعيها أمام صدرها، تزرع الغرفة مجيئًا وذهابًا، تكاد أن تُجنّ، القلق ينهش في أحشائها كحيوان مُفترس أثارته الدماء، بعد أن انقطع الاتصال مع (ليان) فجأة، وما يزيد من توترها وغضبها أكثر أنّها لا تستطيع أبدًا محاولة الاتصال به خوفًا على حياته وحفاظًا على سرّيّة المهمة.

لم تجد مفرًا، تحرّكت (آية) جلست أمام شاشة الحاسوب، وجرت أصابعها على لوحة المفاتيح، أرسلت باختصار كلّ التفاصيل إلى الإدارة في القاهرة، وانتظرت الردّ. الذي أتاها دون تأخير بالانتظار، ولا تحاول أن تتحرك في أيّ اتجاه، أو اتخاذ أيّة خطوة دون الرجوع إلى الإدارة أولًا.

وهو ما زاد من توترها، فهي لم تعتاد أبدًا أن تقف مكتوفة الأيدي، ولكنّها في نفس الوقت تعرف التعليمات الصارمة، وبرغم شخصيتها العنيدة إلّا أنّها كانت من أكثر الشخصيات التزامًا بالتعليمات، ولا تخالفها إلّا في أضيق الحدود وفي حالات الطوارئ.

كانت نيران القلق تستعر في قلبها وعقلها من أجله، لم تستطع أن تقف مكتوفة الأيدي، وهي لا تعلم ما الذي ألّم به هناك، وهو يُواجه الخطر وحيدًا.

لم تجد مفرًا، واتخذت قرارها، سوف تُخالف التعليمات لأول مرة في حياتها تقريبًا، وتُخالف تعليمات عقلها من أجل قلبها.

أسرعت وجلست أمام شاشة الحاسوب مرة أخرى، وتحرّكت أصابعها بسرعة في رسالة سريعة، تُطالبه أن يُطمئنّها على سلامته، وأن يشرّح لها الوضع باختصار لإرساله إلى القاهرة. ضغطت زر الإرسال، وظلّت عينها مُتعلّقة بشاشة الحاسوب، على أمل أن يأتيها الردّ ولكن دون جدوى.

وعاد القلق لينهش صدرها مرة أخرى.

الفصل الثاني

لا يُريد أن يفتح عينيه الآن، استعادَ صفاء ذهنه بالكامل تقريبًا، ولكنه فضل أن يستمر في تصنع الإغماء، حتى يتبين الأمر من حوله جيدًا ويدرس الموقف.

حاول أن يهدف السمع ليحدد ما يجول حوله، ولكنه فشل تمامًا في الاستماع إلى أية أصوات قد تشير إلى وجود الميجور (جورج سيكلوب) معه في المكان، حاول تحريك يده شعر بألم في معصميه، فأدرك أنه مقيّد إلى المقعد الذي يجلس عليه ويدها للخلف، وأيضًا قدماه مقيّدتان كل قدم إلى أرجل المقعد المعدني الذي يجلس عليه، وحينما شعر أنه وحيد فتح عينيه في هدوء وبحرص، كيلا تُغشيه أية إضاءة قوية قد تكون في الغرفة، ولكنها مظلمة إلى حد كبير. انتظر حتى اعتادت عيناه على الإضاءة الضعيفة للمكان الذي يتواجد به، وأخذ يجول بنظره في شتى الأنحاء بعين فاحصة، كانت غرفة رطبة، متوسطة المساحة نسبيًا ليست بالكبيرة أو الصغيرة، ومن الواضح أنها مُعدة لتخزين المعدات القديمة التي لم يعد لها استخدام في الوحدة، أيضًا من ارتفاع السقف الخاص بها يتضح أنها أسفل الأرض، وليست في مستوى الأرض أو من الأدوار العلوية.

وبسبب صوت تحرك السيارات الآتي من أعلى، فجأة شعر بحركة من خلفه، حاول أن يستدير ليتبين ولكن المقعد منعه من الحركة، وعبر من جواره وتوقف أمامه الميجور (جورج) أو من ينتحل صفته، عاقدًا ذراعيه أمام صدره وبابتسامة ساخرة، وقف ليُطالع (ليان) المقيّد في المقعد المعدني.

- يبدو أنك تمتلك بنية جسدية قوية، فلم يؤثر بك المخدر القوي إلا لدقائق قليلة. وتحرك إلى أحد أركان الغرفة، وأخضر مقعد آخر ووضعه أمام (ليان) مباشرة، وجلس عليه وهو محتفظ بذات الابتسامة الساخرة، وتابع قائلاً:

- هلم، قص لي قصتك من البداية، فكلّي أذان صاغية.

رسم (ليان) علامات البراءة وعدم الفهم على وجهه، وتلعثم عن قصد في الكلام:

- لا أفهم سيدي (الميجور) عن أية قصة تتحدث، وماذا حدث؟؟!

ولماذا أنا مقيّد في هذا المقعد؟

انطلقت ضحكة عالية ساخرة من (جورج) أو من ينتحل صفته، ومال إلى الأمام وهو يقول:
- للحظة نهجت أن تصل إلى إحساس البراءة.

أنهى جُمْلته وهو يصفق بيديه وتابع:

- تستحقّ التحيّة على هذا الأداء التمثيلي الرائع.

واعتمد مرّةً أخرى في المقعد ووضّع ساقه اليمنى على اليسرى، وهو يُشير بيده إلى (ليان):

- والآن بعد أن انتهينا من هذه الفقرة الهزليّة، لنعود إلى مسرح الواقع، برغم هويّتك وأوراقك التي تقول أنّك إسرائيليّ الجنسيّة، إلّا أنّ حديّ يُخبرني بخلاف هذا، أيضًا ملامحك شرق أوسطيّة مع خليطٍ من الملامح الأوروبيّة، ولكنّ برغم كلّ هذا أكاد أجزم بأنّك من إحدى الجنسيّات العربيّة.

هل سنقضي الباقي من حياتنا هنا؟

لا أعتقد هذا، ولكنّ كما تُحبّ، سوف أعود لك غدًا.

قالها وهمّ بالانصراف، وتوقف ونظرَ تجاه (ليان) وتابع:

- لقد تكلمنا كثيرًا ونسيّت إخبارك أنّه لا يوجد أيّ طعام أو شراب، ولا أحد يدخل إلى هذه الغرفة أبدًا إلّا أنا، ولا يملك أحد مفاتيحها سواي، ليس هذا فحسب؛ ولكنّ هذه الغرفة مُصمّمة لتكون عازلة للصوت تمامًا، إذ كانت خاصّةً باجتماعات القاعدة أثناء فترة المناوشات بين الطرفين.

أراك غدًا بعد أن تكون قد شارفت على الجفاف أو الموت جوعًا.

أطلق ضحكة ساخرة أخرى وتحركّ باتجاه باب الغرفة، ولكنّ قبل أن يصل، صدر صوت تنبيه من هاتف (ليان) يُشير بوصول رسالة، فابتسم (جورج) وعادَ مرّةً أخرى إلى منضدة صغيرة كان يضع عليها مُتعلّقات (ليان)، التي عثرَ عليها معه أثناء تفتيشه له وتقييده في المقعد.

أمسك الهاتف وعادَ ووقفَ أمام (ليان) مباشرة، وهو يبتسم ويقول:

- غريبٌ أمر هذه التكنولوجيا، لها القدرة على التعرّف على أصحابها.

وتبع قوله هذا بأنّ وضع الهاتف أمام وجه (ليان) مباشرة، ولم يسعف الوقت (ليان) ليدير وجهه أو حتّى يُغلّق عينيه؛ كي لا يسمح للهاتف بالتعرّف على وجهه، ويقوم بإلغاء تأمين الهاتف.

احمَرَّ وجه (ليان) من الغضب أثناء تفحص الميجور (جورج) للهاتف، بعد أن أصبح غير مؤمّن ولكنّه ممالك نفسه سريعًا، وابتسم وهو يقول بسُخرية:

- معك كلّ الحقّ، وأيضًا من المُميّزات الرائعة هي التعرّف على صاحبها من نبرة صوته.

وتبع هذه الجملة بالنداء الشهير لمُساعد مُحرك البحث Google.. فم بتأمين الهاتف برمز مكون من ستة عشر خانة عبارة عن مُعادلة من تاريخ ميلادي وآخر رمز تأمين تمّ استخدامه،

وأغلق شاشة الهاتف الآن، وألغى الاستجابة لأية محاولات فتح لمدة اثني عشر ساعة قادمة من الآن.

وأنتهى عبارته، وتعالى صوت مُساعد Google الشهير وهو يقول:
- تمّ التنفيذ.

وأغلق الهاتف شاشته وظهر عليها عداد تنازلي، يُشير إلى الوقت المنصرم ليقوم بتحرير الهاتف مرّة أخرى.

انتقل الغضب هذه المرّة إلى ملامح (جورج) الباردة، وألقى الهاتف جانبًا وانقضّ على (ليان) وأهال له اللكمات، حتّى سأل خيط من الدماء من ركن فم الأخير.

اعتدل (جورج) وهو يقوم بهندام ملابسه العسكرية، وتحركّ خارجًا وهو يتوعد (ليان) قائلاً:
- لا تقلق، سوف أعود، فبيننا أحاديث كثيرة.

قالها وغادر العُرفة وصفق بابها خلفه في غضب.

الفصل الثالث

- انقطعت الأخبار تمامًا عن (ليان) يا سيدي.
- ألقى (مراد) هذه العبارة وهو يقف أمام السيد مدير المخابرات العامة المصرية في مكتبه، واعتدل الأخير مُتراجعًا في مقعده، بعد أن كان مُنكبًا ومُنشغلًا في مطالعة بعض الأوراق التي أمامه، وخلع عويناته الطبية، ووضعها جانبًا وهو ينظر إلى (مراد) وقال:
- وهل يوجد أخبار من (آية)؟
- هزَّ (مراد) رأسه بالنفي وأجاب:
- لا يا سيدي، وهي أيضًا طلبت التصريح لها بمُحاولة التواصل، وردَّ عليها فريق المتابعة بالرفض والانتظار حتى يتمَّ التواصل أولًا من طرف (ليان).
- صمتَ السيد مدير المخابرات، إذ يفكر في الأمر من كُلِّ الزوايا والمعلومات المُتاحة، وسأل (مراد) باهتمام:
- وما هي المعلومات التي حصل عليها رجالنا حولَ ذلك الميجور، الذي حامت شكوك (ليان) حوله؟
- ظهرت علامات التعجب على وجه (مراد) عندما وصلَ الحديث إلى هذه النقطة وأجاب:
- ذلك الميجور (جورج سيكلوب) أمره مُحيرٌ جدًا يا سيدي، إذ التحقَ حديثًا بقوات حفظ السَّلام، ولكنَّه تأخر في استلام مهام عمله، ليسَ هذا فحسب؛ ولكنَّه قد تعرَّضَ إلى حادثٍ كبيرٍ تسبب في وفاة عائلته بالكامل، ودخوله هو شخصيًا في غيبوبة و تشوُّه كبير في وجهه، بل مرَّ بالعديد من عمليات التجميل حتى وصل لحالته الحالية، وعادَ مرَّةً أخرى واستلمَ عمله في قوات حفظ السَّلام.
- سأله السيد مدير المخابرات:
- وما هو رأي الخبراء في كُلِّ المعلومات حولَ شخصيته وما حدثَ له؟
- مطَّ (مراد) شفَّتيه وأجاب:
- انقسم فريق الخبراء الخاصَّ بدراسة هذه الحالة، ولكنَّهم أجمعوا على شيءٍ واحدٍ فقط، أنَّ تركيب شخصيته ميجور (سيكلوب) قد اختلف بدرجةٍ كبيرة بعدَ الحادث عن قبله، ولكنَّ بسبب انتقاله إلى مكان عمل جديد، وسكن مُختلف وأصدقاء مُختلفين، وفقد أسرته بالكامل، فلم يلاحظ أحد مثل هذه التغيُّرات.

لكنَّ الغريب في الأمر يا سيدي هو رأي أحد الخبراء، أنَّه قد تمَّ استبدال الميجور (سيكلوب) بعد ذلك الحادث!

انعقدَ حاجبا السيّد مدير المخابرات في دهشةٍ وتساءل:
- استبدال؟!

لكنَّ هذا شبه مُستحيل في هذا الزمان.

تابعَ (مراد) حديثه ردًّا على تساؤل السيّد مدير المخابرات:

- ولكنَّ يا سيدي، لو دَقَقْنَا في الأمر وفكَّرْنَا مليًّا نجد أنَّ الاستبدال هو أقرب الحلول للتصديق، ليسَ هذا فحسب؛ ولكنَّ يقودنا إلى أنَّ كُلَّ ما حدث هو مفتعل تمامًا من إحدى الجهات، أو الدول التي تُريد أن تزرع عميل لها هُناكَ في تلك المنطقة.

ران صمت طويل بعدَ عبارة (مراد) الأخيرة، فقد كان السيّد مدير المخابرات العاملة يفكر في كُلِّ ما قيل، وبعدَ فترةٍ ليست بالقليلة أشارَ إلى (مراد) قائلاً:

- يبدو أنَّه لا مفرَّ، أرسل إلى رجلنا الآخر هُناكَ، أخبره بما حدث، واطلب منه أن يتبيّن أمر الاختفاء الخاص بليان، ولكنَّ بحذرٍ شديد.
- أمرك يا سيدي.

قالها (مراد) وغادرَ غرفة المكتب لتنفيذ الأوامر الجديدة.

شعر (ليان) بالإجهاد التامَّ، فقد مرَّت أكثر من ست ساعات وهو في هذا الوضع، مُقيّد إلى مقعد معدني في هذه الغرفة أسفل الأرض. شعر بكُلِّ عظامه تتن من الألم، بسبب عدم الحركة، ليسَ هذا فحسب؛ بل بدأ يشعر بالظمأ والجوع أيضًا، وكانَ يعلم جيّدًا أنَّ ما هو فيه سوف ينتهي من طرف (جورج) نفسه، لأنَّ الأخير لن يُخاطر بالتخلّص منه دونَ أن يتأكّد أنَّ أمره لم ينكشف.

فجأة شعر بحركة بسيطة تأتي من خلفه، حاولَ أن يستدير أو يتبيّن ما مصدر الحركة، ولكنَّ منعه المقعد المثبت إليه من حدوث هذا.

وفجأة وجد شخصًا يقف أمامه، يرتدي الزي

الخاص بقوات حفظ السّلام، ولكنَّه يُخفي وجهه بقناعٍ من القماش يُخفي تفاصيل وجهه تمامًا، حاولَ أن يتبيّن شخصيّة مَنْ يقف أمامه لكنَّ ضعف الإضاءة لم يُساعده، وفجأة تقدّم منه الملقّح حتّى كادَ أن يلامس وجهه وقال:

- سأحررك من هذا المقعد، ولكنَّ لا تفعل أيَّ أمر مُتهور، أنا في صفك ولست من الأعداء.

قالها بإنجليزيةٍ سليمة تمامًا، ولكنَّ بلهجةٍ لم يتبيّن (ليان) جنسيّة قائلها منها.

وبالفعل شرعَ المقتنع في حلِّ وثاقه، ونجحَ في تحريره تمامًا، ومُجرد أن انتهى أشارَ له أن يأخذَ متعلقاته؛ كي يُسرعا بالخروج قبلَ عودة الميجور (سيكلوب).

وبالفعل لم يُضَيَّع (ليان) لحظة واحدة، وأخذَ كُلَّ المتعلقات التي كانت بحوزته، وتبعَ المقتنع حتى خرجا من الغرفة، وسار خلفه بهدوءٍ حذرٍ بينَ الطرقات والمباني الخاصة بالمعسكر، حتى وصلا إلى غرفة صغيرة منعزلة بمبنى جانبي على أطراف المعسكر، ويبدو أنها مهجورة أو لم تعد مُستخدمة.

فتحَ المقتنع بابَ الغرفة وأشارَ إلى (ليان) بالدخول، ووقف ينظر إلى الطريق يتفحصه حتى يتأكد أن أحداً لم يتبعه، وأغلقَ الباب جيّداً واستدارَ إلى (ليان) وأشارَ له أن يجلسَ على طاولة صغيرة قريبة، واختفى في رُكنٍ مُظلمٍ بالغرفة لثوانٍ قليلة، وعادَ وهو يحمل صندوق صغير وضعه أمام (ليان) وأشارَ له أن يفتحه، تردّد (ليان) ولكنّه أسرعَ بفتحه ليجد به بعض الشطائر وزجاجة مياه متوسطة الحجم، كان يشعر بالظمأ الشديد حتى قاربَ على الجفاف. تجرّع الزجاجة بالكامل مرة واحدة، وتناولَ شطيرة من الصندوق والتهمها في نهم، ومُجرد أن استعادَ قوته قليلاً، نظر تجاه المقتنع وقال:

- هل لي أن أعرف شخصية من أنقذني؟

ضحكَ المقتنع وأجاب:

- لا تقلق، فأنا صديق، معك في نفس الجانب،

وقد أرسلت لي المُخابرات المصرية، كُلَّ التفاصيل الخاصة بك، وصدرت لي التعليمات بالبحث عنك ومُساعدتك، وبما أنني كُنْتُ أتتبع الميجور (جورج) مُنذُ فترة، وأعرف أمر هذه الغرفة التي يتردّد عليها كثيراً، ومعني أيضاً نسخة من مفتاحها، كُنْتُ قد صنعتها خلسة بعد أن نجحت في الاستيلاء على المفاتيح الخاصة به، فتوقعْتُ أن أجِدك هنا، وها قد صدقَ حدسي. صمّت بعدَ هذه العبارة، فتكلّم (ليان) وهو يتصنّع الدهشة:

- المُخابرات المصرية؟!

وما علاقتي أنا بالمخابرات المصرية؟

ما أنا إلا جندي في جيش الدفاع الإسرائيلي، قد تمّ انتدابه للعمل فترة ثلاثة أسابيع بهذا القطاع التابع لقوات حفظ السّلام.

ضحكَ المقتنع مرةً أخرى وقال:

- أنتَ شديد الحرصِ إذًا، حسناً، سوفَ أَساعدك على تجاوز هذا الأمر.

قالها وهو يرفع عن وجهه القناع لتظهر ملامحه أسفله.

شهقَ (ليان) في دهشةٍ وقال:

- أنت؟!
لم أتوقع هذا الأمر أبداً.
أنت تعمل مع المخابرات المصرية؟!
إذاً لماذا تم إرسالك لهذه المهمة؟
ابتسم الشخص الواقف أمامه وقال:
- كان لا بد وأن تظل شخصيتي سرية، وأن يتم كشف العميل دون أدنى تدخل مني، أو أن
أظهر في الصورة، ولكن بعد ما حدث لك، وجب عليّ التدخل كي أنقذك.
قالها وهو يمد يده إلى (ليان) مُصافحاً.
اقترب منه (ليان) ومد يده هو الآخر ليتصافحا، وقال وهو يبتسم ابتسامة امتنان لما فعل:
- شكراً لك على ما فعلت.. شكراً سيادة العقيد
(أبو العزم).

العميل



الفصل الأول

وقفَ (ليان) لفترة ينظر للشخص الملقَّع أمامه من هَوَلِ الصدمة، فلم يَكُنْ يتوقع أبدًا أن يكونَ هذا الشخص.

- أنت؟! -

لم أتوقع هذا الأمر أبدًا.

أنتَ تعمل مع المخابرات المصرية!

إدًا لماذا تمَّ إرسالِي لهذه المهِّمة؟

ابتسمَ الشخص الواقف أمامه وقال:

- إذ كَانَ لا بُدَّ وأنْ تظلَّ شخصيتي سرِّية، وأنْ يتمَّ كشف العميل دونَ أدنى تدخل مِنِّي أو أنْ أظهر في الصورة.

ولكنَّ بعدَ ما حدثَ لك وجبَ عليَّ التدخل لإنقاذك.

قالها وهو يمدُّ يدهُ إلى (ليان) مُصافحًا، اقتربَ منه (ليان) ومدَّ يدهُ هو الآخر ليتصافحا، وقالَ

وهو يبتسم ابتسامة امتنان لما فعل:

- شُكرًا لك على ما فعلت، شُكرًا سيادة العقيد

(أبو العزم).

لحظات قليلة ولكنَّها مليئة بالعواطف الجياشة، حاولَ (ليان) بعدها أن يخرج منها قائلًا:

- والآن، ماذا نفعل؟

تَنهَّدَ العقيد (أبو العزم)، واقتربَ من أحد المقاعد القريبة وألقى بجسدهِ عليه وقال:

- قد تَصعَّبَ الوضع للغاية الآن، فالميجور (جورج) قد كَشَفَ هويتك تقريبًا، فلا مناص إلا

للعب بأوراق مكشوفة، ولكن هل تعتقد أنَّه يُمكن هذا في هذه الأمور وفي مجال المخابرات؟

أعتقد أنَّ الأمور قد تعقدت أكثر وأكثر.

أنهى حديثه وظلَّ صامتًا، ظهرَ التفكير جليًّا على ملامح (ليان) مُحاولًا أن يصلَ إلى حلٍّ،

وفجأة التفَّت إلى سيادة العقيد وقال:

- ولكن هل تعتقد أنَّ الميجور (جورج) هو المطلوب من الأساس؟

ظهرَ الاهتمام على وجه العقيد وقال:

- ماذا تقصد؟

أجابه (ليان):

- أقصد هل الميجور (جورج) هو العميل الذي نَحْنُ خلفه؟
أَمِنْ المُمكن ألا يكون هو رجلنا المطلوب؟
كَانَ ما قاله (ليان) منطقيًا، ومُجرد أن أنهى حديثه ظلًا صامتين وملاهما تحمل أطنانًا من التفكير.

أشارَ لَهُ العقيد (أبو العزم) وقال:

- لنترك الأمر للقيادة، يجب أن نُخبرهم بالمستجدات، وأعتقد أن الخبراء هناك سيجدون حلًا للأمر، ولكن يجب عليك أن تختفي تمامًا، وأرى أن هذا المكان هو الأنسب لك حاليًا.
اقترب من رُكنٍ قصيٍّ بالغرفة، وأزاح غطاء من القماش كان يُخفي أسفله مكتبًا صغيرًا يحوي حاسوب محمول، وقال وهو يشرع في مُغادرة الغرفة:
- هاك الحاسوب وهو مربوط بشبكة الإنترنت، والاتصال مَوْمَن بالكامل يُمكن أن تتواصل مع الإدارة منه، وترسل تقريرك.
وأشارَ إلى برّاد صغير قريب وتابع:

- وهُنا ستجد بعض الأطعمة والمشروبات، التي قد تحتاجها حتّى يصل ردّ الإدارة بالخطوة القادمة.

أنهى حديثه وانصرف تاركًا (ليان) من خلفه يقف صامتًا، بينما عقله يعمل في ألف فكرة وخاطرة، لكنّه نفذ كُلّ هذا عن عقله سريعًا وقامَ بسحب أحد المقاعد القريبة، وجلسَ أمام شاشة الحاسوب المحمول، وفتحَ شاشته وعقله لا يُفكر إلّا في شيءٍ واحدٍ فقط... في (آية).

كانتْ تزرع الغرفة مجيئًا وذهابًا، وكأنّها أنثى غمر متوحشة أثارتها رائحة الدماء، كادت أن تفقد عقلها من كثرة التفكير وماذا حدث له؟
تعلم جيّدًا أنّه قويّ وعبقري، وبالتأكيد سيجد حلًا لأية مشكلة تواجهه، لكنّ قلبها المُحب يخشى عليه حتّى من نسمة هواء صيفيّة رقيقة.
وفجأة توقفت حينما صدر صوت إشعار من الحاسوب يُنبهها بوصول رسالة جديدة، أسرعَتْ بلهفةً وقفزت أمام شاشة الحاسوب، وتعالّت دقات قلبها أكثر فأكثر؛ إذ كانَ هو.
كلمة واحدة على شاشة الحاسوب، كانَ لها مفعول السحر؛ إذ احمرت وجنتاها خجلًا وعشقًا.
- "اشتقتُ إليك".

كانت هذه الكلمة كفيلة بأن تجعلها تقفز فرحاً، ولكنها خشيت أن يفتضح أمرها في البناية، التي بها المنزل الآمن الذي تقطنه.

كادت أن تكتب "وأنا أيضاً"، لكن حياء الأثني منعها، فأسرعت تكتب:

- أين كنت؟، وماذا حدث؟

أتاها الجواب مباشرة، أخذ يشرح لها ما حدث في عجالة منذ أن نجح الميجور (جورج) في كشف شخصيته، وكذا في إفقاده الوعي وحتى إنقاذ العقيد (أبو العزم) له، وصولاً إلى المحادثة بينهما الآن.

أخذت تُفكر في كل ما قاله وعقلها يعمل سريعاً، ولكنها وللأسف لم تجد حلاً أو تدري ماذا تقول؟

أخبرته أنها سترسل كل التفاصيل التي رواها لها إلى الإدارة في الحال، وسوف تُخبره بالرد حينما يريدها مباشرة.

وبالعمل لم تتهاون، بل شرعت مباشرة بإرسال التفاصيل دون أن تغفل عن ذكر أية تفاصيل قد تكون مهمة، وخاصة أنه أمدها بكل المعلومات وبدقة عالية.

انتظرت دقائق قليلة حتى أتاها الجواب على هيئة رسالة، ومضت لتُخبرها أنه جارٍ استشارة الخبراء، وعدم اتخاذ أية خطوة قبل الرد من الإدارة.

أبلغته بالرد الذي قد توقعه مسبقاً، لهذا تراخى في المقعد الذي يجلس عليه، وأرسل إليها أنه منهك القوى تماماً ويحتاج إلى الراحة.

أغلق عينيه وراح في سبات عميق.

أدركت ما مرَّ به خلال الأربعة وعشرون ساعة الماضية، لذا تركته ليرتاح ولو سويحات قليلة. ترك جسده ليرتاح، بينما عقله لم يهنأ قط ولو بدقيقة واحدة من الاسترخاء، فالأمر كله

يدور برأسه على هيئة شريط سينمائي طويل، محوره الميجور (جورج)، وفي نهاية كل مشهد منه سؤال واحد فقط... هل الميجور (جورج) هو العميل الإسرائيلي الذي يبحثون عنه؟؟

لكن السؤال ظل بلا إجابة!

الفصل الثاني

- ماذا بك يا (مراد)؟
التفتَ (مراد) إلى صديقه وزميل العمل (ياسر)، الذي يجلس أمامه في مكتب الأول، كان شارد الذهن غارق في التفكير، لكنْ أخرجهُ السؤال من كُل هذا وأعادهُ مرّة أُخرى إلى أرض الواقع.
فالتفتَ إلى الأخير وهو يستند بظهره إلى المقعد الخاص به ويُجيبه:
- تلك العملية الخاصة بالشريط الأزرق، إنَّها مُعقدة بالفعل ووصلت إلى طريقٍ مُغلق.
أجابه (ياسر):
- أعلمُ هذا، فالتفاصيل الأخيرة كُنْتُ أنا أحد أعضاء لجنة البحث فيها، بالفعل الأمر مُعقد للغاية، فلو كان الميجور (جورج) هو المسئول عن تسريب المعلومات من الوحدة، فما علاقته بروسيا؟
وكيف يُمكن لأسرائيل أن تزرع جاسوسًا لها عن طريق روسيا؟
الأمر جدٌ صعب.
ولو لم يكنْ هو المسئول عن تسريب المعلومات إلى الجانب الإسرائيلي، إذًا هناك جاسوس آخر؟!
فَمَن هو؟
هزَّ (مراد) رأسه مُحاولًا أن ينفذ الأفكار عنها ليستريح قليلًا من التفكير وتابع:
- وهذا هو رأي الخبراء بالفعل، لقد انقسم الخبراء إلى فريقين الأول يرى أن الميجور (جورج) هو في الأساس عميل لروسيا، ثم زرعهُ بدلًا من الميجور (جورج) الحقيقي، ليُصبح فيما بعد عميلًا مُزدوجًا يعمل لصالح الجانب الإسرائيلي إلى جانب روسيا.
والفريق الآخر من الخبراء يرى أنَّه ليس العميل المطلوب، هو مُجرد عميل خاص بالجانب الروسي فقط، وهناك عميل آخر للجانب الإسرائيلي وهو ما نبحت عنه.
أنهى حديثه وأمسك رأسه بين كفيه، مُحاولًا أن يُريحها من التفكير قليلًا، ولكنْ هيهات؛ فاعتدل وأمسك الأوراق التي أمامه وتحرك مُغادرًا غرفة مكتبه، فأوقفهُ (ياسر) مُتسائلًا:
- إلى أين أنت ذاهب؟

أجابه (مراد) وهو يُغادر الغرفة:

- يجب عرض تقرير الخبراء على سيادة مدير الجهاز، حتى يتخذ القرار ويُرسله إلى (تلّ أبيب).

أنهى حديثه وغادر، سار في الطُرقات المؤدية إلى مكتب السيّد مدير المخابرات العامة المصرية، ولكن عقله لم يهدأ بعد حتى وصل إلى باب الغرفة الخاصّة بمدير الجهاز، وطرق الباب وانتظر الإشارة بالدخول.

لم يقف كثيرًا إذ أتاه الإذن بالدخول، فدخل إلى الغرفة وبعد أن ألقى التحية إلى السيّد المدير، وضع الملفات أمامه ووقف مُنتظرًا أن ينتهي من مطالعتها. أشار له السيّد المدير بالجلوس ريثما يفحص الملفات، ومُجرد أن انتهى نظر إليه وهو يخلع عويناته ويتنهد قائلاً:

- كما توقعت، لم يصل الخبراء إلى حل لهذه الأزمة، حسنًا، أرسل هذه التقارير سريعًا إلى (ليان)، وأمره أن يفعل ما يراه مناسبًا للظروف، ويتم السماح لسيادة العقيد (أبو العزم) أن يُساعده بكل الوسائل المُمكنة.

أعلم أن هذا قد يُعرض حياته للخطر، أو على الأقل قد يتسبب في كشف تعاونهِ مع المخابرات المصرية، ولكن ما باليد من حيلة.

كاد أن ينصرف (مراد) لتنفيذ التعليمات، ولكن السيّد مدير المخابرات أوقفه بإشارةٍ من يده قائلاً:

- لنفترض أن الميجور (جورج) ليس هو الرجل المنشود، ونتعامل على هذا الأساس.

واستغرق في التفكير للحظات، وابتسم وتابع:

- بل يمكننا أن نستفيد من الميجور (جورج)، أعتقد أن لدي فكرة قد تُفيد في كشف الأمر برُمته، وشرع يسرد الفكرة لمراد، الذي اتسعت عيناه في انبهار تام بما يسمعه.

أفاق (ليان) من نعاسه ونظر في ساعة يده، كان قد مرّ حوالي ثلاثة ساعات فقط على غفوته، لكنه شعر وكأنه قد نال قسطًا وافرًا من الراحة، كافيًا أن يُعيد له نشاطه وحيويته. فتح شاشة الحاسوب التي أمامه، فوجد التعليمات، قرأها بسرعة وهو يبتسم لمدى ذكاء وعبقريّة الخطة المرسلة برغم خطورتها.

في هذه الأثناء سمع صوت باب الغرفة يفتح في هدوء، كان العقيد (أبو العزم)، فاشأر له أن يأتي مُسرعًا ليقرأ الخطة هو الآخر، ومُجرد أن انتهيا من قراءتها قام العقيد بسحب مقعد قريب وجلس مواجهًا لليان، وظلّا صامتين تمامًا حتى قطع الأخير هذا الصمت.

- حسنًا يا سيادة العقيد، من الواضح أنَّ الخطَّةَ بالكامل تعتمد عليك وعلى مدى قدرتك على الإقناع والتمثيل.

هزَّ العقيد رأسه وقالَ ضاحكًا:

- للأسفِ نعم، قد كنتَ فاشلاً طوال عمري في مسرح المدرسة وكُلَّ الأنشطة الفنية تقريبًا، ولكنَّ لأجل الوطن، يُبدَلُ كُلُّ ما هو غالٍ ونفيس.

واعتمدَ قائمًا واقتربَ من (ليان)، وأخذَ يشرح الخطَّةَ مرَّةً أخرى.

أولُ خطوة وهي السيطرة على الميجور (جورج) وافقادهِ الوعي، وهذهِ الجزئيةُ ساحتاج إليك فيها كي نستغلَّ عامل المفاجأة،

ثُمَّ بعدَ ذلك لا بُدَّ وأنَّ تفقدَ الوعي أنتَ أيضًا، وأضعُكَ في مكانٍ مُخالفٍ تمامًا لمكان حفظ (الميجور).

ثُمَّ أذهب إلى الملازم (رمزي اس جاك)، وأخبرهُ أنني قد أسقطتُ جاسوسًا إسرائيليًّا أثناء إرساله معلومات عن القطاع، أفقدتهُ الوعي وهذا الجاسوس هو أنت، وأطلعهُ على الحاسوب وهاتفك والهوية الاحتيالية، التي تحملها وأطلب منه أن يُساعدني وألا يُخبر أحدًا، لشكِّي في وجود معاون لك في القطاع، كما أشك في الجميع حتَّى القائد وأتركهُ يذهب مؤقتًا. وبعدها أذهب وأبلغُ لوفتنيت كولونيل (سام كندي) قائد القطاع بأنَّ الميجور (جورج)، ما هو إلا جاسوس روسي مُنتحلَّ شخصيةِ الميجور الحقيقي، وأقوم بإطلاعهِ على الأدلة؛ جهاز الهاتف وجوازات السفر.

في تلك الأثناء تكون قد تحرَّكت، وقُمتَ برصد كُلِّ الاتصالات من الوحدة إلى خارجها، كي نستطيع كشف شخصيةِ الجاسوس الحقيقي، سواء كانَ الملازم (رمزي اس جاك) أو القائد نفسه (سام كندي)، وأوَّل مَنْ يُرسل المعلومة هو الجاسوس بالتأكيد. وصمَّتْ قليلًا مُفكرًا وتابَع:

- يتبَقَّى اختيار آخر، وهو ألا يُرسل أحدُ أيَّة إشارة بأي نوع، وهُنا يكون احتمال من اثنين، أولهما أن يكونَ يكون الجاسوس هو الملازم (سعيد الدويك)، وهذا احتمال لا أرجحهُ وحتَّى الخبراء استبعدوهُ تمامًا ليس لمعرفتهم بشخصيةِ (سعيد)، ولكنَّ لأنَّ الترسيب المعلوماتي قبل أن يأتي هو إلى القطاع، وأيضا بسبب معرفتي بهذا الشاب جيّدًا، أو أن يكونَ الميجور (جورج) بالفعل عميل مزدوج للجانب الروسي والإسرائيلي في نفس الوقت، وحينها سوف نكون قد كشفناه بالفعل إلى قائد القطاع، وأقوم بتهريبك أنتَ إلى خارج القطاع.

كَانَ (ليان) يُنصت إليه ويُراجع معه كُلَّ الخطوات نقطة بنقطة وخطوة بخطوة، فلا مجال لأية أخطاء؛ إذ الأمر جدٌ خطير وقد يتسبب في تعرّض حياتهما للخطر، أو كشف حقيقة شخصياتهما على أقل تقدير، وحقيقة عملهما لصالح المخابرات المصريّة. ومُجرد أن انتهوا من مُراجعة الخطّة للمرة الأخيرة، حتّى اتخذ (ليان) مقعده أمام شاشة الحاسوب بعد أن قامَ بربطه بهاتفه المحمول، وشرعَ يعمل بسرعة ودقّة لعدّة دقائق، وما أن انتهى حتّى استدار إلى العقيد (أبو العزم) قائلاً:

- حسنًا، كُلّ الاتصالات مهما كانَ نوعها سواء عبرَ السيرفر الرئيسي للقطاع، أو عن طريق الهواتف الخليويّة تحت المراقبة الآن، وحتّى أية إشارة عن طريق الهواتف الخليويّة المرتبطة بالأقمار الصناعيّة، لقد قمت باعادة برمجة أجهزة الرادار الخاصّة بمنظومة الدفاع لإلتقاط أية إشارة مهما كانَ نوعها ومصدرها.

الآن لم يتبقى إلّا أن نشرع في تنفيذ الخطّة، والسيطرة على الميجور (جورج) أو ذلك الجاسوس الروسي.

نظرَ له العقيد (أبو العزم) نظرة إعجاب بذكائه وتفانيه، وربّت على كتفه وقال:
- على بركة الله.

قالها وانطلقا معًا في هدوء، لتنفيذ خطتهما المستحيلة.

الفصل الثالث

بهذوءٍ فتح الميجور (جورج) باب الغرفة التي كانَ بها (ليان)، ونظر خلفه ليطمئن بأن لا أحد يتبعه، ودخل وأغلق الباب من خلفه، كانتُ الغرفةُ مظلمة ولكنهُ يعلم طريقه جيّدًا. تحرّك حتّى وصلَ إلى مكان زر الإضاءة، أضاء المصباح الغرفة الصغيرة، تجمّد مكانه من هول الصدمة؛ إذ لم يجد (ليان) على المقعد الذي كانَ قد قيّد فيه، وقف كالتمثال من هول الصدمة، وفجأة سمع صوت من خلفه قائلاً:

- لقد تأخرت كثيراً أيّها الوغد.

التفت سريعاً لمصدر الصوت، لترتطم بفكه لكمة شديدة، جعلته يرتدّ للخلف في غنٍ يصطدم بالمقعد ويسقط معه أرضاً.

تحرّك سريعاً ونهض من سقطته، دلالة على احترافه، ووقفَ مُواجهًا لlian وقد اتخذ إحدى الأوضاع القتالية الخاصة بالرياضة (الكونغ فو)، ممّا جعل (ليان) يتسم بسخرية، ويتخذ وضع قتالي مُشابه ويقول:

- يبدو أنّك تُجيد ألعاب القتال، جيّد، أحياناً يحتاج المرء إلى التدريب مع المُبتدئين.

زمجرَ (جورج) في غضب وهو يجذّ على أسنانه قائلاً:

- سترى ما الذي سيفعله بك المبتدئ، إنّك تُقاتل (بروزيل شيفنشكوف) بطل روسيا وآسيا في (الكونغو فو)، وحامل الحزام الأسود من الدرجة الرابعة.

قالها وأطلقَ صرخة قتالية وهو يندفع تجاه (ليان)، قافزاً في الهواء وهو يدور على عقبيه، ويهبط بقدمه على وجه الأخير، لكنّ (ليان) كانَ مُستعداً له، وتراجع للخلف بسرعة مُتفادياً ركلة (بروزيل)، وقبل أن يهبط الأخير، عاجله (ليان) بركلة من قدمه في منتصف ظهره دفعته مرةً أخرى ليصطدم بقوةً بالجدار المُقابل، ومن خلفه قال (ليان) بسخرية مُتهكمًا:

- آسف لم يُسعفني الوقت لأخبرك أنّي قد حصلت على الدرجة الرابعة للحزام الأسود في سن الثامنة عشر، وتفرّغت بعد ذلك لرياضة التايكوندو.

قد تجلّى الغضب على ملامح الروسي، واحمرّ وجهه ممّا من شدّة الغضب، ونهضَ ببطء وهو يمسخ خيط من الدماء يسيل من ركن شفته؛ جرّاء اصطدامه بالجدار بيده، وقال:

- حسنًا، يبدو أنّي لم أعطيك حقّ قدرك، بالفعل أنتَ ماهر ولكنّ لن تصل أبدًا لمهارة (بروزيل) في القتال.

قالها وهو يندفع تجاه (ليان) ويكيل له لكمة بيده اليمنى، تفادها برشاقة ولكن الأخير قد عاجله بأخرى بيده اليسرى أصابت (ليان) في معدته، انحنى بسببها ألمًا وتراجع للخلف، وتوقف يدرس الموقف، إذ يبدو أن خصمه لا يستهان به هو الآخر.

قرّر (ليان) أن لا يتهاون ويبادر بالقتال، فخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وبالفعل قفز برشاقة قاطعًا المسافة الفاصلة بينهما، وهوى بقدمه اليمنى على رأس خصمه، الذي تفادها بانحناء وهو يوجه لكمة إلى وجه (ليان)، الذي تلقاها على ساعده الأيسر بسهولة، وكال له لكمة سريعة بيده اليمنى أسقطته أرضًا مرة أخرى، ولكنه لم يمهله فرصة للنهوض هذه المرة، وأسرع إليه وعاجله بلكمات متتالية، دارت لها عيناه في محجريهما ومادت به الأرض وفقد وعيه.

نهض (ليان) وهو يلهث بسبب المجهود الذي بذله للقضاء على خصمه العنيد، وصل العقيد (أبو العزم) في هذه اللحظة، وشاهد الميجور (جورج) وهو ملقى أرضًا و(ليان) يلتقط أنفاسه بجواره، فتقدم وأخرج محقق من جيب سترته، وغرزه في ذراع الميجور وأفرغ محتواه، ومجرد أن انتهى نظر إلى (ليان) قائلاً:

- حسناً، لقد انتهينا من الشق الأول من الخطة، يتبقى الشق الثاني وهو دورك أنت يا بطل. هزّ (ليان) رأسه بعلامة التفهم، وتعاوناً معاً على رفع جسد الميجور المسجى أرضاً، ووضعاه على المقعد الملقى جانباً، وأحكما وثاقة جيداً، وأيضاً قاما بتكميم فمه خوفاً من أن يستيقظ رغم المخدر، الذي حقنه به (أبو العزم).

ومجرد أن انتهيا حتى غادرا الغرفة باتجاه الجهة الشرقية من المعسكر؛ حيث الغرفة السرية الخاصة وجلس (ليان) أمام شاشة الحاسوب المحمول، وشرع يتصل بحاسوبه الذي تتابعه (آية) في المنزل الآمن، وأرسل إليها كامل التعليمات والتفاصيل، وقام بربط الحاسوب الخاص بها ليصبح مراقب لجميع أنواع الاتصالات، سواء عن طريق شبكة الإنترنت أو عن طريق أجهزة الاتصالات اللاسلكية المرتبطة بالقمر الصناعي، عن طريق برنامج صغير قام بزرعه في الخادم الرئيسي للوحدة مستغلاً عمل أجهزة الرادار، فأصبحت تعمل في صالحه لكشف أي اتصال لاسلكي، أو إشارة يتم بثها من الوحدة إلى خارجها، ومجرد أن اطمئن أن كل شيء يعمل بدقة، ودعها وانطلقا مرة أخرى خارج الغرفة.

وصلا إلى إحدى الغرف المعدة لتخزين الأغراض الغير مستخدمة، وهناك جلس (ليان) على مقعد قديم هو الآخر، وقام العقيد (أبو العزم) بإحكام وثاقه ولكن بصورة تسمح له أن يحل قيده بسهولة متى شاء.

وتركه وانصرف ليكمل باقي الخطّة، وبالفعل تحرّك بهدوءٍ حتّى وصل إلى السكنات الخاصّة بالضباط، واقترب بهدوءٍ من إحدى الغرف المُغلقة، وقرع الباب بهدوء، وانتظر حتّى سمع صوت أقدام تقترب، ورسم على ملامحه التوتر، فُتِح الباب وظهر من خلفه وجه الملازم (رمزي)، أخذ العقيد يتلفت حوله وكأنّه متوتر، وقد أتقن دوره ببراءةٍ حتّى أنّ الملازم قد شعر بالقلق جرّاء توتره، وسأله عن سبب توتره، فأشار له العقيد بالصمت، وأمسكه من ذراعه وجذبه لداخل غرفته، وهو يتلفت حوله ويغلق الباب، ومُجَرّد أنّ أغلق الباب حتّى تنهّد العقيد وقال بلهجة متوترة:

- ساعدي يا (رمزي) لقد اكتشفت وجود جاسوس بالقطاع يعمل لصالح دولة إسرائيل! ارتسمت علامات الدهشة على ملامح الملازم (رمزي)، وفتّح فاه فتابع العقيد (أبو العزم):
- إنّه مُجنّد إسرائيلي، وجدته يُرسل معلومات عن القطاع هنا عن طريق هاتف محمول يتصل بالأقمار الصناعيّة، وقُمْتُ بالقبض عليه وأحكمْتُ وثاقه جيّدًا في أحد المخازن المهجورة، ولكنّ أعتقد أنّ له مُعين هنا بداخل القطاع، لهذا لم أخبر أحدًا بالقطاع سواك، فانا لا أثق بأحد إطلاقًا إلّاك، ولم أخبر القائد أيضًا خوفًا من تفشي الخبر.
كان الملازم (رمزي) صامتًا تمامًا، يُفكر فيما يقوله العقيد (أبو العزم)، أخرجه الأخير من صمته بأنّ أشار له أنّ يتبعه، وجذبه من ذراعه مرّة أخرى، وتحرّكًا بهدوءٍ حتّى وصلا للغرفة التي بها (ليان)، وفتحها وأشار إلى الجسد المُقيّد إلى المقعد، وأخرج هاتف (ليان) وأوراق ثبوتية وأراهم إيّاه، أخذ الملازم (رمزي) يتفحص الهاتف والأوراق وهو لا يُصدق، ونظر إلى الأخير وقال:

- وماذا تنوي أنّ تفعل؟
هزّ العقيد كتفيه دلالة على عدم المعرفة وقال:
- لا أعلم، ولكنّ يجب ألاّ نخبر أحدًا أبدًا، وننتظر حتّى نقوم بإيقاع شريكه عن طريق نصب كمين له.

تساءل الملازم (رمزي):
- وكيف هذا؟

تابع العقيد حديثه وهو يرسم الاهتمام على ملامحه:
- سوف نقوم بفتح حماية الهاتف عن طريق بصمة يد هذا الجاسوس، ونفتح آخر المُراسلات، ونطلب اللقاء بسرعة من صاحب آخر مُراسلة بمكانٍ نأّي في القطاع، وننتظره هناك.

حكّ الملازم (رمزي) ذقنه وقال:

- تبدو خطة جيدة، ولكن ما أدراك أن معاون الجاسوس هو صاحب آخر مُراسلة؟
أجابه العقيد:
- لن تُراسله اليوم ولكن نترك الأمر غداً، حتى لا يشك بالأمر، ولن نحل قيود هذا الجاسوس، ومع اختفائه سيكون معاونه في حالة ترقب بكُل تأكيد، واحتمال كبير يُحاول أن يُراسله هو، وسوف تكون فرصتنا لنصب الكمين له.
- هزّ الملازم (رمزي) رأسه علامة الموافقة، وأشار له العقيد أن يرحل الآن، ويلزم غرفته ولا يتحدث مع أي مخلوق مهما كان، وأن ينتظر منه الإشارة لتنفيذ مُخططهما صباح الغد، وما أن انتهى من الحديث معه حتى أشار له بالانصراف، وتبعه تاركاً (ليان) في الغرفة وحيداً. خرجا وبمجرد أن ابتعد (رمزي) إلى غرفته، حتى تنهد العقيد (أبو العزم) وغمغم قائلاً:
- والآن يأتي الدور الأصعب.
- قالها وتحرك باتجاه غرفة رئيس القطاع، الوفنت كولونيل (سام كندي)، وضربات قلبه تتعالى؛ فقد وصل الأمر إلى مرحلة صعبة وخطيرة.. مرحلة
اللا عودة.

الفصل الرابع

- تمّ تنفيذ الشق الأول من الخطة بنجاح يا سيدي.
- نطقها (مراد) وهو يقف أمام مكتب السيد مدير المخابرات المصرية، الذي اعتدل ليُنصت باهتمام وقال:
- حسنًا، نأمل من الله أن تتم الأمور على خير.
- وتابع قائلاً:
- هل من أخبار هناك في دولة الاحتلال؟
- هزّ (مراد) رأسه بالنفي وقال:
- لا يا سيدي، لا جديد في موضوع تسريب المعلومات، ورجالنا هناك يحاولون جمع أكبر قدر من المعلومات، يمكنها أن تُساعد في معرفة شخصية ذلك الجاسوس الإسرائيلي والإيقاع به، ولكن.....
- انتبه السيد مدير المخابرات بعد هذه الكلمة الأخيرة وسأله:
- ولكن ماذا يا (مراد)؟
- هات ما عندك.
- تنهّد (مراد) وقال:
- حسنًا يا سيدي، هناك أخبار عن وجود شخصية وصلت إلى أرض إسرائيل، ولكنها ليست معلومة، قد وصلت بطائرة خاصة، ولا أحد يعلم من هي ولا ما الغرض من الزيارة؟! وقد تمّ التأكد بعد البحث والتحريات من قبل رجالنا هناك، أنها شخصية أنثوية.
- ارتفع حاجبا السيد مدير المخابرات في تعجبٍ وقال:
- أنثى؟
- من تلك المرأة؟
- تابع (مراد) والحيرة تبدو على ملامحه:
- حتى الآن لا نعلم يا سيدي، لكن رجالنا هناك يتحرّوا الأمر، ولن يتوقفوا حتى يأتونا بالمعلومات الأكيدة عنها.
- أشار له السيد المدير بالانصراف، ولامحه هو الآخر تحمل الكثير من الحيرة والقلق، وأخذ يزداد ويزداد.

دَقَات خافِة على باب الغرفة الخاصّة بقائد الوحدة الوفنت (سام كندي)، ولم تمضي إلّا دقائق قليلة حتّى فتحَ الباب، وظهرَ بوجهه الأبيض المشرب بالحُمرة، ونظرَ تجاه العقيد (أبو العزم) بدهشةٍ بالغة، فلم يتوقع أبدًا أن يطرق بابه أحد في هذا التوقيت، وأيضًا أن يكونَ هذا الشخص مُساعده العقيد (أبو العزم) وتساءل بدهشة:

- ماذا هناك؟

هل حدثَ شيء؟

كان العقيد (أبو العزم) يتلفت حوله، وكأنّه يخشى أن يراه أحد، وقال بصوتٍ خافت:

- هُناك أمرٌ خطير يجب أن أخبرك به، ولكن اسمح لي بالدخول أولًا.

أفسحَ له (سام) الطريق إلى داخل غرفته، وتبعه وأغلق الباب، وملاحمه تحمل الكثير من القلق وتساءل:

- ماذا حدثَ سيادة العقيد؟

أجابه (أبو العزم) وهو يتظاهر باللهاث، وكأنّه قد بذل مجهودًا خارقًا:

- هُناك جاسوس روسي بالوحدة.

اتسعتْ عينا الوفنتيت (سام) في دهشةٍ ممزوجة بالذعر وكرر الكلام:

- جاسوس روسي!

مُستحيل!!

لماذا؟ وأين هو؟

أشارَ له (أبو العزم) أن يهدأ وقال:

- إنّه الميجور (جورج)، كُنْتُ أشك في سلوكه مُنذُ البداية، وتتبعته حتّى تأكدت شكوكي، إنّه عميل روسي تمّ استبداله بالميجور (جورج) الحقيقي، قبلَ أن يأتي ويتسلّم مهام عمله بالوحدة هُنا.

وقد نجحت في السيطرة عليه وأفقدته الوعي، وها هي الأدلة، مدّ يده في جيبِ سترته وأخرجَ جوازات السفر الخاصّة ببروزيل، وناولها إيّاه والهاتف الخاص به أيضًا.

أخذَ (سام) يفحص جوازات السفر وعينه مُتسعة في دهشة، حتّى أمسكَ (أبو العزم) بكتفيه ليُخرجه من دهشته قائلاً:

- يجب أن تأتي معي الآن.

لقد نجحت في السيطرة عليه وتقييده في أحد المخازن القديمة، التي كان يستغلّها للتواصل مع القيادة في روسيا؛ لنقل الأخبار إليها.

- نظرَ إليه (سام) قليلاً وتحركَ بسرعة وهو يقول:
- هيا بنا.
خرجنا من غرفة (سام) وتحركا باتجاه المخزن، الذي كان يتخذهُ (بروزيل) مخبأً له للتواصل مع قيادته.
ومُجَزَّد أن وصلا حتى أشارَ (أبو العزم) إلى المقعد الذي يحمل جسد (جورج)، أو من ينتحلُ صفته، وتوقفَ (سام) يُفكر لا يدري ماذا يفعل.
وأخيراً تحركَ وهو يقول:
- حسناً، لا بُدَّ وأنْ أخبر القيادة.
همَّ بالتحركَ خارجاً ولكنَّ الأخير قد أوقفهُ مُمسكاً بذراعه وهو يقول:
- انتظر لا تفعل هذا.
نظرَ له (سام) في تعجبٍ، فتابعَ (أبو العزم) قائلاً:
- حينَ نَجحت بالإمساك بهذا الجاسوس، كانَ يتحدث من مُعاونٍ له هُنا في القطاع، لكنْ لم أستطع كشف شخصيته بعد.
أخذَ (سام) يستمع له وعلامات الدهشة تكسو ملامحه، صرَّخَ بذعرٍ وهو يضرب كفيه ببعضهما ببعض:
- شريك له.
رُحماك يا إلهي!
أيُّ لعنةٍ قد ضربت هذا القطاع، اللعنة على الإسرائيليين والروس، هم سبب كلِّ خرابٍ في العالم تقريباً.
ونظرَ مرةً أخرى إلى (أبو العزم) وقال:
- وماذا نفعل الآن؟
أجابه الأخير بصيغة الناصح الأمين:
- الأفضل أن نكتُم الأمر تماماً، ولا نُخبر به أحداً ونُراقب الجميع، وبالتأكيد مُعاونهُ سيبدأ بالبحث عنه، وقتها نستطيع أن نكشف شخصيته.
هزَّ (سام) رأسه علامة الموافقة وقال:
- هذا هو الحلُّ الأمثل حقاً.
هيا بنا وراقب هذا الوغد جيّداً، هو مسئوليتك الشخصية من الآن.
أجابه (أبو العزم):
- اطمئن لن يغيب عن عيني لحظةً واحدة.

غادرا الغرفة عائدين إلى عُرفتيهما الخاصة، كانَ (ليان) يُتابعهما من مكانٍ قريب، ومُجَرَّد أنْ لمَحَ الإشارةَ المُتفقَ عليها مع العقيد (أبو العزم)، تحرَّك مُباشرةً إلى الغرفة التي أَعَدَّها كَوحدةٍ رصدٍ للاتصالات.

شرَعَ يتفحص الحاسوب المحمول، ويُتابع البيانات التي تتدفق على شاشته، وأيضًا البيانات التي تأتي من حاسوب (آية) المربوط بالخادم العملاق الخاص بالموساد، كان مُنهمكًا وانظاره مُتعلِّقة بشاشة الحاسوب، حتَّى أنَّه لم يشعر بوصول العقيد (أبو العزم) إلَّا مُتأخِّرًا، والذي تقدَّم واستند على حافة المقعد، الذي يجلس عليه (ليان) وتابع الشاشة والبيانات التي تظهر عليها وسأله:

- هل من جديد؟

هزَّ (ليان) رأسه بالنفي وأجابهُ:

- حتَّى الآن لا.

ولم يكد يُنهي عبارته حتَّى تعالَى أزيز من الحاسوب، وقد ظهرت معه بيانات كثيرة، فأسرَعَ (ليان) بالضغط على لوحة المفاتيح بسرعة وقال:

- يبدو أنَّ الهدف قد سقط في المصيدة، إنَّها إشارة لاسلكية صادرة من مكان المبيت الخاص بالضباط، وأنا الآن أقوم بتتبُّعها؛ كي أصل إلى مكانها بالضبط، وأيضًا حاسوب (آية) يقوم بتحليل محتواها لفهم فحواها وكسر شيفرتها.

وفجأة تعالَى أزيز مرَّةً أخرى، وتوالت بيانات أخرى على الشاشة، وصرَّحَ (ليان) وهو ينظر بدهشة إلى شاشة الحاسوب:

- مُستحيل!

سأله (أبو العزم) والتوتر يغزو كُلَّ ذرَّات جسده:

- ماذا هناك؟

أجابهُ (ليان) وهو مُنهمك بالعمل على لوحة المفاتيح بسرعة:

- إنَّها إشارة أخرى صادرة من مكانٍ مختلف وأيضًا مُشفرة، وأعمل عليها الآن.

اتسعت عينا العقيد (أبو العزم) وصرَّحَ هو الآخر بنفس الكلمة:

- مُستحيل!

وفجأة قطع كُلُّ هذا أزيز للمرَّة الثالثة، وهُنا اتسعت عينا (ليان) في دُعرٍ ودهشةٍ بالغة،

ونظرَ تجاه العقيد (أبو العزم) وقتم قائلًا:

- لا يُمكن أن يكونَ هذا حقيقيًا، لا يُمكن!

صرخَ به (أبو العزم) وكُلَّ خلية من خلاياه تنتفض:

- ماذا هناك؟

أجب.

صمتَ (ليان) لفترةٍ وأخيراً قال بصوتٍ خافتٍ:

- رسالةٌ ثالثةٌ من مكانٍ مختلف.

قالها وكأنَّه ألقى قنبلةً من الصمت، صمت بالغ عمَّ المكان.. صمتٌ مُخيف!

يُتبع.

رأس الأفعى



الفصل الأول

- هذا مُستحيل!
- قالها العقيد (أبو العزم) وهو ينظر إلى (ليان)، الذي يُحدّق في شاشة حاسوبه المحمول، يُراجع البيانات التي تظهر على شاشته للمرة الألف تقريبًا.
- كانَ (ليان) مُتهمًا في عمله، يدها تُسابق سرعة تفكيره، يُحاول أن يرصد أماكن الإرسال للثلاث رسائل بدّقة، وكانَ الحاسوب قد سجل فحواهم بدّقة وأرسله إلى حاسوب (آية)، ليعمل على تحليلهم وكسر تشفيرهم.
- سأله العقيد (أبو العزم) مرّة أخرى:
- هل توصلتَ إلى شيءٍ جديد؟
- هزَّ (ليان) رأسه بالنفي، وتابعَ عمله في صمت. مرّت الدقائق ثقيلة بطيئة وأخيرًا توقف عن النقر على لوحة المفاتيح، وتراجعَ في مقعده وهو يتنهد، ويظفر في حنقٍ ونظرَ تجاه (أبو العزم) وقال:
- لقد نجحت في تحديد مواقع إرسال الثلاث رسائل، تهللت أسارير الأخير وهتفَ بسعادة:
- حسنًا يا رجل، لقد نجحنا في المهمة على ما أعتقد، لماذا هذا البؤس على ملامحك؟
- صمتَ (ليان) قليلًا وأجاب:
- لست أعتقد هذا.
- سأله (أبو العزم) في دهشةٍ:
- لماذا؟
- تابعَ (ليان) حديثه وهو يُمسك رأسه وكأنّه يُفكر بعمق:
- الثلاث أماكن مُختلفين تمامًا، ليسَ هذا فحسب؛ ولكنّ فحوى الرسالة واحد، لأنّها نفس المقاطع الصوتية تقريبًا ونفس التشفير.
- وصمتَ قليلًا وتنهدَ في حنقٍ واضح وتابع:
- المكان الأول بالقرب من غرفة الوفتنيت (سام كندي)، والمكان الثاني بقرب غرفة الملازم (رمزي اس جاك)، والمكان الثالث هو المُفاجأة الكبرى.
- كانَ العقيد (أبو العزم) يستمع له وعلامات الدهشة والذهول ترتسم على ملامحه، فأسرع بحثّه على الاستكمال.
- تكلم يا رجل، أينَ المكان الثالث؟

ابتسمَ (ليان) ابتسامة تدل على الحنق والإرهاق وقال:

- بالقرب من غرفة الملازم (سعيد الدويك).

اتسعت عينا العقيد (أبو العزم) في ذهولٍ وصرخ:

- ماذا؟!

(سعيد الدويك)!

كيف هذا؟

إنَّه حتَّى لا يعلم بأيّ تفاصيل عن الخطّة، ولا يعلم بأمرِك أو أمر الميجور (جورج)، فكيف هذا؟

أنهى عبارته وارتمى على المقعد القريب له، وكأنَّه انهارَ تمامًا، بينما عقولهما تعمل بسرعة، تدرس الأمر من جهة واحتمال، ولكن دون جدوى، فالأمر فعلاً معقد وغريب.

فجأة اعتدلَ (ليان) وأخذَ يعمل بسرعة على لوحة المفاتيح مرّة أخرى، كأنَّه تظهر في عينيه لمعة غريبة، وكأنَّه توصَّل إلى حلِّ هذه المُعضلة، لم يحاول (أبو العزم) أن يُقاطعهُ عن عمله أو يُشوش أفكاره، وتركه حتَّى توقف تمامًا عن الضغط على أزرار لوحة المفاتيح، ونظر له وهو يبتسم وقال:

- لقد توصلت إلى حلِّ هذه المُعضلة تقريبًا.

انتقلت الفرحة إلى ملامح العقيد، وقال مُهللاً:

- تكلم، أتينا بالحلِّ بسرعة.

ضحكَ (ليان) وقال:

- من الواضح أننا أمام جاسوس عبقري، وهو واحد فقط على كُلِّ حال، لكنَّ ذكي، ولكنَّه وقع في خطأ واحد تسبب في كشف حيلته.

كانَ (أبو العزم) يستمع له ويحلل كلامه في عقله، ولكنَّه استوقفهُ قائلاً:

- كيف هذا؟

لو بالفعل هو واحد فقط، فلماذا ثلاثة رسائل من ثلاثة أماكن مختلفة؟

ضربَ (ليان) يده بالأخرى وقال:

- هذا لأنَّه عبقري، ولكنَّه أغفل أمر واحد فقط.

انعقدَ حاجبا العقيد في تفكيرٍ وقالَ مغمغماً:

- ما هو؟

اقترب منه (ليان) وقالَ هامساً:

- فحوى الرسالة يا سيدي.

- واعتدل للخلف وقال في حماس:
- بالطبع حتى الآن لم أستطع الوصول إلى فعوى الرسالة، مازال الحاسوب الآخر عند زميلتي يقوم بتحليلها، ولكن نمط الرسالة واحد تمامًا.
- هل تعلم ماذا يعني هذا؟
- هزّ العقيد رأسه بعلامة النفي بهدوء ليتابع حديثه، فتابع الأخير شرحه:
- هي نفس الرسالة، فصاحبنا ذكي وأراد أن يُبعد الشبهات، فتحرّك إلى أماكن الثلاث عُرف الخاصة بالثلاثة المتواجدين، وهو منهم وأعاد إرسال الرسالة من جوار كل غرفة، ليشتت انتباه أي أحد د ينتظر أن تُرسل رسالة بما حدث، ولتعمّ الشبهات على الموجودين كلهم وهو منهم.
- اتسعت عينا العقيد (أبو العزم) في ذهول وقال:
- يا له من شيطان!
- إنه تفكير واحد من شياطين الجحيم، لكن هذا الأمر قد جعل مهمتنا مُستحيلة لضيق الوقت المتبقي قبل افتضاح الأمر.
- ابتسم (ليان) وقال في سخرية:
- بل على العكس تمامًا يا سيادة العقيد، لقد وقع هذا الجاسوس في خطئين وليس خطأ واحدًا فقط كما ذكرت لك منذ قليل، خطأ تسبب في كشف شخصيته.
- سأله (أبو العزم) بلهفة:
- ما هو هذا الخطأ؟
- ومن هو الجاسوس؟
- تحدّث يا رجل سريعًا.
- أشار له (ليان) بيده علامة أن يهدأ، وتابع قائلاً:
- اهدأ يا سيادة العقيد، اهداء، فالأمر برمته كان من المُستحيل اكتشافه لولا نقطة ومضت في عقلي، وكأنها إشارة من الله سبحانه وتعالى.
- الخطأ الأول كما قلت، أن فعوى الرسالة واحد، وهذا أرشدني إلى أنه شخص واحد فقط، فلو هو أكثر من جاسوس لا بُدّ وأن تختلف فعوى الرسالة حتى وإن كانت تنقل نفس الأخبار بالتفصيل، ولكن هنا إشارة الرسالة ونمطها واحد تقريبًا بنسبة ١٠٠٪، والنقطة الأخرى التي تسببت في كشف شخصيته، هي الثلاث أماكن التي تمّ الإرسال منها.

فلو كَانَ الجاسوس (سعيد الدويك) وهو مُستحيل؛ لَأَنَّهُ لا يعلم شيئًا مِمَّا حدث، أو كَانَ المَلْزَم (رمزي اس جاك) الذي يعلم أَنَّنِي أَنَا الجاسوس ولا يعلم بِأمر إلقاء القبض على الميجور (جورج)، لكان يجب أَن يُرسل من أربعة أماكن، بما فيهم غرفة (جورج) أيضًا. اتسَعَتْ عينا العقيد (أبو العزم) وصرَخَ في انفعال:

- الوفتنيت (سام كندى)!!!

ابتسَمَ (ليان) وَقَالَ مازحًا:

- بالضبط يا سيادة العقيد، هو الوحيد الذي يعلم أَن (جورج) قد قُبِضَ عليه وفقدَ وعيه، فقامَ بِإرسال الرسالة من نقط بجوار الثلاثة أماكن المُتَبَقِّية، لقد سقط بسبب ذكائه للأسف. لكن لو كَانَ أرسل من جوار غرفة (جورج) أيضًا، لَكُنَّا نجلس الآن والطير يُخَيِّم فوق رأسينا، فخطأ بسيط مثل هذا كشف حقيقته للأسف.

نهَضَ العقيد (أبو العزم) وهو يُشِيرُ لَهُ أَن يتبعه وقال:

- هيا بنا بسرعة، يجب أَن نوقفه، ونسيطر عليه قَبْلَ أَن يفضح الأمر مع قيادته في إسرائيل. قالها وتحركَ بسرعة وتبعه (ليان)، كانا قد وصلا لباب الغرفة، وقَبْلَ أَن يفتحه (أبو العزم)،

فُتِحَ الباب وظهرت فوهة مسدس من خلفه، وتبعها صوت صارم قائلًا:

- لم أتوقع أنكما يمثل هذا الذكاء أبدًا، ولكن ما باليد حيلة، يجب أَن أتخلص منكما وبسرعة. تجمدا من المفاجأة، فلم يتوقعا أَن يجدا هذا الشخص أمامهما في هذا التوقيت أبدًا، فصرخا معًا في دهشة:

- الوفتنيت (سام)!!

وقَبْلَ أَن تخبو صرختهما، دوى صوت طلقات نارية في المكان وتناثرت الدماء!

الفصل الثاني

- أمرٌ غريب يحدث في دولة الاحتلال يا سيدي.
التف السيد مدير المخابرات العامة إلى (مراد) الواقف أمامه، ويظهر التوتر على كُلّ خلجة من ملامحه وقالَ له:
- هات ما عندك بسرعة.
وكأنه كان في انتظار الأمر، فأسرَعَ يسرد ما عنده.
- الشخصية الأنثوية الهامة التي وصلت إلى مطار (بن غوريون) بطائرة خاصة وفي سرية تامة، قد توصل رجالنا هناك عن بعض المعلومات عنها.
وتابعَ بحماس:
- أولاً هي أنثى في العقد الخامس من عمرها، وبرغم هذا على قدرٍ عالٍ من الجمال الباهر، وقد دخلت البلاد بجواز سفر دبلوماسي إسرائيلي يحمل اسم (سرينا ديفيد جراهام)، لكنّ الغريب في الأمر يا سيدي هو أنها تمتلك ملامح مُميّزة، وأيضاً طائرة خاصة وجواز سفر دبلوماسي، إلا أن أحداً لم يعرف شخصيتها ولم يراها من قبل.
الأدهى يا سيدي أنها كانت في انتظارها سيارة دبلوماسية سوداء ذات نوافذ معتمة تماماً، وانطلقت بها إلى جهة غير معلومة لنا أو لأي أحد.
كان قد توقف عن السرد وأخرج هاتفه المحمول، وتابع وهو يقرأ البيانات على شاشته:
- وبعد تلك الحادثة بساعة واحدة فقط، عثر جيران (ليان) في منزله القديم على عمته (تمارا)، وقد لقيت حتفها بطلق ناري اخترق منتصف جبهتها، ولكن دون أدنى صوت أو أن يشعر أحد بأي أمرٍ مُريب!
ويحاول رجالنا الآن تحريّ الأمر، والحصول على معلومات عن طريق الخوادم الخاصة بشرطة الاحتلال، والمعامل الجنائية التابعة لهم عن طريق ثغرات للاختراق، ومعرفة الأسباب أو الأدلة خلف جريمة قتل (تمارا).
كما يعمل رجالنا أيضاً على معرفة وكشف شخصية تلك السيدة، وهل لها يد في هذا الأمر أم لا؟
أنهى تقريره السريع، ووقف أمام السيد مدير المخابرات في انتظار التعليمات منه، كان الأخير مُستنداً إلى ظهر مقعده في استرخاء، وعقله يُحلل الأحداث وكأنه حاسوب عملاق، وأخيراً ارتسمت على شفثيه ابتسامة وقال وهو يعتدل في مقعده:

- لا داعي لثَرَقِ رجالنا سواء في الأراضي المُحتلّة أو الخُبراء هُنا، فأنا أعلم جيّدًا مَنْ تكون تلك الشخصية.

وصمّت قليلًا وانعقد حاجباه وكأنّه يسترجع ذكريات مؤلمة، وتابع مغمغمًا:
- وبالتأكيد هي مَنْ وراء مقتل (تمارا).

لقد عادت الأفعى الحسناء لأرض المعركة!

وأشارَ إلى (مراد) أنّ يَدَوْنَ هذه التعليمات سريعًا وتابع:

- أرسل لي ملف (سيبيل جروهار) بالكامل إلى حاسوبي، وأرسل نسخة منه إلى خُبرائنا، وأطلعهم أنّها هي مَنْ وصلت إلى (تل أبيب)، وأرسل رسالة تحذيرية إلى (آية)، أخبرها بتوخي الحذر الشديد هذه الفترة، والحرص على محدوديّة الحركة والاتصال، فتلك الأفعى في مُنتهى الذكاء والدهاء، فهي عادت من أجل سبب واحد فقط، وصمّت قليلًا ثمّ تابع:

- من أجله هو.. (ليان)!

حدثَ كُلُّ شيءٍ سريعًا حتّى لم يستطع أيّ من (ليان) أو (أبو العزم) أن يخطو خطوة واحدة؛ إذ كانت فوهة المُسدس أمامهما مباشرة في ممرّ ضيّقٍ أمام باب الغرفة مباشرة، فكانَ من المُستحيل على طفلٍ صغير يمسك بمسدس ألا يصيب أيّ منهما، ولكنّ حدثَ خلاف هذا تمامًا.

فجأة انطلقت رصاصة ولكنها لم تصيب أيّ منهما، فقد أصابت يد الوفينيت (سام كندي) التي تحمل المسدس، وأطاحت بالمسدس بعيدًا بعد أن هشمت عظام يده، ممّا جعله يُطلق صرخة ألم رهيبية، والتفت الجميع إلى مصدر إطلاق النار، واتسعت عيونهم في دهشة حقيقية!

إذ كانَ المُستحيل يتجسد أمامهم؛ حيثُ يقف أمامهم الميجور (جورج) أو من ينتحل شخصيته، ويده تحمل مسدس كبير تتصاعد الأدخنة من فوهته، ويصوبه لهم جميعًا ويقترب بهدوءٍ ووجهه يحمل ابتسامة ظفر:

- شكراً لكم، لقد اختصرتم عليّ مجهود كبير في كشف شخصية ذلك الجاسوس.

قالها وهو يتقدّم مُشهرًا سلاحه في وجوههم، ولكز الوفينيت (سام كندي) بيده ليتحرّك لداخل الغرفة، ويُغلق الباب عليهم جميعًا بالداخل وهو معهم.

مُشيرًا لهم بطرف مسدسه أن يقفوا جميعًا أمامه، وأيديهم أمامهم بهدوء ودون حراك، وتابع قائلاً بلهجة ساخرة:

- إن كنتم قد اعتقدتم أنّكم تستطيعون الانتصار على (بروزيل شيفنشكوف) بسهولة، فأنتم واهمون، أنا ألُقب في روسيا بثعلب الجليد، ذلك الكائن الماكر الذي يتخذ من الجليد مسكنًا

له، ويتصيد الفرائس ويعود للاحتماء بالجليد مرةً أخرى، ويُساعدُه لون فرائه الأبيض على هذا، فمن المُستحيل أن تُميّزه عن البيئة المحيطة به، ولهذا تمّ اختياري لهذه المهمة، فأنا الأجدر بها.

كان يقف بزهوٍ وغرور، ويُلوح لهم بفوهة مسدسهٍ منتهى الاستهتار، ويُتابع حديثه في تباهٍ: - لقد كُنْتُ أَدْرِب على كافة أنواع السموم والأدوية المُخدرة، إنَّها إحدى الطقوس المتبعة في المُخابرات الروسية ومن قبلها (الـKGB)، وهو لتدريب المقاتلين على جعل أجسادهم تتخلّص سريعاً من أغلب السموم والعقاقير المُخدرة، وتجعل بعدها تلك العقاقير معدومة التأثير أو مؤقتة التأثير عليهم، وهو ما حدث بالفعل، وبعد فترة قصيرة استطعت أن أعود إلى وعي واستمعت إلى خطبكم، واتخذت تدابيرٍي كما يفعل الحواة في السيرك، فقمّت بحبس الهواء في رُتَيّي حتّى انتهيتما من تقييدي إلى ذلك المقعد، وأخرجته مُجرّد رحيلكما، كي يُصبح هُناك متسع بين جسدي والحبال، والباقي فقط بعض الليونة والمهارة وكنت قد تحررت تمامًا، ولكن قبل هذا انتظرت أن تكتمل خطبكم تمامًا، ومُجرّد أن أتى (أبو العزم) ومعهُ الوفّنتيت (سام كندي) و غادرا الغرفة، تخلّصت من القيود، وتوجهت لغرفتي وحصلت على السلاح الخاص بي، وتبعتمكم حتّى أعرف مكان تلك الغرفة، وانتظرت حتّى تنتهوا من تنفيذ مخططكم بالكامل، وها هو الثعلب العجوز قد سقط في المصيدة. قالها وأطلق ضحكة ساخرة، وهو ينظر إلى الوفّنتيت (سام كندي)، الذي كان مُمسكاً بيده اليمنى -التي تنزف الدماء، بيده اليسرى، مُحاولاً أن يوقّف نزفها، وقد تحوّل بشرته البيضاء إلى اللون الأحمر بسبب الغضب الذي تملكه، ولأوّل مرة منذُ هذه الأحداث تحدّث (ليان) بهدوءٍ وقال:

- لولا الموقف الذي نَحْنُ به الآن لكنت أصفق لك بجدارة على هذا العرض المسرحي، الذي تفضلت وألقيته على مسامعنا الآن، ولكن أعتقد أن الوقت قد تأخر والناس نيام الآن، فلا داعي لإزعاجهم، ولكن لديّ استفسار بسيط وأرجو ألا أكون قد أزعجتك. تحوّل ملامح (بروزيل) من السخرية إلى الغضب، وقال وهو يجذّ على أسنانه: - تحدّث، ماذا تُريد؟

اتسعت ابتسامة (ليان) وقال:

- كيف ستخرج من هُنا؟

أقصد ما هي خطتك للهرب؟

تذكر أن كلّ أوراقتك والهاتف الخاص بالطوارئ معي، وليس هذا ما أقصد أيضًا.

ولكن هل ستتخلّص منّا جميعًا؟

هل تعتقد أنَّ صوت الطلق الناري، الذي أصبت به اللوفتننت (سام) لم يسمعه أحد؟ ولنفترض أنَّ أحدًا لم ينتبه له، فعلى الأقل تحتاج لتكرارها ثلاث مرَّات أخرى للتخلُّص منَّا جميعًا، فهل تعتقد أنَّ هذا لن يلفت الانتباه؟ وخاصَّة مع ثلاث جُثث، ليس هذا فحسب؛ بل إنَّ من المقتولين رئيس الوحدة، وكذا نائبه ومُجنَّد لم يمضي على التحاقه بالوحدة ثمانية وأربعين ساعة بعد، هل تعتقد أنَّ الأمر سيمرُّ مرور الكرام؟!

توترت ملامح (بروزيل) وقال وهو يكاد أن يستشيط غضبًا ممَّا قاله (ليان):
- لا يقلِّقك مصيري، فأنا أعرف جيّدًا كيف أتصرف، وأوراقى وجهاز الهاتف النقال سوف استخلصهم من جُثَّتكَ بعد أن أقتلكم جميعًا.

ابتسم (ليان) في هدوءٍ واقترَب من المقعد وجلس عليه وتابع:
- هيا يا رجل افعلها ولكن للأسف ليسوا معي، لقد أخفيتهم في مكانٍ سرِّي لا يعلمه إلا أنا فقط، حتَّى أنَّه لم يُسعفني الوقت لأخبر سيادة العميد (أبو العزم) عن ذلك المكان.
كادت ملامح (بروزيل) أن تنفجر من الغضب، وصرخ وهو يلوِّح بمسدسه في وجه (ليان)، الذي ينظر له ويبتسم في سخرية.

وفجأة قطع (سام كندي) كلَّ هذه الأحداث قائلاً:
- يبدو أنكم قد نيسيتُموني في غمرة الأحداث، أريدُ فقط أن أشكركم على الوقت الذي منحتُموني إيَّاه، لتنفيذ خطتي بأحاديثكم التافهة هذه.
نظرَ له الجميع بدهشة؛ إذ كان في وضعٍ لا يسمح له أن يُهددهم فيه، ولكنَّهُ تابعَ بابتسامة ساخرة:

- قبل أن آتي لهذهِ الغرفة، أرسلت إشارة بأنَّ شخصيتي قد تمَّ اكتشافها، وهي بالمناسبة فحوى الرسالة التي قد رصدتموها، وأنَّني بحاجة إلى تغطيةٍ للهرب، ومن المتفق عليه في خطة الانسحاب الخاصة بي، هو هجوم جوي للطران الإسرائيلي يدك القطاع بالكامل، فيما عدا ممَّر آمن لا يعلمه إلا أنا ومَن وضع الخطة للطران، الذي يُحلَّق الآن فوق رؤوسنا استعدادًا لتنفيذ المهمة.

ولم يكد ينتهي من عبارته حتَّى تعالَى أزيز مُحرِّك طائرة مقاتلة، تطير على ارتفاع منخفض وتلبها طائرة أخرى وأخرى، نظرَ الجميع له، ولكنَّهُ أطلق ضحكة ساخرة مجنونة بصوتٍ مرتفع، ولم يكد ينتهي منها حتَّى بدأ القصف، وحدث انفجار رهيب أطاح بجانب الغرفة تمامًا، بكُلِّ ما فيها ومَن فيها!

الفصل الثالث

- حدثَ تطور رهيب يا سيادة المدير!
- ألقى (مراد) هذه الجملة على مسامع السيّد مدير المخابرات العامّة، وهو يقف أمامه بعد أن طلبَ الدخول على عجلة، ممّا جعل السيّد المدير يعقد حاجباه في تفكيرٍ ويُسِرُّ له قائلاً:
- هات ما عندك بسرعة.
- ازدردَ (مراد) لُعابه وتابعَ بحماس:
- طيران مجهول الهوية يضرب الآن منطقة (الخط الأزرق) بالكامل ويدكها دكاً، وبما في ذلك القاعدة العسكريّة الخاصّة بقوات حفظ السّلام.
- نهض السيّد المدير من مقعده في انفعالٍ وصرخ:
- ماذا؟
- طيران مجهول؟! كيف يحدثُ هذا؟
- ومن المُستفيد من هذا، إنّها منطقة تحت حماية قوات حفظ السّلام التابعة للأمم المتحدة، فمن له مصلحة فيه حدوث ذلك؟
- تابعَ (مراد) بسرعة:
- هذا ما قد نراه من الوهلة الأولى يا سيّدي، لكنّ خبراء الأقمار الاصطناعيّة أكدوا أنّ هذا الطيران قد خرج من قاعدة جويّة سرّيّة في وسط دولة الاحتلال، وعلى ارتفاع منخفضة وعبّر فوق البحر الأبيض حتّى وصلَ إلى قرب الشريط الحدودي، وتوغل وقام بتنفيذ مهمته، وهو ما يحدث الآن وفي هذه اللحظة.
- ازداد انعقاد حاجبي السيّد مدير المخابرات وغمغم قائلاً:
- أتعني أنّ القصف يحدث في الحال؟
- هزّ (مراد) رأسه وقال:
- أجل يا سيّدي.
- استدار السيّد المدير مواجهًا لنافذة مكتبه ونظرَ خلالها وتابع:
- وهل هناك أيّة أخبار عن رجالنا هناك؟

أجابه (مراد):

- للأسف يا سيدي لا توجد أية أخبار حتى الآن، ويُحاول رجالنا الآن في قسم الاتصال، التواصل مع سيادة العقيد (أبو العزم) أو (ليان)، ولكن الأمر قد بدأ منذ دقائق، لهذا لا نستطيع تبين ما قد حدث هناك.
مرت فترة من الصمت بعد عبارة (مراد) الأخيرة، قطعها تساؤل طرحه السيد مدير المخابرات:

- لماذا قد تفعل إسرائيل هذا؟

ما الذي دفعها للإقدام على هذه الخطوة الغريبة؟
و ولكن ظل السؤال بلا إجابة!

طنين رهيب كاد أن يصم آذان العقيد (أبو العزم)، فلم يستطع أن يفهم ماذا حدث؟ بالسرعة المطلوبة، ولكن فجأة شعر بليان يقفز نحوه، ويحيطه بذراعيه ويرطم به ويسقط أرضاً أسفل إحدى المكتبات التي تحتل جدار كامل بالغرفة التي يقفون بها، لتسقط من قوة الانفجار على جسديهما وتشكل درعاً يقيهما من هطول الركام والشظايا، مرت دقائق ليس بها إلا أصوات انفجارات متتالية تهز الأرجاء تماماً.

شعر فجأة (أبو العزم) بيد قوية تمسك بساعده وتُساعدُه على النهوض من أسفل حطام المكتبة، تحرك وأخذ ينهض وهو يبعد الحطام والركام عن جسده، كان (ليان) هو من يُساعده، وبمجرد أن خرج بالكامل من أسفل الأنقاض حتى سأله:

- هل أنت بخير سيادة العقيد؟

هز رأسه بالإيجاب وهو ينظر حوله في كل اتجاه، كانت الغرفة قد تدمرت تماماً كما هو حال كافة المباني المجاورة كلها، ومن بين الظلام كانت تتحرك بعض الأشباح بطريقة عشوائية مع استمرار تحليق الطائرات وصوت الانفجارات، كان من الواضح أن تلك الأشباح ما هي إلا بعض الجنود الذين بقوا على قيد الحياة بعد القصف، يحاولون الاحتماء من قذف الطائرات.

أفاق من أفكاره على يد (ليان) مرة أخرى، وهي تمسك بساعده وتجذبه ليتحركاً بعيداً، فسأله:

- أين الآخرين؟

أين (سام) وذلك العميل الروسي؟

أجابه (ليان) وهو يجذبه معه خلف إحدى الجدران المتهدمة، ليحتميا بها:

- (سام) شاهدت جثته قبل أن أخرجك مباشرة من أسفل الأنقاض، كان الغبي أول من أعطى الإشارة التي قضت عليه هو شخصيًا، لكنني لم أعثر على أي أثر للعميل الروسي، وإن كنت قد لمحت شيئًا يشبهه بعد الانفجار مباشرة، يتحرك مسرعًا مبتعدًا.. أعتقد أنه على قيد الحياة.

كانا يحتميان بذلك الجدار المتهدم، ويتابعان الطائرات التي كانت تقوم بعملها، وهو ذلك القاعدة العسكرية تمامًا!

وهنا أشار إليه (ليان) وقال:

- أعتقد أنه يجب أن نتحرك سريعًا، فلا أحد يعلم الممر الآمن الذي يتركه الطيران لسام، وخاصة بعدما مات، فلن يعلم أحد أبدًا هذا، وأعتقد أن التعليمات في حالة الإشارة للهرب (سام)، أو حتى عدم الإشارة هي تدمير القاعدة تمامًا، فالأفضل أن نسرع بالخروج منها.

أومأ سيادة العقيد برأسه موافقًا، وتحركًا معًا بهدوء ويحذر شديد، مُحاولين تفادي مسار الطائرات التي لم تتوقف للحظة عن الدوران في كامل الموقع، وإطلاق قذائفها وفجأة صرخ العقيد وقال:

- توقف يا (ليان).

توقف الأخير واستدار له مُتسائلًا:

- ماذا هناك؟

أجابه (أبو العزم):

- (سعيد الدويك)، لقد نسيناهُ في غمرة ما يحدث.

صمت (ليان) لم يجد ما يقوله، فتابع العقيد (أبو العزم) بمنتهى الحزم، وهو يتحرك باتجاه منازل الضباط:

- لا يمكن أن نتركه خلفنا.

أمسك (ليان) بيده قائلاً:

- معك كل الحق، ولكن كيف نعلم أنه حي حتى هذه اللحظة.

صمت (أبو العزم) وهز رأسه أخيرًا وقال:

- لن نعلم حتى نتأكد، لا يمكن أن أتركه، هو شاب في مقتبل العمر، وكان يتخذني كأخٍ أكبر له.

لم يجد (ليان) مفرًا إلا أن يتبعه، وبالفعل تحركا حتى وصلا إلى غرفة (الدويك) أو بالأصح أنقاض الغرفة، فقد تم تدميرها تمامًا، فلم يتبقى فيها حجر على حجر، فتوقف (أبو العزم) باحثًا في كل اتجاه، ووضع يده على فمه وكأنه يصنع بوقًا بكفه هاتفا:

- (سعيبيد).

وتوقّف بعدها مرهفًا السمع حتّى سمعا همهمات غير واضحة، وصوت ينبعث من أسفل موضع تغطية الأنقاض، فتحرّكا معًا في نفس التوقيت، وشرعا في رفع الأنقاض بأيديهما، ومع كلّ قطعة من الأحجار أو إزاحة الأتربة، كانّ الصوت يتضح أكثر فأكثر. حتّى ظهرت الواح خشبيّة، تعاونوا ورفعها ومن أسفلها كانّ الملازم (سعيد) مُستلقّيًا، أمسكا به حتّى رفعاه من مكانه، وظلّ يسعل بشدّة من كثرة الأتربة والإختناق الذي تعرّض له أسفل الركّام.

ونظرَ لهما قائلاً:

- شكّرًا لكما على ما فعلتما من أجلي، ولكنّ ماذا حدث؟

وما هذا الطيران؟

ولماذا يضرب قاعدة تابعة للأمم المتحدة؟

جذبهُ العقيد (أبو العزم) من يده ليُساعدهُ على النهوض وهو يقول بلهجةٍ حازمة:

- ليس الآن، لا وقتَ لدينا للكلام الآن؛ إذ يجب علينا أن نتحرّك بسرعة ونبتعد عن هذا المكان، فالطائرات ستعود مرّة أخرى لتكمل ما قد بدأتُهُ.

وبالفعل تحرّكوا مسرعين باتجاه الحدود اللبنانيّة الشماليّة، كانّ (ليان) قد أخرج هاتفه، مُتتبّعًا تطبيق الخرائط؛ كي يصل إلى أقرب نقطة حدوديّة، كانّ الثلاثة يُسابقون الزمن، ومن خلفهم ظهرت الطائرات مرّة أخرى.

عادت لتكمل عملها.. الإبادة التامّة!

الفصل الرابع

- وصلت رسالة من (ليان) يا سيدي.
- قالها (مراد) وهو يبتسم، ويقف أمام السيد مدير المخابرات المصرية، الذي تهللت أساريره وقال بلهفة:
- يبدو أنهم بخير وهذا واضح على وجهك يا (مراد).
- ضحك الأخير وقال:
- أجل يا سيدي، حمدًا لله كلهم بخير حال، حتى الملازم (سعيد الدويك) بخير معهم هو أيضًا، وهم في اتجاههم إلى الحدود اللبنانية، وتم تفعيل خطة الطوارئ الخاصة بالعتيد (أبو العزم) ومن معه، ونحن الآن في انتظار تعليمات سيادتكم للتواصل مع القوات اللبنانية، لإبلاغهم بالأمر والتقاط رجالنا والعمل على عودتهم للأراضي المصرية سريعًا.
- أشار له السيد مدير المخابرات بأن يُسرِع بإعطاء التعليمات، وكاد أن ينصرف (مراد) لكن مدير المخابرات قد أوقفه قائلاً:
- وما هي التفاصيل في التقرير حول المهمة الأساسية؟
- ظهر الاهتمام والجدية على ملامح (مراد)، وأخرج هاتفه من جيب سترته، وشرع يعرض المعلومات التي أرسلها (ليان) في تقريره.
- العتيل الإسرائيلي هو اللوفنتنت (سام كندي)، وهو المتسبب في الهجوم الجوي الإسرائيلي على القطاع؛ لتغطية هروبه وكشف حقيقة، لكن القدر لم يمهله وتسبب القصف الجوي في مقتله.
- والميجور (جورج) ما هو إلا عتيل روسي، تمت زراعته في القطاع كما أرسل في التقرير السابق، ولكنه نجح في الهرب أثناء قصف القطاع، ولم يستدل على وجهته أو السبب لزراعته في القطاع.
- انتهى (مراد) من تقريره وتوقف في انتظار التعليمات من سيادة المدير، الذي أشار له بالانصراف، لينفذ التعليمات بالاتصال بالجانب اللبناني، للتنسيق معه على استقبال رجالنا.
- انصرف (مراد) تاركًا خلفه المدير غارقًا في أفكاره، بينما كانت هناك فكرة واحدة غالبية على عقله بالكامل:
- ماذا بعد؟
- هل يمكن أن يعود (ليان) إلى وطنه الأم.. إلى مصر؟!

- للأسف هُنا لن نَعتمد على الخرائط الملاحية للهاتف.
نطقها (ليان) وهو يضع هاتفه في جيب سترته، وينظر إلى رفيقيه وتابع قائلاً وهو يَطمُ شفتيه في قلة حيلة واضحة:
- كَانْ لَا بُدَّ وَأَنْ نتواري داخل الأعراش الكثيفة لهذه الغابة القريبة؛ كي نستطيع الابتعاد والتخفي عن الطائرات الإسرائيلية، وهو ما نجحنا فيه تقريباً، ولكن للأسف هذه الغابة المتشابكة الأغصان، قد حجبت عنا كافة وسائل الاتصال حتى بالأقمار الاصطناعية لتحديد الاتجاهات، لم يَتَبَقْ لَنَا إِلَّا اتخاذ الطريق بُناءً على آخر مسار استطعنا رصده عن طريق تطبيق الملاحه في الهاتف، قَبْلَ أَنْ نفقد الاتصال بالقمر الإصطناعي.
أنهى حديثه وهو ينظر إلى رفيقيه، وبالكاد بتبين ملامحهما على الضوء المنبعث من هاتف العقيد (أبو العزم)، الذي يستخدمه كوسيلة إضاءة لهم، فتَنَهَّدَ الأخير وقال:
- حسناً، لم يعد أمامنا حلٌ إِلَّا ما قد قلت يا (ليان)، أعتقد أَنَّهُ يُمكن خلال المسير في هذا الاتجاه لمسافة ساعة تقريباً، نكون قد وصلنا إلى أقرب نقطة حدودية مع القوات اللبنانية. قالها وهو يُشير بيده إلى اتجاه بين الأشجار المتشابكة، ومُجَرَّدَ أَنْ انتهى من حديثه حتى تحرَّك الثلاثة معاً، متجاورين محافظين قدر الإمكان على الاتجاه دون أية علامات أو إرشادات قد تدلهم على طريقهم.
ظَلُّوا سائرين بالفعل لمدة قد تجاوزت الساعة، حتَّى مَدَّ (ليان) يده فجأة أمامهم في إشارة للتوقف، فتوقفوا مُنصتين محاولين أَنْ يدركا ما أدركه هو، وفجأة تحرَّك (ليان) بخفة منفصلاً عنهما، حتَّى اقترب من جذع إحدى الأشجار، وقفز فجأة وأمسك بجسد شخص كان يتواري خلف الجذع، وسقطاً أرضاً، ودارت بينهما معركة سريعة.
- توقف، إِنَّهُ أَنَا يا (ليان).
توقف الصراع في الحال مع هذا النداء، وصرخَ (ليان) بدهشة:
- مُستحيل!
(نيقولا)!!
تعالَت ضحكة وتبعها صوت صاحبها الساقط أرضاً وهو ينهض:
- أجل يا صديقي، (نيقولا) الذي نجا من الموت بأعجوبة، وكدت أَنْتَ أَنْ تقتله الآن.
صرخ (ليان) بفرحة وقفز إليه وتعانقا:
- مرحى يا صديقي، لقد كنت أَظنُّكَ في عداد الموتي الآن.
ابتسم الأخير وهو يربت على رأسه بيده وقال:
- لا تقلق يا صديقي، فكما تقولون في مصر "عُمر الشقي بقي".

ضحك الجميع وجرى تعارف سريع بينهم، تبعه حث (نيقولا) لهم بالإسراع كي يصلوا إلى نقطة اللقاء القريبة، قبل أن تشعر بهم أية قوات أو أفراد مُعادية، وبالفعل أسرع الجميع الخطى يتبعون خطوات (نيقولا)، الذي يتحرك بخفة ورشاقة قط بري بين الأشجار، حتى استطاع إخراجهم من بين الأحراش، ولاحت أمامهم في الأفق سيارة دفع رباعي خاصة بالقوات المسلحة اللبنانية، احتوتهم جميعاً وتحركت بهم إلى أقرب نقطة حدودية تابعة لها.

ومجرد وصولهم، تم استقبالهم بملابس مختلفة نظيفة، وهوية جديدة للجميع، وكانت في انتظارهم مروحية مُخصصة لنقلهم إلى مطار بيروت الدولي ومنها إلى القاهرة. كان (ليان) صامتاً لا يتحدث، بل تنحى جانباً في هدوء، شعر به العقيد (أبو العزم) واقترّب منه مُبتسماً، ووضع يده على كتفه وكأنه صديق حميم، وقال:

- فيما تفكر؟

ألا تريد العودة إلى بلدك وبلد أبيك؟

نظر له (ليان) وابتسم، فقد أدرك أن القيادة قد أخبرته بكل المعلومات وقال بهدوء:

- لست على استعداد لهذا الآن.

أيضاً مازال أمامي الكثير والكثير هناك في الأراضي المحتلة.

قالها وران صمت بعدها، قطعه (أبو العزم) وهو يمد يده مصافحاً:

- أتمنى أن ألقاك في القريب، لقد أخبرتني القيادة أن أترك لك حرية الاختيار، وهناك تعليمات بأن تُساعدك القوات اللبنانية عن طريق لانش بحري، بإيصالك إلى أقرب نقطة للحدود الإسرائيلية كما بدأت المهمة تماماً.

ابتسم (ليان) وتعاثقا، واستدار (أبو العزم) ليلحق بالمرحبة التي كانت في انتظاره وبها (الدويك) و(نيقولا)، ولكنه التفت إلى (ليان) وقال مازحاً:

- أبلغها سلامي، لقد سمعت عنها الكثير، اسمها (آية) أليس صحيح؟

ضحك (ليان) وهز رأسه بالإيجاب، وانطلقت المروحية وهو يلوح لها بيده كما فعل الثلاثة من داخلها.

ومجرد أن ابتعدت حتى اقترب منه أحد الضباط وأشار له أن يتبعه، سارا حتى وصلا إلى مرفأ صغير يحوي بعض المراكب الصغيرة ذات المحركات المحدودة.

جلس (ليان) في إحداها وانطلق قائدها به فقط، ولأول مرة ترك نفسه للإرهاق، وراح في سبات عميق، لم يرى إلا (آية)، كانت تقف أمامه وتبتسم، تفتح ذراعيها وهو ينطلق إليها.

أفاقَ على توقف هدر المُحرَّك الخاصِّ بالمركب، كانَ قد وصلَ إلى أقرب نقطة يُمكن أن يصل إليها، تناول حقيبة مضادة للمياه تحتوي ملابس أخرى وبعض العتاد الشخصي، وألقى التحية على المُجنَّد الذي أفلَّه وقفز في الماء.

استدارت المركب براكبها الوحيد متخذة طريق العودة، بينما هو يضرب الأمواج بيديه قرابة النصف ساعة، حتَّى وصلَ إلى إحدى الشواطئ الرملية الغير مأهولة، وخاصَّة في هذا التوقيت قرب الفجر، واتخذ من صخرة عملاقة سائرًا، وشرعَ في تبديل ملابسه المبتلة بجديدة من الحقيبة المضادة للمياه، ومُجَرَّد أن انتهى قامَ بدفن كُلِّ متعلقاته القديمة أسفل الصخرة، وتحركَ بهدوءٍ متخذًا طريق العودة إلى المنزل الآمن.

وبعدَ ساعة تقريبيًا ومع أول خيوط الفجر، كانَ يقف أمام باب المنزل الآمن، وبهدوءٍ مُحاولًا أن يُفاجئ (آية) بقدومه، فتحَ الباب دونَ أن يصدر صوتًا وانسلَّ بهدوءٍ. وفجأة وقع بصره على هذا الجسد المُسجى أرضًا دونَ حراك. تعالت دقات قلبه، فهو يعلم هذا الجسد جيّدًا بكُلِّ تفاصيله. اقترب منه بلهفةٍ وهو يصرخ:

- (آية)!!

حملها بين ذراعيه وهو يتفحصها في جزع.

- لا تقلق يا عزيزي (ليان) هي بخير، فقط فاقدة الوعي من أثر المخدر.

التفتَ إلى مصدر الصوت بفزع، وقد اتسعت عيناهُ في رُعبٍ وصرخ:

- مُستحيل!!!

أنت!!

تقدّمت منه صاحبة الصوت حتَّى توقفت أمامه، ووضعت يدها على وجنته في لمسةٍ حانية وهي تبتسم وقالت:

- أووووه!

عزيزي (ليان) قد صرت رجلًا وسيماً حقًا.

أُنْ تُعانق أُمك، أُمك (سييل).. (سييل جروهار).

قالتها وتعالَت ضحكاتها، ضحكة شنيعة سقط لها قلبه بين قدميه، ضحكة تحمل الموت أينما حلّت.. ضحكة أفعى سامّة.

النهاية

مع القراء

كثيرًا ما تصلني أعمال في رسائل الصفحة الخاصة بي من العديد من الكتّاب أو الشعراء الشباب، طلبًا للرأي أو المساعدة في النشر، أو ترشيح دار نشر مُعيّنة.

وقد وجدتُ العديد من الأعمال التي تحمل الموهبة الحقيقية، والتي تستحقُّ الظهور والدعم.

لهذا قررتُ ومُساعدة دار الزيّات للنشر والتوزيع، بعمل باب ثابت في نهاية كُلِّ مُجلّد من سلسلة (الوريث)، وهو باب يحمل اسم (مواهب تستحقُّ).. وهو بمثابة نشر مجاني تمامًا لهذه الأعمال، ومُحاولة عرضها لتصل إلى القارئ.

العمل الأوّل هو قصّة قصيرة بعنوان (أمل حياتي)، وهي من تأليف (نيرة محمد المصري)،

مواليد محافظة بورسعيد عام ١٩٩٠، درست الإعلام وتخرّجت من جامعة قناة السويس عام ٢٠١٠، ومُقيمة حاليًا في مدينة العاشر من رمضان.

عملت كصحفية لمدة عامان بعددٍ من الصُحف القوميّة، والآن تخطو خطواتها الأولى في عالم كِتابة القصص بهذه القصّة القصيرة.

أمل حياتي

جلسَ على شاطئ البحر ينظر إلى أمواجه المتلاطمة، وهي تُلقي بنفسها على صخور الشاطئ، مصدرها هديرًا يُعلن عن غضبها، مبهورًا مشدوها لا يعلم ما إذا كانت تلك الأمواج تجري مُندفعة نحو الصخور أم نحوه هو، لتلطمه على وجهه كي يَفِيق من غفلته غير مُصدِّقًا ما آلت إليه الأوضاع، يعصف بذهنه خليط من المشاعر ما بين الصدمة والدهشة والعجز، فلم يَكُن يدرك أنَّ إرادة الله فوق إرادة البشر، وأنَّ لكلَّ جبارٍ أقيم لحظة يكفُّ الله فيها ظلمه، ويُذيقه مما أذاق به غيره، و تتجلى فيها إرادته جلَّ و علا، وينصر المظلوم مهما بلغ ضعفه، إنها إرادة الله فوق كُلِّ شيء.

شردَ في مُخيَّلتَه، تذكَّر البداية، عادَ بالزمن ولكنَّ كشاهد فقط، غير قادر على تغيير الأقدار، مشهد لفرح الاضاءات والأنوار تملأ المكان، أصوات الأغاني عالية، الجميع مجتمعون يُهْنئون الأهل الأصدقاء الأقارب وحتى المعارف، قد أتى الجميع القاصي و الداني ليشاركوا العروسين احتفالهما بعرسهما السعيد، الجميع يرقص ويُغني، الجميع فرحون منهمكون في الحدث الذي يبدو سعيدًا في ظاهره، ولكنَّ على الجانب الآخر هناك شخصٌ لا يستطيع رؤية كُلِّ هذه البهجة، لا يرى إلَّا الظلام فقط، وظلام حالك وكأنَّ أحدهم قد وضعَ على عَيْنَيْهِ غشاوة جعلته غير قادر على الرؤية، يشعر بغصة ومرارة لا حدود لها، هل توقعتُم معي مَنْ كانَ هذا الشخص وسط كُلِّ هذا الصخب؟

نعم إنها هي العروس، فلم تَكُن أبدت موافقتها على ذلك الشابَّ الأرعن الغير ناضج المُدلل، والذي لم يَكُن الزواج بالنسبة له سوى نوع من أنواع الكماليات -على حدِّ قوله، وعلى الرغم من كونها من أسرة ميسورة الحال جدًّا، وتحمل مؤهلًا عاليًا من إحدى كليات القمة، إلَّا أنَّها أُجبرت على تلك الزيجة المحكوم عليها بالفشل من قبل أن تبدأ في الأساس.

نعم كانت فتاة ذكية طموحة، ولكنَّ قد كانَ والدها يتمتع بسلطةٍ أعمت عَيْنَيْهِ وجعلته يُمارسها مع كُلِّ مَنْ هُم حوله حتَّى أبناؤه، فلم يكن يقدر على أن يقف أمامه أحد، وقعت تلك الفتاة ضحية ما بين قسوة الأب ورعونة شابٍّ أهوج من عائلة ثرية، كانت ترى كُلَّ عيوبه واضحة جليةٍ سردها جميعها للأب، الذي كان يرى من وجهة نظره أنَّ هذا دلع بنات! مرَّت الأيام سريعًا ووجدت (سارة) نفسها تجلس في الكوشة، وبجوارها ذلك الأجوف الارعن الذي لايشغل باله سوى التفكير في أحدث أنواع السيارات، وأنواع ماركات الملابس، و لوجو قاعة الفرح و بالمناسبة هو لم يَكُن يحمل مؤهل عالي، ولكن رأى والدها أنَّ هذه مُجرد

شكليات، المهم أنه قادر على أن يجعلها تعيش في نفس مستواها الذي تعودت عليه في منزل والدها.

مرت تلك الليلة المشؤومة على (سارة) بجميع تفاصيلها على الرغم من إنها يفترض أن تكون أجمل ليلة في حياتها، فالثوب الأبيض هو حلم كل فتاة، تحلم به منذ نعومة أظافرها، وتقضي سنوات عمرها الأولى تحلم بتفاصيله إلا أن (سارة) لم تعبأ باختياره، فهل يهتم السجين باختيار ملابس سجنه؟!

مرت الأيام صعبة وثقيلة فها هي رعونة (أحمد)، بدأت في الظهور منذ اللحظات الأولى للزواج، كما اكتشفت أيضًا أنه شاب عديم الشخصية؛ إذ تركها لأهلها يفعلون بها ما يحلوا لهم من إهانة وسوء معاملة، وإذا ذهب له شاكية أو معترضة ينهرها، بل ويتناول عليها إلى حد أن يصل إلى الضرب، في هذه الأثناء رزقهما الله بطفلة، مما جعل والد (سارة) يحاول المحافظة على بيت ابنته وحفيدته من الخراب، بعد كل معركة يخوضها مع (أحمد) لما يفعله بابنته هو وأهله طوال الوقت، على الرغم من أن (أحمد) الشاب المدلل كان دائم التهديد لسارة بالانفصال، والتي كانت ترى فيه الملجأ الوحيد، الذي يحمل لها الخلاص من كل العذابات التي أدت بها للعلاج النفسي؛ حيث كانت تذهب لجلسات الطبيب في السر، فقد كانت تخشى أن يعلم (أحمد) بعلاجها من الاكتئاب الحاد، ويحرمها طفلتها الوحيدة بحجة أنها غير أهل لتربيتها.

مرت الأيام على تلك الوتيرة إلى أن وصلت الحرب الزوجية لذروتها، وقرّر الزوج الزواج بأخرى لممارسة ضغط نفسي أكبر على المسكينة (سارة)، ولكن هل تستطيع مهما بلغ بك التجبر ونسيان إرادة الله أن تمنع رحمته بعباده -حاشا لله؟

فتعدد أخطاء (أحمد) وتعدد نزواته واستهتاره، قد جنوا عليه فبعد أن قبض عليه في أحد أماكن ممارسة البغاء، وأخيرًا تم الانفصال وحصلت (سارة) على حريتها تنازلت عن جميع حقوقها في مقابل الحصول على تلك الحرية الغالية، وبعد انتهاء مدة علاجها النفسي عادت (سارة) مرة أخرى للحياة، وكأنها ولدت من جديد بعد أن كانت ذابلة باهتة يظن بها المرض، كل من يراها أقبلت مرة أخرى على الحياة

ونزلت إلى ميدان العمل لتبدأ تحقيق ذاتها، التي طالما وضعت لها أحلامًا وخُططًا، وفي خضم سباقها وشغفها بتحقيق ذاتها أعجب بنشاطها واجتهادها رئيسها في العمل (تامر)، شاب في منتصف العقد الثالث من العمر، ذكي طموح، متفوق جدًا في عمله فهي شابة رقيقة على قدر من الجمال والثقافة، ما يجعلها مُلفتة للأنظار، لم يلبث (تامر) أن تقدّم

لخطبتها وعلى الرغم من خوفها من تكرار تلك التجربة، إلا أنه قد نجح في سبر أغوارها وإعادتها مرة أخرى للحياة.

تم الزواج بالفعل و رزقهما الله بطفلة أصبحت أختاً لابنتها، التي تعامل معها (تامر) أفضل من أبيها الفعلي، إذ يكن يُميز بين الطفلتين فقد كان يتعامل معهم بمنتهى الحب و العدل. أقبلت (سارة) على الحياة من جديد وأينعت، أصبحت كواحة خضراء وارفة الظلال، يلجأ إليها كل متعب ليرتاح من متاعب الحياة، فعادت مرة أخرى لممارسة هواياتها القديمة.

تذكرت أصدقائها القدامى من أبطال الروايات،

والذين استمتعت برفقتهم طوال حياتها، والتي كانت الحياة قد فُرقت بينهم.

كُونت صداقات جديدة، خلقت لنفسها المجتمع الذي كانت تتمناه، اهتمت بجميع من حولها،

وقدّمت الدعم لكل أصدقائها وأهلها، ووفقها الله وجعلها تترك الماضي بكُل قسوته، وترحل عنه إلى مستقبلٍ مشرقٍ بصُحبة زوجها الخلق (تامر) وطفلتها، أدركت أن حياتها الجديدة، وهذه الأسرة الصغيرة هي عوض الله لها، فمنحتهم محبتها واهتمامها، وعلى الرغم من هذا إلا أنها لم تفقد شغفها ولم تهمل نجاحها. تقدّمت (سارة) في عملها وعاونها على ذلك زوجها (تامر)، والذي كان شديد الحمّس لها وشديد الإيمان بها.

مرّ الزمان وكبرت الطفلتين وقد قطعت (سارة) عهداً على نفسها هي وزوجها، على ألا يجبرا أي واحدة منهما على شيءٍ لا يرتاح له قلب أي منهما، وعلى أن يقوموا بدور الصديق المحب المخلص الداعم الناصح والسند لابنتيهما حتى لا تتكرر مأساتها.

المحتويات

٥	تقديم.....
٧	التيه.....
٨	الفصل الأول.....
١٠	الفصل الثاني.....
١٢	الفصل الثالث.....
١٤	الفصل الرابع.....
١٦	الفصل الخامس.....
١٩	الفصل السادس.....
٢٢	الفصل السابع.....
٢٦	الفصل الثامن.....
٣٠	الفصل التاسع.....
٣٤	الفصل العاشر.....
٣٩	الصراع.....
٤٠	الفصل الأول.....
٤٣	الفصل الثاني.....
٤٧	الفصل الثالث.....
٤٩	الفصل الرابع.....
٥٢	الفصل الخامس.....

٥٤.....	الفصل السادس
٥٧.....	الفصل السابع
٦٠.....	الفصل الثامن
٦٣.....	الفصل التاسع
٦٥.....	الشتات
٦٦.....	الفصل الأول
٦٩.....	الفصل الثاني
٧٢.....	الفصل الثالث
٧٥.....	الفصل الرابع
٧٨.....	الفصل الخامس
٨٢.....	الفصل السادس
٨٦.....	الفصل السابع
٩٠.....	الفصل الثامن
٩٣.....	الفصل التاسع
٩٧.....	الفصل العاشر
١٠١.....	الجدور
١٠٢.....	الفصل الأول
١٠٧.....	الفصل الثاني
١١١.....	الفصل الثالث
١١٥.....	الفصل الرابع
١١٨.....	الفصل الخامس
١٢١.....	الفصل السادس

ألف عدوّ.....	١٢٣
الفصل الأوّل.....	١٢٤
الفصل الثاني.....	١٢٦
الفصل الثالث.....	١٢٨
الفصل الرابع.....	١٣١
الفصل الخامس.....	١٣٤
الفصل السادس.....	١٣٧
الفصل السابع.....	١٤٠
صراع الذئاب.....	١٤٣
الفصل الأوّل.....	١٤٤
الفصل الثاني.....	١٤٧
الفصل الثالث.....	١٥١
الفصل الرابع.....	١٥٥
الفصل الخامس.....	١٥٧
الفصل السادس.....	١٦١
مصيصة الثعلب.....	١٦٥
الفصل الأوّل.....	١٦٦
الفصل الثاني.....	١٦٨
الفصل الثالث.....	١٧١
الفصل الرابع.....	١٧٥
الفصل الخامس.....	١٧٩
الفصل السادس.....	١٨٤
حصار الشرّ.....	١٨٩

١٩٠.....	الفصل الأول
١٩٢.....	الفصل الثاني
١٩٦.....	الفصل الثالث
٢٠٠.....	الفصل الرابع
٢٠٣.....	الفصل الخامس
٢٠٦.....	الفصل السادس
٢١١.....	المواجهة
٢١٢.....	الفصل الأول
٢١٣.....	الفصل الثاني
٢١٧.....	الفصل الثالث
٢٢١.....	الفصل الرابع
٢٢٥.....	الفصل الخامس
٢٢٨.....	الفصل السادس
٢٣٠.....	الفصل السابع
٢٣٣.....	المهمة
٢٣٤.....	الفصل الأول
٢٣٧.....	الفصل الثاني
٢٤١.....	الفصل الثالث
٢٤٤.....	الفصل الرابع
٢٤٧.....	الفصل الخامس
٢٥١.....	الفصل السادس
٢٥٥.....	الأسيرة
٢٥٦.....	الفصل الأول

٢٥٩.....	الفصل الثاني.....
٢٦٢.....	الفصل الثالث.....
٢٦٦.....	الفصل الرابع.....
٢٦٩.....	محور الخطر.....
٢٧٠.....	الفصل الأول.....
٢٧١.....	الفصل الثاني.....
٢٧٥.....	الفصل الثالث.....
٢٧٩.....	الفصل الرابع.....
٢٨٣.....	عودة الأفعى.....
٢٨٤.....	الفصل الأول.....
٢٨٥.....	الفصل الثاني.....
٢٨٨.....	الفصل الثالث.....
٢٩١.....	الفصل الرابع.....
٢٩٧.....	الصراع الدموي.....
٢٩٨.....	الفصل الأول.....
٣٠٠.....	الفصل الثاني.....
٣٠٢.....	الفصل الثالث.....
٣٠٥.....	الفصل الرابع.....
٣٠٩.....	صيد العقرب.....
٣١٠.....	الفصل الأول.....
٣١٤.....	الفصل الثاني.....
٣١٨.....	الفصل الثالث.....
٣٢١.....	الفصل الرابع.....

الخطر.....	٣٢٥
الفصل الأول.....	٣٢٦
الفصل الثاني.....	٣٢٨
الفصل الثالث.....	٣٣١
الفصل الرابع.....	٣٣٤
البديل.....	٣٣٧
الفصل الأول.....	٣٣٨
الفصل الثاني.....	٣٤٠
الفصل الثالث.....	٣٤٢
الفصل الرابع.....	٣٤٤
الخطّة (ب).....	٣٤٧
الفصل الأول.....	٣٤٨
الفصل الثاني.....	٣٤٩
الفصل الثالث.....	٣٥٢
العميل.....	٣٥٧
الفصل الأول.....	٣٥٨
الفصل الثاني.....	٣٦١
الفصل الثالث.....	٣٦٥
الفصل الرابع.....	٣٦٩
رأس الأفعى.....	٣٧٥
الفصل الأول.....	٣٧٦
الفصل الثاني.....	٣٨٠
الفصل الثالث.....	٣٨٤

٣٨٨.....الفصل الرابع.

٣٩٣.....مع القراء.

٣٩٥.....أمل حياتي.

شارك رأيك

